

حادي الأرواح

إلى بلاد الأفراح

للإمام ابن قسيم الجوزية

١

مطبعة المدني
٦٨ شارع العباسية - القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه الإعانة

الحمد لله الذى جعل جنة الفردوس لمعباده المؤمنين نزلا ، ويسرهم للأعمال الصالحة
الموصلة إليها فلم يتخذوا سواها شغلا ، وسهل لهم طرقها فسلكوا السبيل الموصلة إليها
ذلا ، خلقها لهم قبل أن يخلقهم ، وأسكنهم إياها قبل أن يوجد لهم وحفها بالمسكاره ،
وأخرجهم إلى دار الامتحان ليلوهم أيهم أحسن عملا ، وجعل ميعاد دخولها يوم
القدوم عليه ، وضرب مدة الحياة الفانية دونه أجلا ، وأودعها مالا عين رأت ،
ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وجلاها لهم حتى عاينوها بهين البصيرة التى
هى أقد من رؤية البصر ، وبشرهم بما أعد لهم فيها على لسان رسوله فهى خير البشر ،
على لسان خير البشر ، وكل لهم البشرى بكونهم خالدين فيها لا يبعثون عنها حولا .

والحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا ، وباعث الرسل مبشرين
ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، إذ لم يخلقهم عبثا ، ولم يتركهم
سدى ، ولم يغفلهم هملا ، بل خلقهم لأمر عظيم ، وهياهم لخطب جسيم ، وعمر لهم
دارين ، فهذه لمن أجاب الداعى ولم يبع سوى ربه الكريم بدلا ، وهذه لمن لم يجب
دعوته ولم يرفع بها رأسا ولم يعلق بها أملا .

والحمد لله الذى رضى من عباده باليسير من العمل ، وتجاوز لهم عن الكثير
من الزلل ، وأفاض عليهم النعمة ، وكتب على نفسه الرحمة ، وضمن الكتاب الذى
كتبه أن رحمته سبقت غضبه ، دعا عباده إلى دار السلام فعمهم بالدعوة حجة منه
عليهم وعدلا ، وخص بالهداية والتوفيق من شاء نعمة ومنة وفضلا . فهذا
عدله وحكمته وهو العزيز الحكيم ، وذلك فضله يؤتبه من يشاء والله ذو الفضل
العظيم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة عبده وابن عبده وابن

أمته ، ومن لاغنى به طرفة عين عن فضله ورحمته ، ولا مطمع له في الفوز بالجنة والنجاة من النار إلا بعفوه ومغفرته .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأمينه على وحيه وخيرته من خلقه ، وأرسله رحمة للعالمين ، وقدوة للماملين ومحجة للسالكين ، وحجة على العباد أجمعين ، بعثه للإيمان منادياً ، وإلى دار السلام داعياً ، وللخليقة هادياً ، ولكتابه نالياً ، وفي مرضاته ساعياً ، وبالمرور آمراً ، وعن المنكر ناهياً ، أرسله على حين فترة من الرسل ، فهدى به إلى أقوم الطرق ، وأوضح السبل ، واقترض على العباد طاعته ومحبته ، وتمزيه وتوقيره والقيام بمحقوقه ، وسد إلى الجنة جميع الطرق فلم يفتحها لأحد إلا من طريقه فلو أنوا من كل طريق واستفتحوا من كل باب لما فتح لهم حتى يكونوا خلفه من الداخلين ، وعلى منهاجه وطريقته من السالكين .

فسيحان من شرح له صدره ، ووضع عنه وزره ، ورفع له ذكره ، وجعل الدالة والصفار على من خالف أمره ، فدعا إلى الله وإلى جنته سراً وجهاراً ، وأذن بذلك بين الأمة ليلا ونهاراً ، إلى أن طلع فجر الإسلام ، وأشرقت شمس الإيمان ، وعلت كلمة الرحمن ، وبطلت دعوة الشيطان ، وأضاءت بنور رسالته الأرض بمد ظلماتها ، ونألفت به القلوب بمد تفرقها وشتاتها ، فأشرق وجه الدهر حسناً ، وأصبح الظلام ضياءً ، واهتدى كل حيران ، فلما كمل الله به دينه وآتم به نعمته ، ونشر به على الخلائق رحمته ، فبلغ رسالات ربه ونصح عباده ، وجاهد في الله حق جهاده ، خيره بين المقام في الدنيا وبين لقائه والقدوم عليه ، فاختر لقاء ربه محبة له وشوقاً إليه ، فاستأثر به ونقله إلى الرفيق الأعلى ، والمحل الأرفع الأسفى ، وقد ترك أمته على الواضحة الغراء ، والمحجة البيضاء ، فسلك أصحابه وأتباعه على أثره إلى جنات النعيم ، وعدل الراغبون عن هديه إلى طرق الجحيم : (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة وإن الله لسميع علم) (١)

فصلى الله وملائكته وأنبيأؤه ورسوله وعباده المؤمنين عليه كما وحده الله وعبده .
وعرفنا به ودعا إليه .

أما بعد . فإن الله سبحانه وتعالى لم يخلق خلقه عبثاً ولم يتركهم سدى ، بل خلقهم لأمر عظيم وخطب جسيم ، عرض على السموات والأرض والجبال فأبين وأشفقن منه إشفاقاً ووجلاً ، وكان ربنا إن أمرتنا فسمعا وطاعة ، وإن خيرتنا فامعافيتك نريد لا نبني بها بدلاً ، وحمله الإنسان على ضعفه وعجزه عن حمله ، وباء به على ظلمه وجهله ، فألقى أكثر الناس الحمل عن ظهورهم لشدة مؤنته عليهم وثقله ، فصحبوا الدنيا صحبة الأنعام السائمة ، لا ينظرون في معرفة موجدهم وحقه عليهم ، ولا في المراد من إيجادهم وإخراجهم إلى هذه الدار التي هي طريق ومعبأ إلى دار القرار ، ولا يتفكرون في قلة مقامهم في الدنيا الفانية ، وسرعة رحيلهم إلى الآخرة الباقية ، فقد ملكهم باعث الحس ، وغاب عنهم داعي العقل ، وشملتهم الغفلة وغرتهم الأمانى الباطلة ، والحدع الكاذبة ، شغدهم طول الأمل ، وران على قلوبهم سوء العمل ، فغمهم في لذات الدنيا ، وشهوات النفوس كيف حصلت حصولها ، ومن أى وجه لاحت أخذوها ، إذا بدا لهم حظ من الدنيا بأخرتهم طاروا إليه زرافات ووحدانا ، وإذا عرض لهم عاجل من الدنيا لم يؤثروا عليه ثواباً من الله ولا رضواناً : (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) (١) ، (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون) (٢) .

والمعجب كل المعجب من غفلة من لحظاته معدودة عليه ، وكل نفس من أنفاسه لا قيمة له إذا ذهب لم يرجع إليه ، فطابا الليل والنهار تسرع به ولا يتفكر إلى أين يحمل ، ويسار به أعظم من سير البريد ، ولا يدري إلى أى الدارين ينقل ، فإذا نزل به الموت اشتد قلقه لحراب ذاته وذهاب لذاته . لا لما سبق من جنائياته ، وسلف من تفریطه ، حيث لم يقدم حياته . فإذا خطرت له خطرة عارضة لما خلق له دفعها باعتماده على العفو ، وقال : قد أنبئنا أنه هو النفور الرحيم ، وكأنه لم ينبأ أن عذابه هو المذاب الأليم .

(١) سورة الروم آية ٧ .

(٢) سورة الحشر آية ١٩ .

فصل

ولما علم الموفقون ما خلقوا له وما أريد بإيجادهم رفعوا رؤوسهم ، فإذا علم الجنة قد رفع لهم فشمروا إليه ، وإذا صراطها المستقيم قد وضح لهم فاستقاموا عليه ، وراوا من أعظم العنبر بيع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، في أبرد لا يزول ، ولا ينفد بصيابة عيش إنما هو كأضغاث أحلام ، أو كطيف زار في المنام ، مشوب بالنقص ، لمزوج بالنقص ، إن أضحك قليلا أبكى كثيرا ، وإن سر يوما أحزن شهورا ، آلامه تزيد على لذاته ، وأحزانه أضعاف مسراته ، أوله مخاوف وآخره متائف ، فيعجبا من سفاهة في صورة حلیم ، ومعتوه في مسالخ عاقل ، آثر الحظ الفاني الحسيس ، على الحظ الباقي النفيس ، وباع الجنة عرضها السموات والأرض ، بسجن ضيق بين أرباب العاهات ، والبلبات ، ومساكن طيبة في جنات عدن تجري من تحتها الأنهار ، بأعطان ضيقة آخرها الخراب والبوار ، وأبكارا عربا أربابا كأنهن الياقوت والمرجان ، بقدرات دنسات سيئات الأخلاق مسالجات أو متخذات أخذان ، وهورا مقصورات في الخيام بنحبيشات مسيات بين الأنام ، وأنهارا من خمر قنة للشاربين ، بشراب نجس مذهب للعقل منسد للدنيا والدين ، ولذرة النظر إلى وجه العزيز الرحيم ، بالتمتع برؤية الوجه القبيح الدميم ، وسماع الخطاب من الرحمن ، بسماع المعازف والنماء والألحان ، والجلوس على منابر اللؤلؤ والياقوت والزبرجد يوم المزيد ، بالجلوس في مجالس الفسوق مع كل شيطان مرید ، ونداء المنادى يا أهل الجنة : إن لكم أن تنعموا فلا تياسوا ونحيوا فلا تموتوا ، وتقيموا فلا تظنموا ، وتشبوا فلا تهرموا بفناء المنين .

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة في هواك لذيدة حبا لنذكرك فليدني اليوم

وإنما يظهر العنبر الفاحش في هذا البيع يوم القيامة ، وإنما يتبين سفه بائنه يوم الحسرة والندامة ، إذا حشر المتقون إلى الرحمن وفدا ، وسبق الجرمون إلى جهنم وردا ، ونداد المنادى على رؤوس الأشهاد ، ليعلمن أهل الموقف من أولى بالكرم

من بين العباد ، فلو توهم المتخلف عن هذه الرفقة ما أعد الله لهم من الإكرام ،
 وادخر لهم من الفضل والإنعام ، وما أخفى لهم من قرأ عين لم يقع على مثلها بصر ،
 ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر ، لعل أى بضاعة أضع ، وأنه لا خير له في
 حياته وهو معدود من سقط المتاع ، وعلم أن القوم قد توسطوا ملكاً كبيراً لا تفتريه
 الآفات ، ولا يلحقه الزوال ، وفازوا بالنعيم المقيم في جوار الكبير المتعال .

فهم في روضات الجنة يتقبلون ، وعلى أسرتهما تحت الحجال يجلسون ، وعلى
 الفرش التي بطائنها من إستبرق يتكثون ، وبالخور العين يتمتعون ، وبأنواع
 الثمار يتفكحون ، ويطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من
 معين ، لا يصدعون عنها ولا ينزفون ، وفاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون ،
 وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ، جزاء بما كانوا يعملون ، يطاق عليهم
 بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأتم فيها خالدون ،
 تالله لقد نودى عليها في سوق الكسادي ، فما قلب ولا استام إلا أفراد من العباد ،
 فواغجابها كيف نام طالبها ؟ وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها ! وكيف طاب العيش
 في هذه الدار بمد سماع أخبارها ؟ وكيف قر لهشتاق القرار ، دون معانقة أبقارها ،
 وكيف قرت دونها أعين المشتاقين ؟ وكيف صبرت عنها أنفس الموقنين ؟ وكيف صدقت
 عنها قلوب أكثر العالمين ؟ وبأى شيء تموضت عنها نفوس المعرضين ؟

شعر في وصف الجنة

وما ذاك إلا غيرة أن ينالها	سوى كفتها والرب بالخلق أعلم
وإن حجبت عنا بكل كرهية	وحفت بما يؤذى النفوس ويؤلم
فله ما في حشوها من مسرة	وأصناف لذات بها يتمتع
ولله برد العيش بين خيامها	وروضاتها والنور في الروض ييسم
ولله وادها الذي هو موعد المزم	يد لوفهم الحب لو كنت منهم
بذبالك الوادى بهم صبابة	محب يرى أن الصبابة معتم
ولله أفراح المحبين عندما	يخاطبهم من فوقهم ويسلم

والله أبصار ترى الله جهرة
 فيانظرة أهدت إلى الوجه نضرة
 والله كم من خيرة إن تبسمت
 فيالذة الابصار إن هي أقبلت
 ويا خجلة الفصن الرطيب إذا اثنت
 فإن كنت ذا قلب عليل بمجها
 ولا سيما في لثما عند ضمها
 تراه إذا أبدت له حسن وجهها
 تفسكه منها العين عند اجتلائها
 عنافيد من كرم وتفاح جنة
 وللورد ما قد ألبسته خدودها
 تقسم منها الحسن في جمع واحد
 لها فرق شق من الحسن أجمعت
 تذكر بالرحمن من هو ناظر
 إذا قابلت جيش المهوم بوجهها
 فياخاطب الحسنة إن كنت راغبا
 ولما جرى ماء الشباب بنصنها
 وكن مبنضا للخائبات لحبها
 وكن أيعا بمن سواها فإنها
 وصم يومك الأدنى لملك في غد
 وأقدم ولا تقنع بعيش مننص
 وإن ضاقت الدنيا عليك بأسرها
 فخي على جنات عدن فإنها
 ولكننا سبي العدو فهل ترى

فلا الضيم ينشأها ولا هي تسأم
 أمن بعدها يساو الحب المقيم
 أضاء لها نور من الفجر أعظم
 وبالذة الاسماع حين تكلم
 ويا خجلة العجربن حين تبسم
 فلم يبق إلا وصلها لك مرهم
 وقد صار منها تحت جيدك معصم
 يلد به قبل الوصال وينعم
 فواكه شق طلمها ليس يمدم
 ورمات أعصان به القلب مغرم
 وللخمر ما قد ضمه الريق والقلم
 فيا عجبا من واحد يتقسم
 بجملتها إن السلو عـرم
 فينطق بالتسبيح لا يتعالم
 تولى على أعقابه الجيش يهزم
 فهذا زمان المهر فهو المقدم
 تيقن حقاً أنه ليس يهزم
 فتحظى بها من دونهن وتنعم
 لملك في جنات عدن تأيم
 تفوز بميد الفطر والناس صوم
 فما فاز بالذات من ليس يقدم
 ولم يك فيها منزل لك يعلم
 منازلنا الأولى وفيها الخيم
 نعود إلى أوطاننا ونسلم

وقد زعموا أن الغريب إذا نأى
وأى اغتراب فوق غربتنا التي
وحى على السوق الذي فيه يلتقى المحد
فما شئت خذ منه بلائمن له
وحى على يوم المزيد الذي به
وحى على واد هنالك أفيح
منابر من نور هناك وفضة
وكثبان مسك قد جعلن مقاعدا
فبيناهم في عيشهم وسرورهم
إذا هم بنور ساطع أشرقت له
تجلى لهم رب السموات جهرة
سلام عليكم يسمعون جميعهم
يقول سلوني ما اشتيتيم فكل ما
فقالوا جميعا نحن نسألك الرضا
فيعطيههم هذا ويشهد جمعهم
فيا بانما هذا يخس معجل
فإن كنت لا تدرى فتلك مصيبة
وشطت به أوطانه فهو مغرم
لها أضحت الأعداء فينا تحكم
بون ذلك السوق للقوم يعلم
فقد أسلف التجار فيه وأسلموا
زيارة رب العرش فالיום موسم
وتربه من إذفر المسك أعظم
ومن خالص القيان لا تتقصم
لن دون أصحاب المنابر يعلم
وأزاقهم تجرى عليهم وتقسم
بأقطارها الجنات لا يتوهم
فيضحك فوق العرش ثم يكلم
بأذانهم تسليمه إذ يسلم
تريدون عندي أنى أنا أرحم
فأنت الذي تولى الجليل وترحم
عليه تعالى الله فالله أكرم
كأنك لا تدرى ، بلى سوف تعلم
وإن كنت تدرى فالمصيبة أعظم

فصل

وهذا كتاب اجتهدت في جمعه وترتيبه ، وتفصيله وتبويبه ، فهو للمحزون
سلاوة ، وللمشاق إلى تلك المرائس جلوة ، محرك للقلوب ، إلى أجل مطلوب ،
وحداد للنفوس ، إلى مجاورة الملك القدوس ، مجمع لقارئه ، مشوق للناظر فيه ،
لا يسأمه الجليس ، ولا يمله الأنيس ، مشتمل من بدائع الفوائد ، وفرائد القلائد ،
على ما لعل المجتهد في الطلب ، لا يظفر به فيما سواه من الكتب مع تضمينه

بجملة كثيرة من الأحاديث الرفوعات ، والآثار للوقوفات ، والأسرار للودعة في كثير من الآيات ، والنسكت البديعات ، وإيضاح كثير من المشكلات ، والتنبيه على أصول من الاسماء والصفات ، إذا نظر فيه الناظر زاده إيماناً ، وجلى عليه الجنة حتى كأنه يشاهدها عياناً ، فهو مثيرسا كن العزمات إلى روضات الجنات ، وباعث اللهم العليات ، إلى الميش الهنى في تلك الرفات .

وسميته « حادى الأرواح ، إلى بلاد الأفراح » فإنه اسم يطابق مسماه ، ولفظ يوافق معناه والله يعلم ما قصدت ، وما يحمله وتأليفه أردت ؛ فهو عند لسان كل عبد وواقبه ، وهو المطلع على نيته وكسبه ، وكان جل المقصود منه بشاره أهل السنة ، بما أعد الله لهم في الجنة ، فإنهم المستحقون للبشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ونعم الله عليهم باطنة وظاهرة ، وهم أولياء الرسول وحزبه ، ومن خرج عن سنته فهم أعداؤه وحره . لا تأخذهم في نصرة سنته ملامة اللوام ؛ ولا يتركون ما صح عنه لقول أحد من الأنام ؛ والسنة أجل في صدورهم من أن يقدموا عليها رأياً فقهياً ، أو بحثاً جدلياً ، أو خيلاً صوفياً ، أو تناقضاً كلامياً ، أو قياساً فلسفياً ، أو حكماً سياسياً ، فمن قدم عليها شيئاً من ذلك ، فباب الصواب عليه مسدود ، وهو عن طريق الرشاد مسدود .

فيا أيها الناظر فيه لك غنمه وطى مؤلفه غرمة ، ولك صفوه ، وعليه كدره . وهذه بضاعته المزجاة تمرض عليك ، وبنات أفكاره تزف إليك ، فإن صادفت كفوؤاً كريماً لم تعدم منه إمساكاً بمعروف أو تسريحاً بإحسان . وإن كان غيره فالله المستعان ، فما كان من صواب فمن الواحد اللتان ، وما كان من خطأ فمضى ومن الشيطان . والله برىء منه ورسوله .

وقد قسمت الكتاب سبعين باباً :

الباب الأول

في بيان وجود الجنة الآن

لم يزل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم ، فإنهم دعوا الأمم إليها ، وأخبروا بها إلى أن نبئت نابتة من القدرية والمعتزلة فأنكرت أن تكون مخلوقة الآن ، وقالت : بل الله ينفثها يوم القيامة ، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة فيما يفعله الله ، وأنه ينبغي له أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا ، وقاسوه على خلقه في أفعالهم فهم مشبهة في الأفعال ، ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معظلة في الصفات وقالوا : خلق الجنة قبل الجزاء عبث ، فإنهم تصير معظلة مبدأً متطاولة ليس فيها سكانها .

قالوا : ومن المعلوم أن ملكاً لو اتخذ داراً وأعد فيها الولدان الأطقمة والآلات والمصالح وعطائها من الناس ولم يمكنهم من دخولها قرؤنا متطاولة لم يكن مافعله واقعاً على وجه الحكمة ووجد العقلاء سبيلاً إلى الاعتراض عليه ، ! ! فحجروا على الرب تعالى بقولهم الفاسدة ، وآرائهم الباطلة ! ! وشبهوا أفعاله بأفعالهم وردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب أو حرفوها عن مواضعها وضلوا وبدعوا من خالفهم فيها ، والتزموا فيها لوازم أضحكوا عليهم فيها العقلاء .

ولهذا يذكر السلف في عقائدهم : أن الجنة والنار مخلوقتان ويذكر من صنف في المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة لا يختلفون فيها .

قال أبو الحسن الأشعري في كتاب «مقالات الإسلاميين واختلاف اللضاين» :

جملة ما عليه أصحاب الحديث وأهل السنة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله ومارواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يردون من ذلك شيئاً وأن أن الله تعالى إله واحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً . وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق والنار حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، وأن الله تعالى علي عرشه ، كما قال : (الرحمن على العرش استوى)^(١) ، وأن له يدين بلا كيف كما قال : « خلقت يدي » وكما قال : (بل يدها مبسوطتان) ، وأن له عينين بلا كيف كما قال : (تجري بأعيننا) وأن له وجهاً كما قال : (ويبق وجه ربك ذو الجلال والإكرام)^(٢) وأن أسماء الله تعالى لا يقال إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج وأقروا أن الله علما كما قال : (أنزله بلمعه) وكما قال : (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بلمعه)^(٣) وأثبتوا السمع والبصر ولم ينفوا ذلك عن الله كما تمتد المعتزلة وأثبتوا الله القوة كما قال : (أو لم يروا أن الله الذي خلقهم أشد منهم قوة)^(٤) ، وقالوا : إنه لا يكون في الأرض من خير ولا شر إلا ما شاء الله وأن الأشياء تكون بعيشة الله كما قال تعالى : (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله)^(٥) ، وكما قال المسلمون : ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

وقالوا : إن أحدا لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله أو يكون أحد يقدر أن يخرج عن علم الله أو أن يفعل شيئاً علم الله أنه لا يفعله ، وأقروا أنه لا خالق إلا الله تعالى ، وأن أفعال العباد يخلقها الله تعالى وأن العباد لا يقدر أن يخلقوا شيئاً ، وأن الله تعالى وفق المؤمنين لطاعته ، وخذل الكافرين ولطف بالمؤمنين ونظر لهم وأصلحهم وهداهم ، ولم يلطف بالكافرين ولا أصلحهم ولا هدامهم ولو أصلحهم لكانوا صالحين ، ولو هدامهم لكانوا مهتدين ، وأن الله تعالى يقدر أن يصلح

(١) سورة طه آية ٥

(٢) سورة الرحمن آية ٢٧

(٣) سورة فاطر آية ١١

(٤) سورة فصلت آية ١٥

(٥) سورة الإنسان آية ٣٠

الكافرين ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين ، ولكنه أراد أن يكونوا كافرين . كما علم وخذلهم وأضلهم وطبع على قلوبهم وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره ، ويؤمنون بقضاء الله وقدره خيره وشره حلوه ومره ، ويؤمنون أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله كما قال ، ويلجئون أمرهم إلى الله ، ويشتون الحاجة إلى الله في كل وقت ، والفقر إلى الله في كل حال .

ويقولون : إن القرآن كلام الله غير مخلوق ، والكلام في الوقف واللفظ ، فمن قال باللفظ أو بالوقف فهو مبتدع عندهم ، لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق . ويقولون : إن الله تعالى يرى بالابصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر ، ويراه المؤمنون ولا يراه الكافرون ، لأنهم عن الله تعالى محجوبون ، قال تعالى : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ محجوبون) (١) ، وأن موسى عليه السلام سأل الله سبحانه وتعالى الرؤية في الدنيا ، وأن الله تعالى تجلى للجبل فجعله دكا ، فأعلمه بذلك أنه لا يراه في الدنيا بل يراه في الآخرة ، ولا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه كعصو الزنا والسرقه وما أشبه ذلك من الكبائر .

وهم بما همهم من الإيمان مؤمنون وإن ارتكبوا الكبائر ، والإيمان عندهم هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وبالقدر خيره وشره حلوه ومره ، وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم وأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم ، والإسلام هو أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، كما جاء في الحديث . والإسلام عندهم غير الإيمان ، ويقولون بأن الله مقلب القلوب ، ويقولون بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنها لأهل الكبائر من أمته ، وبمذاب القبر وأن الحوض حق ، والصراط حق ، والبعث بمد الموت حق ، والمحاسبة من الله لعباده حق ، والوقوف بين يدي الله تعالى حق ، ويقولون بأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، ولا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق .

ويقولون : أسماء الله هي الله تعالى ، ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر

بالنار ، ولا يحكمون بالجنة لاحد من الموحدين حتى يكون الله تعالى ينزلهم حيث شاء . ويقولون : أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم ، ويؤمنون بأن الله تعالى يخرج قوماً من الموحدين من النار على ما جاءت به الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينكرون الجدال والمراءى في الدين ، والخصومة في القدر والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من دينهم بالتسليم للروايات الصحيحة ، ولما جاءت به الآثار التي رواها الثقات عدلاً عن عدل ، حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يقولون كيف ولا لم ؟ لأن ذلك بدعة .

ويقولون : إن الله تعالى لم يأمر بالشر ، بل نهى عنه وأمر بالخير ، ولم يرض بالشرك وإن كان مردياً له ، ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ويأخذون بفضائلهم ويمسكون عما شجر بينهم صبرهم وكبيرهم ، ويقدمون أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علياً رضي الله عنهم ، ويقرون بأنهم الخلفاء الراشدين المهديون ، وأنهم أفضل الناس كلهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول : هل من مستغفر ؟ » ، كما جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويأخذون بالكتاب والسنة كما قال تعالى : (فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول) (١) .

ويرون اتباع من سلف من أئمة الدين وأن لا يتبعوا في دينهم ما لم يأذن به الله ؛ ويقرون أن الله تعالى يجي يوم القيامة كما قال : (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) (٢) وأن الله تعالى يقرب من خلقه كيف شاء كما قال : (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) (٣) .

ويرون العيدين والجمعة والجماعة خلف كل إمام بر أو فاجر ، ويشبتون المسح على الحفين سنة ، ويرونه في الحضر والسفر ، ويشبتون فرض الجهاد للمشركين منذ

(١) سورة النساء آية ٥٩ .

(٢) سورة الفجر آية ٢٢ .

(٣) سورة ق آية ١٦ .

بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم إلى آخر عصابة تقاوت الدجال ، وبعد ذلك يرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح وأن لا يخرج عليهم بالسيف وأن لا يقاتلوا في الفتنة ، ويصدقون بخروج الدجال وأن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام يقتله، ويؤمنون بمنكر ونكير ، والمعراج والرؤيا في المنام ، وأن الدعاء لموتى المسلمين والصدقة عنهم بعد موتهم تصل إليهم ، ويصدقون أن في الدنيا سحرة وأن الساحر كافر كما قال تعالى ، وأن السحر كائن موجود في الدنيا .

ويرون الصلاة على كل من مات من أهل القبلة مؤمنهم وفاجرهم ، ويقرون أن الجنة والنار مخلوقتان وأن من مات بأجله ، وكذلك من قتل قتل بأجله ، وأن الأرزاق من قبل الله تعالى يرزقها عباده حلالا كانت أم حراماً ، وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويشككه ويحبطه ، وأن الصالحين قد يجوز أن يخصهم الله تعالى بآيات تظهر عليهم ، وأن السنة لا تنسخ بالقرآن ، وأن الأطفال أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم ، وإن شاء فعل بهم ما أراد ، وأن الله تعالى عالم ما العباد عاملون ، وكتب أن ذلك يكون ، وأن الأمور بيد الله تعالى .

ويرون الصبر على حكم الله ، والأخذ بما أمر الله تعالى والانتها عما نهى الله عنه ، وإخلاص العمل لله والنصيحة للمسلمين ، ويدينون بعبادة الله في العابدین والنصيحة لجماعة المسلمين ، واجتناب الكبائر والزنا وقول الزور والمعصية والفجر والسكبر والازدراء على الناس والمعجب .

ويرون مجانبية كل داع إلى بدعة ، والتشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار والنظر في الفقه مع التواضع والاستكانة وحسن الخلق وبذل المعروف وكف الأذى وترك النية والنيمة والسماية وتفقد الماء كل والشارب، فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب . وما توفيقنا إلا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وبه نستعين وعليه نتوكل وإليه المصير .

والمقصود حكايته عن جميع أهل السنة والحديث : أن الجنة والنار مخلوقتان

وسقنا جملة كلامه ليكون الكتاب مؤسساً على معرفة من يستحق البشارة المذكورة، وأن أهل هذه المقالة هم أهلها، وبالله التوفيق .

وقد دل على ذلك من القرآن قوله تعالى : (ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى)^(١) ، وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم سدرة المنتهى ، ورأى عندها جنة المأوى كما في الصحيحين من حديث أنس في قصة الإسراء وفي آخره : « ثم انطلق بي جبريل حتى انتهى إلى سدرة المنتهى فغشها ألوان لا أدرى ما هي ؟ قال : ثم دخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك » .

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغدادة والمشى ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى يوم القيامة » .

وفي المسند وصحيح الحاكم وابن حبان وغيرهم من حديث البراء بن عازب قال : « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار - فذكر الحديث بطوله ، وفيه : فينادى مناد من السماء إن صدق عبدى فأقرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة ، قال : فيأتيه من روحها طيبها » وذكر الحديث .

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم . قال : فيأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ قال : فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، قال : فيقولان له : انظر إلى مقعدك من النار ، قد أبدلك الله به مقعداً في الجنة ، قال نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فيراها جميعاً » .

وفي صحيح أبي عوانة الأسفراييني وسنن أبي داود من حديث البراء بن عازب الطويل في قبض الروح : « ثم يفتح له باب من الجنة وباب من النار ، فيقال هذا كان منزلك لو عصيت الله تعالى أبذلك الله به هذا ، فإذا رأى ما في الجنة قال : رب عجل قيام الساعة كما أرجع إلى أهلي ومالي ، فيقال : اسكن » .

وفي مسند البرار وغيره من حديث أبي سعيد قال : « شهدنا مع النبي صلى الله عليه وسلم جنازة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيها الناس ، إن هذه الأمة تبتلى في قبورها ، فإذا دفن الإنسان وتفرق عنه أصحابه جاءه ملك في يده مطراق فأقدمه فقال : ما تقول في هذا الرجل ؟ يعني محمداً صلى الله عليه وسلم - فإن كان مؤمناً قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فيقولون له : صدقت ، ثم يفتح له باب إلى النار فيقولون : هذا كان منزلك لو كفرت بربك ، فأما إذا آمنت به فهذا منزلك ، فيفتح له باب إلى الجنة فيريد أن ينهض إلى الجنة فيقولون له : اسكن » وذكر الحديث .

وفي صحيح مسلم عن عائشة قالت : « خسفت الشمس في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرت الحديث إلى أن قالت : ثم قام فخطب الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتوهما فافزعوا إلى الصلاة » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدتم حتى لقد رأيتني أخذ قطعاً من الجنة حين رأيتموني أقدم ، ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً حين رأيتموني تأخرت » .

وفي الصحيحين واللفظ للبخاري عن عبد الله بن عباس قال : « انخسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر الحديث وفيه فقال : إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله ، فقالوا : يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك ثم رأيناك تسكمت ، فقال : إني رأيت الجنة وتناولت عنقوداً ولو أصبته لا كلمت (٢ - حادي الأرواح)

منه ما بقيت الدنيا ، ورأيت النار فلم أر منظراً كالأيوم قط أفظع ، ورأيت أكثر أهلها النساء ، قالوا : بم يارسول الله ؟ قال بكفرهن . قيل : أيكفرن بالله ؟ قال : يكفرن المشير ويكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئاً قالت : ما رأيت منك خيراً قط .

وفي صحيح البخارى عن أسماء بنت أبى بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الخسوف قال : « قد دنت منى الجنة حتى لو اجترأت عليها لجننكم بقطاف من قطافها ، ودنت منى النار حتى قلت أى يب وأنا مهمم . فإذا امرأة حسبت أنه قال : تخدشها هرة . فأت : ما شأن هذه ؟ قالوا : حبستها حتى ماتت جوعاً لا أطعمتها ولا أرسلتها تأكل . »

وفي صحيح مسلم من حديث جابر في هذه القصة قال : « عرضت على كل شيء توجلونه ، فعرضت على الجنة حتى تناولت منها قطفاً فقصرت يدي عنه ، وعرضت على النار فرأيت فيها امرأة من بنى إسرائيل تمذب في هرة لها » وذكر الحديث .

وفي صحيح مسلم عنه في هذا الحديث : « ما من شيء توعدونه إلا قدر رأيتُه في صلاتي هذه ، لقد جىء بالنار وذلك حين رأيتموني تأخرت مخافة أن يصيبني من لفحها ، وحتى رأيت فيها صاحب المحجن يجر قصبه في النار ، وكان يسرق الحاج بمحجنه ، فإذا فطن له قال إنما تعلق بمحجني وإن غفل عنه ذهب به ، وحتى رأيت فيها صاحبة الهرة التي ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت جوعاً ، ثم جىء بالجنة وذلك حين رأيتموني تقدمت حتى قمت في مقامى ، ولقد مددت يدي وأنا أريد أن أتناول من ثمرها لتنظروا إليهِ ، ثم بدا لى أن لا أفعل فإما من شيء توعدونه إلا قدر رأيتُه في صلاتي هذه . »

وفي مسند الإمام أحمد وسنن أبى داود والنسائى من حديث عبد الله بن عمرو في هذه القصة : « والذى نفس محمد بيده لقد أدنيت الجنة منى حتى لو بسطت يدي

تلتماطيت من قطوفها ، ولقد أدنيت النار منى حتى لقد جعلت أبقها خشية أن تنشأكم»
 بوذكر الحديث .

وفي صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك قال : « بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ أقيمت الصلاة فقال : يا أيها الناس ، إني إمامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود ولا ترفعوا رؤوسكم فإني أراكم من أمامي ومن خلفي ، وأيم الذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلا ولبسكنم كثيرا ، قالوا : وما رأيتم يا رسول الله ؟ قال : رأيتم الجنة والنار » .

وفي الموطأ والسنن من حديث كعب بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما سمى المؤمن طير يملق في شجر الجنة حتى يجمعها الله إلى جسده يوم القيامة » وهذا صريح في دخول الروح الجنة قبل يوم القيامة ، ومثله حديث كعب بن مالك أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تملق في ثمر الجنة أو شجر الجنة » رواه أهل السنن وصححه الترمذى .

وسياتى في آخر هذا الكتاب في الباب الذي يذكر فيه دخول أرواح المؤمنين الجنة قبل يوم القيامة ، تمام هذه الأحاديث إن شاء الله تعالى ، وذكر دلالة القرآن على ما دللت عليه السنة من ذلك .

وفي صحيح مسلم والسنن والمسند من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لما خلق الله تعالى الجنة والنار ، أرسل جبريل إلى الجنة فقال : اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها . فذهب فنظر إليها وإلى ما أعددت للآهلها فيها فرجع ، فقال : وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها ، فأمر بالجنة فحفت بالكاره ، فقال : فارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها ، فقال : فنظر إليها ثم رجع فقال : وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد ، قال : ثم أرسله إلى النار قال : اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها ، قال : فنظر إليها فإذا هي يركب بعضها بمضاً ثم رجع فقال : وعزتك وجلالك لا يدخلها أحد سمع بها ، فأمر بها فحفت بالشهوات ثم قال : اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها ، فذهب

فنظر إليها فرجع فقال : وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها » قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة : « حجبت الجنة بالمسكاره ، وحجبت النار بالشهوات » .

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اختصمت الجنة والنار ، فقالت الجنة : يارب مالها إنما يدخلها ضمفان الناس وسقطتهم ؟ وقالت النار : يارب مالها يدخلها الجبارون والمتكبرون ؟ فقال : أنت رحمتى أصيب بك من أشاء ، وأنت عذابى أصيب بك من أشاء ، ولكل واحدة منك ماؤها » .

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اشتكت النار إلى ربها فقالت : يارب أكل بضمى بعضاً ، فأذن لها بنفسين : نفس في الشتاء ونفس في الصيف » .

وروى الليث بن سعد عن معاوية بن صالح عن عبد الله بن بشير ورفع الحديث قال : « ما من يوم إلا والجنة والنار يسألان ، تقول الجنة : يارب قد طاب ثمرى ، واطردت أنهارى ، واشتقت إلى أوليائى ، فمجل إلى بأهلى . وتقول النار : اشتد حرى ، وبمد قمرى ، وعظم جمرى ، فمجل على بأهلى » .

وفي صحيح البخارى من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بينما أنا أسير فى الجنة وإذا بنهر فى الجنة حافتاه قباب الدر المحجوف . قال : قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا السكوثر الذى أعطاك ربك ، فضرب الملك بيده فإذا طينه المسك الأذفر » .

وفي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « دخلت الجنة فرأيت فيها قصرأ ودارأ فقلت : لمن هذا ؟ فقيل : لرجل من قريش فرجوت أن أكون أنا هو ، فقيل لعمر بن الخطاب : فلولا غيرتك

يا أبا حفص لدخلته ، قال : فسكى عمر ، وقال : أو يغار عليك يا رسول الله ؟
وسياتى حديث بلال وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « ما دخلت الجنة إلا سمعت
خشخشتك بين يدي » وغير ذلك من الأحاديث التي تأتي إن شاء الله تعالى .

وقال عبد الله بن وهب : أنبأنا معاوية بن صالح عن عيسى بن عاصم عن
زر بن حبيش عن أنس بن مالك قال : « صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات يوم صلاة الصبح ، ثم مديده ثم أخرها ، فلما سلم قيل له : يا رسول الله لقد
صنعت في صلاتك شيئاً لم تصنعه في غيرها ، قال : إني رأيت الجنة ، فرأيت فيها دانية
قطوفها دانية حبهها كالذهب ، فأردت أن أتناول منها ، فأوحى إليها أن استأخري
فاستأخرت ، ثم رأيت النار فيما بيني وبينكم حتى لقد رأيت ظلى وظلكم ، فأومأت
إليكم أن استأخروا فأوحى إلي أفرهم ، فإنك أسلمت وأسلموا وهاجرت وهاجروا ،
وجاهدت وجاهدوا ، فلم أرى عليكم فضلاً إلا بالنبوة » .

فإن قيل : فما منكم من الاحتجاج على وجودها الآن بقصة آدم ودخوله الجنة
وإخراجه منها بأكله من الشجرة ، والاستدلال بها في غاية الظهور ؟

قيل : الاستدلال بذلك وإن كان عند العامة في غاية الظهور ، فهو في غاية
الغموض لاختلاف الناس في الجنة ، التي أسكنها آدم هل كانت جنة الخلد التي
يدخلها المؤمنون يوم القيامة ، أو كانت جنة في الأرض في شرفها ؟ ونحن نذكر
من قال بهذا ومن قال بهذا ، وما احتج به كل فريق على قولهم ، وما رد به الفريق
الآخر عليهم بحول الله وقوته .

الباب الثاني

في اختلاف الناس في الجنة التي أسكنها آدم عليه الصلاة والسلام وأهبط منها ، هل هي جنة الخلد أو جنة أخرى غيرها في موضع عال من الأرض ؟

قال منذر بن سعيد في تفسيره : وأما قوله تعالى لآدم : (أسكن أنت وزوجك الجنة) (١) فقالت طائفة : أسكن الله آدم جنة الخلد التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة ، وقال آخرون : هي جنة غيرها جعلها الله له وأسكنه إياها ليست جنة الخلد ، قال : وهذا قول تكثر الدلائل الشاهدة له والموجبة للقول به . وقال أبو الحسن الماوردي في تفسيره : واختلف الناس في الجنة التي أسكنها على قولين : أحدهما : أنها جنة الخلد . الثاني : أنها جنة أعدها الله تعالى لها وجعلها دار ابتلاء ، وليست هي جنة الخلد التي جعلها دار جزاء ، ومن قال بهذا اختلفوا فيه على قولين :

أحدهما : أنها في السماء ، لأنه أهبطها منها . وهذا قول الحسن .

الثاني : أنها في الأرض ، لأنه امتحنهما فيها بالنهي عن الشجرة التي نهاها عنها دون غيرها من الثمار ، وهذا قول ابن بحر ، وكان ذلك بعد أن أمر إبليس بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام . والله أعلم بصواب ذلك . هذا كلامه .

وقال ابن الخطيب في تفسيره المشهور : واختلفوا في الجنة المذكورة في هذه الآية هل كانت في الأرض أو في السماء ؟ وبتقدير أنها كانت في السماء ، فهل هي الجنة التي هي دار الثواب وجنة الخلد أو جنة أخرى ؟ فقال أبو القاسم الباقلي وأبو مسلم الأصبهاني : هذه الجنة في الأرض ، وحمل الإهباط على الانتقال من بقعة إلى بقعة . كما في قوله : (أهبطوا مصرأ) واحتجا عليه بوجوه .

القول الثاني ، وهو قول الجبائي : أن تلك الجنة كانت في السماء السابعة :

(١) سورة البقرة آية ٣٥ ، وسورة الأعراف آية ١٩ .

والقول الثالث : وهو قول جمهور أصحابنا أن هذه الجنة هي دار النواب .
وقال أبو القاسم الرغب في تفسيره : واختلف في الجنة التي أسكنها آدم ، فقال
بعض المتكلمين : كان بستاناً جعله الله تعالى له امتحاناً ولم تكن جنة المأوى ،
وذكر بعض الاستدلال على القولين .

ومن ذكر الخلاف أيضاً أبو عيسى الرماني في تفسيره واختار أنها جنة الخلد ،
ثم قال : والمذهب الذي اخترناه قول الحسن وعمرو ، وواصل وأكثر أصحابنا ، وهو
قول أبي علي وشيخنا أبي بكر وعليه أهل التفسير ، واختار ابن الخطيب التوقف
في المسألة وجعله قولاً رابعاً فقال :

والقول الرابع : أن الكل ممكن ، والأدلة متعارضة ، فوجب التوقف وترك
القطع . قال منذر بن سعيد : والقول بأنها جنة في الأرض ليست جنة الخلد قول
أبي حنيفة وأصحابه قال : وقد رأيت أقواماً نهضوا لمخالفتنا في جنة آدم عليه السلام ،
بتصويب مذهبهم من غير حجة إلا دعاوى والأمانى ، ما أتوا بحجة من كتاب
ولا سنة ولا أثر عن صاحب ولا تابع ولا تابع التابع ولا موصول ولا شاداً
مشهوراً .

وقد أوجدناهم أن فقيه العراقي ومن قال بقوله ، قالوا : إن جنة آدم ليست جنة
الخلد ، وهذه الدواوين مشحونة من علومهم ، ليسوا عند أحد من الشاذين
بل بين رؤساء المخالفين . وإنما قلت هذا ليعلم أني لا أنصر مذهب أبي حنيفة ،
وإنما أنصر ما قام لي عليه الدليل من القرآن والسنة . هذا ابن زيد المالكي يقول
في تفسيره : سألت ابن نافع عن الجنة مخلوقة هي ؟ فقال : السكوت عن الكلام
في هذا أفضل ، وهذا ابن عيينة يقول في قوله عز وجل : (إن لك ألا تجوع
فيها ولا تمرى)^(١) قال : يعني في الأرض . وابن نافع إمام وابن عيينة إمام ، وهم
لا يأتوننا بمثلها ولا من يضاد قوله قولهما .

وهذا ابن قتيبة ذكر في كتاب المعارف بعد ذكره خلق الله لآدم وزوجه ، قال :

ثم تركهما ، وقال : أمروا وأكثروا ، واملؤا الأرض ، ولسلطوا على أنوان
البحور ، وطير السماء ، والأنعام وعشب الأرض وشجرها وثمرها ، فأخبر أن
في الأرض خلقه وفيها أمره ، ثم قال : ونصب الفردوس فانقسم على أربعة
أنهار : سيحون وجيحون ، ودجلة ، والفرات ، ثم ذكر الحية فقال :
وكانت أعظم دواب البر ، فقالت للمرأة : إنكما لاتموتان إن أكتما من
هذه الشجرة .

ثم قال بعد كلام : ثم أخرجه من مشرق جنة عدن إلى الأرض ، التي
منها أخذ ، ثم قال : قال وهب : وكان مهبطه حين أهبط من جنة عدن في
شرقي أرض الهند . قال : واحتمل قاييل أخاه حتى أتى به وادياً من أودية
اليمين في شرقي عدن فكمن فيه . وقال غيره فيما نقل أبو صالح عن ابن عباس
في قوله : أهبطوا ، هو كما يقول : هبط فلان أرض كذا وكذا .

قال منذر بن سعيد : فهذا وهب بن منبه يحكى أن آدم عليه السلام خلق
في الأرض ، وفيها سكن ، وفيها نصب له الفردوس ، وأنه كان بمدينة ، وأن
أربعة أنهار انقسمت من ذلك النهر الذي كان يسمى فردوس آدم ، وتلك
الأنهار بقيت في الأرض لا اختلاف بين المسلمين في ذلك ، فاعتبروا يا أولى
الالباب . وأخبر أن الحية التي كلت آدم كانت من أعظم دواب البر ، ولم يقل :
من أعظم دواب السماء ، فهم يقولون : إن الجنة لم تسكن في الأرض وإنما
كانت فوق السماء السابعة .

ثم قال : وأخرجه من مشرق جنة عدن وليس في جنة المأوى مشرق ولا مغرب
لأنه لا شمس فيها .

ثم قال : وأخرجه إلى الأرض التي أخذ منها ، يعني أخرجه من الفردوس
الذي نصب له في عدن في شرقي أرض الهند . وهذه الأخبار التي حكى ابن
كثير ، إنما تنبئ عن أرض اليمن وعن عدن وهي من أرض اليمن ، وأخبر
أن الله نصب الفردوس لآدم عليه الصلاة والسلام بمدينة ، ثم أكد ذلك بأن
قال : التي لأربعة الأنهار ذكرناها منقسمة عن النهر الذي كان يسمى
فردوس آدم .

قال منذر ، وقال ابن قتيبة عن ابن منبه عن أبي هريرة قال : واشتهى آدم عند موته قطفا من الجنة التي كان فيها بزعمهم على ظهر السماء السابعة ، وهو في الأرض ، فخرج أولاده . يطلبون ذلك له حتى بلغتهم الملائكة موته ، فأولاد آدم كانوا مجانين عندكم إن كان ما نقله ابن قتيبة حقاً ، يطلبون لأبيهم نمر جنة الخلد في الأرض .

قال : ونحن لم نقل غير ما قال هؤلاء ، ولو كانت جنة الخلد ، لخلد فيها ، ونحن استدللنا من القرآن وغيرنا قطع وادعى بما ليس له عليه برهان . فهذا ذكر بعض أقوال من حكي الخلاف في هذه المسألة ، ونحن نسوق حجج الفريقين إن شاء الله تعالى ، ونبين ما لهم وما عليهم .

الباب الثالث

في سياق حجج من اختار أنها جنة الخلد التي يدخلها الناس يوم القيامة قالوا : قولنا هذا هو الذي فطر الله عليه الناس صغيرهم وكبيرهم لم يخطر بقلوبهم سواء ، وأكثرهم لا يعلم في ذلك نزاعاً .

قالوا : وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك عن أبي حازم عن أبي هريرة وأبي مالك عن ربيع عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يجمع الله تعالى الناس ، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة ، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون : يا أبانا استفتح لنا الجنة : فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أيكم ؟ » وذكر الحديث .

قالوا : وهذا يدل على أن الجنة التي أخرج منها هي بعينها التي يطلب منه أن يستفتحها .

وفي الصحيحين حديث احتجاج آدم وموسى وقول موسى : أخرجتنا ونفسك من الجنة ، ولو كانت في الأرض فهم قد خرجوا من بساتين ، فلم يخرجوا من الجنة . وكذلك قول آدم للمؤمنين يوم القيامة : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أيكم ؟ وخطيئته لم تخرجهم من جنات الدنيا .

قالوا : وقد قال تعالى في سورة البقرة : (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين) (١) .

فهذا يدل على أن هبوطهم كان من الجنة إلى الأرض من وجهين : أحدهما : من لفظة اهبطوا ، فإنه زول من علو إلى سفل . والثاني : ولهم في الأرض مستقر عقب قوله : اهبطوا . فدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك في الأرض ، ثم أكد هذا بقوله في سورة الاعراف : (قال فيها نحيمون وفيها تموتون ، ومنها تخرجون) ولو كانت الجنة في الأرض لكانت حياتهم فيها قبل الإخراج وبعده .

قالوا : وقد وصف لاسبحانه جنة آدم بصفات إلا في تكون جنة الخلد فقال : (إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنت لا تظمأ فيها ولا تضحي) (١) وهذا لا يكون في الدنيا أصلاً ، فإن الرجل ولو كان في أطيب منازلها لا بد أن يعرض له شيء من ذلك ، وقابل سبحانه بين الجوع والظمأ ، والعرى والضحي ، فإن الجوع ذل الباطن ، والعرى ذل الظاهر ، والظمأ حر الباطن ، والضحي حر الظاهر . ففني عن ساكنها ذل الظاهر والباطن ، وحر الظاهر والباطن ، وذلك أحسن من المقابلة بين الجوع والظمأ ، والعرى والضحي . وهذا شأن ساكن جنة الخلد .

قالوا : وأيضاً فلو كانت تلك الجنة في الدنيا لعلم آدم كذب إبليس في قوله : (هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) (٢) فإن آدم كان يعلم أن الدنيا منقضية فانية ، وأن ملكها يبلى .

قالوا : وأيضاً هذه القصة في سورة البقرة ظاهرة جداً في أن الجنة التي أخرج منها فوق السماء فإنه سبحانه قال : (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ، وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة

فتكونا من الظالمين ، فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقتلنا إهبطوا
بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين . فتلقى آدم
من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم (١) فهذا إهباط آدم وحواء
وإبليس من الجنة ، فلماذا أتى فيه بضمير الجمع . وقد قيل : إن الخطاب
لهما وللحية وهذا ضعيف جداً ، إذ لا ذكر للحية في شيء من قصة آدم ،
ولا في السياق ما يدل عليها . وقيل : الخطاب لآدم وحواء وأتى فيه بضمير
الجمع كقوله : « وكنا لحكمهم شاهدين » وهما داود وسليمان ، وقيل
لآدم وحواء وذريتهما .

وهذه الأقوال ضعيفة غير الأولى ، لأنها بين قول لا دليل عليه ، وبين
ما يدل اللفظ على خلافه ، فثبت أن إبليس داخل في هذا الخطاب وأنه من
المهبطين ، فإذا تقرر هذا ، فقد ذكر سبحانه الإهباط ثانياً بقوله : (وقتلنا
إهبطوا منها جميعاً فيما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون) والظاهر أن هذا الإهباط الثانى غير الأول ، وهو إهباط
من السماء إلى الأرض ، والأول إهباط من الجنة . وحينئذ فتكون الجنة
التي أهبط منها أولاً فوق السماء جنة الخلد ، وقد ظن الزمخشري أن قوله :
إهبطوا منها جميعاً خطاب لآدم وحواء خاصة وعبر عنهما بالجمع لاستبعاها
ذرياتهما . قال : والدليل عليه قوله تعالى : (قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض
عدو) (٢) قال : ويدل على ذلك قوله : (فمن تبع هداى فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها
خالدون) (٣) وما هو إلا حكم يعم الناس كلهم .

ومعنى قوله : بعضكم لبعض عدو ، ما عليه الناس من التماذى والتباعدى

(٢) سورة طه آية ١٢٣

(١) سورة البقرة الآيات ٣٤ - ٣٧

(٣) سورة البقرة الآيات ٣٨ ، ٣٩

وتضليل بعضهم بعضاً . وهذا الذي اختاره أضعف الأقوال في الآية ، فإن
 المداوة التي ذكرها الله تعالى إنما هي بين آدم وإبليس وذريتهما ، كما قال
 الله تعالى : (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً) (١) وهو سبحانه قد
 أكد أمر المداوة بين الشيطان والإنسان ، وأعاد وأبدى ذكرها في القرآن
 لشدة الحاجة إلى التحرز من هذا العدو ، وأما آدم وزوجه ، فإنه إنما
 أخبر في كتابه أنه خلقها ليسكن إليها ، وجعل بينهما مودة ورحمة ، فالمودة
 والرحمة بين الرجل وامرأته ، والمداوة بين الإنسان والشيطان .

وقد تقدم ذكر آدم وزوجه وإبليس وهم ثلاثة ، فلماذا يعود الضمير
 على بعض المذكور مع منافرتهم لطريق الكلام دون جميعه ، مع أن اللفظ
 والمعنى يقتضيه ، فلم يصنع التخصى شيئاً ؟

وأما قوله تعالى في سورة طه : (قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض
 عدو) (٢) وهذا خطاب لآدم وحواء ، وقد جعل بعضهم لبعض عدواً :
 فالضمير في قوله اهبطا منها ، إما أن يرجع إلى آدم وزوجه ، أو إلى آدم
 وإبليس ، ولم يذكر الزوجة ، لأنها تبع له : وعلى هذا ، فالمداوة المذكورة
 للمخاطبين بالإهباط وهما آدم وإبليس فالأمر ظاهر ، وأما على الأول فتكون
 الآية قد اشتملت على أمرين :

أحدها : أمره تعالى لآدم وزوجه بالهبوط .

والثاني : إخباره بالمداوة بين آدم وزوجه وبين إبليس ، ولهذا أتى بضمير
 الجمع في الثاني دون الأول ، ولا بد أن يكون إبليس داخلاً في حكم هذه
 المداوة قطعاً ، كما قال تعالى : (إن هذا عدو لك ولزوجك) (٣) وقال للذرية :

(٢) سورة طه آية ١٢٣

(١) سورة فاطر آية ٦

(٣) سورة طه آية ١١٧

(إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً) (١).

وتأمل كيف اتفقت المواضع التي فيها ذكر العداوة على ضمير الجمع دون التثنية؟ وأما الإهباط فتارة يذكره بلفظ الجمع ، وتارة بلفظ التثنية ، وتارة بلفظ الإفراد، كقوله في سورة الأعراف : قال اهبط منها ، وكذلك في سورة ص وهذا لإبليس وحده ، وحيث ورد بصيغة الجمع فهو لآدم وزوجه وإبليس ، إذ مدار القصة عليهم ، وحيث ورد بلفظ التثنية ، فلما أن يكون لآدم وزوجه ، إذ هما اللذان باسرا الأكل من الشجرة وأقدا على المعصية ، وإما أن يكون لآدم وإبليس إذ هما أبوا الثقلين وأصلا الذرية ، فذكر حالهما ومآل أمرهما ليكون عظة وعبرة لأولادها ، وقد حكيت القولين في ذلك .

والذي يوضح أن الضمير في قوله : اهبطا منها جميعاً لآدم وإبليس ، أن الله سبحانه لما ذكر المعصية أفرد بها آدم دون زوجته فقال : (وعصى آدم ربه فغوى ، ثم اجتنباه ربه فتاب عليه وهدي ، قال اهبطا منها جميعاً) (٢) وهذا يدل على أن المخاطب بالإهباط هو آدم ومن زين له المعصية ودخلت الزوجة تبعاً ، فإن المقصود إخبار الله تعالى للثقلين ، بما جرى على أبويهما من شؤم المعصية ومخالفة الأمر ، فذكر أبويهما أبلغ في حصول هذا المعنى ، ومن ذكر أبو الإنس فقط .

وقد أخبر سبحانه عن الزوجة بأنها أكلت مع آدم ، وأخبر أنه أهبطه وأخرجه من الجنة بتلك الأكلة ، فعلم أن حكم الزوجة كذلك ، وأنها صارت إلى ما صار إليه آدم ، وكان تجريد العناية إلى ذكر حال أبوي الثقلين أولى من تجريده إلى ذكر أبي الإنس وأمهم ، فتأمله .

قالوا : وأيضاً فالجنة جاءت معرفة بلام التعريف في جميع المواضع كقوله : (اسكن أنت وزوجك الجنة) (٣) ونظائره ولا جنة يمهدها المخاطبون ويعرفونها إلا جنة الخلد التي وعد الرحمن عباده بالغيب ، فقد صار هذا الإسم علماً عليها بالغلبة

(١) سورة فاطر آية ٦ .

(٢) سورة طه الآيات ١٢١ - ١٢٣ .

(٣) سورة البقرة آية ٣٥ .

كالدينة والنجم والبيت والكتاب ونظائرهما ، فحيث ورد لفظها معرفا انصرف إلى
الجنة المعهودة المعلومة في قلوب المؤمنين ، وأما إن أريد به جنة غيرها فإنها تجيء
منكرة أو مقيدة بالإضافة ، أو مقيدة من السياق بما يدل على أنها جنة في
الأرض :

فالأول : كقوله : (جنتين من أعناب) .

والثاني : كقوله : (ولولا إذا دخلت جنتك)^(١) والثالث : كقوله (إنا بلوناهم
كما بلونا أصحاب الجنة)^(٢) .

قالوا : ومما يدل على أن جنة آدم هي جنة المأوى ، ما روى هودبة بن خليفة
عن عوف عن قسامة بن زهير عن أبي موسى الأشعري قال : « إن الله تعالى لما
أخرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة وعلمه صنعة كل شيء ، فثأركم هذه من
ثمار الجنة غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير » .

قالوا : وقد ضمن الله سبحانه وتعالى له إن تاب إليه وأناب أن يعيده إليها ، كما
روى للنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى : (فتلقى آدم من ربه
كلمات فتاب عليه)^(٣) قال : « يارب ألم تخلقني بيدك ؟ قال : بلى ، قال : أى رب
ألم تنفخ في من روحك ؟ قال : بلى ، قال : أى رب ألم تسكني جنتك ؟ قال : بلى ،
قال : أى رب ألم تسبق رحمتك غضبك ؟ قال : بلى ، قال أرأيت إن تبت وأصلحت
أراجعي أنت إلى الجنة ؟ قال : بلى ، قال فهو قوله تعالى : « فتلقى آدم من ربه كلمات
فتاب عليه » وله طرق عن ابن عباس وفي بعضها : « كأن آدم قال لربه إذ عصاه :
رب إن أنا تبت وأصلحت فقال له ربه : إني راجعك إلى الجنة » فهذا بعض ما احتج
به القائلون بأنها جنة الخلد ، ونحن نسوق حجج الآخرين .

(٢) سورة القلم آية ١٧ .

(١) سورة الكهف آية ٣٩ .

(٣) سورة البقرة آية ٣٧ .

الباب الرابع

في سياق حجج الطائفة التي قالت : ليست جنة الخلد وإنما هي جنة الأرض قالوا : هذا قول تكثر الدلائل الموجبة للقول به فنذكر بعضها . قالوا : قد أخبر الله سبحانه على لسان جميع رسله : أن جنة الخلد إنما يكون الدخول إليها يوم القيامة ، ولم يأت زمن دخولها بعد ، وقد وصفها الله سبحانه وتعالى لنا في كتابه بصفتها ، ومحال أن يصف الله سبحانه وتعالى شيئاً بصفة ، ثم يكون ذلك الشيء بغير تلك الصفة التي وصفه بها .

قالوا : فوجدنا الله تعالى وصف الجنة التي أعدت للمتقين بأنها دار المقامة ، فمن دخلها أقام بها ولم يقيم بالجنة التي دخلها ، ووصفها بأنها جنة الخلد وآدم لم يخلد فيها ، ووصفها بأنها دار ثواب جزاء لا دار تكليف وأمر ونهي ، ووصفها بأنها دار سلامة مطابقة لا دار ابتلاء وامتحان ، وقد ابتلى آدم فيها بأعظم الابتلاء ، ووصفها بأنها دار لا يعصى الله فيها أبداً ، وقد عصى آدم ربه في جنته التي دخلها ، ووصفها بأنها ليست دار خوف ولا حزن ، وقد حصل للأبوين فيها من الخوف والحزن ما حصل ، وسماها دار السلام ولم يسلم فيها إلا بوان من الفتنة ، ودار الفرار ولم يستقروا فيها وقال في داخلها : (وما هم منها بمخرجين) وقد أخرج منها الأبوان وقال : (لا يمسمهم فيها نصب) وقد نذ فيها آدم هارباً فاراً ، وطفق يخصف ورق الجنة على نفسه ، وهذا النصب بعينه ، وأخبر أنه لا لغو فيها ولا تأنيب ، وقد سمع فيها آدم لغو إبليس وإثمه ، وأخبر أنه لا يسمع فيها لغو ولا كذاب ، وقد سمع فيها آدم عليه السلام كذب إبليس ، وقد سماها الله سبحانه وتعالى مقعد صدق ، وقد كذب فيها إبليس وحلف على كذبه .

وقد قال تعالى للملائكة : (إني جاعل في الأرض خليفة)^(١) ولم يقل : إني جاعل في جنة المأوى . فقالت الملائكة (أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء)^(٢) ومحال أن يكون هذا في جنة المأوى .

وقد أخبر الله تعالى عن إبليس أنه قال لآدم : « هل أدلك على شجرة الخلد ومملك لا يبلى ؟ » فإن كان الله سبحانه وتعالى قد أسكن آدم جنة الخلد والمملك الذى لا يبلى ، فكيف لم يرد عليه ويقول له : كيف تدانى على شيء أنا فيه وقد أعطيته ، ولم يكن الله سبحانه وتعالى قد أخبر آدم إذ أسكنه الجنة أنه فيها من الخالدين ، ولو علم أنها دار الخلد لما ركن إلى قول إبليس ولا مال إلى نصيحته وأسكنه لما كان في غير دار خلود غيره بما أطعمه فيه من الخلد .

قالوا : ولو كان آدم أسكن جنة الخلد وهى دار القدس التى لا يسكنها إلا طاهر مقدس فكيف توصل إليها إبليس الرجس النجس المذموم للدحور ، حتى فتن فيها آدم عليه السلام ووسوس له ؟ وهذه الوسوسة إما أن تكون فى قلبه وإما أن تكون فى أذنه ، وعلى التقديرين فكيف توصل اللعين إلى دخول دار المتقين ، وأيضاً فبعد أن قيل له : اهبط منها ، فما يكون لك أن تتكبر فيها ، أيفسح له أن يرقى إلى جنة المأوى فوق السماء السابعة بمد السخط عليه والإبعاد له والزجر والطرده بعتوه واستكباره ، وهل هذا يلائم قوله : (فما يكون لك أن تتكبر فيها)^(١) فإن كانت مخاطبته لآدم بما خاطبه به وقاسمه عليه ليست تكبراً فما التكبر بعد هذا ؟ .

فإن قلتم : فلعل وسوسته وصلت إلى الأبوين وهو فى الأرض وما فوق السماء فى عليين ، فهذا غير معقول لئمة ولا حساً ولا عرفاً ، وإن زعمتم أنه دخل فى بطن الحية حتى أوصل إليهما الوسوسة فأبطل وأبطل ، إذ كيف يرتقى بعد الإهباط إلى أن يدخل الجنة ولو فى بطن الحية . ؟

وإذا قلتم : إنه دخل فى قلوبهما ووسوس إليهما ، فالهذور قائم ، وأيضاً فإن الله سبحانه وتعالى حكى مخاطبته لهما كلاماً سماها شفاهاً فقال : « ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة » وهذا دليل على مشاهدته لهما وللشجرة ، ولما كان آدم خارجاً من الجنة وغير ساكن فيها قال الله تعالى له : « ألم أنهكما عن تلكما الشجرة » ولم يقول عن هذه الشجرة ، فمنذ ما قال لهما ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة للأطعمهما

(١) سورة الأعراف آية ١٣ .

في ملكها والخلود في مقرها آتى باسم الإشارة بلفظ الحضور تقريباً لها وإحضاراً لها عندها وربهما تعالى قال لهما: ألم أنهيكما عن تناول الشجرة؟ ، ولما أراد إخراجهما منها ، فأتى باسم الإشارة بلفظ البعد والتهيبة ، كأنهما لم يبق لهما من الجنة حق ولا مشاهدة الشجرة التي نهيا عنها ، وأيضاً فإنه سبحانه قال : (إليه يصعد الكلم الطيب) ووسوسة اليعنين من أخبث الكلم فلا تصعد إلى محل القدس .

قال منذر : وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : أن « آدم عليه السلام نام في جنته » وجنة الخلد لا نوم فيها بالنص وإجماع المسلمين ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم سئل « أينام أهل الجنة؟ قال : لا . النوم أخو الموت والنوم وفاة » وقد نطق به القرآن والوفاة تقلب حال ودار السلام مسلمة من تقلب الأحوال والنائم ميت أو كالميت .

قلت : الحديث الذي أشار إليه المعروف ، أنه موقوف من رواية ابن أبي نجيب عن مجاهد قال : « خلقت حواء من قصيرى آدم وهو نائم » .

وقال أسباط عن السدى : « أسكن آدم عليه السلام الجنة وكان يمشى فيها وحشاً ليس له زوج يسكن إليها ، فنام نومة فاستيقظ فإذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقتها الله من ضلعه ، فسألها ما أنت ؟ قالت : امرأة . قال : ولم خلقت ؟ قالت : لتسكن إلي » .

وقال ابن إسحاق عن ابن عباس : « ألقى الله على آدم عليه السلام السنة ثم أخذ ضلعاً من أضلعه من شقة الأيسر ولأم مكانه لحماً و آدم نائم لم يهب من نومته حتى خلق الله من ضلعه تلك زوجته حواء ، فسواها امرأة يسكن إليها ، فلما كشف عنه السنة وهب من نومته رآها إلى جنبه فقال : سلمى ودعى وروحى ، فسكن إليها » .

قالوا : ولا نزاع أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم في الأرض ولم يذكر في موضع واحد أصلاً أنه نقله إلى السماء بمد ذلك ، ولو كان قد نقله بمد ذلك إلى السماء لسكان هذا أولى بالذكر ، لأنه من أعظم الآيات ومن أعظم النعم عليه ، فإنه كان معراجاً بيدنه وروحه من الأرض إلى فوق السموات .

قالوا : وكيف ينقله سبحانه ويسكنه فوق السماء ، وقد أخبر ملائكته أنه جاءه في الأرض خليفة ، وكيف يسكنه دار الخلد التي من دخل فيها لا يخرج منها ؟ قال تعالى : (وما هم منها بمخرجين)^(١) قالوا : ولم يكن معنا في المسألة إلا أن الله سبحانه أهبط إبليس من السماء حين امتنع من السجود لآدم عليه السلام ، وهذا أمر تكوين لا يمكن وقوع خلافه ، ثم أدخل آدم عليه السلام الجنة بمد هذا ، فإن الأمر بالسجود كان عقب خلقه من غير فصل ، فلو كانت الجنة فوق السموات لم يكن لإبليس سبيل إلى صعوده إليها وقد أهبط منها .

وأما تلك التقادير التي قدرتموها فتكلفت ظاهرة ، كقول من قال : يجوز أن يصعد إليها صموداً عارضاً لا مستقراً ، وقول من قال : أدخلته الحية ، وقول من قال : دخل في أجوافها ، وقول من قال : يجوز أن تصل وسوسته إليهما وهو في الأرض وهما فوق السماء ، ولا يخفى ما في ذلك من التمسف الشديد والتكليف البعيد ، وهذا بخلاف قولنا . فإنه سبحانه لما أهبطه من ملكوت السماء حيث لم يسجد لآدم عليه السلام أشرب عداوته ، فلما أسكنه جنته حسده عدوه وسمى بكيدته وغروره في إخراجه منها . والله اعلم .

قالوا : ومما يدل على أن جنة آدم لم تكن جنة الخلد التي وعد المتقون : أن الله سبحانه لما خلقه أعلمه أن لعمره أجلا ينتهي إليه ، وأنه لم يخلقه للبقاء كما روى الترمذي في جامعه من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما خلق الله آدم عليه السلام ونفخ فيه الروح عطس ، فقال : الحمد لله فحمد الله بإذنه . فقال ربه : يرحمك الله يا آدم ، اذهب إلى أولئك للملائكة إلى ملائمتهم جلوس فقال : للسلام عليكم . قالوا وعليك السلام إلخ . ثم رجع إلى ربه فقال : إن هذه تحببتك وتحببنيك بينهم . فقال الله له ويداه مقبوضتان : اختر أيهما شئت ، فقال : اخترت بين ربي وكننا يديه بين مباركة . ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته فقال يارب ما هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك ، فإذا كل إنسان مكتوب بين عينيه عمره ، فإذا فهم رجل أضوؤهم قال : يارب من هذا ؟ قال : هذا ابنك داود قد كتبت له عمراً أربعين سنة . قال : يارب زده في عمره ، قال ذلك الذي كتبت له . قال : أي رب فإني قد جمعت له من

عمرى ستين سنة . قال : أنت وذلك ، قال : ثم أسكن الجنة ما شاء الله ثم أهبط منها . فكان آدم عليه السلام يمد لنفسه ، قال : فأناه ملك الموت فقال له آدم وقد عجلت قد كتبت لى ألف سنة . قال بلى ، ولكنك جعلت لابلك داود ستين سنة ، فجحد فجحدت ذريته ، ونسى فنسيت ذريته ، قال فمن يومئذ أمر بالكتاب والشهود « قال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه . وقد روى من غير وجه عن أبي هريرة .

قالوا : فهذا صريح فى أن آدم عليه السلام لم يخلق فى دار البقاء التى لا يموت من دخلها ، وإنما خلق فى دار الفناء التى جعل الله تعالى لها ولساكنها أجلا معلوماً ، وفيها أسكن

فإن قيل : فإذا كان آدم عليه السلام قد علم أن له عمراً مقدراً وأجلاً ينتهى إليه ، وأنه ليس من الخالدين ، فكيف لم يعلم كذب إبليس فى قوله : هل أدلك على شجرة الخلد ؟ وقوله : أو تكوننا من الخالدين ؟

فالجواب من وجهين :

أحدهما : أن الخلد لا يستلزم الدوام والبقاء ، بل هو المكث الطويل كما سيأتى . الثانى : أن إبليس لما حلف له وغره وأطمعه فى الخلود نسى ما قدر له من عمره .

قالوا : وأيضاً فمن للمعلوم الذى لا ينازع فيه مسلم أن الله سبحانه خلق آدم عليه السلام من تربة هذه الأرض ، وأخبر أنه خلقه من سلاله من طين ، وأنه خلقه من صلصال من حمإ مسنون . فقيل : هو الذى له صلصلة لبيسه . وقيل : هو الذى تغيرت رائحته من قولهم : صل اللحم إذا تغير . والحمأ : الطين الأسود للتغير ، والمسنون : المصوب ، وهذه كلها أطوار للتراب الذى هو مبدؤه الأول ، كما أخبر عن أطوار خلق الذرية من نطفة ، ثم من علقه ، ثم من مضغه ، ولم يخبر سبحانه وتعالى أنه رفته من الأرض إلى فوق السموات لاقبل التخايق ولا بعده ، فأين الدليل الدال على إصعاد مادته أو إصعاده هو بمدخاقه ، وهذا ما لا دليل لحكم عليه ، ولا هو لازم من لوازم ما أخبر الله به ؟

قالوا : ومن للعلوم أن ما فوق السموات ليس بمكان للطين الأرضي للتغير
الرائحة التي أنتن من تغيره ، وإنما محل هذه الأرض التي هي محل المتغيرات الفاسدات ،
وأما ما فوق الأفلاك فلا يلحقه تغير ولا نتن ولا فساد ولا استحالة ، فهذا أمر
لا يرتاب فيه العقلاء .

قالوا : وقد قال الله تعالى : (وأما الذين سمدوا في الجنة خالدين فيها مادامت
السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ)^(١) ، فأخبر سبحانه أن عطاء
جنة الخلد غير مجذوذ . قالوا : فإذا جمع ما أخبر به سبحانه من أنه خلقه من الأرض ،
وجعله خليفة في الأرض ، وأن إبليس وسوس إليه في مكانه الذي أسكنه فيه ، بعد
أن أهبطه من السماء بامتناعه من السجود له ، وأنه أخبر ملائكته أنه جاعل في
الأرض خليفة ، وأن دار الخلد دار جزاء وثواب على الامتحان والتكاليف ، وأنه
لا لغو فيها ولا تأثيم ولا كذاب ، وأن من دخلها لا يخرج منها ولا يبأس ولا يحزن
ولا يخاف ولا ينام ، وأن الله حرمها على الكافرين ، وإبليس رأس الكفر ،
فإذا جمع ذلك بعضه إلى بعض ، وفكر فيه للمنصف الذي رفع له علم الدليل ،
فשמع إليه ورباً بنفسه عن حضيض التقليد ، تبين له الصواب . والله للوفيق .

قالوا : ولو لم يكن في المسألة إلا أن الجنة ليست دار تكاليف وقد كاف
الله سبحانه الأبوين بهيما عن الأكل من الشجرة ، فدل على أنها دار تكاليف
لا جزاء وخلد . فهذا أيضاً بعض ما احتجت به هذه الفرقة على قولها . والله أعلم ،

الباب الخامس

في جواب أرباب هذا القول لأصحاب القول الأول

قالوا : أما قولكم : إن قولنا هو الذى فطر الله عليه عباده بحيث لا يعرفون سواه ، فلنساله سمى لا تعرف إلا بأخبار الرسل ، ونحن وأنتما إنما تلقينا هذا من القرآن ، لا من المقول ولا من الفطرة ، فالتبع فيه ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ، ونحن نطالبكم بصاحب واحد أو تابع أو أثر صحيح أو حسن ، بأنها جنة الخلد التى أعدها الله للمؤمنين ، وبينها ولن تجدوا إلى ذلك سبيلا ، وقد أوجدناكم من كلام السلف ما يدل على خلافه ، ولما وردت الجنة مطلقة فى هذه القصة ، ووافقت اسم الجنة التى أعدها الله لمباده فى إطلاقها وبمض أوصافها ، فذهب كثير من الأوهام إلى أنها بعينها ، فإن أردتم بالفطرة هذا القدر لم يفتحكم شيئا ، وإن أردتم أن الله فطر الخلق على ذلك كما فطروهم على حسن العدل وقبح الظلم وغير ذلك من الأمور الفطرية فدعوى باطلة ، ونحن إذا رجعنا إلى فطرتنا لم نجد عليها بذلك كملها بوجوب الواجبات واستحالة للمستحيلات .

وأما استدلالكم بحديث أبى هريرة رضى الله عنه ، وقول آدم : « وهل أخرجكم منها إلا خطيئة أيسمكم ؟ » فإنما يدل على تأخر آدم عليه السلام عن الاستقبال للخطيئة التى قد تقدمت منه فى دار الدنيا ، وأنه بسبب تلك الخطيئة حصل له الخروج من الجنة ، كما فى اللفظ الآخر : إني نهيت عن أكل الشجرة فأكلت منها ، فأين فى هذا ما يدل على أنها جنة المأوى بمطابقة أو تضمن أو استلزام ، وكذلك قول موسى له : أخرجتنا ونفسك من الجنة ، فإنه لم يقل له : أخرجتنا من جنة الخلد .

وقولكم : إنهم خرجوا من بساتين من مجلس الجنة التى فى الأرض ، فاسم الجنة وإن أطلق على تلك البساتين ، فبينها وبين جنة آدم ما لا يعلمه إلا الله ، وهى كالمسجن بالنسبة إليها ، واشتراكهما فى كونهما فى الأرض لا ينفى تفاوتهما أعظم تفاوت فى جميع الأشياء .

وأما استدلالكم بقوله تعالى : (وقلنا اهبطوا) عقيب لإخراجهم من الجنة ، فلفظ الهبوط لا يستلزم النزول من السماء إلى الأرض غاية أن يدل على النزول من مكان عال إلى أسفل منه وهذا غير منسكرك ، فإنها كانت جنة في أعلى الأرض فاهبطوا منها إلى الأرض .

وقد بينا أن الأمر كان لآدم عليه السلام وزوجه وعدوها فلو كانت الجنة في السماء لما كان عدوها متمكناً ، منها بعد إهباطه الأول لما أبي السجود لآدم عليه السلام . فالآية أيضاً من أظهر الحجج عليكم ولا تنفي عنكم وجوه التمسفات والتكلفات التي قدرتموها ، وقد تقدمت .

وأما قوله تعالى : (ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين) (١) ، فهذا لا يدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك في الأرض ، فإن الأرض اسم جنس وكانوا في أعلاها وأطيها وأفضاها في محل لا يدركهم فيه جوع ولا عرى ولا ظمأ ولا ضحى ، فاهبطوا إلى أرض يعرض فيها ذلك كله ، وفيها حياتهم وموتهم وخروجهم من القبور ، والجنة التي أسكنها لم تكن دار نصب ولا تعب ولا أذى ، والأرض التي أهبطوا إليها هي محل التعب والنصب والأذى وأنواع السكره . وأما قولكم : إنه سبحانه وتعالى وصفها بصفات لا تكون في الدنيا ، فجوابه : إن تلك الصفات لا تكون في الأرض التي أهبطوا منها ؟ وأما قولكم : إن آدم عليه السلام كان يعلم أن الدنيا منقضية فانية ، فلو كانت الجنة فيها لم كذب إبليس في قوله : (هل أدلك على شجرة الخلد ؟) (٢) ، فجوابه من وجهين :

أحدها : أن اللفظ إنما يدل على الخلد وهو أعم من الدوام الذي لا انقطاع له ، فإنه في اللثة : للثك الطويل ومكث كل شيء بحسبه ، ومنه قولهم : رجل مخلد إذا أسن وكبر ، ومنه قولهم لأنثافي الصخور : خوالد . لطول بقائها بعد دروس الإطلال . قال :

إلا رماداً هامداً دفعت عنه الرياح خوالد سحيم

(١) سورة البقرة آية ٣٦ .

(٢) سورة طه آية ١٢٠ .

ونظير هذا إطلاعهم القديم على ما تقدم عهدہ وإن كان له أول ، كما قال تعالى :
 (كالمرجون القديم) ، (وإني ضلالتك القديم) ، (وإني قديم) وقد أطلق
 تعالى الخلود في النار على عذاب بعض العصاة ، كما قال النفس ، وأطلقه النبي صلى الله
 عليه وسلم على قائل نفسه .

الوجه الثاني : أن العلم بانقطاع الدنيا ومجيء الآخرة إنما يعلم بالوحي ولم يتقدم
 لأدم عليه الصلاة والسلام نبوة يعلم بها ذلك . وهو وإن نبأه الله سبحانه وتعالى
 وأوحى إليه وأنزل عليه منها صحفاً كما في حديث أبي ذر ، لكن هذا بعد إهباطه
 إلى الأرض بنص القرآن . قال تعالى : (قال اهبطوا منها جميعاً بئسكم لبعوض عدو
 فأما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى)^(١) وكذلك في سورة
 البقرة : (قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدى)^(٢) الآية .

وأما قولكم : إن الجنة وردت معرفة باللام غير مراد بها جنة الخلد قطعاً
 كقوله تعالى : (إنا بلوناكم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها
 مصبحين)^(٣) وقولكم : إن السياق هاهنا دل على أنها جنة في الأرض .

قلنا : والأدلة التي ذكرناها دلت على أن جنة آدم عليه السلام في الأرض ،
 فلذلك صرنا إلى موجبها إذ لا يجوز تعطيل دلالة الدليل الصحيح .

وأما استدلالكم بأثر أبي موسى « أن الله أخرج آدم عليه السلام من الجنة
 وزوده من ثمارها » فليس فيه زيادة على ما دل عليه القرآن إلا تزوده منها وهذا
 لا يقتضي أن تكون جنة الخلد .

وقولكم : إن هذه تتغير ، وتلك لا تتغير ، فمن أين لكم أن الجنة التي أسكنها
 آدم كان التغير يمرض لثمارها كما يمرض لهذه الثمار ، وقد ثبت في الحديث الصحيح
 عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم » أي لم
 يتنن . وقد أبقى الله سبحانه وتعالى في هذا العالم طمام العزير وشرا به مائة سنة لم يتغير؟

(١) سورة طه آية ١٢٣ .

(٢) سورة البقرة آية ٣٨ .

(٣) سورة الفلم آية ١٧ .

وأما قولكم : إن الله سبحانه وتعالى ضمن لأدم عليه السلام إن تاب أن يعيده إلى الجنة. فلا ريب أن الأمر كذلك ، ولكن ليس يعلم أن الضمان إنما يتناول عوده إلى تلك الجنة بيمينها ، بل إذا أعاده إلى جنة الخلد فقد وفي سبحانه بضمانه حق الوفاء ، ولفظ العود لا يستلزم الرجوع إلى عين الحالة الأولى ولا زمانها ولا مكانها بل ولا إلى نظيرها كما قال شبيب لقومة : (قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها ، وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا)^(١) ، وقد جمل الله سبحانه للمظاهر عائداً بإرادته الوطء ثانياً أو بنفس الوطء أو بالإمساك وكل منها غير الأول لا عينه ، فهذا ما أجابت به هذه الطائفة لمن نازعها .

الباب السادس

في جواب من زعم أنها جنة الخلد عما احتج به منازعهم

قالوا : أما قولكم : إن الله سبحانه أخبر أن جنة الخلد إنما يقع الدخول إليها يوم القيامة ، ولم يأت زمن دخولها بعد ، فهذا حق في الدخول المطلق الذي هو دخول واستقرار ودوام ، وأما الدخول العارض فيقع قبل يوم القيامة .

وقد دخل النبي صلى الله عليه وسلم الجنة ليلة الإسراء وأرواح المؤمنين والشهداء في البرزخ في الجنة ، وهذا غير الدخول الذي أخبر الله به في يوم القيامة . فدخول الخلود إنما يكون يوم القيامة ، فمن أين لكم أن مطلق الدخول لا يكون في الدنيا ، وبهذا خرج الجواب عن استدلالكم بكونها دار المقامة ودار الخلد ؟

قالوا : وأما احتجاجكم بسائر الوجوه التي ذكرتموها في الجنة . وأنها لم توجد في جنة آدم عليه السلام من العرى والنصب والحزن واللغو والكذب وغيرها . فهذا كله حق لا ننكره نحن ولا أحد من أهل السلام .

ولكن هذا إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة كما يدل عليه سياق الآيات كلها ، فإن نفي ذلك مقرون بدخول المؤمنين إياها ، وهذا لا ينفي أن يكون فيها بين أبوى الثقلين ما حكاه الله سبحانه وتعالى من ذلك ، ثم يصبر الأمر عند دخول المؤمنين إياها إلى ما أخبر الله عنها فلا تنافي بين الأمرين .

وأما قولكم : إنها دار جزاء وثواب لا دار تسكيف ، وقد كلف الله سبحانه آدم بالنهي عن الأكل من تلك الشجرة ، فدل على أن تلك الجنة دار تسكيف لا دار خلود . لجوابه من وجهين :

أحدهما : أنه إنما تمتنع أن تكون دار تسكيف إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة ، فحينئذ ينقطع التسكيف . وأما وقوع التسكيف فيها في دار الدنيا فلا دليل على

امتناع البتة ، كيف وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « دخلت البارحة الجنة فرأيت امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت لمن أنت » الحديث .
 وغير ممتنع أن يكون فيها من يعمل بأمر الله ويمجد الله قبل يوم القيامة ، بل هذا هو الواقع ، فإن من فيها الآن مؤتمرون بأوامر من قبل ربهم لا يتمدون بها سواء سمى ذلك تسكيفاً أو لم يسم ،

الوجه الثاني : أن التسكيف فيها لم يكن بالأعمال التي يكلف بها الناس في الدنيا من الصيام والصلاة والجهاد ونحوها ، وإنما كان حجراً عليهما في شجرة واحدة من جملة أشجارها ، إما واحدة باليمين أو بالنعوج ، وهذا القدر لا يمتنع وقوعه في دار الخلد ، كما أن كل واحد محجور عليه أن يقرب أهل غيره فيها ، فإن أردتم بكونها ليست دار تسكيف امتناع وقوع مثل هذا فيها في وقت من الأوقات فلا دليل عليه ، وإن أردتم أن تسكيف الدنيا منتفية عنها ، فهو حق ولكن لا يدل على مطلوبكم .

وأما استدلالكم بنوم آدم فيها والجنة لا ينام أهلها ، فهذا إن ثبت النقل بنوم آدم ، فإنما ينفي النوم عن أهلها يوم دخول الخلود حيث لا يموتون وأما قبل ذلك فلا .

وأما استدلالكم بقصة وسوسة إبليس له بعد إهباطه وإخراجه من السماء ، فالعمر الله أنه لمن أقوى الأدلة وأظهرها على صحة قولكم وتلك التعميمات لدخوله الجنة وصعوده إلى السماء بعد إهباط الله له منها لا يرتضيها منصف ، ولكن لا يمتنع أن يصعد إلى هناك صعوداً عارضاً لتتمام الابتلاء والامتحان الذي قدره الله تعالى وقدر أسبابه . وإن لم يكن ذلك المكان مقمداً له مستقراً كما كان ، وقد أخبر الله سبحانه عن الشياطين أنهم كانوا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدمون من السماء مقاعد للسمع فيستمعون الشيء من الوحي وهذا صعود إلى هناك ، ولكنه صعود عارض لا يستقرون في المكان الذي يصعدون إليه مع قوله تعالى : (اهبطوا بمضكم لبعض عدو) فلا تنافي بين هذا الصعود وبين الأمر بالهبوط فهذا محتمل . والله أعلم .

وأما استدلالكم بأن الله سبحانه أعلم آدم عليه السلام بمقدار أجله وما ذكرتم من الحديث وتقرير الدلالة منه .

جوابه : أن إعلامه بذلك لا ينافي إدخاله الجنة الخلد وإسكانه فيها مدة . وأما إخباره سبحانه أن داخلها لا يموت وأنه لا يخرج منها ، فهذا يوم القيامة .

وأما احتجاجكم بكونه خالق من الأرض فلا ريب في ذلك ، ولكن من أين لكم أنه كمل خلقه فيها ، وقد جاء في بعض الآثار : « أن الله سبحانه ألقاه على باب الجنة أربعين صباحاً ، فجعل إبليس يطوف به ويقول : لآمر ما خلقت ، فلما رآه أجوف علم أنه خلق لا يتالك ، فقال : لئن سألت عليه لاهلكته ، ولئن ساط على لأعصينه » ؟ مع أن قوله سبحانه : (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض) (١) ، يدل على أنه كان معهم في السماء حيث أنبأهم بتلك الأسماء ، وإلا فهم لم ينزلوا كلهم إلى الأرض حتى سمعوا منه ذلك ، ولو كان خلقه قد كمل في الأرض لم يمنع أن يصمده سبحانه إلى السماء لأمر دبره وقدره ، ثم يميده إلى الأرض ، فقد أصعد المسيح صلى الله عليه وسلم إلى السماء ثم ينزله إلى الأرض قبل يوم القيامة ، وقد أسرى بيدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الله عليه وسلم وروحه إلى فوق السموات . فهذا جواب القائلين بأنها جنة الخلد لنازعهم . والله أعلم .

الباب السابع

في ذكر شبه من زعم أن الجنة لم تخلق بمد

قالوا : لو كانت الجنة مخلوقة الآن لوجب اضطراراً أن تفي يوم القيامة وأن يهلك كل ما فيها ويموت لقوله تعالى : (كل شيء هالك إلا وجهه)^(١) و (كل نفس ذائقة الموت)^(٢) ، فتموت الحور المين التي فيها والولدان . وقد أخبر الله سبحانه أن الدار خلود ومن فيها مخلدون لا يموتون فيها وخبره سبحانه لا يجوز عليه خلف ولا نسخ .

قالوا : وقد التزمى في جامعه من حديث ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقيت إبراهيم ليلة أسرى بي فقال : يا محمد أقرىء أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء ، وأنها قيعان . وأن غراسها : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » قال هذا الحديث حسن غريب .

وفيه أيضاً من حديث أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة » قال هذا حديث حسن صحيح .

قالوا : فلو كانت الجنة مخلوقة مفروغاً منها لم تسكن قيعاناً ، ولم يكن لهذا الغرس معنى . قالوا : وقد قال تعالى عن امرأة فرعون أنها قالت : (رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة)^(٣) ، ومحال أن يقول قائل لمن نسج له ثوباً أو بنى له بيتاً : انسج لي ثوباً وابن لي بيتاً . وأصرح من هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم : « من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة » متفق عليه .

وهذه جملة مركبة من شرط وجزاء تقتضي وقوع الجزاء بمد الشرط بإجماع أهل العربية ، وهذا ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم من رواية عثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وعمر بن عبد بن عتبة .

(٢) سورة آل عمران آية ١٨٥ .

(١) سورة القصص آية ٨٨ .

(٣) سورة التحريم آية ١١ .

قالوا : وقد جاءت آثار بأن للملائكة تفرس فيها وتبني للمبدي ما دام يعمل ،
فإذا فتر فتر الملك عن العمل :

قالوا : وقد روى ابن حبان في صحيحه والإمام أحمد في مسنده من حديث
أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا قبض الله ولد
المبدي ، قال : يا ملك الموت قبضت ولد عبدي ، قبضت قرّة عينه وثمره فؤاده ؟ قال :
نعم . قال : فما قال ؟ قال : حمدك واسترجع . قال ابنوا له بيتاً في الجنة وسموه
بيت الحمد » .

وفي المسند من حديثه أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
« من صلى في يوم وليلة ثنتي عشرة ركعة سوى الفريضة بنى الله له بيتاً في الجنة » .
قالوا وليس هذا من أقوال أهل البدع والاعتزال كما زعمتم ، فهذا ابن مزين
قد ذكر في تفسيره عن ابن نافع ، وهو من أئمة السنة . أنه سئل عن الجنة مخلوقة
هي ؟ فقال : السكوت عن هذا أفضل . والله أعلم .

الباب الثامن

في الجواب عما احتجت به هذه الطائفة

قد تقدم في الباب الأول من ذكر الأدلة الدالة على وجود الجنة الآن ما فيه كفاية ، فنقول : ما تمنون بقولكم إن الجنة لم تخلق بعد ، أتريدون أنها الآن عدم محض لم تدخل إلى الوجود بعد ، بل هي بمنزلة النفخ في الصور وقيام الناس من القبور ؟ فهذا قول باطل يردّه المعلوم بالضرورة من الأحاديث الصريحة الصحيحة التي تقدم بعضها وسيأتي بعضها ، وهذا قول لم يقله أحد من السلف ولا أهل السنة وهو باطل قطعاً . أم تريدون أنها لم تخلق بكاملها ، وجميع ما أعد الله فيها لأهلها ، وأنها لا يزال الله يحدث فيها شيئاً بعد شيء ، وإذا دخلها المؤمنون أحدث الله فيها عند دخولهم أموراً آخر ، فهذا حق لا يمكن رده .

وأدلتكم هذه إنما دلت على هذا القدر ، وحديث ابن مسعود الذي ذكرتموه ، وحديث أبي الزبير عن جابر صريحان في أن أرضها مخلوقة ، وأن الله كثر ينشئ الله سبحانه لقاتله منه غراساً في تلك الأرض ، وكذا بناء البيوت فيها بالأعمال المذكورة ، والعبد كلما وسع في أعمال البر وسع له في الجنة ، وكلما عمل خيراً غرس له به هناك غراس وبني له بناء ، وأنشئ له من عمله أنواع مما يتمتع به ، فهذا القدر لا يدل على أن الجنة لم تخلق بعد ولا يسوغ إطلاق ذلك .

وأما احتجاجكم بقوله تعالى : (كل شيء هالك إلا وجهه) فإنما أنتم من عدم فهمكم معنى الآية ، واحتجاجكم بها على عدم وجود الجنة والزار الآن نظير احتجاج إخوانكم بها على فناهما وخرابهما وموت أهلها ، فلا أتم وفقتم لفهم معناها ولا إخوانكم ، وإنما وفق لفهم معناها السلف وأئمة الإسلام ، ونحن نذكر بعض كلامهم في الآية .

قال البخارى في صحيحه : يقال كل شيء هالك إلا وجهه : إلا ملكه ، ويقال :
إلا ما أريد به وجهه .

وقال الإمام أحمد في رواية ابنه عبد الله : فأما السماء والأرض فقد زالتا لأن
أهلها صاروا إلى الجنة وإلى النار ، وأما العرش فلا يبيد ولا يذهب ، لأنه سقف
الجنة ، والله سبحانه وتعالى عليه فلا يهلك ولا يبيد .

وأما قوله تعالى : (كل شيء هالك إلا وجهه) فذلك أن الله سبحانه وتعالى
أنزل : (كل من عليها فان)^(١) ، فقالت الملائكة : هلك أهل الأرض وطموها
في البقاء ، فأخبر الله تعالى عن أهل السموات وأهل الأرض أنهم يموتون فقال : كل
شيء هالك - يعنى ميت - إلا وجهه ، لأنه حتى لا يموت ، فأيقنت للملائكة عند
ذلك بالموت . انتهى كلامه .

وقال في رواية أبى العباس أحمد بن جعفر بن يعقوب الاضطخري ذكره
أبو الحسين في كتاب الطبقات قال : قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل : هذه مذاهب
أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بمروتها المعروفين بها للمتدى بهم
فيها ، من لدن أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا ، وأدركت من أدركت
من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها ، فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو
طعن فيها أو عاب قائمها فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة ، زائل عن منهج السنة
وسبيل الحق .

وساق أقوالهم إلى أن قال : وقد خلقت الجنة وما فيها وخلق النار وما فيها ،
خلقهما الله عز وجل وخلق الخلق لهما ، ولا يفنيان ولا يفنى ما فيها أبداً .

فإن احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عز وجل (كل شيء هالك إلا وجهه)
وينحو هذا من مثابه القرآن قيل له : كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك
هالك ، والجنة والنار خلقنا للبقاء لا للفناء ولا للهلاك وهما من الآخرة لا من
الدنيا ، والخور العين لا يمتن عند قيام الساعة ، ولا عند النفخة ولا أبداً ، لأن الله
عز وجل خلقهن للبقاء لا للفناء ، ولم يكتب عليهن الموت .

فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع، وقد ضل عن سواء السبيل وخلق سبع سموات بعضها فوق بعض وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض ، وبين الأرض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام ، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام ، والماء فوق السماء العليا السابعة ، وعرش الرحمن عز وجل فوق الماء ، وأن الله عز وجل على العرش والكروسي موضع قدميه، وهو يعلم ما في السموات والأرضين السبع وما بينهما وما تحم الأثرى ، وما في قعر البحر ومنبت كل شجرة وشجرة ، وكل زرع وكل نبات ومسقط كل ورقة وعدد كل كلة وعدد الحصى والتراب والزمل ومثاقيل الجبال وأعمال العباد وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم ، ويعلم كل شيء لا يخفى عليه من ذلك شيء وهو على العرش فوق السماء السابعة ودونه حجب من نار ونور وظلمة ، وما هو أعلم بها ، فإن احتج مبتدع وتخالف بقول الله عز وجل : (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)^(١) وقوله : (وهو معكم أينما كنتم)^(٢) وقوله : (إلا هو معهم أينما كانوا)^(٣) وقوله : (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم)^(٤) ونحو هذا من مشابه القرآن فقل : إنما يعنى بذلك العلم ، لأن الله عز وجل على العرش فوق السماء السابعة العليا ، يعلم ذلك كله وهو بائن من خلقه ، لا يخلو من علمه مكان .

وقال في رواية أبي جعفر اللطائي محمد بن عوف بن سفيان الحمصي ، قال : الخلال حافظ إمام في زمانه معروف بالتقدم في العلم والمعرفة : كان أحمد بن حنبل يعرف له ذلك ويقبل منه ، ويسأله عن الرجال من أهل بلده .

قال: أملى على أحمد بن حنبل فذكر رسالة في السنة ثم قال في اثنتانها : وإن الجنة والنار مخلوقتان قد خلقنا كما جاء الخبر . قال النبي صلى الله عليه وسلم : «دخلت الجنة فرأيت فيها قصرأ ورأيت الكوثر ، واطلمت في النار فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا» فمن زعم أنهم لم يخلقوا فهو مكذب برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالقرآن ، كافر بالجنة والنار ، يستتاب فإن تاب وإلا قتل .

(١) سورة ق آية ١٦ .

(٢) سورة الحديد آية ٤ .

(٣) سورة المجادلة آية ٧ .

(٤) سورة المجادلة آية ٧ .

وقال في رواية عبدوس بن مالك العطار ، وذكر رسالة في السنة قال فيها : والجنة والنار مخلوقتان ، قد خلقتا كما جاء عن رسول الله صلى عليه وسلم : « اطلمت في الجنة فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا ، واطلمت في النار فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا » .

فمن زعم أنهما لم يخلقا فهو مكذب بالقرآن وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أحصيه يؤمن بالجنة والنار .

فتأمل هذه الأبواب وما تضمنته من النقول والمباحث والنكت والفوائد التي لا تظهر بها في غير هذا الكتاب البتة . ونحن اختصرنا الكلام في ذلك ولو بسطناه لقام منه سفر ضخم . والله المستعان وعليه التكلان . وهو الموفق للصواب :

الباب التاسع

في ذكر عدد أبواب الجنة

قال الله تعالى : (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) (١) وقال في صفة النار (حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها) (٢) بغير واو ، فقالت طائفة : هذه واو الثمانية دخلت في أبواب الجنة لكونها ثمانية ، وأبواب النار سبعة فلم تدخلها الواو .

وهذا قول ضعيف لا دليل عليه ولا تعرفه العرب ولا أئمة العربية ، وإنما هو من استنباط بعض المتأخرين .

وقالت طائفة أخرى : الواو زائدة ، والجواب الفعل الذي بمدّها كما هو في الآية الثانية وهذا أيضاً ضعيف ، فإن زيادة الواو غير معروف في كلامهم ، ولا يليق بأنصح الكلام أن يكون فيه حرف زائد لغير معنى ولا فائدة .

وقالت طائفة ثالثة : الجواب محذوف وقوله : وفتحت أبوابها عطف على قوله : جاؤوها . وهذا اختيار أبي عبيدة والبرد والراجح وغيرهم .

قال البرد : وحذف الجواب أبلغ عند أهل العلم .

قال أبو الفتح ابن جنى : وأصحابنا يدفعون زيادة الواو ولا يجيزونه ويرون أن الجواب محذوف للعلم به .

بقي أن يقال : فما السر في حذف الجواب في آية أهل الجنة ، وذكره في آية أهل النار ؟ فقال : هذا أبلغ في المرصمين ، فإن الملائكة تسوق أهل النار إليها وأبوابها مغلقة ، حتى إذا وصلوا إليها فتحت في وجوههم فيعجأهم العذاب بقية ، فحين انتهوا

(١) سورة الزمر آية ٧٣ .

(٢) سورة الزمر آية ٧١ .

إليها فتحت أبوابها بلا مهلة ، فإن هذا شأن الجزاء المرتب على الشرط أن يكون عقيمة فإنها دار الإهانة والحزى فلم يستأذن لهم في دخولها ويطلب إلى خزنتها أن يمكّنوهم من الدخول ، وأما الجنة فإنها دار الله ودار كرامته ومحل خواصه وأوليائه ، فإذا انتهوا إليها صادفوا أبوابها مغلقة ، فيرغبون إلى صاحبها ومالكها أن يفتحها لهم ويستشفعون إليه بأولى العزم من رسله ، وكلهم يتأخر عن ذلك حتى تقع الدلالة على خاتمهم وسيدهم وأنصاهم ، فيقول : أنا لها فيأتي إلى تحت العرش ويخز ساجداً لربه فيدعه ماشاء أن يدعه ، ثم يأذن له في رفع رأسه وأن يسأل حاجته فيشفع إليه سبحانه في فتح أبوابها فيشفعه ويفتحها تعظيماً لخطرها ، وإظهاراً لمنزلة رسوله وكرامته عليه .

وإن مثل هذه الدار التي هي دار ملك الملوك رب العالمين ، إنما يدخل إليها بعد تلك الأهوال العظيمة التي أولها من حين عقل العبد في هذه الدار إلى أن انتهى إليها ، رماركبه من الأطباق طبقات بعد طبق ، وقاساه من الشدائد شدة بعد شدة حتى أذن الله تعالى لخاتم أنبيائه ورسله وأحب خلقه إليه أن يشفع إليه في فتحها لهم .

وهذا أبلغ وأعظم في تمام النعمة وحصول الفرح والسرور ، مما يقدر بخلاف ذلك لئلا يتوهم الجاهل أنها بمنزلة الحان الذي يدخله من شاء ، فبنة الله عالية غالية ، بين الناس وبينها من العقبات والمفاوز والأخطار ما لا تنال إلا به ، فما لمن أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى ، ولهذا الدار فليمد عنها إلى ما هو أولى به ، وقد خلق له وهيء له .

وتأمل ما في سوق الفريقين إلى الدارين زمراً من فرحة هؤلاء بإخوانهم وسيرهم معهم كل زمرة على حدة ، كل مشتركين في عمل متصاحبين فيه على زمرة وهم وجماعتهم ، مستبشرين أقوياء القلوب ، كما كانوا في الدنيا وقت اجتماعهم على الخير ، كذلك يؤانس بعضهم بعضاً ويفرح بعضهم ببعض .

وكذلك أصحاب الدار الأخرى يساقون إليها زمراً ، يلعن بعضهم بعضاً ، ويتأذى بعضهم ببعض ، وذلك أبلغ في الحزى والنضيجة والهيبة ، من أن يساقوا واحداً واحداً فلا تهمل تدبير قوله زمراً .

وقال خزنة أهل الجنة لأهلها : سلام عليكم ، فبدؤهم بالسلام المتضمن للسلامة من كل شر ومكروه ، أى سلمتم فلا يلحقكم بعد اليوم ما تسكرهون ، ثم قالوا لهم : طيبتم فادخلوها خالدين ، أى سلامتكم ودخولها بطيبكم ، فإن الله حرمها إلا على الطيبين فبشروهم بالسلامة والطيب والدخل والخلود .

وأما أهل النار فإنهم لما انتبهوا إليها على تلك الحال من الهم والنم والحزن وفتحت لهم أبوابها وقفوا عليها وزيدوا على ما هم عليه توبيخ خزنتها وتبكيتهم لهم بقولهم : (ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا)^(١) فاعترفوا وقالوا : بلى . فبشروهم بدخولها والخلود فيها وأنها بنس الثوى لهم .

وتأمل قول خزنة الجنة لأهلها : ادخلوها . وقول خزنة النار لأهلها : ادخلوها أبواب جهنم ، تجدد تحتها سراً لطيفاً ومعنى بديعاً لا يخفى على المتأمل وهو : أنها لما كانت دار العقوبة وأبوابها أفتح شئاً ، وأشد حرأ وأعظم غماً ، يستقبل فيها الداخل من العذاب ما هو أشد منها ، ويدنو من النعم والحزى والحزن والكرب بدخول الأبواب . فقيل : ادخلوا أبوابها صفاراً لهم وإذلالاً وخزياً ، ثم قيل لهم : لا يقتصر بكم على مجرد دخول الأبواب الفظيعة ، ولكن وراءها الخلود فى النار ، وأما الجنة فى السكرامة والمنزل الذى أعده الله لأولياته ، فبشروا من أول وهلة بالدخول إلى المقاعد والمنازل والخلود فيها .

وتأمل قوله سبحانه : (جنات عدن مفتحة لهم الأبواب ، متكئين فيها يدعون فيها بفا كهة كثيرة وشراب)^(٢) كيف تجدد تحتها معنى بديعاً ، وهو أنهم إذا دخلوا الجنة لم تنلق أبوابها عليهم ، بل تبقى مفتحة كما هى .

وأما النار فإذا دخلها أهلها أغلقت عليهم أبوابها ، كما قال تعالى : (إنها عليهم مؤصدة) أى مطبقة مغلقة ، ومنه سمي الباب وصيداً وهى : (مؤصدة فى عمد ممددة) قد جمعت العمدة ممسكة للأبواب من خلفها كالحجر العظيم الذى يجعل خلف الباب .

(١) سورة الزمر آية ٧١ .

(٢) سورة من الأيتان ٥٠ و ٥١ .

قال مقاتل : يعنى أبوابها عليهم مطبقة ، فلا يفتح لها باب ولا يخرج منها غم ، ولا يدخل فيها روح آخر الأبد .

وأيضاً فإن في تفتيح الأبواب لهم إشارة إلى تصرفهم وذعابهم وإيابهم وتبؤهم في الجنة حيث شاؤوا ، ودخول الملائكة عليهم كل وقت بالتحف والألطف من من ربهم ودخول ما يسرهم عليهم كل وقت .

وأيضاً إشاراً إلى أنها دار أمن لا يحتاجون فيها إلى غلق الأبواب ، كما كانوا يحتاجون إلى ذلك في الدنيا .

وقد اختلف أهل العربية في الضمير العائد من الصفة على الموصوف في هذه الجملة .

فقال الكوفيون : التقدير مفتحة لهم أبوابها ، والعرب تعاقب بين الألف واللام والإضافة فيتولون : مررت برجل حسن العين أى عينه . ومنه قوله تعالى : (فإن الجحيم هى المأوى) أى مأواه .

وقال بعض البصريين : التقدير مفتحة لهم الأبواب منها غذف الضمير وما اتصل به ، قال : وهذا التقدير فى العربية أجود من أن يجعل الألف واللام بدلا من الهاء والألف ، لأن معنى الألف واللام ليس من معنى الهاء والألف فى شىء ، لأن الهاء والألف اسم ، والألف واللام دخلتا للتعريف ، ولا يبدل حرف من اسم ولا ينوب عنه .

قالوا : وأيضاً لو كانت الألف واللام بدلا من الضمير لوجب أن يكون فى (مفتحة) ضمير الجنات ، ويكون المعنى مفتحة هى ثم أبدل منها الأبواب ، ولو كان كذلك لوجب نصب لسكون مفتحة قد رفع ضمير الفاعل فلا يجوز أن يرفع به اسم آخر لامتناع ارتفاع فاعلين بفعل واحد ، فلما ارتفع الأبواب دل على أن مفتحة خال من ضمير والأبواب مرتفعة به . وإذا كان فى الصفة ضمير تعين نصب الثانى كما تقول : مررت برجل حسن الوجه ولو رفعت الوجه ونونت حسناً لم يحجز ، فالألف واللام إذا للتعريف

ليس إلا ، فلا بد من ضمير يعود على الموصوف الذي هو جنات عدن ، ولا ضمير في اللفظ فهو محذوف تقديره الأبواب منها .

وعندى أن هذا غير مبطل لقول الكوفيين ، فإنهم لم يريدوا بالبدل إلا أن الألف واللام خاف وعض عن الضمير تغني عنه . وإجماع العرب على قولهم : حسن الوجه وحسن وجهه شاهد بذلك ، وقد قالوا : إن التنوين بدل من الألف واللام بمعنى أنهما لا يجتمعان ، وكذلك المضاف إليه يكون بدلا من التنوين والتنوين بدل من الإضافة ، بمعنى التماقب والتوارد ولا يريدون بقولهم هذا بدل من هذا ، أن معنى البديل معنى المبدل منه ، بل قد يكون في كل منهما معنى لا يكون في الآخر .

فالكوفيون أرادوا أن الألف واللام في الأبواب أغنت عن الضمير . لو قيل أبوابها وهذا صحيح ، فإن المقصود الربط بين الصفة والموصوف بأمر يجامها له المستقلة ، فلما كان الضمير عائداً على الموصوف نفى توهم الاستقلال ، وكذلك لام التعريف فإن كلا من الضمير واللام يمين صاحبه هذا يمين مفسره ، وهذا يمين ما دخل عليه . وقد قالوا في زيد نعم الرجل : إن الألف واللام أغنت عن الضمير . والله أعلم .

وقد أعرب الزمخشري هذه الآية إعراباً اعترض عليه فيه فقال : جنات عدن معرفة كقوله (جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالنيب)^(١) ، وانتصابها على أنها عطف بيان لحسن مآب ، ومفتحة حال ، والماثل فيها ما في المتقين من معنى الفعل وفي مفتحة ضمير الجنات ، والأبواب بدل من الضمير تقديره مفتحة ، هي الأبواب ، كقولهم : ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتغال ، هذا إعرابه . فاعترض عليه بأن جنات عدن ليس فيها ما يقتضى تعريفها . وأما قوله : (التي وعد الرحمن عباده)^(٢) . فبدل لا صفة ، وبأن جنات عدن لا يسهل أن تكون عطف بيان لحسن مآب على قوله ، لأن جريان المعرفة على النسكرة عطف بيان لا قائل به ، فإن القائل قائلان أحدهما : أنه لا يكون إلا في المعارف كقول البصريين .

(١) سورة مريم آية ٦١ .

(٢) سورة مريم آية ٦١ .

وثاني : أنه يكون في المعارف والنسكرات بشرط المطابقة ، كقول الكوفيين
وأبي على الفارسي .

وقوله : إن في مفتحة ضمير الجنات ، فالظاهر خلافه ، وأن الأبواب مرتفع به
ولا ضمير فيه .

وقوله : إن الأبواب بدل اشتغال فبدل الاشتغال قد صرح هو وغيره أنه لا بد
فيه من الضمير ، وإن نازعهم فيه آخرون ، ولكن يجوز أن يكون الضمير ملفوظاً به ،
وأن يكون مقدرأ وهنالم يلفظ به فلا بد من تقديره أى الأبواب منها ، فإذا كان
التقدير مفتحة لهم هى الأبواب منها ، كان فيه تكثير للاضمار وتقليله أولى .

وفي الصحيحين من حديث أبي حازم عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال : « في الجنة ثمانية أبواب ، باب منها يسمى الريان . لا يدخله إلا
الصائمون » .

وفي الصحيحين من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة
رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أنفق زوجين في شيء
من الأشياء في سبيل الله ، دعى من أبواب الجنة ، يا عبد الله هذا خير ، فمن كان
من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب
الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ، ومن كان من أهل
الصيام دعى من باب الريان ، فقال أبو بكر : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، ما على
من دعى من تلك الأبواب من ضرورة ، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ،
فقال : نعم ، وأرجو أن تكون منهم » .

وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« ما منكم من أحد يتوضأ فيبالغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا
الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إلا فتحت له أبواب
الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » زاد الترمذي بعد التشهد : « اللهم اجعلني من
التوابين واجعلني من المتطهرين » .

زاد أبو داود والإمام أحمد: ثم رفع نظره إلى السماء فقال: وعند الإمام أحمد من رواية أنس يرفعه: « من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال ثلاث مرات: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فتحت له أبواب الجنة الثمانية، من أيها شاء دخل » .

وعن عتبة بن عبد الله السلمي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « ما من مسلم يتوفى له ثلاثة من الولد لم يباغوا الحنث، إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية، من أيها شاء دخل » رواه ابن ماجه وعبد الله بن أحمد عن ابن نمير ثنا إسحاق ابن سليمان ثنا جرير بن عثمان عن شرحبيل بن شفعة عن عتبة .

الباب العاشر

في ذكر سعة أبوابها

عن أبي هريرة قال : « وضعت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قصعة من ثريد ولحم فتناول الذراع - وكان أحب الشاة إليه - فنهش نهشة وقال : أنا سيد الناس يوم القيامة ، ثم نهش أخرى وقال : أنا سيد الناس يوم القيامة : ، فلما رأى أصحابه لا يسألونه قال : ألا تقولون كيف ؟ قالوا : كيف يارسول الله ؟ قال : يقوم الناس لرب العالمين فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر ، فذكر حديث الشفاعة بطوله . وقال في آخره : فأنتلق فأنتى تحت العرش فأقع ساجداً لربي ، فيقيمني رب العالمين مقاماً لم يقمه أحداً قبلى ولن يقيمه أحداً بعدى ، فأقول : يارب أمق وهم شركاء الناس فما سوى ذلك من الأبواب ، والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر . أو هجر ومكة » .

وفي لفظ : « لكما بين مكة وهجر ، أو كما بين مكة وبصرى » ، تنفق على

صحته .

وفي لفظ خارج الصحيح بإسناده « إن ما بين عضادتي الباب لكما بين مكة

وهجر » .

وعن خالد بن عمير المدوى قال : خطبنا عتبة بن غزوان فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإن الدنيا قد آذنت بصرم وولت هذاء ، ولم يبق منها إلا صباية كصباية الإناء يصطبها صاحبها ، وإنكم منقلبون منها إلى دار لا زوال لها ، فانقلبوا بخبر ما بحضرتكم ، ولقد ذكر لنا أن مصراعين من مصاريع الجنة بينهما مسيرة أربعين سنة ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام ، فهذا موقف والذي قبله مرفوع ، فإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذاكر له كان هذا بين باب

من أبوابها ولعله الباب الأعظم ، وإن كان الناكر ذلك غير رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقدم على حديث أبي هريرة المتقدم .

ولكن قد روى الإمام أحمد في مسنده عن طريق حماد بن سلمة قال : سمعت الجريري يحدث عن حكيم بن معاوية عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أنتم موفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله ، وما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاماً ، وليأتين عليه يوم وله كظيظ » وقد رواه ابن أبي داود أنبأنا إسحاق بن شاهين ، أنبأنا خالد عن الجريري عن حكيم بن معاوية عن أبيه يرفعه « ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة سبع سنين » .

وروي في مسند عبد بن حميد أنبأنا الحسن بن موسى أنبأنا ابن لهيعة أنبأنا دراج أبو السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن ما بين مصراعين في الجنة مسيرة أربعين سنة » وحديث أبي هريرة أصح وهذه النسخة ضعيفة . والله أعلم ،

وروى أبو الشيخ ، أنبأنا جعفر بن أحمد بن فارس ، أنبأنا يعقوب بن حميد ، أنبأنا معن حدثنا خالد بن أبي بكر عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الباب الذي يدخل منه أهل الجنة مسيرة الراكب المجد ثلاثاً ، ثم إنهم ليضطفطون عليه حتى تسكاد مناكبهم نزول » رواه أبو نعيم عنه وهذا مطابق للحديث المتفق عليه : « إن ما بين المصراعين كما بين مكة وبصرى » فإن الراكب المجد غاية الإجابة على أسرع هجين لا يفتقر ليلاً ولا نهاراً ، يقطع هذه المسافة في هذا القدر أو قريب منه .

وأما حديث حكيم بن معاوية فقد اضطرب رواه ، لحامد بن سلمة ذكر عن الجريري التقدير بأربعين عاماً ، وخالد ذكر عنه التقدير بسبع سنين ، وحديث أبي سعيد المرفوع فيه التقدير بأربعين عاماً على طريقة دراج عن أبي الهيثم . قال

الإمام أحمد : أحاديث دراج من أكبر . وقال أبو حاتم الرازي : ضعيف . وقال
اللساني : ليس بالقوى .

فالصحيح المرفوع السالم عن الاضطراب والشذوذ والعلّة حديث أبي هريرة
المتفق على صحته . على أن حديث حكيم بن معاوية ليس فيه بظاهر الرفع ،
ويحتمل أنه مدرج في الحديث موقوف ، فيكون كحديث عتبة بن غزوان .

الباب الحادى عشر

فى صفة أبوابها وأنها ذات حلق

روى الوليد بن مسلم عن خلود عن الحسن : (مفتحة لهم الأبواب) قال :
أبواب ترى . وذكر أيضاً عن خلود عن قتادة قال : أبواب يرى ظاهرها من باطنها
وباطننها من ظاهرها تتكلم وتكلم ، وتفهم ما يقال لها ، انفتحتى انفتحتى . وقال
أبو الشيخ أنبأنا محمد بن عبد الله بن محمد القيسى أنبأنا محمد بن إسحاق أنبأنا أحمد
ابن أبى الحواري أنبأنا عبد الله بن غياث عن الفزارى قال : « لكل مؤمن فى
الجنة أربعة أبواب ، فباب يدخل عليه منه زواره من اللائكة ، وباب يدخل عليه
منه أزواجه من الحور العين ، وباب مقفل فيما بينه وبين أهل النار يفتحه إذا شاء
ينظر إليهم لتمتظم النعمة عليه ، وباب فيما بينه وبين دار السلام يدخل منه على ربه
إذا شاء » . وقد روى سهيل بن أبى صالح عن زياد النخعى عن أنس بن مالك
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أول من يأخذ بمحلقة باب الجنة
ولا فخر » .

وفى حديث الشفاعة الطويل من رواية ابن عيينة عن على بن زيد عن أنس قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فأخذ بمحلقة باب الجنة فأقمتها » وهذا
صريح فى أنها حلقة حسية تحرك وتقعقع . وروى سهيل عن أبيه عن أبى هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال : « آخذ بمحلقة باب الجنة فيؤذن لى » ويذكر عن
على رضى الله عنه : « من قال لا إله إلا الله الملك الحق المبين فى كل يوم مائة مرة
كان له أمان من الفقر ومن وحشة القبر ، واستجاب به النفى ، واستقر به باب
الجنة » .

فصل

ولما كانت الجنات درجات بعضها فوق بعض ، كانت أبوابها كذلك ، وباب الجنة العالية فوق باب الجنة التي تحتها ، وكلما عات الجنة اتسعت ، فماليها أوسع ، ما دونه وسعة الباب ، بحسب وسع الجنة ، ولعل هذا وجه الاختلاف الذي جاء في مسافة ما بين مصراعى الباب ، فإن أبوابها بعضها أعلى من بعض .

ولهذه الأمانة باب مختص بهم يدخلون منه دون سائر الأمم ، كما في المسند من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « باب أمي الذي يدخلون منه الجنة عرض مسيرة الراكب ثلاثاً ، ثم إنهم ليضطفون حتى تكاد مناكبهم تزول » ،

وفيه من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أتاني جبريل فأخذ يدي فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمي » الحديث . وسيأتي بتمامه إن شاء الله تعالى .

وقال خلف بن هشام البزار : ثنا أبو شهاب عن عمر بن قيس اللاتى عن أبي إسحاق عن عاصم بن حمزة عن علي بن أبي طالب قال : « إن أبواب الجنة هكذا بعضها فوق بعض ثم قرأ : (حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها) (١) إذا هم عندها بشجرة في أصلها عينان تجريان فيشربون من إحداها فلا تترك في بطونهم قذى ولا أذى إلا رمته ، ويفتسلون من الأخرى فتجرى عليهم نضرة النعيم فلا تشمت رؤوسهم ولا تنبير أبشارهم بمد هذا أبداً ، ثم قرأ : (طبتم فادخلوها خالدين) (٢)

فيدخل الرجل وهو يعرف منزله ويتلقاهم الولدان فيستبشرون برؤيتهم كما يستبشرون

(١) سورة الزمر آية ٧٣ .

(٢) سورة الزمر آية ٧٣ .

الاهل بالحيم يقدم من النبية فينطلقون إلى أزواجهم فيخبرونهم بماينتم فنقول: أنت رأيتة ؟ فيقوم إلى الباب فيدخل إلى بيته فيتسكى على سريريه فينظر إلى أساس بيته فإذا هو قد أسس على الأولو ، ثم ينظر في أخضر وأحمر وأصفر ، ثم يرفع رأسه إلى سماء بيته ، فلولا أنه خلق له لا النعم بصره فيقول : (الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله)^(١) ، والله أعلم .

الباب الثاني عشر

في ذكر مسافة ما بين الباب والباب

روينا في معجم الطبراني أنبأنا مصعب بن إبراهيم بن حمزة الزبيري وعبد الله ابن الصقر السكري ، قالوا : أنبأنا إبراهيم بن المنذر الحرامى ، ثنا عبد الرحمن بن المنيرة بن عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن حرام ، حدثني عبد الرحمن بن عياش الأنصارى ، حدثنا دلهم بن الأسود بن عبد الله بن حاجب بن المنتفق .

قال دلهم : وحدثني أيضاً أبو الأسود عن عاصم بن لقيط ، أن لقيط بن عامر خرج وافداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قلت يا رسول الله فما الجنة والنار ؟ قال : لعمر الهلك ، إن للنار سبعة أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً ، وإن للجنة ثمانية أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً » وذكر الحديث بطوله .

وهذا الظاهر منه أن هذه المسافة بين الباب والباب ، لأن ما بين مكة وبصرى لا يحتمل التقدير بسبعين عاماً ، ولا يمكن حمله على باب معين ، لقوله : ما منهن بابان . والله أعلم .

الباب الثالث عشر

في مكان الجنة وأين هي ؟

قال الله تعالى : (ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى)^(١) وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء ، وصحبت بذلك لأنها ينتهى إليها ما ينزل من عند الله فيقبض منها وما يصعد إليه فيقبض منها ، وقال تعالى : (وفي السماء رزقكم وما توعدون)^(٢) قال ابن أبي نجیح عن مجاهد ، هو الجنة . وكذلك تلقاه الناس عنه ؛ وقد ذكر ابن المنذر في تفسيره وغيره أيضاً عن مجاهد قال : هو الجنة والنار وهذا يحتاج إلى تفسير ، فإن النار في أسفل السافلين ليست في السماء ، ومعنى هذا ما قاله في رواية ابن أبي نجیح عنه ، وقاله أبو صالح عن ابن عباس ، الخير والشر كلاهما يأتي من السماء .

هذا فالعنى أسباب الجنة والنار بقدر ثابت في السماء من عند الله .

رت بن أبي أسامة ، حدثنا عبد العزيز بن أبان ، حدثنا سهدي بن ميمون ، حدثنا محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب عن بشر بن شفاف قال سمعت عبد الله ابن سلام يقول : « إن أكرم خليفة الله أبو القاسم صلى الله عليه وسلم ، وإن الجنة في السماء » رواه أبو تميم عنه . قال : ورواه معمر بن راشد عن محمد بن أبي يعقوب مرفوعاً ، ثم ساقه من طريق ابن منيع قال : ثنا عمرو الناقد ثنا عمرو بن عثمان ، ثنا موسى بن أعين عن معمر به مرفوعاً . ثم ساق من طريق محمد بن فضيل ، ثنا محمد بن عبد الله عن عطية عن ابن عباس أنه قال : « الجنة فوق السماء السابعة ويجعلها الله حيث شاء يوم القيامة ، وجهنم في الأرض السابعة » .

وقال ابن منده : ثنا أحمد بن إسحاق قال : ثنا أبو أحمد الزبيري ، ثنا محمد

(١) سورة النجم الآيات ١٣ - ١٥ (٢) سورة الذاريات آية ٢٢ (هـ - حادى الأرواح)

ابن عبد الله عن سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء عن عبد الله قال : « الجنة في السماء الرابعة فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث يشاء ، والنار في الأرض السابعة ، فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث يشاء » وقال مجاهد : « قلت لابن عباس أين الجنة ؟ قال : فوق سبع سموات ، قلت : فأين النار ؟ قال . تحت سبعة أبحر مطبقة »
رواه ابن منده عن أحمد بن إسحاق عن الزبيري عن إسرائيل عن ابن أبي يحيى عن مجاهد .

وأما الأثر الذي رواه أبو بكر بن أبي شيبة ، ثنا عيسى بن يونس عن نوير ابن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الله بن عمرو ، قال : « الجنة مطوية معلقة بقرون الشمس تنشر في كل عام مرة ، وإن أرواح المؤمنين في طير كالرزاير يتعارفون ويرزقون من ثمر الجنة » .

فهذا قد يظهر منه التناقض بين أول كلامه وآخره ولا تناقض فيه ، فإن الجنة المعلقة بقرون الشمس ما يحدته الله سبحانه وتعالى بالشمس في كل سنة مرة من أنواع الثمار والفواكه والنبات جملة الله تعالى مذكراً بتلك الجنة وآية دالة عليها ، كما جعل هذه النار مذكورة بتلك ، وإلا فالجنة التي عرضها السموات والأرض ليست معلقة بقرون الشمس وهي فوق الشمس وأكبر منها .

وقد ثبت في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض » وهذا يدل على أنها في غاية العلو . والله أعلم ،

والحديث له لفظان هذا أحدهما والثاني : « إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين في سبيله » وشيخنا يرجع هذا اللفظ ، وهو لا ينبغي أن يكون درج الجنة أكثر من ذلك ، ونظير هذا قوله في الحديث الصحيح : « إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة » أي من جملة أسمائه هذا القدر ، فيكون الكلام جملة واحدة في الموضعين .

وبدل على صحة هذا أن منزلة نبينا صلى الله عليه وسلم فوق هذا كله في درجة

في الجنة ليس فوقها درجة ، وتلك المائة يناها آحاد أمته بالجهاد ، والجنة مقبية أعلاها وأوسمها ووسطها هو الفردوس وسقفه العرش ، كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : « إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة » .

قال شيخنا أبو الحجاج المرى : والصواب رواية من رواه وفوقه بضم القاف على أنه اسم لا ظرف أى وسقفه عرش الرحمن .

فإن قيل : فالجنة جميعها تحت العرش والعرش سقفها ، فإن الكرسي وسع السموات والأرض والعرش أكبر منه .

قيل : لما كان العرش أقرب إلى الفردوس مما دونه من الجنات ، بحيث لاجنة فوقه دون العرش ، كان سقفاً له دون ماتحته من الجنات ، ولعظم سعة الجنة وغاية ارتفاعها يكون الصعود من أدناها إلى أعلاها بالتدرج شيئاً فشيئاً درجة فوق درجة ، كما يقال لقارئ القرآن اقرأ وارق ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها ، وهذا يحتمل شيئين : أن تكون منزلته عند آخر حفظه ، وأن تكون عند تلاوته لحفظه ، والله أعلم .

الباب الرابع عشر

في مفتاح الجنة

قال الحسن بن عرفة : حدثنا إسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي حسن عن شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله » رواه الإمام أحمد في مسنده وأفظه : « مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله » .

وذكر البخارى في صحيحه عن وهب بن منبه أنه قيل له : أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله ؟ قال : بلى ، ولكن ليس مفتاح إلا وله أسنان ، فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح .

وروى أبو نعيم من حديث أبان عن أنس قال : قال أعرابي : « يارسول الله ، ما مفتاح الجنة ؟ قال : لا إله إلا الله » .

وذكر أبو الشيخ من حديث الأعمش عن مجاهد عن يزيد بن سبخيرة قال : « إن السيوف مفاتيح الجنة » .

وفي للسند من حديث معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الأ ذلك على باب من أبواب الجنة ؟ قلت : بلى ، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله » وقد جعل الله لكل مطلوب مفتاحاً يفتح به ، فجعل مفتاح الصلاة الطهور ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « مفتاح الصلاة الطهور » ومفتاح الحج الإحرام ، ومفتاح البر الصدق ، ومفتاح الجنة التوحيد ، ومفتاح العلم حسن السؤال وحسن الإصغاء ، ومفتاح النصر والظفر الصبر ، ومفتاح المزيد الشكر ، ومفتاح الولاية المحبة والذكر ، ومفتاح الفلاح التقوى ، ومفتاح النوفيق الرغبة والرغبة ، ومفتاح الإجابة الدهاء ، ومفتاح الرغبة في الآخرة الزهد في الدنيا ، ومفتاح الإيمان التمسك بما دعا الله عباده إلى التمسك فيه . ومفتاح الدخول على الله إسلام القلب وسلامته له والإخلاص

له في الحب والبغض والفعل والترك ، ومفتاح حياة القلب تدبر القرآن والتضرع
 بالأسحار وترك الذنوب ، ومفتاح حصول الرحمة الإحسان في عبادة الخالق والسمي
 في نفع عبیده ، ومفتاح الرزق السمي مع الاستغفار والتقوى ، ومفتاح المزطاعة
 الله ورسوله ، ومفتاح الاستمداد للآخرة قصر الأمل ، ومفتاح كل خير الرغبة
 في الله والدار الآخرة ، ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل .

وهذا باب عظيم من أنفع أبواب العلم وهو معرفة مفاتيح الخير والشر لا يوفق
 لمعرفته ومراعاته إلا من عظم حظه وتوفيقه ، فإن الله سبحانه وتعالى جعل لكل
 خير وشر مفتاحاً وباباً يدخل منه إليه ، كما جعل الشرك والكبر والإعراض عما
 بعث الله به رسوله ، والنفلة عن ذكره والقيام بحقه مفتاحاً للنار ، وكما جعل الحجر
 مفتاح كل إثم ، وجعل النفي مفتاح الزنا ، وجعل إطلاق النظر في الصور مفتاح الطاب
 والعشق ، وجعل الكسل والراحة مفتاح الحية والحرمات ، وجعل المعاصي مفتاح
 الكفر ، وجعل الكذب مفتاح النفاق ، وجعل الشح والحرص مفتاح البخل وقطيعة
 الرحم وأخذ المال من غير حله ، وجعل الإعراض عما جاء به الرسول مفتاح كل
 بدعة وضلالة .

وهذه الأمور لا يصدق بها إلا كل من له بصيرة صحيحة وعقل يعرف به ما في
 نفسه وما في الوجود من الخير والشر ، فيدبني للعبد أن يعتق كل الاعتناء بمعرفة
 المفاتيح وما جملت المفاتيح له والله من وراء توفيقه وعدله ، له الملك وله الحمد ،
 وله النعمة والفضل ، لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون .

الباب الخامس عشر

في توقيع الجنة ومدشورها الذي يوقع به لأصحابها عند الموت وعند دخولها

قال تعالى : (كلا إن كتاب الأبرار لفي عيدين ، وما أدراك ما عيون ، كتاب مرقوم ، يشهده المقربون)^(١) فأخبر تعالى أن كتابهم كتاب مرقوم تحقيقاً لكونه مكتوباً كتابة حقيقية ، وخص تعالى كتاب الأبرار بأنه يكتب ويوقع لهم به بمشهد المقربين من الملائكة والنبیین وسادات المؤمنين ، ولم يذكر شهادة هؤلاء الكتاب الهجار تنويهاً بكتاب الأبرار ، وما وقع لهم به ، وإشهاراً له وإظهاراً بين خواص خلقه ، كما يكتب الملوك تواقع من تمظمه بين الأمراء ، وخواص أهل الملائكة تنويهاً باسم المكتوب له وإشادة بذكره ، وهذا نوع من صلاة الله وسبحانه وتعالى وملائكته على عبده .

وروى الإمام أحمد في مسنده وابن حبان وأبو عوانة الاسفراييني في صحيحيهما من حديث المنهال عن زاذان عن البراء بن عازب قال : « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على القبر وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وهو يلحده ، فقال : أعوذ بالله من عذاب القبر ثلاث مرات ، ثم قال : إن المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة ، وانقطاع من الدنيا ، نزلت إليه الملائكة كأن على وجوههم الشمس مع كل واحد منهم حنوط وكفن ، فجلسوا منه مد بصره ، ثم يحيى ملك الموت حتى يجلس عنه رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان ، قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السماء ، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجملوها في ذلك الكفن ، وذلك الحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفضة مسك وجدت على وجه الأرض ، قال : فيصمدون بها فلا يمرون بها - يعني

على ملائكة - إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون : فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا ، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا ، فيستفتحون له فيفتح لهم ، ويشيعه من كل سماء مقر بوها إلى السماء التي تليها ، حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل ، فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدى في عليين وأعيدوه إلى الأرض ، فأنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى ، قال : فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربى الله ، فيقولان له : مادينك ؟ فيقول : دينى الإسلام فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولان له : وما عدك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت ، قال : فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة والبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة ، قال : فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره ، قال : ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح ، فيقول : أبشر بالذى يسرك هذا يومك الذى كنت توعده ، فيقول له : من أنت فوجهك الوجه الذى يجيء بالخير ؟ فيقول : أنا عمك الصالح ، فيقول : رب أقم الساعة ؛ رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى ، قال : وإن المبدى الكافر إذا كان فى انقطاع من الآخرة وإقبال على الدنيا ، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجاسون منه مد البصر ، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الحبيثة ، أخرجنى إلى سخط من الله وغضب ، قال : فتفرق فى جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول ، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعها فى يده طرفة عين حتى يحملوها فى تلك المسوح ويخرج منها كأن تن ربح جيفة وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الحبيث ؟ فيقولون : فلان ابن فلان بأفبح أسمائه التي كان يسمى بها فى الدنيا ، حتى ينتهى إلى سماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يبلغ الجمل فى سم الخياط)^(١) فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه فى سجين فى الأرض السفلى وتطرح روحه طرْحاً ،

ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق)^(١) فتماد روحه في جسده ويأتيه ملائكة فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه !! لا أدري ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذي يمث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه ، لا أدري ، فينادى مناد من السماء أن كذب عبدى فأفرشوه من النار ، وافتحوا له باباً إلى النار ، فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح ، فيقول له : أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد ، فيقول : من أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر ؟ فيقول أنا عمك الحبيث فيقول : رب لا تقم الساعة » ورواه أبو داود بطوله بنحوه ، فهذا التوقيع وللشور الأول .

فصل

وأما للشور الثاني : فقال الطبراني في معجمه : حدثنا إسحاق بن إبراهيم الديري عن عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عطاء ابن يسار عن سلمان الفارسي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة أحد إلا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من الله لفلان ابن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية » ،

وأخبرنا سليمان بن حمزة الحاكم أنبأنا محمد بن عبد الواحد المقدسي أنبأنا زاهر الثقفي أن عبد السلام بن محمد بن عبد الله أخبرهم أنبأنا المطهر بن عبد الواحد البرقي حدثنا محمد بن إسحاق ابن منده أنبأنا محمد بن علي البلخي حدثنا محمد بن حسام حدثنا المباس بن زياد ثقة ثنا سعدان بن شميد ثنا سليمان التيمي عن أبي عثمان

٧٣
النهدي عن سلمان الفارسي ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يعطى المؤمن
جوازاً على الصراط بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من الله العزيز الحكيم ،
لفلان ابن فلان أدخلوه الجنة عالية قطوفها دانية . »

قلت : وقع للمؤمن في قبضة أصحاب اليمين يوم القبضتين ، ثم كتب من أهل الجنة
يوم نفع الروح فيه ، ثم يكتب في ديوان أهل الجنة يوم موته ، ثم يعطى هذا
المنشور يوم القيامة . فالحمد لله المستعان .

الباب السادس عشر

في توحد طريق الجنة وأنه ليس لها إلا طريق واحد

هذا مما اتفقت عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم .
وأما طرق الجحيم فأكثر من أن تحصى ، ولهذا يوحد سبحانه سبيله ويجمع سبل
النار كقوله تعالى : (وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق
بكم عن سبيله) (١) وقال : (وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر) (٢) أى ومن السبيل
جائر عن القصد وهى سبيل النى وقال : (هذا صراط على مستقيم) .

وقال ابن مسعود : « خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطأ وقال : هذا
سبيل الله ، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن يساره ثم قال : هذه سبل وعلى كل
سبيل منها شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ : (وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا
السبل) الآية .

فإن قيل : فقد قال الله تعالى : (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ه يهدى
به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام) (٣) .

قيل : هى سبيل تجمع فى سبيل واحد وهى بمنزلة الجواد والطرق فى الطريق الأعظم ،
فهذه هى سبل شعب الإيمان يجتمعها الإيمان وهو شعبة ، كما يجتمع ساق الشجرة أغصانها
وشعبها .

وهذه السبل هى إجابة داعى الله بتصديق خبره وطاعة أمره . وطريق الجنة
هى إجابة الداعى إليها ليس إلا .

وقد روى البخارى فى صحيحه عن جابر قال : « جاءت ملائكة إلى النبي

(١) سورة الأنعام آية ١٥٣ .

(٢) سورة النحل آية ٩ .

(٣) سورة المائدة الآيتين ١٥ و ١٦ .

صلى الله عليه وسلم، فقال بعضهم : إنه نائم ، وقال بعضهم : العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا : إن لصاحبكم هذا مثلاً ، فاضربوا له مثلاً ، فقالوا : مثله مثل رجل بنى داراً وجعل مأدبة وبعث داعياً ، فمن أجاب الداعى دخل الدار وأكل من المأدبة ، ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة ، فقالوا : أولوها له بفتحها ، فقال بعضهم : إن للعين نائمة والقلب يقظان ، الدار الجنة والداعى محمد ، فمن أطاع محمداً أطاع الله ، ومن عصى محمداً فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس .

ورواه الترمذى عنه ولفظه : « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال : إنى رأيت فى المنام كأن جبريل عند رأسى وميكائيل عند رجلي يقول أحدهما لصاحبه : اضرب له مثلاً . فقال : اسمع سمعت أذنك ، واعقل عقل قلبك ، إنعامتلك ومثل أمثلك كمثل ملك اتخذ داراً ، ثم بنى فيها بيتاً ، ثم جعل مائدة ، ثم بعث رسولا يدعو الناس إلى طعامه ، فهمم من أجاب الرسول ومنهم من تركه ، فالله هو الملك ، والدار الإسلام ، والبيت الجنة وأنت يا محمد الرسول ، فمن أجابك دخل الإسلام ، ومن دخل الإسلام دخل الجنة ، ومن دخل الجنة أكل ما فيها . »

وصحح الترمذى من حديث عبد الله بن مسعود قال : « صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاء ثم انصرف ، فأخذ بيدي حتى خرج بي إلى بطحاء مكة فأجلسنى ثم خط على خطأ ثم قال : لا تبرحن خطك فإنه سينتهى إليك رجال فلا تسكلمهم فإنهم لا يكلمونك ، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أراد فبينما أنا جالس فى خطى ، إذ أنانى رجال كأنهم الزط أشعارهم وأجسامهم ، لا أرى عورة ولا أرى بشراً وينتمون إلى لا يجاوزون الحظ ، ثم يصدرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان آخر الليل ، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءنى وأنا جالس فقال : لقد رأتى منذ الليلة ثم دخل على فى خطى فتوسد فتخذى فرقد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رقد نفع ، فبينما أنا قاعد ورسول الله صلى الله عليه وسلم متوسد فتخذى إذا برجال عليهم ثياب بيض ، الله أعلم ما بهم من الجمال ، فانتهوا إلى ، فجلس طائفة منهم عند رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم طائفة منهم عند رجليه . ثم قالوا : ما رأينا عبداً قد أوتى مثل ما أوتى هذا النبي ، إن عييه تمانان

وقلبه يقظان اضربوا له مثلاً ، مثل سيد بنى قصرأ ثم جعل مأدبة فدعا الناس إلى
 طعامه وشرا به ، فمن أجابه أكل من طعامه وشرب من شرا به ، ومن لم يجبه عاقبه
 أو قال عذبه ، ثم ارتفعوا واستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك فقال :
 سمعت ما قال هؤلاء ؟ وهل تدري من هم ؟ قالت : الله ورسوله أعلم ، قال : هم
 الملائكة ، فتدري ما المثل الذى ضربوه ؟ قلت : الله ورسوله أعلم قال : الرحمن
 بنى الجنة ، ودعا إليها عباده ، فمن أجابه دخل الجنة ، ومن لم يجبه عذبه .

الباب السابع عشر

في درجات الجنة

قال تعالى : (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ، وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً * درجات منه ومنفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً) (١) .

ذكر ابن جرير عن هشام بن حسان عن جبلة بن عطية عن ابن محبر قال : « فضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً ، درجات منه قال : هي سبعون درجة ما بين الدرجتين عدو الفرس الجواد المضر سبعين عاماً » .

وقال ابن المبارك : أنبأنا سلمة بن نبيط عن الضحاك في قوله تعالى : (لهم درجات عند ربهم) قال : بعضهم أفضل من بعض ، فيرى الذي قد فضل به فضله ولا يرى الذي هو أسفل منه ، أنه فضل عليه أحد من الناس .

وتأمل قوله كيف أوقع التفضيل أولاً بدرجة . ثم أوقعه ثانياً بدرجات ، فقيل الأول بين القاعد المعذور والمجاهد والثاني بين القاعد بلا عذر والمجاهد . وقال تعالى : (أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ه هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون) (٢) .

وقال تعالى : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون * الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ه أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومنفرة ورزق كريم) (٣) .

(١) سورة النساء الآيات ٩٥ و ٩٦ .

(٢) سورة آل عمران الآيات ١٦٢ و ١٦٣ .

(٣) سورة الأنفال الآيات ٢ - ٤ .

وفي الصحيحين من حديث مالك عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدرى الناب من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم ، قالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يباينها غيرهم ؟ قال : بلى ، والذي نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » .

ولفظ البخارى فى الأفق وهو أبين والناب هو الداهب الماضى الذى قد تدلى للغروب ، وفى التمثيل به دون الكوكب المسامت للراس وهو أعلى فائدتان ، إحداهما : بمداه عن العيون . والثانية : أن الجنة درجات بمضها أعلى من بعض وإن لم تسامت العليا السفلى ، كالبساتين الممتدة من رأس الجبل إلى ذيله . والله أعلم .

وفي الصحيحين أيضاً من حديث سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف فى الجنة ، كما ترون الكوكب فى أفق السماء » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا فرات أخبرنى فليح عن هلال بنى ابن على عن عطاء عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أهل الجنة ليتراءون فى الجنة كما تراءون أو ترون الكوكب الدرى الناب فى الأفق الطالع فى تفاضل الدرجات . قالوا يا رسول الله أولئك النبيون ؟ قال : بلى ، والذي نفسى بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » .

ورجال هذا الإسناد احتج بهم البخارى فى صحيحه وفى هذا الحديث (الناب) وفى حديث أبى سعيد الخدري (الناب) وقوله : الطالع صفة للكوكب وصفه بكونه غارباً وبكونه طالماً .

وقد صرح بهذا المعنى فى الحديث الذى رواه ابن المبارك عن فليح بن سليمان عن هلال بن على عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن أهل الجنة ليتراءون فى الغرف كما يرى الكوكب الشرقى والكوكب الغربى فى الأفق فى تفاضل الدرجات . قالوا : يا رسول الله أولئك النبيون ؟ قال : بلى ، والذي

نفسى بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » وهذا على شرط البخارى أيضاً .
 وفي المسند من حديث أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن المتحابين لترى غرفهم فى الجنة كالسكوكب الطالع الشرقى أو الغربى ،
 فيقال من هؤلاء ؟ فيقال : هؤلاء المتحابون فى الله عز وجل . »

وفي المسند من حديث أبى سعيد الخدرى أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال : « إن فى الجنة مائة درجة ولو أن المالمين اجتمعوا فى إحداهن وسعتم . »

وفي المسند عنه أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يقال لصاحب القرآن
 إذا دخل الجنة : اقرأ واصمد وبقراً ويصمد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه »
 وهذا صريح فى أن درج الجنة تزيد على مائة درجة .

وأما حديث أبى هريرة الذى رواه البخارى فى صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال : « إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيله بين كل درجتين
 كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس ، فإنه وسط الجنة وأعلى
 الجنة وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة » فلما أن تكون هذه المائة
 من جملة الدرج ، وإما أن تكون نهايتها هذه المائة ، وفى ضمن كل درجة
 درجة دونها .

ويدل على المعنى الأول حديث زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن مماذ
 ابن جبل قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من صلى هؤلاء
 الصلوات الخمس وصام شهر رمضان كان حقاً على الله أن يفر له هاجر أو قعد حديث
 ولدته أمه ، قلت : يارسول الله ألا أخرج فأؤذن الناس ؟ قال : لا ؛ ذر الناس
 يعملون ، وإن فى الجنة مائة درجة بين كل درجتين منها مثل ما بين السماء والأرض ،
 وأعلى درجة منها الفردوس ، وعليها يكون العرش ، وهى أوسط شيء فى الجنة ،
 ومنها تفجر أنهار الجنة ، وإذا سألتهم الله فسألوه الفردوس » رواه الترمذى
 وهكذا بلفظه .

وروى أيضاً من حديث عطاء بن عباد بن الصامت أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال : « إن في الجنة مائة درجة » ثم ذكر نحو حديث معاذ
 وفيه أيضاً من حديث عطاء عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : « في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام » قال : هذا حديث
 حسن غريب ،

وفيه أيضاً من حديث أبي سعيد يرفعه : « إن في الجنة مائة درجة لو أن العالمين
 اجتمعوا في إحداهن لوسعتهم » ورواه أحمد بدون لفظة : « في » كما تقدم وقد
 رويت هذه الأحاديث بلفظة « في » وبدونها ، وإن كان المحفوظ ثبوتها فهي من
 جملة درجاتها ، وإن كان المحفوظ سقوطها فهي الدرج الكبار المتضمنة للدرج الصغار ،
 والله أعلم .

ولا تناقض بين تقدير ما بين الدرجتين بالمائة وتقديره بالخمسة مائة لاختلاف السير
 في السرعة والبطء ، والنبي صلى الله عليه وسلم ذكر هذا تقريباً للأفهام ، وبدل
 عليه حديث زيد بن حبان حدثنا عبد الرحمن بن شريح حدثني أبو هانئ التجيبي
 سمعت أبا علي التجيبي سمعت أبا سعيد الخدرى يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يقول : « مائة درجة في الجنة ما بين الدرجتين ما بين السماء والأرض ،
 أو بعدما بين السماء والأرض ، قلت : يا رسول الله لمن ؟ قال : للجهاديين في
 سبيل الله » .

الباب الثامن عشر

في ذكر أعلى درجاتها واسم تلك الدرجة

روى مسلم في صحيحه من حديث عمرو بن العاص أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا على ، فإنه من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشراً ، ثم سلوا لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبى إلا لمبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي » .

وقال أحمد : أنبأنا عبد الرزاق أنبأنا سفيان عن ليث عن كعب عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا صليتم فسألوا الله لي الوسيلة . قيل : يا رسول الله وما الوسيلة ؟ قال : أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلا رجل واحد وأرجو أن أكون أنا هو » هكذا الرواية « أن أكون أنا هو » ووجهها أن تكون الجملة خبراً عن اسم كان المستتر فيها ، ولا يكون أنا فصلاً ولا تأكيداً بل مبتدأ . وفي الصحيحين من حديث جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت جعداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، إلا حلت له الشفاعة يوم القيامة » .

هكذا لفظ الحديث (مقاماً) بالنسبة ليوافق لفظ الآية . ولأنه لما تعين وانحصر نوعه في شخصه جرى مجرى المرفة ، فوصف بما توصف به للمعارف ، وهذا اللطف من جعل الذي وعدته بدلاً ، فتأمله .

وفي المتند من حديث عمارة بن غزبية عن موسى بن وردان عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الوسيلة درجة عند الله عز وجل ليس فوقها درجة ، فسألوا الله لي الوسيلة » .

وذكره ابن أبي الدنيا وقال فيه : « درجة في الجنة ليس في الجنة درجة أعلى منها ، فسألوا الله أن يؤتنيها على رؤوس الخلائق » .

وقال أبو نعيم ، أنبأنا سليمان بن أحمد : حدثنا أحمد بن عمرو بن مسلم الخلال ، حدثنا عبد الله بن عمران المابدي ، حدثنا فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت : « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، والله إنك لأحب إلي من نفسي ، وإنك لأحب إلي من أهلي ، وأحب إلي من ولدي ، وإنني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك ، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين ، وإنني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك ، فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل جبريل بهذه الآية : (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً) (١) قال الحافظ أبو عبد الله المقدسي : لا أعلم بإسناد هذا الحديث بأساً .

وسميت درجة النبي صلى الله عليه وسلم الوسيلة ، لأنها أقرب الدرجات إلى عرش الرحمن ، وهي أقرب الدرجات إلى الله ، وأصل اشتقاق لفظ الوسيلة من القرب ، وهي فعيلة من وسل إليه إذا تقرب إليه .

قال ليبيد :

* بلى كل ذى رأى إلى الله واسل *

ومعنى الوسيلة : من الوصلة ، ولهذا كانت أفضل الجنة وأشرفها ، وأعظمها نوراً . وقال صالح بن عبد الكريم : قال لنا فضيل بن عياض : أتدرون لم حسفت الجنة ؟ لأن عرش رب العالمين سقفا . وقال الحسن بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس : « نور سقف مساكنكم نور عرشه » .

وقال بكر عن أشعث عن الحسن : « إنما سميت عدن ، لأن فوقها العرش ، ومنها تفجر أنهار الجنة ، وللحور المدنية الفضل على سائر الحور ، والقربى والزلفى

واحد ، وإن كان في الوسيلة معنى التقرب إليه بأنواع الوسائل » ،
 وقال السكبي : « اطلبوا إليه القربة بالأعمال الصالحة » ، وقد كشف سبحانه
 عن هذا المعنى كل الكشف ، بقوله : (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم
 الوسيلة أيهم أقرب) (١) فقوله : أيهم أقرب هو تفسير للوسيلة التي يبتغيها هؤلاء
 الذين يدعوه المشركون من دون الله فيتنافسون في القرب منه .

ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الخلق عبودية لربه وأعلمهم به ،
 وأشدهم له خشية ، وأعظمهم له محبة كانت منزلته أقرب المنازل إلى الله ، وهي أعلى
 درجة في الجنة ، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أمته أن يسألوها له لينالوا بهذا
 الدعاء زلفى من الله وزيادة الإيمان .

وأيضاً فإن الله سبحانه قدرها له بأسباب ، منها : دعاء أمته له بها بما نالوه
 على يده من الإيمان والهدى صلوات الله وسلامه عليه .
 وقوله : « حلت عليه يروى عليه » و « له » فمن رواه باللام فمعناه حصلت له ،
 ومن رواه بـ « يلى » فمعناه وقعت عليه شفاعتي . والله أعلم .

الباب التاسع عشر

في عرض الرب تعالى سلمته الجنة على عباده وتمنأ الذى طلبه منهم

وعقد التبایع الذى وقع بين المؤمنین وبين ربهم

قال تعالى : (إن الله اشترى من المؤمنین أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً علیه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيمكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) (١)
فحمل سبحانه هاهنا الجنة تمناً لنفوس المؤمنین وأموالهم بحيث إذا بذلوا فيه استحقوا الثمن وعقد معهم هذا العقد وأكده بأنواع من التأكيد .

أحدها : إخبارهم سبحانه وتعالى بصيغة الخبر المؤكد بأداة أن .

الثانى : الإخبار بذلك بصيغة الماضى ، الذى قد وقع وثبت واستقر .

الثالث : إضافة هذا العقد إلى نفسه سبحانه ، وأنه هو الذى اشترى هذا المبيع .

الرابع : أنه أخبر بأنه وعد بتسليم هذا الثمن وعداً لا يخلفه ولا يتركه .

الخامس : أنه أتى بصيغة على التى للوجوب إعلاماً لعباده ، بأن ذلك حق عليه ، أحقه هو على نفسه .

السادس : أنه أكد ذلك حقاً عليه .

السابع : أنه أخبر عن محل هذا الوعد ، وأنه فى أفضل كتبه المنزلة من السماء ، وهى التوراة والإنجيل والقرآن .

الثامن : إعلامه لعباده بصيغة استفهام الإنكار ، وأنه لا أحد أوفى بعهده سبحانه .

التاسع : أنه سبحانه وتعالى أمرهم أن يستبشروا بهذا العقد ويبدشروا به بعضهم بعضاً بشاراة من قد تم له العقد ولزم ، بحيث لا يثبت فيه خيار ولا يمرض له ما يفسدحه .

العاشر : أنه أخبرهم إخباراً مؤكداً بأن ذلك البيع الذي بايموه به هو الفوز العظيم ، والبيع ههنا بمعنى المبيع الذي أخذوه بهذا الثمن وهو الجنة ، وقوله : بايمتم به أى عاوضتم وثامتم به .

ثم ذكر سبحانه أهل هذا العقد الذي وقع العقد ، وتم لهم دون غيرهم وهم التائبون مما يكرهه ، العابدون له بما يجب ، الحامدون له على ما يحبون وما يكرهون ، السائحون وفسرت السياحة بالصيام ، وفسرت بالمفر في طاب العلم ، وفسرت بالجهاد ، وفسرت بدوام الطاعة . والتحقق فيها أنها سياحة القلب في ذكر الله ومحبهه والإجابة إليه والشوق إلى لقاءه ، ويترتب عليها كل ما ذكر من الأفعال . ولذلك وصف الله سبحانه نساء النبي صلى الله عليه وسلم اللاتي لو طلق أزواجه بدلهن بأنهن سائحات ، وليست سياحتهن جهاداً ولا سفراً في طاب علم ولا إدامة صيام ، وإنما هي سياحة قلوبهن في محبة الله تعالى وخشيته والإجابة إليه وذكره .

وتأمل كيف جعل الله سبحانه التوبة والعبادة قرينتين : هذه ترك ما يكرهه ، وهذه فعل ما يجب ، والحمد والسياحة قرينتين هذا الثناء عليه بأوصاف كاله ، وسياحة اللسان في أفضل ذكره ، وهذه سياحة القلب في حبه وذكره وإجلاله .

كما جعل سبحانه العبادة والسياحة قرينتين في صفة الأزواج فهذه عبادة البدن ، وهذه عبادة القلب .

وجعل الإسلام والإيمان قرينين فهذا علانية ، وهذا في القلب ، كما في المسند عنه صلى الله عليه وسلم : « الإسلام علانية ، والإيمان في القلب » .

وجعل القنوت والتوبة قرينين ، هذا فعل ما يجب وهذا ترك ما يكره .
وجعل الثبوتة والبكارة قرينتين ، فهذه قد وطئت وارتاضت وذلت صعوبتها .
وهذه روضة أنف لم يرتع فيها بعد .

وجمل الركوع والسجود قرينين ، وجمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قرينين ، وأدخل بينهما الواو دون ما تقدم إعلاماً بأن أحدهما لا يكفي حتى يكون مع الآخر ، وجمل ذلك قريناً لحفظ حدوده ، فهذا حفظها في نفس الإنسان وذلك أمر غيره بحفظها . وأفهمت الآية خطر النفس الإنسانية وشرفها وعظم مقدارها ، فإن السلعة إذا خفي عليك قدرها فانظر إلى المشتري لها من هو ، وانظر إلى الثمن المبذول فيها ماهو ؟ وانظر إلى من جرى على يده عقد التبائع ، فالسلعة النفس والله سبحانه المشتري لها ، والثمن لها جنات النعيم والسفير في هذا العقد خير خلقه من الملائكة وأكرمهم عليه وخيرهم من البشر وأكرمهم عليه .

قد هيؤك لأمر لو فطنت له فارباً بنفسك أن ترعى مع العمل

وفي جامع الترمذي من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من خاف أوج ومن أوج بلغ للنزل ، ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة » قال : هذا حديث حسن غريب .

وفي كتاب صفة الجنة لأبي نعيم من حديث أبان عن أنس قال : « جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما ثمن الجنة ؟ قال : لا إله إلا الله » وشواهد هذا الحديث كثيرة جداً .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة : « أن أعرابياً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، دلفي على عمل إذا عملته دخلت الجنة . فقال : أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان . قال : والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئاً أبداً ولا أتقص منه ، فلما ولي قال : من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا » .

وفي صحيح مسلم عن جابر قال : « أتى النعمان بن قوقل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله أرأيت إذا صليت للكتوبة وحرمت الحرام وأحلت الحلال ، أدخل الجنة ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : نعم » .

وفي صحيح مسلم عن عثمان بن عفان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من مات وهو يعلم ، أن لا إله إلا الله دخل الجنة » .

وفي سنن أبي داود عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من كان آخر كلامه : لا إله إلا الله ، دخل الجنة » .
وفي الصحيحين عن أبي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتاني آت من ربي فأخبرني أو قال فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق » .

وفي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وكتبت ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، أدخله الله من أى أبواب الجنة الثمانية شاء » .
وفي لفظ « أدخله الله الجنة على ما كان من عمل » .

وفي صحيح مسلم : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى أبا هريرة نعلية فقال : اذهب بنعلي هاتين ، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه ، فبشره بالجنة » .

وقال روح بن عبادة عن حبيب بن الشهيد عن الحسن قال : « ثمن الجنة لا إله إلا الله » .

وروى أبو نعيم من حديث أبي الزبير عن جابر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يدخل أحداً منكم الجنة عمله ، ولا يجيره من النار ، ولا أنا إلا بتوحيده من الله تعالى » وإسناده على شرط مسلم ، وأصل الحديث في الصحيح .

فصل

وههنا أمر يجب التنبية عليه وهو : أن الجنة إنما تدخل برحمة الله تعالى ، وليس عمل المبد مستقلاً بدخولها ، وإن كان سبباً . ولهذا أثبت الله تعالى دخولها بالأعمال

في قوله: (بما كنتم تعملون) ، ونفى رسول الله صلى الله عليه وسلم دخولها بالأعمال بقوله : « لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله » ولا تنافي بين الأمرين لوجهين :

أحدهما : ما ذكره سفيان وغيره قال : كانوا يقولون : النجاة من النار بمفوء الله ، ودخول الجنة برحمته . واتفقوا المنازل والدرجات بالأعمال ، ويدل على هذا حديث أبي هريرة الذي سيأتي إن شاء الله تعالى ، أن أهل الجنة إذا دخلوها ، نزلوا فيها بفضل أعمالهم ، رواه الترمذى .

والثاني : أن الباء التي نفت الدخول هي باء المعاوضة التي يكون فيها أحد الموضين مقابلا للآخر ، والباء التي أثبتت الدخول هي باء السببية التي تقتضى سببية ما دخلت عليه لغيره ، وإن لم يكن مستقلا بمصوله . وقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين الأمرين بقوله : « سدّدوا وقاربوا وأبشروا واعلموا أن أحداً منكم لن ينجو بعمله قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمّدني الله برحمته » .

ومن عرف الله تعالى ، وشهد مشهده حقه عليه ، ومشهد تقصيره وذنوبه ، وأبصر هذين المشهدين بقلبه عرف ذلك وجزم به . والله سبحانه وتعالى المستعان .

الباب العشرون

في طلب أهل الجنة لها من ربهم وطلبها لهم وشفاعتها فيهم إلى ربها عز وجل

قال الله تعالى حكاية عن أولى الألباب من عباده قولهم : (ربنا إنا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار . ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف لليعاد) (١) .

والمعنى : وآتنا ما وعدتنا على السنة رسلك من دخول الجنة .

وقالت طائفة : معناه ، وآتنا ما وعدتنا على الإيمان برسلك ، وليس بسهل حذف الاسم والحرف معاً ، إلا أن يقدر على تصديق رسلك وطاعة رسلك . وحينئذ فيتكافأ التقديران ، ويترجح الأول بأنه قد تقدم قولهم : (ربنا إنا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا) وهذا صريح في الإيمان بالرسول والمرسل ، ثم توسلوا إليه بإيمانهم أن يؤتيم ما وعدهم على السنة الرسل ، فإنهم إنما سمعوا بوعدهم لهم بذلك من الرسل ، وذلك أيضاً يتضمن التصديق بهم وإينهم بلفظهم وعده فصدقوا به ، وسألوه أن يؤتيم إياه . وهذا هو الذي ذكره السلف والخلف في الآية .

وقيل : المعنى آتنا ما وعدتنا من النصر والظفر على السنة الرسل . والأول أعم وأكمل .

وتأمل : كيف تضمن إيمانهم به الإيمان بأمره ونهيه ، ورسله ووعدته ووعيده ، وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وصدق وعده ، والخوف من وعيده واستجابتهم لأمره . فبمجموع ذلك صاروا مؤمنين بربهم . فبذلك صح لهم التوسل إلى سؤال ما وعدهم به والنجاة من عذابه .

وقد أشكل على بعض الناس سؤالهم أن ينجز لهم وعده ، مع أنه فاعل لذلك ولا بد .

وأجاب : بأن هذا تعبد محض كقوله : (رب احكم بالحق) وقول الملائكة : (فاعفوا للذين تابوا واتبعوا سبيلك)^(١) ، وخفي على هؤلاء أن الوعد معلق بشرط ومنها : الرغبة إليه سبحانه وتعالى وسؤاله أن ينجزه لهم كما أنه معلق بالإيمان وموافاتهم به . وأن لا يلحقه ما يحبطه . فإذا سألوه سبحانه أن ينجز لهم ما وعدهم تضمن ذلك توفيقهم وتثبيتهم وإعانتهم على الأسباب التي ينجز لهم بها وعده ، فكان هذا الدعاء من أهم الأدعية وأنفعها ، وهم أخرج إليه من كثير من الأدعية .

وأما قوله : رب احكم ، فهذا سؤال له سبحانه وتعالى أن ينصرهم على أعدائهم ، فيحكم لهم عليهم بالنصر والغلبة .

وكذا سؤال للملائكة ربهم أن ينفر للتائبين ، هو من الأسباب التي يوجب بها لهم المغفرة ، فهو سبحانه نصب الأسباب التي يفعل بها ما يريد بأوليائه وأعدائه ، وجعلها أسباباً لإرادته ، كما جعلها أسباباً لوقوع مراده فمنه السبب والمسبب . وإن أشكل عليك ذلك ، فانظر إلى خلقه الأسباب التي توجب محبته وغضبه ، فهو يحب ويرضى ويفض ويخط عن الأسباب التي خلقها وشاءها ، فالسبب منه وبه مبتدأ من مشيئته وعائده إلى حكمته وحده . وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد لا يلججه إلا المالمون بالله . ونظير هذه الآية في سؤاله ما وعده به قوله تعالى : (قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون ، كانت لهم جزاء ومصيراً ه لهم فيها ما يشاؤون خالد بن كان على ربك وعداً مسؤولاً)^(٢) يسأله إياه عباده المؤمنون ، ويسأله إياه ملائكته لهم ، فالجنة تسأل ربها أهلها ، وأهلها يسألونه إياها والملائكة تسألها لهم والرسول يسألونه إياها لهم ولاتباعهم ، ويوم القيامة يقيمهم سبحانه بين يديه يشفعون فيها لعباده المؤمنين ، وفي هذا من تمام ملكه وإظهار رحمته وإحسانه

(١) سورة غافر آية ٧ .

(٢) سورة الفرقان الآيتان ١٥ و ١٦ .

وجوده وكرمه وإعطائه ما سئل، ما هو من لوازم أسمائه وصفاته واقتضائها لآثارها ومتعلقاتها، فلا يجوز تعطيلها عن آثارها وأحكامها، فالرب تعالى جواد له الجود كله، يجب أن يسأل ويطلب منه ويرغب إليه، فيخلق من يسأله وألهمه سؤاله وخلق له ما يسأله إياه فهو خالق السائل وسؤاله ومشو له، وذلك لمحبتة سؤال عباده له ورغبتهم إليه وطلبهم منه وهو يفضب إذا لم يسئل .

الله يفضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسئل يفضب

وأحب خلقه إليه أكثرهم وأفضلهم له سؤالاً، وهو يحب الملحين في الدعاء، وكلما ألح العبد عليه في السؤال أحبه وأعطاه وقربه وأعطاه .

وفي الحديث : « من لم يسأل الله يفضب عليه » فلا إله إلا هو، أى جنابة جنت القواعد الفاسدة على الإيمان، وحالت بين القلوب وبين معرفة ربها وأسمائها، وصفات كماله ونعمت جلاله ! ! ! والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

قال أبو نعيم الفضل : حدثنا يونس ، هو ابن أبي إسحاق ، حدثنا يزيد بن أبي مرثد قال : قال أنس بن مالك : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم يسأل الله الجنة ثلاثاً إلا قالت الجنة : اللهم أدخله الجنة . ومن استجار من النار بالله ثلاثاً قالت النار : اللهم أجره من النار » رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه عن هناد بن السرى عن أبي الأحوص عن أبي إسحاق عن يزيد به .

وقال الحسن بن سفيان : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير عن ليث عن يونس بن حبان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما سأل الله عبد الجنة في يوم سبع مرات إلا قالت الجنة : يارب إن عبدك فلاناً يسألنى فأدخلنيه » .

وقال أبو يعلى الموصلى : حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب ؛ حدثنا جرير عن يونس عن أبي حازم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما استجار عبد من النار سبع مرات إلا قالت النار : إن عبدك فلاناً

استجار من فأجره ، ولا يسأل عبد الجنة سبع مرات إلا قالت الجنة : يارب إن عبدك فلاناً سألتني فأدخله الجنة » ، وإسناده على شرط الصحيحين .

وقال أبو داود في مسنده : حدثنا شعبة : حدثني يونس بن حبان : سمع أبا علقمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال : أسأل الله الجنة سبماً ، قالت الجنة : اللهم أدخله الجنة » ،

وقال الحسن بن سفيان : حدثنا للمقدمي حدثنا عمر بن علي عن يحيى بن عبد الله عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكثروا مسألة الله الجنة واستميدوا به من النار ؛ فإنهما شافعتان مشفعتان ، وإن العبد إذا أكثر مسألة الله الجنة قالت الجنة : يارب عبدك هذا الذي سألتنيك فأسكنه إياي . وتقول النار : يارب عبدك هذا الذي استماذ بك مني فأعذه » .

وقد كان جماعة من السلف لا يسألون الله الجنة ويقولون : حسبنا أن يجيرنا من النار ، فمنهم أبو الصمباء صلة بن أشيم صلى ليلة إلى السحر ، ثم رفع يديه وقال : اللهم أجرني من النار أو مثلي يجترىء أن يسألك الجنة . ومنهم عطاء السلمي ، كان لا يسأل الجنة ، فقال له صالح المري : إن أبان حدثني عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الله عز وجل : انظروا في ديوان عبدى ، فمن رأيتموه سألتني الجنة أعطيته ، ومن استماذ بي من النار أعدته » فقال عطاء : كفاي أن يجيرني من النار ، ذكرها أبو النعمان :

وقد روى أبو داود في سننه من حديث جابر في قصة صلاة معاذ وتطويله بهم ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للفقى - يعنى الذى شكاه - « كيف تصنع يا ابن أخى إذا صليت ؟ قال : أقرأ بفاتحة الكتاب وأسأل الله الجنة وأعوذ به من النار ، وإنى لا أدري ما دندنتك ودندنة معاذ ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنى ومعاذاً حولها ندندن » ،

وفى سنن أبي داود من حديث محمد بن المنكدر عن جابر عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يسأل بوجه الله إلا الجنة » رواه عن

أحمد بن عمرو العصفري ، حدثنا يعقوب بن إسحاق ، حدثنا سليمان بن معاذ عن محمد ، فذكره .

وقد تقدم في أول الكتاب حديث الليث عن معاوية عن صالح عن عبد الملك ابن أبي بشير يرفع الحديث : « ما من يوم إلا والجنة والنار يسألان . تقول الجنة : يارب قد طابت ثماري ، واطردت أنهارى ، واشتقت إلى أوليائى ، فمجل إلى بأهلى » الحديث

فالجنة تطاب أهلها بالذات ، وتجذبهم إليها جذباً ، والنار كذلك ، وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نزال نذكرهما ولا ننساهما .

كما روى أبو يعلى الموصلى في مسنده : حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل ، حدثنا أيوب بن أبي شبيب الصنعاني قال : كان فيما عرضنا على رباح بن زيد ، حدثني عبد الله ابن عمير سمعت عبد الرحمن بن يزيد يقول : سمعت عبد الله بن عمر يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تنسوا العظيمين ، قانا : وما العظيمان يارسول الله ؟ قال : الجنة والنار » .

وذكر أبو بكر الشافعي من حديث كليب بن حرب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اطلبوا الجنة جهدكم واهربوا من النار جهدكم ، فإن الجنة لا ينام طالبها ، وإن النار لا ينام هاربها ، وإن الآخرة اليوم محفوفة بالمكاره ، وإن الدنيا محفوفة باللذات والشهوات ، فلا تلهينكم عن الآخرة » .

الباب الحادى والعشرون

فى أسماء الجنة وممانها واشتقاقاتها

ولها عدة أسماء باعتبار صفاتها ، ومساها واحد باعتبار الذات ، فهى مترادفة من هذا الوجه ، وتختلف باعتبار الصفات فهى متباينة من هذا الوجه ، وهكذا أسماء الرب سبحانه وتعالى ، وأسماء كتابه ، وأسماء رسله ، وأسماء اليوم الآخر ، وأسماء النار .

الإسم الأول : الجنة . وهو الاسم العام المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من أنواع النعيم واللذة والبهجة والسرور وقررة الأعين . وأصل اشتقاق هذه اللفظة من الستر والتغطية ومنه الجنين لاستتاره فى البطن ، والجنان لاستتاره عن العيون ، والمجن لستره ووقايته الوجه ، والمجنون لاستتاره عقله وتواريه عنه ، والجنان وهى الحية الصغيرة الرقيقة ، ومنه قول الشاعر :

فذقت وجبت واسبكرت وأكملت فلو جن إنسان من الحسن جنت
أى لو غطى وستر عن العيون لفعل بها ذلك . ومنه سعى البستان جنة ؛ لأنه يستر داخله بالأشجار وينطيه ، ولا يستحق هذا الاسم إلا موضع كثير الأشجار مختلف الأنواع ، والجنة - بالضم - ما يستجن به من ترس أو غيره .

ومنه قوله تعالى : (اتخذوا أيمانهم جنة^(١)) أى يستترون بها من إنكار المؤمنين عليهم .

ومنه الجنة - بالكسر - الجن كما قال تعالى : (من الجنة والناس)^(٢) وذهبت طائفة من المفسرين إلى أن الملائكة يسمون جنة ، واحتجوا بقوله تعالى : (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا)^(٣) قالوا : وهذا النسب قرلهم الملائكة بنات الله ، ورجحوا هذا القول بوجهين :

أحدهما : أن النسب الذى جعلوه إنما زعموا أنه بين الملائكة وبينه لا بين الجنة وبينه .

الثانى : قوله تعالى : (ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون)^(١) أى قد علمت الملائكة أن الذين قالوا هذا القول محضرون للعذاب . والصحيح خلاف ما ذهب إليه هؤلاء ، وأن الجنة هم الجن تقسم كما قال تعالى : (من الجنة والناس) وعلى هذا فى الآية قولان :

أحدهما : قول مجاهد ، قال : قالت كفار قريش : الملائكة بنات الله ، فقال لهم أبو بكر : فمن أمهاتهم ؟ قالوا : سروات الجن . وقال الكلبي : قالوا تزوج من الجن فخرج من بينهما الملائكة . وقال قتادة : قالوا : صاهر الجن .

والقول الثانى هو قول الحسن قال : أشركوا الشياطين فى عبادة الله فهو النسب الذى جعلوه . والصحيح قول مجاهد وغيره وما احتج به أصحاب القول الاول ليس بمستلزم لصحة قولهم ، فإنهم لما قالوا : الملائكة بنات الله وهم من الجن عقدوا بينه وبين الجن نسباً بهذا الإيلاء وجعلوا هذا النسب متولداً بينه وبين الجن ، وأما قوله : (ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون) فالضمير يرجع إلى الجنة أى قد علمت الجنة أنهم محضرون الحساب . قاله مجاهد أى لو كان بينه وبينهم نسب لم يحضروا للحساب كما قال تعالى : (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يمدبكم بذنوبكم ؟)^(٢) ، فجعل سبحانه وتعالى عقوبتهم بذنوبهم وإحضارهم للعذاب مبطلاً لدعواهم الكاذبة ، وهذا التقدير فى الآية أبلغ فى إبطال قولهم من التقدير الاول ، فتأمله والمقصود ذكر أسماء الجنة .

فصل

الإسم الثانى : دار السلام وقد سماها الله بهذا الإسم فى قوله : (لهم دار السلام عند ربهم)^(٣) ، وقوله : (والله يدعو إلى دار السلام)^(٤) ، وهى أحق بهذا

(١) سورة الصافات آية ١٥٨

(٢) سورة المائدة آية ١٨

(٣) سورة الأنعام آية ١٢٧

(٤) سورة يونس آية ٢٥

الإسم فإنها دار السلامة من كل بلية وآفة ومكروه ، وهي دار الله واسمه سبحانه وتعالى السلام الذي سلمها وسلم أهلها : (وتحييتهم فيها سلام) ، (واللائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم) (١) ، والرب تعالى يسلم عليهم من فوقهم ، كما قال تعالى : (لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولاً من رب رحيم) (٢) وسيأتي حديث جابر في سلام الرب تبارك وتعالى عليهم في الجنة ، وكلامهم كلهم فيها سلام أى لا لغو فيها ولا فحش ولا باطل ، كما قال تعالى : (لا يضمعون فيها لغواً إلا سلاً) (٣) .

وأما قوله تعالى : (وأما إن كان من أصحاب اليمين * فسلام لك من أصحاب اليمين) (٤) فأكثر المفسرين حاوروا حول اللفظ وما وردوه ، وقالوا أقوالاً لا يخفى بعدها عن المقصود .

وإنما معنى الآية والله أعلم : فسلام لك أيها الراحل عن الدنيا حال كونك من أصحاب اليمين ، أى فسلامه لك كأننا من أصحاب اليمين الذين سلموا من الدنيا وأنسكأها ، ومن النار وعذابها ، فبشر بالسلامة عند ارتحاله من الدنيا وقدمه على الله كما يبشر الملك ووجه عند أخذها بقوله : أشرى روح وريحان ورب غير غضبان . وهذا أول البشرى التي للمؤمن في الآخرة .

فصل

الإسم الثالث : دار الخلد . وسميت بذلك ، لأن أهلها لا يظعنون عنها أبداً كما قال تعالى : (عطاء غير مجدوذ) وقال : (إن هذا نزلنا ماله من نقاد) (٥) وقال : (أكلها دائم وظلها) وقال : (وما هم منها بمخرجين) وسيأتي إبطال قول من قال من الجهمية والمعتزلة بفنائها أو فناء حركات أهلها إن شاء الله تعالى .

(١) سورة الرعد الآيتان ٢٣ و ٢٤ .

(٢) سورة يس الآيتان ٥٧ و ٥٨ .

(٣) سورة مريم آية ٦٢ .

(٤) سورة الواقعة الآيتان ٩٠ و ٩١ .

(٥) سورة ص آية ٥٤ .

فصل

الإسم الرابع : دار المقامة ، قال تعالى حكاية عن أهلها : (وقالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور * الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يحسنا فيها نصب) (١) .

قال مقاتل : أنزلنا دار الخلود ، أقاموا فيها أبداً لا يموتون ، ولا يتحولون منها أبداً .

قال الفراء والزجاج : المقاومة مثل الإقامة يقال : أقمت بالمسكان إقامة ومقامة ومقاماً .

فصل

الإسم الخامس : جنة المأوى ، قال تعالى : (عندها جنة المأوى) والمأوى مفعل من أوى يأوى إذا انضم إلى المسكان وصار إليه واستقر به .

وقال عطاء عن ابن عباس : هى الجنة التى يأوى إليها جبريل والملائكة .

وقال مقاتل والسكبي : هى جنة تأوى إليها أرواح الشهداء .

وقال كعب : جنة المأوى جنة فيها طير خضر ترتع فيها أرواح الشهداء .

وقالت عائشة رضى الله عنها وزر بن حبيش : هى جنة من الجنان .

والصحيح أنه اسم أسماء الجنة كما قال تعالى . (وأما من خاف مقام ربه ونهى

النفس عن الهوى * فإن الجنة هى المأوى) (٢) وقال فى النار : (فإن الجحيم هى

المأوى) وقال : (ومأواكم النار) .

(١) سورة فاطر الآيات ٣٤ و ٣٥ .

(٢) سورة النازعات الآيات ٤٠ و ٤١ .

فصل

الإسم السادس : جنات عدن ، فقيل : هي اسم الجنة من الجنان . والصحيح أنه اسم لجملة الجنان وكلها جنات عدن قال تعالى : (جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالنيب)^(١) ، وقال تعالى : (جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير)^(٢) وقال تعالى : (ومساكن طيبة في جنات عدن)^(٣) والاشتقاق يدل على أن جميعها جنات عدن فإنه من الإقامة والدوام يقال عدن بالمكان إذا أقام به ، وعدنت البلد توطنته ، وعدنت الإبل بمكان كذا لزمته فلم تبرح منه .

وقال الجوهري : ومنه جنات عدن أى إقامة ومنه سمي المعدن - بكسر الدال - لأن الناس يقيمون فيه الصيف والشتاء ، ومركز كل شيء معدنه . والمادن : الناقة الملقية في المرعى .

فصل

الإسم السابع : دار الحيوان ، قال تعالى : (وإن الدار الآخرة لمهى الحيوان)^(٤) المراد الجنة عند أهل التفسير ، قالوا : وإن الآخرة يعنى الجنة لمهى دار الحياة التي لا موت فيها . فقال السكابي : هي حياة لا موت فيها . وقال الزجاج : هي دار الحياة الدائمة . وأهل اللغة على أن الحيوان بمعنى الحياة . قال أبو عبيدة وابن قتيبة الحياة الحيوان ، قال أبو عبيدة . الحياة والحيوان الحمى - بكسر الحاء - واحد قال أبو على : يعنى أنها مصادر ، فالحياة فعلة كالجابة والحيوان كالنزوان والغليان ، والحمى كالمى قال المعجاج :

-
- (١) سورة مريم آية ٦١ .
 (٢) سورة فاطر آية ٣٣ .
 (٣) سورة الصف آية ١٢ .
 (٤) سورة العنكبوت آية ٦٤ .

* كنها إذا الحياة حى *

أى إذا الحياة حياة . أما أبو زيد غالفهم وقال : الحيوان ما فيه روح . والموتان
والموات ما لا روح فيه . والصواب : أن الحيوان يقع على ضربين : أحدهما :
حصدر ، كاحكاه أبو عبيدة . والثانى : وصف كاحكاه أبو زيد ، وعلى قول أبى زيد :
الحيوان مثل الحى خلاف الميت ورجح القول الأول بأن الفعلان باباه المصدر كالنزون
والغليان بخلاف الصفات فإن باباهم فلان كسكران وغضبان ، وأجاب من رجح القول
الثانى بأن فلان قد جاء فى الصفات أيضاً قالوا ، رجل ضميان للسريع الخفيف . وزفیان
قال فى الصحاح : ناقة زفیان سريمة وقوس زفیان سريمة الإرسال للسهم . فيحتمل
عوله تعالى : (وإن الدار الآخرة لهى الحيوان) معنيين .

أحدهما : أن حياة الآخرة هى الحياة ، لأنها لا تنفيس فيها ولا نفاذ لها أى
لا يشوبها ما يشوب الحياة فى هذه الدار ، فيكون الحيوان مصدراً على هذا .
الثانى : أن يكون المعنى أنها الدار التى لا تنفى ولا تنقطع ولا تبيد كما يفنى
الاحياء فى هذه الدنيا ، فهى أحق بهذا الإسم من الحيوان الذى يفنى ويموت .

فصل

الإسم الثامن : الفردوس قال تعالى : (أولئك هم الوارثون * الذين يرثون
الفردوس هم فيها خالدون)^(١) وقال تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كانت لهم جنات الفردوس نزلاً * خالدين فيها)^(٢) والفردوس : إسم يقال على جميع
الجنة ، ويقال على أفضلها وأعلاها ، كأنه أحق بهذا الإسم من غيره من الجنة .
وأصل الفردوس : البستان والفراديس البساتين . قال كعب : هو البستان الذى فيه
الأعاب ، وقال الليث : الفردوس جنة ذات كروم . يقال : كرم مفردس أى معرش .
وقال الضحاك : هى الجنة الملتفة بالأشجار ، وهو اختيار المبرد وقال الفردوس فيما سميت

(١) سورة المؤمنون آية ١١ .

(٢) سورة المكهف آية ١٠٧ .

من كلام العرب : الشجر اللتف والأغلب عليه المنب، وجمعه : الفراديس : قال :
ولهذا سمي باب الفراديس بالشام ، وأنشد لجرير :

فقلت للركب إذا جد السير بنا يا بمد نيرين من باب الفراديس

وقال مجاهد : هذا البستان بالرومية. واختاره الزجاج فقال : هو بالرومية منقول
إلى لفظ العربية . قال : وحقيقته أنه البستان الذي يجمع كل ما يكون في البساتين :
قال حسان :

وإن ثواب الله كل مخلد جنان من الفردوس فيها يخلد

فصل

الإسم التاسع : جنات النعيم . قال تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم جنات النعيم)^(١) ، وهذا أيضاً اسم جامع لجميع الجنات لما تضمنته من الأنواع
التي يتنعم بها من المأكول والمشروب ولللبوس والصور والرائحة الطيبة والنظر
البيج ، والمسكن الواسعة . وغير ذلك من النعيم الظاهر والباطن .

فصل

الإسم العاشر : المقام الأمين . قال تعالى : (إن المتقين في مقام أمين)^(٢) ،
وللقيام : موضع الإقامة ، والأمين : الآمن من كل سوء وآفة ومكروه وهو الذي
قد جمع صفات الأمن كلها ، فهو آمن من الزوال والحراب وأنواع النقص ، وأهله
آمنون فيه من الخروج والنقص والنسكد (والبلد الأمين) الذي قد أمن أهله فيه
مما يخاف منه سواهم ، وتأمل كيف ذكر سبحانه الأمن في قوله تعالى : (إن المتقين
في مقام أمين) وفي قوله تعالى : (يدعون فيها بكل فاكهة آمنين)^(٣) فجمع لهم

(١) سورة لقمان آية ٨ .

(٢) سورة الدخان آية ٥١ .

(٣) سورة الدخان آية ٥٥ .

بين أمن المكان وأمن الطعام ، فلا يخالفون انقطاع النافذة ولا سوء عاقبتها ومضرتها ، وأمن الخروج منها ، فلا يخالفون ذلك ، وأمن الموت فلا يخالفون فيها موتاً .

فصل

الإسم الحادى عشر والثانى عشر : مقعد الصدق ، وقدم الصدق ، قال تعالى :
 (إن المتقين فى جنات ونهر . فى مقعد صدق)^(١) ، فسمى جنته مقعد صدق لحصول كل ما يراد من المقعد الحسن فيها كما يقال : مودة صادقة إذا كانت ثابتة تامة وحلاوة صادقة وحملة صادقة ومنه الكلام الصدق لحصول مقصوده منه ، وموضع هذه اللفظة فى كلامهم الصحة والكمال ومنه الصدق فى الحديث والصدق فى العمل ، والصدق الذى يصدق قوله بالعمل ، والصدق - بالفتح - الصاب من الرماح ، ويقال للرجل الشجاع ، إنه لودو مصدق أى صادق الجملة . وهذا مصداق هذا أى ما يصدقه ، ومنه قدم صدق ولسان صدق ومدخل صدق ومخرج صدق ، وذلك كله للحق الثابت المقصود الذى يرغب فيه بخلاف الكذب الباطل الذى لا شئ تحته وهو لا يتضمن أمراً ثابتاً قط ، وفسر قوم قدم صدق بالجنة ، وفسر بالأعمال التى تنال بها الجنة وفسر بالسابقة التى سبقت لهم من الله وفسر بالرسول الذى على يده وهدايته نالوا ذلك ، والتحقيق أن الجميع حق فإنهم سبقت لهم من الله الحسنى بتلك السابقة ، أى بالأسباب التى قدرها لهم على يد رسوله ، وأدخر لهم جزاءها يوم القيامة ، ولسان الصدق وهو لسان الثناء الصادق بمحاسن الأفعال وجميل الطرائق ، وفى كونه لسان صدق إشارة إلى مطابقته للواقع ، وأنه ثناء بحق لا يباطل ، ومدخل الصدق ومخرج الصدق وهو المدخل والمخرج الذى يكون صاحبه فيه ضامناً على الله وهو دخوله وخروجه بالله والله ، وهذه الدعوة من أنفع الدعاء للعبد ، فإنه لا يزال داخلاً فى أمر وخارجاً من أمر ، فحق كان دخوله لله وبالله وخروجه كذلك ، كان قد أدخل مدخل صدق وأخرج مخرج صدق . والله المستعان .

الباب الثاني والعشرون

في عدد الجنات وأنها نوعان : جنتان من ذهب وجنتان من فضة

الجنة : اسم شامل لجميع ما حوته من البساتين والمسكن والقصور وهي جنات كثيرة جداً ، كما روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك : أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة « أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا نبي الله ألا تحذني عن حارثة ؟ وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب . فإن كان في الجنة صبرت وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء ، قال : يا أم حارثة ، إنها جنتان في الجنة ، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى » .

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « جنتان من ذهب آيتهما وحليتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة آيتهما وحليتهما وما فيهما ، وما بين القوم أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجه في جنة عدن » وقد قال تعالى : (ولمن خاف مقام ربه جنتان)^(١) فذكرها ثم قال : (ومن دونهما جنتان)^(٢) فهذه أربع قد اختلف في قوله ومن دونها هل المراد به أنهما فوقهما أو تحتهما على قولين : فقالت طائفة : من دونهما أي أقرب منهما إلى العرش فيكونان فوقهما .

وقالت طائفة : بل معنى من دونهما تحتهما . قالوا : وهذا المنقول في لغة العرب إذا قالوا : هذا دون هذا ، أي دونه في النزلة . كما قال بعضهم لمن بالغ في مدحه : أنا دون ما تقول فوق ما في نفسك ، وفي الصحاح دون نقيض فوق وهو تقصير عن النهاية ، ثم قال : ويقال هذا دون هذا أي أقرب منه والسياق يدل على تفضيل الجنتين الأولين من عشرة أوجه :

(١) سورة الرحمن آية ٤٦ .

(٢) سورة الرحمن آية ٦٢ .

أحدهما : قوله : (ذواتا أفنان) وفيه قولان : أحدهما : أنه جمع فنن ، وهو اللين . والثاني : أنه جمع فن وهو الصنف أى ذواتا أصناف شق من الفواكه وغيرها ، ولم يذكر ذلك في اللتين بهدما .

الثاني : قوله : (فيهما عينان تجريان) وفي الآخريين (فيهما عينان نضاختان)^(١) والنضاخة : هى الفوارة والجارية السارحة وهى أحسن من الفوارة ، فإنهما تتضمن الفوران والجريان .

الثالث : أنه قال : (فيهما من كل فاكهة زوجان)^(٢) ، وفي الآخريين : (فيهما فاكهة ونخل ورمان)^(٣) ، ولا ريب أن وصف الأولين أكمل ، واختلف في هذين الزوجين بعد الاتفاق على أنهما صنفان . فقالت طائفة : الزوجان الرطب واليابس الذى لا يقصر فى فضله وجودته عن الرطب ، وهو يتمتع به كما يتمتع باليابس ، وفيه نظر لا يخفى . وقالت طائفة : الزوجان صنف معروف وصنف من شكاه غريب . وقالت طائفة : نوعان ولم تزد . والظاهر والله أعلم : أنه الحلوة والحامض والأبيض والأحمر ، وذلك لأن اختلاف أصناف الفاكهة أعجب وأشهى وألذ للمين والغم .

الرابع : أنه قال : (متسكين على فرش بطائنها من إستبرق)^(٤) ، وهذا تلبيه عن فضل الظهار وخطرهما وفي الآخريين قال : (متسكين على رفرف خضر وعبقرى حسان)^(٥) وفسر الرفرف بالمحابس والبسط ، وفسر بالفرش ، وفسر بالمحابس فوقها . وعلى كل قول فلم يصح به ما وصف به فرش الجنة الأوليين .

الخامس : أنه قال : (وجنى الجنة دان) أى قريب وسهل يتناولونه كيف شاءوا ولم يذكر ذلك فى الآخريين .

-
- (١) سورة الرحمن آية ٦٦ .
 - (٢) سورة الرحمن آية ٥٢ .
 - (٣) سورة الرحمن آية ٦٨ .
 - (٤) سورة الرحمن آية ٥٤ .
 - (٥) سورة الرحمن آية ٧٦ .

السادس : أنه قال : (فيهن قاصرات الطرف) أى قد قصرن طرفهن على أزواجهن ، فلا يرون غيرهم لرضاهن بهم وعحبتهن لهم ، وذلك يتضمن قصر أطراف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن أن ينظروا إلى غيرهن . وقال فى الآخرين : (حور مقصورات فى الخيام) ، ومن قصرت طرفها على زوجها باختيارها أكمل بمن قصرت بغيرها .

السابع : أنه وصفهن بشبه الياقوت والمرجان فى صفاء اللون وإشراقه وحسنه ، ولم يذكر ذلك فى التى بعدها .

الثامن : أنه قال سبحانه وتعالى فى الجنتين الأوليين : (دل جزاء الإحسان) وهذا يقتضى أن أصحابهما من أهل الإحسان المطلق الكمال ، فكان جزاؤهم بإحسان كامل .

التاسع : أنه بدأ بوصف الجنتين الأوليين وجملهما جزاء لمن خاف مقامه ، وهذا يدل على أنهما أعلى جزاء الخائف لمقامه ، فرتب الجزاء المذكور على الخوف ترتيب السبب على سببه ، ولما كان الخائفون على نوعين مقربين وأصحاب يمين ذكر جنى المقربين ثم ذكر جنى أصحاب اليمين .

المأثر : أنه قال : (ومن دونهما جنتان) والسياق يدل على أنه تقيض فوق . كما قال الجوهري ، فإن قيل : فكيف انقسمت هذه الجنان الأربع على من خاف مقام ربه ؟ قيل : لما كان الخائفون نوعين كما ذكرنا ، كان المقربين منهم الجنتان الماليتان ، ولأصحاب اليمين الجنتان اللتان دونهما ، قيل : فهل الجنتان لمجموع الخائفين يشتركون فيهما أم لكل واحد جنتان وهما البستانان ؟ قيل : هذا فيه قولان للمفسرين . ورجح القول الثانى بوجهين : أحدهما : من جهة النقل . والثانى : من جهة المعنى فأما الذى من جهة النقل فإن أصحاب هذا القول رووا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بستانان فى رياض الجنة » وأما الذى من

جهة المعنى فإن إحدى الجنتين جزاء أداء الأوامر . والثانية : جزاء اجتناب المحارم ،

فإن قيل : فكيف قال في ذكر النساء (فيهن) في الموضعين، ولما ذكر غيرهن قال (فيهما) ؟

قيل : لما ذكر الفرس قال بعدها : (فيهن خيرات حسان) ثم أعاده في الجنتين الأخيرتين بهذا اللفظ، ليتشاكل اللفظ والمعنى . والله أعلم .

الباب الثالث والمشرون

في خلق الرب تبارك وتعالى بعض الجنان وغرسها بيده

تفضيلاً لها على سائر الجنان

وقد اتخذ الرب تعالى من الجنان داراً اصطفاها لنفسه وخصها بالقرب من عرشه وغرسها بيده ، فهي سيدة الجنان والله سبحانه وتعالى يختار من كل نوع أعلاه وأفضله ، كما اختار من الملائكة جبريل ، ومن البشر محمداً صلى الله عليه وسلم ، ومن السموات العليا ، ومن البلاد مكة ، ومن الأشهر الحرم ، ومن الليالي ليلة القدر ، ومن الأيام يوم الجمعة ، ومن الليل وسطه ، ومن الأوقات أوقات الصلاة ، إلى غير ذلك فهو سبحانه وتعالى : (يخلق ما يشاء ويختار)^(١) .

وقال الطبراني في معجمه : حدثنا مطلب بن شعيب الأزدي ، حدثنا عبد الله ابن صالح ، حدثني الليث قال الطبراني في معجمه ، وحدثنا أبو الزبناح روح بن الفرج ، حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث عن زيادة بن محمد الأنصاري عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ينزل الله تعالى في آخر ثلاث ساعات ييقن من الليل ، فينظر الله في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ، ثم ينظر في الساعة الثانية إلى جنة عدن وهي مسكنه الذي يسكن فيه ، ولا يكون معه فيها أحد إلا الأنبياء والشهداء والصديقون ، وفيها ما لم تره عين أحد ، ولا خطر على قلب بشر ، ثم يهبط آخر ساعة من الليل فيقول : ألا مستغفر يستغفرني فأغفر له ؟ ألا سائل يسألني فأعطيه ؟ ألا داع يدعوني فأستجيب له ؟ حتى يطلع الفجر » قال تعالى : (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً)^(٢) فيشهده الله تعالى وملائكته .

(١) سورة القصص آية ٦٨ .

(٢) سورة الإسراء آية ٧٨ .

قال الحسن بن سفيان : حدثنا أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح قال : حدثني خالي عبد الرحمن بن عبد الحميد بن سالم ، حدثنا يحيى بن أيوب عن داود بن أبي هند عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله بنى الفردوس بيده وحظرها على كل مشرك وكل مدمن خمر ومتكبر » وقد ذكر الدارمي والنجار وغيرهما من حديث أبي معشر نجيح بن عبد الرحمن - متكلم فيه - عن عون بن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن أخيه عبد الله بن عبد الله عن أبيه عبد الله بن الحارث قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خلق الله ثلاثة أشياء بيده : خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس الفردوس بيده ، ثم قال : وعزتي وجلالي لا يدخلها مدمن خمر ولا اللدويث ، قالوا : يا رسول الله قد عرفنا مدمن الخمر فما اللدويث ؟ قال الذي يقر السوء في أهله » قلت : المحفوظ أنه مووف .

قال الدارمي : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا عبيد بن مهران ، حدثنا مجاهد ، قال : قال عبد الله بن عمر : « خلق الله أربعة أشياء بيده : المرش والقلم وعدن وآدم عليه السلام ، ثم قال لسائر الخلق كن فسكان » وحدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا أبو عوانة عن عطاء بن السائب عن ميسرة قال : « إن الله لم يمس شيئاً من خلقه غير ثلاث : خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس جنة عدن بيده » حدثنا محمد بن المنهال ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس عن كعب قال : « لم يخلق الله بيده غير ثلاث خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن بيده . ثم قال لها : تسكأي . قالت : قد أفلح المؤمنون » ، وقال أبو الشيخ : حدثنا أبو يعلى ، حدثنا أبو الربيع ، حدثنا يعقوب القمي ، حدثنا حفص بن حميد عن شمير بن عطية قال : « خلق الله جنة للفردوس بيده فهو يفتحها كل يوم خمس مرات ، فيقول : ازدادى طيباً لا وليأى . ازدادى حسناً لا وليأى » .

وذكر الحاكم عنه عن مجاهد قال : « إن الله تعالى غرس جنات عدن بيده فلما تكاملت أغلقت فهي تفتح في كل سحر ، فينظر الله إليها فتقول قد أفلح المؤمنون »

وذكر البيهقي من حديث البنوي حدثنا يونس بن عبيد الله البصرى ، حدثنا عدى ابن الفضل عن الحريرى عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله أحاط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة . وغرس عرشها بيده ، وقال لها تسكمنى فقالت : قد أفلح المؤمنون . فقال : طوبى لك منزل الملوك » .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا محمد بن أبي المنى البزار ، حدثنا بشير بن حسن عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خلق الله جنة عدن بيده لبنة من درة بيضاء ولبنة من ياقوتة حمراء ولبنة من زبرجدة خضراء ، بلاطها المسك وحصاؤها اللؤلؤ وحشيشها الزعفران . ثم قال لها . انطقي . قالت : قد أفلح المؤمنون . فقال الله عز وجل : ووعدتني وجلالى لا يجاورنى فيك يخيل ، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) »^(١) ، وتأمل هذه العناية كيف جعل هذه الجنة التى غرسها بيده لمن خلقه بيده ولأفضل ذريته اعتناء وتشريفاً وإظهاراً لفضل ما خلقه بيده وشرفه وميزه بذلك عن غيره . وبالله التوفيق ، فهذه الجنة فى الجنان كآدم فى نوع الحيوان .

وقد روى مسلم فى صحيحه عن المغيرة بن شعبه عن سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سأل موسى عليه السلام ربه ما أذى أهل الجنة منزلة ؟ قال : رجل يجيء بمد ما دخل أهل الجنة فيقال له : ادخل الجنة . فيقول : رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ ! فيقال له : آرضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول رضيت رب ، فيقول له : لك ذلك ومثله ومثله ومثله ، فقال فى الخامسة : رضيت رب قال رب فأعلام منزلة ؟ قال أولئك الذين أردت ، غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم ترعين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخظر على قلب بشر » ومصداقه من كتاب الله : (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين)^(٢) .

(١) سورة الحجر آية ٩

(٢) سورة السجدة آية ١٧

الباب الرابع والعشرون

ذكر بوابي الجنة وخزنتها واسم مقدمهم ورئيسهم

قال تعالى : (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً ، حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم) (١) والخزنة جمع خازن مثل حفظة وحافظ وهو المؤمن على الشيء الذي قد استحفظه .

وروى مسلم في صحيحه من حديث سليمان بن العميرة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول محمد ، فيقول : بلى ، أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك » .

وقد تقدم حديث أبي هريرة المتفق عليه : « من أتق زوجين في سبيل الله دعاه خزنة الجنة كل خزنة باب أى فهم . قال أبو بكر : يا رسول الله ذاك الذي لا توى عليه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إني لأرجو أن تكون منهم » وفي لفظ « هل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ قال نعم . وأرجو أن تكون منهم » .

لما سمعت همة الصديق إلى تكميل مراتب الإيمان . وطمعت نفسه أن يدعى من تلك الأبواب كلها ، سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يحصل ذلك لأحد من الناس ليسمى في العمل الذي ينال به ذلك ، فخره بحصوله وبشره بأنه من أهله . وكأنيقال : هل تكمل لأحد هذه المراتب فيدعى يوم القيامة من أبوابها كلها ؟

فله ما أعلی هذه الهمة وأكبر هذه النفس . قد سمى الله سبحانه وتعالى كبير هذه الخزنة رضوان . وهو اسم مشتق من الرضا وسمى خازن النار مالكا وهو اسم مشتق من الملك ، وهو القوة والشدة حيث تصرفت حروفه .

الباب الخامس والعشرون

في ذكر أول من يقرع باب الجنة

وقد تقدم من حديث أنس ورواه الطبراني زيادة فيه قال : « فيقوم الخازن فيقول لا أفتح لأحد قبلك ، ولا أقوم لأحد بمدك » وذلك أن قيامه إليه صلى الله عليه وسلم خاصة إظهاراً لمزيتته ورتبته ولا يقوم في خدمة أحد بعده بل خزنة الجنة يقومون في خدمته ، وهو كمالك عليهم ، وقد أقامه الله في خدمة عبده ورسوله حتى مشى إليه وفتح له الباب .

وقد روى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه ، عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أنا أول من يفتح الجنة إلا أن امرأة تبادرنى فأقول لها مالك ومن أنت ؟ فتقول : أنا امرأة قصدت طي يتامى » .

وفي الترمذى من حديث ابن عباس قال : « جلس ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال : فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم : عجيباً إن لله من خلقه خليلاً اتخذ إبراهيم خليلاً ، وقال آخر : ما ذلك بأعجب من كلمه موسى كلمه تسكيباً .

وقال آخر : فيسبى كلمة الله وروحه ، وقال آخر : آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال : « سمعت كلامكم وعجبكم إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك ، وموسى نبي الله وهو كذلك ، وعيسى روحه وكنته وهو كذلك ، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر ، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر ، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من يترك حلقة الجنة فيفتح لي فأدخلها ، ومعنى فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر » .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أول الناس

خروجاً إذا بشوا وأنا خطيهم إذا أنصتوا، وقائدهم إذا وفدوا ، وشافهم إذا
 حبسوا ، وأنا مبشرهم إذا أيسوا ، لواء الحمد بيدي ، ومفاتيح الجنة يومئذ بيدي ،
 وأنا أكرم ولد آدم يومئذ على ربي ولا نخر ، يطوف على ألف خادم كأنهم الأوائل
 المسكنون » ، رواه الترمذي والبيهقي والألفظ له .

وفي صحيح مسلم من حديث المختار بن فلفل عن أنس قال : قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : « أنا أكثر الناس تبعاً يوم القيامة ، وأنا أول من يقرع
 باب الجنة » .

الباب السادس والمشرون

في ذكر أول الامم دخولا الجنة

وفي الصحيحين من حديث ممام بن عنبة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن السابقون الاولون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم » أى لم يسبقونا إلا بهذا القدر ، فمنه بيد من سوي وغير إلا ونحوها ،

وفي صحيح مسلم من حديث أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن الآخرون الاولون يوم القيامة ، ونحن أول من يدخل الجنة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم ، فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه » .

وفي الصحيحين من حديث طاوس عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « نحن الآخرون الاولون يوم القيامة ، نحن أول الناس دخولا الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم » .

وروى الدارقطني من حديث زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الجنة حُرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها ، وحُرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي » قال الدارقطني : غريب عن الزهري ولا أعلم روى عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الزهري غير هذا الحديث ، ولا رواه إلا عمرو بن أبي سلمة عن زهير .

فهذه الأمة أسبق الأمم خروجاً من الأرض وأسبغهم إلى أعلى مكان في الموقف ، وأسبغهم إلى ظل العرش ، وأسبغهم إلى الفضل والقضاء بينهم ، وأسبغهم إلى الجواز

على الصراط ، وأسبغهم إلى دخول الجنة ، فالجنة محرمة على الأنبياء حتى يدخلها محمد صلى الله عليه وسلم ، ومحرمة على الأمم حتى تدخلها أمته .

وأما أول الأمة دخولا فقال أبو داود في سننه : حدثنا هناد بن السرى عن عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن عبد السلام بن حرب عن أبي خالد الدالاني عن أبي خالد مولى آل جمعة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتاني جبريل فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمق فقال أبو بكر : يا رسول الله ، وددت أني كنت معك حتى أنظر إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمق » وقوله : « وددت أني كنت معك » حرصاً منه على زيادة اليقين ، وأن يصير الخبر عياناً . كما قال إبراهيم الخليل (رب أرني كيف تحيي الموتى ، قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) (١) ، وأما الحديث الذي رواه ابن ماجه في سننه : حدثنا إسماعيل بن عمر الطلحي ، أنبأنا داود بن عطاء المديني عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سميد بن المسيب عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول من يصاحفه الحق عمر ، وأول من يسلم عليه وأول من يأخذ بيده فيدخله الجنة » فهو حديث منكر جداً ، قال الإمام أحمد : داود بن عطاء ليس بشيء ، وقال البخاري : منكر الحديث .

الباب السابع والعشرون

في ذكر السابقين من هذه الأمة إلى الجنة وصفهم

في الصحيحين من حديث همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول زمرة تاج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يصفقون فيها ولا يتفوطون فيها ولا يتمخطون فيها آنتهم وأمشاطهم الذهب والفضة ، ومجامرهم الآلوة ، ورشحهم المسك ، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن ، لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم على قلب رجل واحد ، يسبحون الله بكرة وعشياً » .

وفي الصحيحين أيضاً من حديث أبي زرعة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين يلونهم على أشد كوكب درى في السماء إضاءة لا يبولون ولا يتفوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون ، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الآلوة ، وأزواجهم الحور العين ، أخلاقهم على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء » .

وروى شعبة بن قيس عن حبيب عن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الحامدون الذين يحمدون الله في السراء والضراء » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا هشام الدستوائى عن يحيى بن أبي كثير عن عامر العقيلي عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عرض على أول ثلاثة من أمق يدخلون الجنة وأول ثلاثة

يدخلون النار ، فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة : فالشهيد وعبد مملوك لم يشغله رق الدنيا عن طاعة ربه ، وفقير متعفف ذو عيال ، وأول ثلاثة يدخلون النار : فأمر مسلط ، وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله من ماله ، وفقير فخور .

وروى الإمام أحمد في مسنده والطبراني في معجمه واللفظ له من حديث أبي عشابة الماعري أنه سمع عبدالله بن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل تدرسون أول من يدخل الجنة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فقراء المهاجرين الذين اتقى بهم المسكاره ، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء ، تقول الملائكة : ربنا نحن ملائكتك وخزنتك وسكان سمواتك لا تدخلهم الجنة قبلنا ، فيقول : عبادي لا يشركون بي شيئاً اتقى بهم المسكاره ، يموت أحدهم وحاجته في صدره لم يستطيع لها قضاء ، فعند ذلك تدخل عليهم الملائكة من كل باب ، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار . »

ولما ذكر الله تعالى أصناف بني آدم سعيدهم وشقيهم ، قسم سعيدهم إلى قسمين سابقين وأصحاب يمين فقال : « والسابقون السابقون » واختاف في تقريرها على ثلاثة أقوال : أحدها : أنه من باب التوكيد اللفظي ويكون الخبر قوله : « أولئك المقربون » - والثاني : أن يكون السابقون الأول مبتدأ والثاني خبر له على حد قولك : زيد أي زيد الذي سمعت به هو زيد كما قال :

وكقول الآخر :

* أنا أبو النجم وشعري شعري *

* إذ الناس ناس والزمان زمان *

قال ابن عطية : وهذا قول سيديويه ، والثالث : أن يكون الأول غير الثاني ، ويكون للمعنى السابقون في الدنيا إلى الخيرات هم السابقون يوم القيامة إلى الجنات ، والسابقون إلى الإيمان هم السابقون إلى الجنان ، وهذا أظهر ، والله أعلم .

فإن قيل : فما تقول في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي وصححه

من حديث بريدة بن الحصيب قال : « أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بلالا فقال : بلال ، بم سبقتني إلى الجنة فما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي . ودخلت البارحة فسمعت خشخشتك أمامي ، فأنت قصر مربع مشرف من ذهب ، فقلت : لمن هذا القصر ؟ قالوا : لرجل من أمة محمد ، قلت : أنا محمد . لمن هذا القصر ؟ قالوا لعمر بن الخطاب ، فقال بلال : يا رسول الله ما أذنت قط إلا وصلت ركعتين ، وما أصابني حدث قط إلا توضأت عندها ورأيت أن الله على ركعتين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فبذلك »

قيل : تتلقاه بالقبول والتصديق ، ولا يدل على أن أحداً يسبق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجنة ، وأما تقدم بلال بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتقدم دخوله بين يديه كالحاجب والخادم .

وقد روى في حديث : « أن النبي صلى الله عليه وسلم يبعث يوم القيامة وبلال بين يديه ينادى بالأذان » فتقدمه بين يديه صلى الله عليه وسلم كرامة لرسوله ، وإظهاراً لشرفه وفضله ، ولا سبقاً من بلال له ، بل هذا سبق من جنس سبقه إلى الوضوء ، ودخول المسجد ونحوه . والله أعلم .

الباب الثامن والمشرون

في سبق الفقراء الأغنياء إلى الجنة

قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم ، وهو خمسمائة عام » وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ورجال إسناده احتج بهم مسلم في صحيحه .

وروى الترمذي من حديث ابن عباس الدورى عن المقبرى عن سعيد ابن أبى أيوب عن عمرو بن جابر الحضرمى عن جابر بن عبدالله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يدخل فقراء أمتى الجنة قبل الأغنياء بأربعمين خريفاً » .

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء بأربعمين خريفاً » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا دويد عن سليم بن بشير عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « التقى مؤمنان على باب الجنة ، مؤمن غنى ومؤمن فقير كانا في الدنيا ، فأدخل الفقير الجنة وحبس الغنى ماشاء الله أن يحبس ، ثم أدخل الجنة فلقبه الفقير فقال : أى أخى ، وماذا حبسك ؟ والله لقد احتبست حتى خفت عليك ، فيقول : أى أخى ، وإنى حبست بمدك محبساً فظيماً كريهاً ، ما وصلت إليك حتى سال من العرق ، ما لو ورده ألف بعير كلها أكلة حمض لصدرت عنه » .

وقال الطبرانى : حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمى وعلى بن عبدالله الرازى قالوا : حدثنا على بن مهران المطار ، حدثنا عن الملك بن أبى كريمة عن سفيان الثورى عن محمد بن زيد عن أبى حازم عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم ، وذلك خمسمائة عام » وذكر الحديث بطوله .

والذى فى الصحيح أن سبقهم لهم بأربعين خريفاً . فإما أن يكون هو المحفوظ ، وإما أن يكون كلاهما محفوظاً ، وتختلف مدة السبق بحسب أحوال الفقراء والأغنياء ، فمنهم من سبق بخمسمائة كما يتأخر مكث العصاة من الموحدين فى النار بحسب أحوالهم . والله أعلم .

ولكن هنا أمر يجب التنبيه عليه ، وهو أنه لا يلزم من سبقهم لهم فى الدخول ارتفاع منازلهم عليهم ، بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة ، وإن سبقه غيره فى الدخول ، والدليل على هذا أن من الأمة من يدخل الجنة بغير حساب ، وهم السبعمون ألفاً ، وقد يكون بمض من يحاسب أفضل من أكثرهم ، والنفى إذا حوسب على غناه فوجد قد شكر الله تعالى فيه وتقرب إليه بأنواع البر والخير والصدقة والمعروف كان أعلى درجة من الفقير الذى سبقه فى الدخول ، ولم يكن له تلك الأعمال ، ولا سيما إذا شاركه النفى فى أعماله وزاد عليه فيها . والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

فالمزية مزيتان ، مزية سبق ، ومزية رفعة ، وقد يجتمعان وينفردان ، فيحصل لواحد السبق والرفعة ، ويعدمهما آخر ، ويحصل لآخر السبق دون الرفعة . ولآخر الرفعة دون السبق ، وهذا بحسب مقتضى الأمرين أو لاحدهما وعدمه ، وبالله التوفيق .

الباب التاسع والعشرون

في ذكر أصناف أهل الجنة الذي ضمنت لهم دون غيرهم

قال تعالى : (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم ، وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الفيض والمافين عن الناس والله يحب المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) (١) .

فأخبر أنه أعد الجنة للمتقين دون غيرهم ، ثم ذكر أوصاف المتقين فذكر بذلهم للإحسان في حالة العسر واليسر والشدة والرخاء ، فإن الناس من يبذل في حال اليسر والرخاء ، ولا يبذل في حال العسر والشدة ، ثم ذكر كيف أذاهم عن الناس بحبس الفيض بالكظم ، وحبس الانتقام بالمغو . ثم ذكر حالهم بينهم وبين ربهم في ذنوبهم ، وأنها إذا صدرت منهم قابلوها بذكر الله والتوبة والاستغفار وترك الإصرار ، فهذا حالهم مع الله وذاك حالهم مع خلقه ، وقال تعالى : (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم) (٢) ، فأخبر تعالى أنه أعدها للمهاجرين والأنصار وأتباعهم بإحسان ، فلا مطعم لمن خرج عن طريقته فيها . وقال تعالى : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقومون الصلاة ومارزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) (٣)

فوصفهم بإقامة حقه باطناً وظاهراً ، وبأداء حق عباده .

(١) سورة آل عمران الآيات ١٣٣ - ١٣٦ .

(٢) سورة التوبة آية ١٠٠ .

(٣) سورة الأنفال الآيات ٢ - ٤ .

وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « ولما كان يوم حنين
أقبل نفر من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : فلان شهيد وفلان شهيد وفلان
شهيد ، حتى مروا على رجل فقالوا : فلان شهيد ، فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : كلا إني رأيت في النار في بردة غلها أو عباءة ، ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : يا ابن الخطاب ، إذهب فناد في الناس إنه لا يدخل الجنة إلا
للمؤمنون ، قال : فخرجت فناديت إنه لا يدخل الجنة إلا للمؤمنون » وللبخارى
ممناء .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر
بالأنا ينادى في الناس : « إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة » وفي بعض طرقه
ومؤمنة ، وفي الحديث قصة .

وفي صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار الجاشعي أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ذات يوم في خطبته : « ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهنم
تعالمني من يومى هذا ، كل مال نخاتته عبدا حلال ، وإني خلقت عبادة حنفاء
كلهم وإنهم أنتم الشياطين فاجتالتم عن دينهم فخرمت عليهم ما أحلت لهم ، وأمرتهم
أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً ، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عرهم
وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب . وقال : إنما بمشك لا بتليك وأبتلى بك .
وأزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرأه نائماً ويقظان . وإن الله أمرني أن أحرق
قريشاً ، فقلت : رب إذا يئسوا راسى فيدعوه خبزة ، قال استخرجهم كما أخرجوك
وأغزهم نمنك ، وانفق فسينفق عليك وابعث جيشاً نبعت خمسة مثله ، وقاتل بمن
أطاعك من عصاك ، وقال وأهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق موفق ،
ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال ، وأهل
النار خمسة : الضعيف الذى لا زبر له الدين هم فيكم تبماً لا يبنون فيكم أهلاً
ولا مالا ، والخنزير الذى لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانته ، ورجل لا يصبر ولا يمسى
إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك ، وذكر البخل . أو الكذب والشنظير
الفحاش ، وإن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد ، ولا يبنى أحد
على أحد » .

وفي الصحيحين من حديث حارثة بن وهب قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « ألا أخبركم بأهل الجنة ، كل ضيف متضعف لو أفسم على الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ متكبر » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا علي بن إسحاق قال : أنبأنا عبدالله ، أنبأنا موسى ابن علي بن رباح قال : سمعت أبي يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن أهل النار كل جمظري جواظ متكبر جماع مناع ، وأهل الجنة الضمفاء الملووبون » .

وذكر خلف بن خليفة عن أبي هاشم عن سميد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة : النبي في الجنة ، والصديق في الجنة ، والشهيد في الجنة ، والرجل يزور أخاه في ناحية المعمر لا يزوره إلا لله في الجنة . ونساءكم من أهل الجنة : الودود الولود التي إذا غضب أو غضبت جاءت حتى تضع يدها في بدزوجهما ثم تقول : لا أذوق غمضاً حتى ترضى » أخرج النسائي من هذا الحديث فضل النساء خاصة وباقى الحديث على شرطه .

وروى الإمام أحمد في مسنده بإسناد صحيح عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن أهل النار كل جمظري جواظ متكبر جماع مناع ، وأهل الجنة الضمفاء الملووبون » .

وقال ابن ماجه في سننه : حدثنا محمد بن يحيى وزيد بن أكرم قالوا : أنبأنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا أبو هلال الرايسى ، حدثنا عقبه بن أبي ثبيت الراسى عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أهل الجنة من ملاء أذنيه من ثناء الناس خيراً وهو يسمع ، وأهل النار من ملاء أذنيه من ثناء الناس شراً وهو يسمع » .

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال : « مر بجنابة فأنى عليها خير ، فقال نبي الله وجبت وجبت وجبت ، ومر بجنابة فأنى عليها شراً فقال : وجبت وجبت وجبت ، فقال عمر : فذاك أبي وأمي ، مر بجنابة فأنى عليها خير فقلت : وجبت وجبت وجبت » .

وجبت : ومر بمجازة فأثني عليها شر ، فقلت : وجبت وجبت وجبت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أثنتم عليه خيراً وجبت له الجنة ، ومن أثنتم عليه شراً وجبت له النار ، وأنتم شهداء الله في الأرض .

وفي الحديث الآخر : « يوشك أن تملوا أهل الجنة من أهل النار ، قالوا : كيف يا رسول الله ؟ قال : بالثناء الحسن وبالثناء السيء » وبالجملة فأهل الجنة أربعة أصناف ، ذكرهم الله سبحانه وتعالى في قوله : (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا)^(١) فنسأل الله أن يجعلنا منهم بمنه وكرمه .

الباب الثلاثون

في أن أكثر أهل الجنة هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة ؟ فكبرنا ، ثم قال : أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟ فكبرنا ، ثم قال : إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ، وسأخبركم عن ذلك ، ما المسلمون في الكفار إلا كشعرة بيضاء في نور أسود أو كشعرة سوداء في نور أبيض » هذا لفظ مسلم .

وعند البخاري : « وكشعرة سوداء في نور أبيض » بغير ألف .

وعن بريدة بن الحصيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أهل الجنة عشرون ومائة صف هذه الأمة منها ثمانون صفاً » رواه الإمام أحمد والترمذي ، وإسناده على شرط الصحيح ، ورواه الطبراني في معجمه من حديث عبد الله بن عباس ، وفي إسناده خالد بن يزيد البجلي .

وقد تكلم فيه ورواه أيضا من حديث القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كيف أتم ربع الجنة لكم ، ولسائر الناس ثلاثة أرباعها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : كيف أتم وثلاثها ؟ قالوا : ذلك أكثر ، قال : كيف والشطر لكم ؟ قالوا : ذلك أكثر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أهل الجنة عشرون ومائة صف لكم منها ثمانون صفاً » قال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن القاسم بن عبد الرحمن ، إلا الحارث بن خزيمة تفرد به عبد الواحد بن زياد .

وقال عبد الله بن أحمد : حدثنا موسى بن غيلان بن هاشم بن غنم ، حدثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن أبي عمرو عن أبي هريرة قال : « لما نزلت (ثلثة من الأولين

وثلة من الآخرين) (١). قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتم ربع أهل الجنة ،
 أتم ثلث أهل الجنة ، أتم نصف أهل الجنة . أتم ثلثاً أهل الجنة « قال الطبراني :
 تفرد برفعه ابن المبارك عن الثوري .

وقال خزيمة بن سليمان القرشي : حدثنا أبو قلابة هو عبد الملك بن محمد بن بكار
 الصيرفي ، حدثنا حماد بن عيسى ، حدثنا سفيان الثوري عن بهز بن حكيم عن أبيه
 عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أهل الجنة عشرون ومائة صف أتم منها
 ثمانون صفاً » وهذه الأحاديث قد تعددت طرقها واختلفت مخارجها وصح سند بعضها
 ولا تنافي بينها وبين حديث الشطر ، لأنه صلى الله عليه وسلم رجا أولاً أن يكونوا
 شطر أهل الجنة ، فأعطاء الله سبحانه رجاءه ، وزاد عليه سدساً آخر .

وقد روى أحمد في مسنده من حديث أبي الزبير أنه سمع جابراً يقول : سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أرجو أن يكون من يتبعني من أمم القيامة
 ربع أهل الجنة » قال : فكبرنا ، ثم قال : فأرجو أن تكونوا الشطر « وإسناده
 على شرط مسلم .

الباب الحادى والثلاثون

فى أن النساء فى الجنة أكثر من الرجال وكذلك هم فى النار

ثبت فى الصحيحين من حديث أبوب عن محمد بن سيرين قال : « أما تفاخروا وأما تذاكروا الرجال أكثر فى الجنة أم النساء ؟ فقال أبو هريرة : ألم يقل أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والى نيلها على أضواء كوكب درى فى السماء لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مع سوقهما من وراء اللحم » ، وما فى الجنة عذب ، فإن كن من نساء الدنيا فالنساء فى الدنيا أكثر من الرجال ، وإن كن من الحور العين لم يلزم أن يكن فى الدنيا أكثر .

والظاهر أنهم من الحور العين لما رواه الإمام أحمد : حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا يونس عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : « للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين على كل واحدة سبعون حلة يرى مع ساقها من وراء الثياب » .

فإن قيل : فكيف تجمعون بين هذا الحديث وبين حديث جابر المتفق عليه : شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العيد صلى قبل أن يخطب بغير أذان ولا إقامة ، ثم خطب بمد ما صلى فوعظ الناس وذكرهم ، ثم أتى النساء فوعظهن ومعه بلال فذكرهن وأمرهن بالصدقة . قال : فجاءت المرأة تلقى خاتمها ، وخرصها والشئ كذلك ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بلالا فجمع ما هناك ، قال : إن منكن فى الجنة ليسير ، فقالت امرأة : يا رسول الله ، لم ؟ قال : إنكن تكثرن اللعن ، وتكفرن العشير .

وفى الحديث الآخر : « إن أقل ساكنى الجنة النساء » .

قيل : هذا يدل على أنهم إنما كن فى الجنة أكثر بالحور العين التى

خلقن في الجنة وأقل ساكنيها نساء الدنيا ، ففساء الدنيا أقل أهل الجنة ، وأكثر أهل النار .

وأما كونهن أكثر أهل النار ، فلما روى البخاري في صحيحه من حديث عمران بن حصين قال : بانق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اطلمت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء ، واطلمت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء »

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اطلمت في الجنة فرأيت أكثر أهلها من الفقراء ، واطلمت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء » .

وروى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اطلمت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء ، واطلمت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء »

وفي المسند أيضاً من حديث عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اطلمت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطلمت في النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء » .

وفي الصحيح من حديث ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يامعشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار ، فإني رأيتكن أكثر أهل النار ، فقالت امرأة منهن خذلة : وما لنا يارسول الله أكثر أهل النار ؟ قال : تكثرن اللعن ، وتكفرن المشير ، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لدى لب منكسن ، قالت : يارسول الله وما نقصان العقل والدين ؟ قال : أمانقصان العقل فشهادة امرأتين تمدل بشهادة رجل ، فهذا نقصان العقل ، وعمكث الأيام لا تصلى وتفطر ، فهذا نقصان الدين »

وأما كونهن أقل أهل الجنة ، ففي أفراد مسلم عن مطرف بن عبد الله : أنه

كانت له امرأتان ، فجاء من عند إحداهما ، فقالت الأخرى جئت من عند فلانة ، فقال : جئت من عند عمران بن حصين ، فحدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أقل ساكني الجنة النساء » .

فإن قيل : فما تضمنون بالحديث الذي رواه أبو يعلى الموصلي ، حدثنا عمرو بن الضحاك بن مخلد ، حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد ، حدثنا أبو رافع إسماعيل ابن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي عن رجل من الأنصار عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في طائفة من أصحابه ، نذكر حديثاً طويلاً وفيه : « فيدخل الرجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشئ الله تعالى ، وثنتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله ، بمبادتهما الله في الدنيا » وذكر الحديث .

قيل : هذا قطعة من حديث الصور الطويل ولا يعرف إلا من حديث إسماعيل ابن رافع ، وقد ضمنه أحمد ويحيى وجماعة ، وقال الدارقطني وغيره : متروك الحديث . وقال ابن عدي : أحاديثه كلها مما فيه نظر .

وأما البخاري فقال فيه ما حكاه الترمذي عنه قال : سمعت محمدًا يقول فيه : هو ثقة مقارب الحديث .

قلت : ولكن إذا روى مثل هذا ما يخالف الأحاديث الصحيحة لم يلتفت إلى روايته ، وأيضاً فالرجل الذي روى عنه القرظي لا يدري من هو ؟ .

وقد روى عنه أحمد في مسنده من حديث عمارة بن خزيمة بن ثابت قال : كنا مع عمرو بن العاص في حج أو عمرة حتى إذا كنا بمر الظهران فإذا امرأة في هودجها . قال : فما لدخل الشهب فدخلنا معه فقال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المكان ، فإذا نحن بفرسان كثيرة فيها غراب أعصم أحمر المنقار والرجلين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة من النساء إلا مثل هذا الغراب في هذه الغرابان » والأعصم من الغرابان الذي في جناحه

ريشة بيضاء ، قال الجوهري : ويقال هذا كقولهم : الأبلق المقوق ، وبيض
الأنوق ، لسكل شيء يمز وجوده .

وفي النهاية : الغراب الأعمم هو الأبيض الجناحين ، وقيل الأبيض الرجل ،
أراد قلة من يدخل الجنة من النساء ، لأن هذا الوصف في الغرابان قليل عزيز .

وفي حديث آخر : « المرأة الصالحة مثل الغراب الأعمم . قيل : وما الغراب
الأعمم يا رسول الله ؟ قال : الذي إحدى رجليه بيضاء »

وفي حديث آخر : « عائشة في النساء ، كالغراب الأعمم في الغرابان » .

الباب الثاني والثلاثون

فيمن يدخل الجنة من هذه الامة بغير حساب وذكر اوصافهم

ثبت في الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يدخل الجنة من أمي زمرة هم سبعمون ألفاً تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر ، فقام عكاشة بن محصن الأسدي يرفع نمرة عليه ، فقال : يارسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اجعله منهم ، فقام رجل من الأنصار فقال : يارسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : سبقك بها عكاشة . »

وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليدخلن الجنة من أمي سبعمون ألفاً بغير حساب أو سبعمائة ألف آخذ بعضهم بيض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة ، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر » فهذه هي الزمرة الأولى ، وهم يدخلونها بغير حساب .

والدليل عليه ما ثبت في الصحيحين والسياق لسلم ، حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا هشام ، أنبأنا خفيف بن عبد الرحمن قال : كنت عند سعيد بن جبير فقال : « أيكم الذي رأى الكوكب الذي انقض البارحة ؟ قلت : أنا ، ثم قلت : أما إنني لم أكن في صلاة ولكني لدغت . قال : فما صنعت ؟ قلت : استرقت . قال : فما حملك على ذلك ؟ قلت : حديث حدثناه الشعبي . قال : وما حدثكم الشعبي ؟ قلت : حدثنا عن بريدة بن الحصيب الأسلمي أنه قال : لا رقية إلا من عين أو حمة ، فقال : قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عرضت على الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط ، والنبي معه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد ، ورفع إلى سواد عظيم فظننت أنهم أمي فقبل لي : هذا موسى وقومه ، ولكن انظر إلى الأفق ، فنظرت ، فإذا سواد عظيم ، فقبل لي : هذه أمتك ومعهم سبعمون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، ثم نهض (٩ - حادي الأرواح)

فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، فقال بعضهم : لعلمهم الذين يحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال بعضهم : فلعلمهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً وذكروا أشياء ، فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما الذى تخوضون فيه ؟ فأخبروه ، فقال : هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ، ولا يتطهرون وعلى ربهم يتوكلون ، فقام عكاشة بن محصن فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : أنت منهم ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : سبقك بها عكاشة ، وليس عند البخارى لا يرقون .

قال شيخنا وهو الصواب ، وهذه اللفظة وقعت مقحمة في الحديث ، وهى غلط من بعض الرواة ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الوصف الذى يستحق به هؤلاء دخول الجنة بغير حساب ، وهو تحقيق التوحيد وتجريده فلا يسألون غيرهم أن يرقهم ، ولا يتطهرون ، وعلى ربهم يتوكلون ، والطيرة نوع من الشرك ويتوكلون على الله وحده لا على غيرهم ، وتركهم الاسترقاء والتطير هو من تمام التوكل على الله كما في الحديث « الطيرة شرك » .

قال ابن مسعود : وما منا إلا من تطير ، ولكن الله يذهبه بالتوكل ، فالتوكل ينفي التطير ، وأما رقية العين ، فهى إحسان من الراقى قد رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل وأذن في الرقى وقال لا بأس بها ما لم يكن فيها شرك ، واستأذنه فيها فقال : « من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه » ، وهذا يدل على أنها نفع وإحسان ، وذلك مستحب مطلوب لله ورسوله ، فالراقى عسنى والمسترقى سائل راج نفع الغير والتوكل ينفي ذلك .

فإن قيل : فمأشئة قد رقت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل قد رقاها ، أجل ، ولكن هو لم يسترق ، وهو صلى الله عليه وسلم لم يقل : ولا يرقهم راق ، وإنما قال : لا يطلبون من أحد أن يرقهم ، وفي امتناعه صلى الله عليه وسلم أن يدعو للرجل الثانى سد لباب الطلب ، فإنه لو دعا لكل من سأله ذلك فربما طلبه من ليس من أهله . والله أعلم .

وفي صحيح مسلم من حديث محمد بن سيرين عن عمران بن حصين قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يدخل الجنة من أمق سبعون ألفاً بغير حساب ولا عذاب ، قيل : ومن هم ؟ قال : هم الذين لا يكتون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون » .

وفي صحيحه أيضاً من حديث ابن الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله قال : « سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يذكر حديثاً طويلاً ، وفيه فتنحو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفاً لا يحاسبون ، ثم الذين يلونهم كأضواء نجوم في السماء ، ثم كذلك » ، وذكر تمام الحديث .

وقال أحمد بن منيع في مسنده : حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز ، حدثنا حماد عن عاصم عن زر عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عرضت على الأمم بالموسم فتراءيت على أمق ثم رأيتم فأعجبت كثيرتهم ، وهيتهم قد ملؤا السهل والجبل ، فقال : إن مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب . وهم الذين لا يسترقون ، ولا يكتون ، وعلى ربهم يتوكلون ، فقام عكاشة بن محصن فقال : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلهم منهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت منهم ، فقام رجل آخر ، فقال : سبقك بها عكاشة » ، وإسناده على شرط مسلم ،

الباب الثالث والثلاثون

في ذكر حثيات الرب تبارك وتعالى الذين يدخلهم الجنة

قال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا إسماعيل بن عياش عن محمد بن زياد قال : سمعت أبا أمامة الباهلي يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمي سبعين ألفاً بغير حساب ، مع كل ألف سبعون ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب وثلاث حثيات من حثيات ربي » .

قلت : وإسماعيل بن عياش إنما يخاف من تدليسه وضمفه ، فأما تدليسه فقد قال الطبراني : حدثنا أحمد بن المولى الدمشقي والحسين بن إسحاق التستري قالا : حدثنا هشام بن عمار قال : حدثنا إسماعيل بن عياش قال : أخبرني محمد بن زياد الإلهاني قال : سمعت أبا أمامة فذكره ، وأما ضمه وإنما هو في غير حديث الشاميين ، وهذا من روايته عن الشاميين ، وأيضاً فقد جاء من غير طريقه .

قال أبو بكر بن أبي عاصم : حدثنا دحيم ، حدثنا الوليد بن مسام ، حدثنا صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر عن أبي الجيان الهوزني عن أبي أمامة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله وعدني أن يدخل الجنة من أمي سبعين ألفاً بغير حساب ، قال يزيد ابن الأختس : والله ما أولئك في أمتك يا رسول الله إلا مثل الثباب الأصفر في الذباب ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فإن الله وعدني سبعين ألفاً مع كل ألف سبعون ألفاً وزاد في ثلاث حثيات » .

قال أبو عبد الله القدسي أبو الجيان اسمه عامر بن عبد الله بن لحي ودحيم لقب واسمه عبد الرحمن بن إبراهيم القاضي شيخ البخاري ، ومن فوجه إلى أبي أمامة من رجال الصحيح إلا الهوزني . وما عدت فيه جرحاً :

قال الطبراني : حدثنا أحمد بن خلود ، حدثنا أبو توبة ، حدثنا معاوية بن

سلام عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول : حدثني عامر بن يزيد البسكالي أنه سمع عتبة بن عبد السلمي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن ربي عز وجل وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب ، ثم يشفع كل ألف لسبعين ألفاً ، ثم يحثي ربي تبارك وتعالى بكفيه ثلاث حثيات ، فكبر عمر ، وقال : إن السبعين الأول يشفعهم الله في آباءهم وأبنائهم وعشائرهم وأرجو أن يحملني الله في إحدى الحثيات الأواخر » قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد : لأعلم لهذا الإسناد علة .

قال الطبراني : وحدثنا أحمد بن خالد ، حدثنا أبو توبة ، حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول : حدثني عبد الله بن عامر بن قيس الكندي أن أبا سعيد الأنباري حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن ربي عز وجل وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب ويشفع كل ألف لسبعين ألفاً ، ثم يحثي ربي ثلاث حثيات بكفيه ، قال ابن قيس : فقلت لأبي سعيد : أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم بأذني ووعاء قلبي ، قال أبو سعيد : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وذلك إن شاء الله يستوعب مهاجري أمي ، ويوفى الله عز وجل بقيته من أعرابنا » قال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن أبي سعيد الأنباري إلا بهذا الإسناد وتفرد به معاوية ابن سلام . وقد رواه محمد بن سهل بن عسكر عن أبي توبة الربيع بن نافع بإسناده ، وفيه قال أبو سعيد : « حسب ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ أربعمائة ألف ألف وتسعمائة ألف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن ذلك يستوعب إن شاء الله مهاجري أمي » .

قال الطبراني : حدثنا محمد بن صالح بن الوليد الترسى ، ومحمد بن يحيى بن منده الأصهباني قالا : أخبرنا أبو حفص عمرو بن علي ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثني أبي عن قتادة عن أبي بكر بن أنس عن أبي بكر بن عمير عن أبيه أن

النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله وعدني أن يدخل من أمقي ثلاثمائة ألف الجنة ، فقال عمير : يا رسول الله ، زدنا فقال : هكذا بيده ، فقال عمير : يا رسول الله ، زدنا ، فقال عمر : حسبك يا عمير ، فقال : مالنا ولك يا ابن الخطاب ، وما عليك أن يدخلنا الله الجنة ، فقال عمر : إن الله عز وجل إن شاء أدخل الناس الجنة بمحنة أو بحمية واحدة ، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : صدق عمر » قال محمد بن عبد الواحد : لا أعرف لعمير حديثاً غيره .

وفي الخلية من حديث سليمان بن حرب ، حدثنا أبو هلال عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « وعدني ربي عز وجل أن يدخل من أمقي الجنة مائة ألف ، فقال أبو بكر : يا رسول الله زدنا ، قال : وهكذا وأشار سليمان حرب بيده كذلك قال : يا رسول الله زدنا ، فقال عمر : إن قادر أن يدخل الناس الجنة بمحنة واحدة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق عمر » رواه عنه أبو إبراهيم بن المهيم البلدي ، وفيه ضعف تفرد به ، أبو هلال الراسبي بصري واسمه محمد بن سليمان .

وقال عبد الرزاق : أنبأنا معمر عن قتادة عن النضر بن أنس عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله وعدني أن يدخل الجنة من أمقي أربعمائة ألف ، قال أبو بكر : زدنا يا رسول الله ، قال : وهكذا وجمع بين يديه قال : زدنا يا رسول الله قال وهكذا ، فقال عمر حسبك يا أبا بكر فقال أبو بكر : دعني وما عليك أن يدخلنا الجنة كلنا ! ! فقال عمر : إن شاء الله أدخل خلقه الجنة واحد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : صدق عمر » تفرد به عبد الرزاق .

وقال أبو يعلى الموصلي في مسنده : حدثنا محمد بن أبي بكر ، حدثنا عبد القاهر ابن السري السلمي ، حدثنا حميد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يدخل الجنة من أمقي سبعون ألفاً قالوا : زدنا يا رسول فقال : وهكذا وحتى بيده ، قالوا : يا نبي الله ، أبعد الله من دخل النار بعد هذا » قال محمد بن عبد الواحد

لا أعلمه ، روى عن أنس بهذا الطريق ، وسئل يحيى بن معين عن عبد القاهر فقال :
 صالح ، وأصحاب هذه الحثيات هم الذين وقموا في قبضته الأولى سبحانه يوم القبضتين .

فإن قيل : فكيف كانوا أولاً قبضة واحدة ثم صاروا ثلاث حثيات مع المدد
 المذكور ؟ قيل : الرب سبحانه وتعالى أخرج يوم القبضتين صورهم وأشباحهم ،
 وقد روى أنهم كانوا كاللذر ، وأما يوم الحثيات ، فيسكونون أتم ما كانوا خلقه
 وأكمل أجساماً ، فناسب أن تتمدد الحثيات بكلتا اليدين . والله أعلم .

الباب الرابع والثلاثون

في ذكر تربة الجنة وطيبتها وحبسائها وبنائها

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر وأبو كامل قالا : أنبأنا زهير ، حدثنا سميد الطائي ، حدثنا أبو مده مولى أم المؤمنين سمع أبا هريرة يقول : « قلنا يا رسول الله إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة ، وإذا فارقتك أعجبتنا الدنيا وشمعنا النساء والأولاد ، قال : لو تكونون على كل حال على الحال التي أنتم عليها عندي لصاغتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم في بيوتكم ، ولو لم تذنبوا لاجاء الله بقوم يذنبون كي يفقر الله لهم ، قال قانا : يا رسول الله ، حدثنا عن الجنة ما بناؤها ؟ قال : لبنة ذهب ولبنة فضة ، وملاطها المسك ، وحبسائها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران ، ومن يدخلها ينعم لا يبأس ، ويمخلد لا يموت ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه ، ثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام العادل والصائم حتى يفطر ، ودعوة المظلوم تحمل على المنام ، وتفتح لها أبواب السموات ، ويقول الرب : وعزتي وجلالي لأنصرك ولو بعد حين . »

وروى أبو بكر بن مردويه عن حديث الحسن عن ابن عمر قال : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن الجنة فقال : من يدخل الجنة يحيا لا يموت وينعم لا يبأس ، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ، قيل : يا رسول الله كيف بناؤها ؟ قال : لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، وملاطها مسك أذفر ، وحبسائها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران » هكذا جاء في هذه الأحاديث أن ترابها الزعفران .

وكذلك روى عن يزيد بن زريع ، حدثنا سميد عن قتادة عن العلاء بن زياد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وترابها الزعفران وطيبها المسك » .

وفي الصحيحين من حديث الزهري عن أنس بن مالك قال : « كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك » وهو قطعة من حديث المراج .

وقد روى مسلم في صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن الحريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سألت ابن صياد عن تربة الجنة ، فقال : درمكة بيضاء مسك خالص ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق » ثم رواه عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن أبي أسامة عن الحريري ، عن أبي نضرة أن ابن صياد سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة فقال : « درمكة بيضاء مسك خالص » .

وقال سفيان بن عيينة عن مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله قال : « جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد قد غاب أصحابك اليوم ، قال : وبأى شيء غلبوا ؟ قال : سألتهم اليهود كم عدد خزنة النار ، فقالوا : لا ندرى ، حتى نسأل نبينا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيغلب قوم مثلوا عمال يعلمون . فقالوا حتى نسأل نبينا ؟ ! ! ولكن هم أعداء الله سألوهم أن يرهبهم الله جهرة ، على بأعداء الله فإنني سألتهم عن تربة الجنة وأنها درمكة ، فلما أن جاؤوه قالوا : يا أبا القاسم كم عدة خزنة النار ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه كاتيم ما هكذا وهكذا ، وقبض واحدة أي تسعة عشر ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تربة الجنة ؟ فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا : خبزة يا أبا القاسم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم الخبزة من الدرمة » .

فهذه ثلاث صفات في تربتها لا تمارض بينها ، فذهبت طائفة من السلف إلى أن تربتها متضمنة لثلاث : المسك والزعفران . قال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا محمد بن أبي عبيد عن أبيه عن الأعمش عن مالك بن الحارث قال : قال معتب بن سمي : الجنة ترابها المسك والزعفران ، ويحتمل معنيين آخرين :

أحدهما : أن يكون التراب من زعفران ، فإذا عجن بالماء صار مسكا ، والطين

يسمى تراباً ، ويدل على هذا قوله في اللفظ الآخر : ملاطها المسك ، وللاط الطين ، ويدل عليه أن في حديث الملاء بن زياد : « ترابها الزعفران وطينها المسك » فلما كانت تربتها طيبة وماؤها طيباً فانضم أحدهما إلى الآخر حدث لها طيب آخر فصار مسكا .

المعنى الثانى : أن يكون زعفراناً باعتبار اللون مسكا باعتبار الرائحة ، وهذا من أحسن شيء يكون ، البهجة والإشراق لون الزعفران والرائحة رائحة المسك ، وكذلك تشبيها بالدرمك وهو الحيز للصافي الذى يضرب لونه إلى صفرة مع لينها ونومتها ، وهذا معنى ما ذكره سفیان بن عيينة عن أبى نجيح عن مجاهد بهذا ، أرض الجنة من فضة و ترابها المسك ، فاللون فى البياض لون الفضة والرائحة رائحة المسك .

وقد ذكر ابن أبى الدنيا من حديث أبى بكر بن أبى شيبة عن عمر بن عطاء بن زرارة عن سالم بن الميث عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « أرض الجنة بيضاء عرصتها صخور الكافور ، وقد أحاط به المسك مثل كتبان الرمل ، فيها أنهار مطردة، فيجتمع فيها أهل الجنة أدناهم وآخرهم فيتعارفون فيبسم الله ربح الرحمة ، فتهبج عليهم ربح المسك، فيرجع الرجل إلى زوجته وقد ازداد حسناً وطيباً فنقول: لقد خرجت من عندى وأنا بك ممعجة، وأنا بك الآن أشد إعجاباً » .

وقال ابن أبى شيبة : حدثنا معاوية بن هشام ، حدثنا على بن صالح عن عمر ابن ربيعة عن الحسن عن ابن عمر قال : « قيل يارسول الله ، كيف بناء الجنة ؟ قال : لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها مسك أذفر وحصاؤها اللؤلؤ والياقوت و ترابها الزعفران » .

وقال أبو الشيخ : حدثنا الوليد بن أبان ، حدثنا أسيد بن عاصم حدثنا الحوضى ، حدثنا عدى بن الفضل ، حدثنا سميد الحريرى عن أبى نضرة عن أبى سميد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله بنى جنات عدن بيده ، وبنواها لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وجعل ملاطها المسك الأذفر، و ترابها الزعفران،

وحصباها الأولو، ثم قال لها: تسكلمي، فقالت: قد أفاح المؤمنون، فقالت اللائكة:
 طوبى لك منزل الملوك .

وقال أبو الشيخ: حدثنا عمرو بن الحسين، حدثنا أبو عاتمة، حدثنا ابن
 جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم: « قلت ليلة أسرى بي يا جبريل إنهم سيسألونني عن الجنة؟ قال: فأخبرهم أنها
 من درة بيضاء وأن أرضها عقيان » والمقيان: الذهب، فإن كان ابن عاتمة حفظه
 فهي أرض الجنة الذهبيتين، فيكون جبريل أخبره بأهل الجنة وأرضها.
 والله أعلم.

الباب الخامس والثلاثون

في ذكر نورها وبياضها

قال أحمد بن منصور الرمادي : أنبأنا كثير بن هشام ، حدثنا هشام بن زياد وأبو المقدم عن حبيب بن الشهيد ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « خلق الله الجنة بيضاء ، وأحب الزى إلى الله البياض ، فليلبسه أحياءكم وكفنوا فيه موتاكم ، ثم أمر برعاء الشاء فجمعت ، فقال : من كان منكم ذا غنم سود فليخلط بها بيضاء ، فجاءته امرأة فقالت : يا رسول الله ، إني اتخذت غنماً سوداً فلا أراها تنمو ، قال : عفرى » وقوله : (عفرى) أى يبيض .

وذكر أبو نعيم من حديث عباد بن عباد ، حدثنا هشام بن زياد عن يحيى بن عبد الرحمن عن عطاء عن ابن عباس يرفعه : « إن الله خلق الجنة بيضاء ، وإن أحب اللون إلى الله البياض ، فليلبسه أحياءكم وكفنوا فيه موتاكم » ،

وذكر من طريق عبد الحميد بن صالح ، حدثنا أبو شهاب عن حمزة عن عمرو ابن دينار عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالبياض ، فإن الله خلق الجنة بيضاء فليلبسه أحياءكم وكفنوا فيه موتاكم » ،

وروينا من طريق البخارى ، حدثنا عبدالله بن محمد ، حدثنا سويد بن سعيد ، حدثنا عبد ربه الحنفى عن خاله الزميل بن السهاك أنه سمع أباه يحدث أنه لقي عبدالله ابن عباس بالمدينة بعد ما كف بصره فقال : « يا ابن عباس ، ما أرض الجنة ؟ قال : مر مرة بيضاء من فضة كأنها مرآة ، قلت : فما نورها ؟ قال : ما رأيت الساعة التى تكون فيها قبل طلوع الشمس فذلك نورها إلا أنه ليس فيها شمس ولا زهرير » وذكر الحديث . وسيأتى إن شاء الله تعالى .

وفي حديث لقيط بن عامر الطويل الذى رواه عبدالله بن أحمد فى مسند أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وذكر الحديث ، وقال : « وتحتبس الشمس والقمر

فلا يرون منهما واحداً ، قال : قلت يا رسول الله فبم نبصر ؟ قال : مثل أبصر في ساعتك هذه ، وذلك مع طلوع الشمس في يوم أشرفت على الأرض وواجهته الجبال .

وفي سنن ابن ماجه من حديث الوليد بن مسلم ، عن محمد بن مهاجر ، عن الضحاك المظفرى ، عن سليمان بن موسى حدثني كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا هل مشمر للجنة فإن الجنة لا خطر لها ، هي ورب السكبة نور يتلألأ ، وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وعمرة نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة ، ومقام في أبد في دار سليمة ، وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة في محلة عالية بهية ، قالوا : نعم يا رسول الله ، نحن المشمرون لها ، قال : قولوا إن شاء الله ، قال القوم : إن شاء الله . »

الباب السادس والثلاثون

في ذكر غرفها وقصورها ومقاصيرها

قال الله تعالى : (لکن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية)^(١) فأخبر أنها غرف فوق غرف وأنها مبنية بناء حقيقة لثلاث تنوهم النفوس أن ذلك تمثيل وأنه ليس هناك بناء بل تصور النفوس غرفاً مبنية كالملالي بعضها فوق بعض ، حتى كأنها ينظر إليها عياناً ، ومبنية صفة للغرف الأولى والثانية ، أي لهم منازل مرتفعة وفوقها منازل أرفع منها ، وقال تعالى : (أولئك يجزون الغرفة بما صبروا)^(٢) ، والغرفة جنس كالجنة ، وتأمل كيف جمل جزاءهم على هذه الأقوال المتضمنة للخضوع والذل والاستكانة لله الغرفة والتحية والسلام في مقابلة صبرهم على سوء خطاب الجاهلين لهم ، فبدلوا بذلك سلام الله وملائكته عليهم .

وقال تعالى : (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقر بكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون)^(٣) ، وقال تعالى : (يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ، ومساكن طيبة في جنات عدن)^(٤) ، وقال تعالى عن امرأة فرعون إنها قالت : (رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة)^(٥) .

وروى الترمذى فى جامعہ من حدیث عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعيد ، عن على قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن فى الجنة لغرفاً يرى ظهورها من بطونها ، وبطونها من ظهورها ، فقام أعرابى فقال : يا رسول الله ، لمن هى ؟ قال : لمن طيب الكلام ، وأطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس

(١) سورة الزمر آية ٢٠ .

(٢) سورة الفرقان آية ٧٥ .

(٣) سورة سبأ آية ٣٧ .

(٤) سورة الصف آية ١٢ .

(٥) سورة التحريم آية ١١ .

نيام ، قال الترمذى : هذا حديث غريب ، لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن ابن إسحاق .

وقال الطبرانى : حدثنا عبدان بن أحمد ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا الوليد ابن مسلم ، حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام ، قال : حدثني أبو معانق الأشعري ، حدثني أبو مالك الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الجنة غرباً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها ، أعدّها الله لمن أطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام . »

وقال ابن وهب : حدثنا حي عن عبد الرحمن ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن في الجنة غرباً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها ، قال أبو مالك الأشعري : لمن هي يارسول الله ؟ قال : لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام ، وبات قائماً والناس نيام . »

قال محمد بن عبد الواحد ، وهو عندي إسناد حسن ، وذكر أبي مالك فيه يدل على صحته ، لأن أبا مالك قد رواه وإسناده أيضاً حسن ، وقد تقدم حديث أبي سعيد المتفق عن صحته : « إن أهل الجنة ليرآون أهل الغرف كما تراءون السكوكب الغابر من الأفق . »

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن للمؤمن في الجنة لحيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً ، فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً ، » وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : « من بنى مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة ، » وقوله في حديث أبي موسى : « يقول عز وجل لمن حمد واسترجع عند موت ولده : ابنوا لمبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد ، »

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن أبي أوفى وأبي هريرة وعائشة « أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم : هذه خديجة أقرنها السلام من ربها ، وأمره أن يبشرها

ببيت في الجنة ، من قصب لا صخب فيه ولا نصب » والقصب ههنا : قصب اللؤلؤ
المجوف .

وقد روى ابن أبي الدنيا من حديث يزيد بن هرون ، عن حماد بن سلمة ،
عن عكرمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال « إن في الجنة لقصراً
من لؤلؤ ليس فيه صدع ولا وهن ، أعده الله عز وجل لخليله إبراهيم » ،

وفي الصحيحين من حديث حميد عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« أدخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب فقلت : لمن هذا القصر ؟ قالوا : لشاب من
قريش ، فظننت أني أنا هو ، فقلت : ومن هو ؟ قالوا للمعمر بن الخطاب « وهو فيما
من حديث جابر ولفظه : « فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب » وقد تقدم .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا شجاع بن الأشرس قال : سمعت عبد العزيز بن
أبي سلمة الماجشون عن حميد عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« دخلت الجنة فإذا فيها قصر أبيض قال : قلت لجبريل : لمن هذا القصر ؟ قال :
لرجل من قريش ، فرجوت أن أكون أنا ، فقلت : لأي قريش ؟ قال : للمعمر بن
الخطاب » وهذا إن كان محفوظاً فبياضه نوره وإشراقه وضياؤه . والله أعلم .

وقال الحسن : قصر من ذهب لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حكم
عدل يرفع بها صوته .

وقال الأعمش عن مالك بن الحرث عن مغيث بن سمي قال : إن الجنة قصوراً
من ذهب ، وقصوراً من فضة ، وقصوراً من لؤلؤ ، وقصوراً من ياقوت ، وقصوراً
من زبرجد . وقال الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير ، قال : إن أدنى أهل
الجنة منزلة من له دار من لؤلؤة واحدة منها غرفها وأبوابها .

وروى البيهقي من حديث حفص بن عمر ، حدثنا بن قيس الملائي عن عطاء
ابن أبي رباح ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن في
الجنة لمرفاً فإذا كان يساكنها فيها لم يحف عليه ما خلفها ، وإذا كان خلفها لم يحف

عليه ما فيها ، قيل : لمن هي يارسول الله ؟ قال : لمن أطاب الكلام ، وواصل الصيام ، وأطعم الطعام ، وأفشى السلام ، وصلى والناس نيام ، قال : وما طيب الكلام ؟ قال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، فإنها تأتي يوم القيامة ، ولها مقدمات ومعقبات ، قيل : وما وصال الصيام ؟ قال : من صام شهر رمضان ثم أدرك شهر رمضان فصامه . قيل : وما إطعام الطعام ؟ قال : من قات عياله وأطعمهم ، قيل : وما إفشاء السلام ؟ قال : مصافحة أخيك وتحيته ، قيل : وما الصلاة والناس نيام ؟ قال : صلاة المشاء الآخرة « قال حفص بن عمر : هذا مجهول لم يروه عنه غير علي بن حرب . فيما أعلم .

قلت : هذا يلقب بالكفرة - بفتح الكاف وسكون الفاء - وقد روى عنه محمد بن غالب تمام وعلي بن حرب وهما ثقتان ، ولكن ضمه ابن عدى وابن حبان وحديثه هذا له شواهد . والله أعلم :

وفي فوائد ابن السبائك : حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور ، حدثنا أبي ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد المؤمن قال : سمعت محمد بن واسع يذكر عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ألا أحدثكم بفرف الجنة ؟ قال : قلنا : بلى يارسول الله بأبينا أنت وأمنا ، قال : إن في الجنة غرفاً من أصناف الجواهر ، كله يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، فيها من النعيم واللذات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، قال : قلنا : يارسول الله ، لمن هذه الغرف ؟ قال : لمن أفشى السلام ، وأطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام ، قال : قلنا : يارسول الله ، ومن يطيق ذلك ؟ قال : أمتي تطيق ذلك ، وسأخبركم عن ذلك : من لقي أخاه فسلم عليه فقد أفشى السلام ، ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام ، ومن صام رمضان ، ومن كل شهر ثلاثة أيام ، فقد أدام الصيام ، ومن صلى صلاة المشاء الآخرة في جماعة فقد صلى الليل والناس نيام - لليهود والنصارى والمجوس « وهذا الإسناد وإن كان لا يحتاج به وحده ، فإذا انضم إليه ما تقدم استفاد قوة مع أنه قد روى بإسنادين آخرين .

الباب السابع والثلاثون

في ذكر معرفتهم لمنازلهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة وإن لم يروها قبل ذلك

قال تعالى : (والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم * سيهديهم ويصلح بالهم * ويدخلهم الجنة عرفها لهم)^(١) قال مجاهد : يهتدى أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم لا يخطئون كأنهم ما كانوا منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحداً ،

وقال ابن عباس في رواية أبي صالح : « هم أعرف بمنازلهم من أهل الجنة إذا انصرفوا إلى منازلهم » ، وقال محمد بن كعب : يعرفونها كما تعرفون بيوتكم في الدنيا ، إذا انصرفتم من يوم الجمعة . هذا قول جمهور المفسرين وتلخيص أقوالهم ما قاله أبو عبيدة عرفها لهم أى بينها لهم حق عرفوها من غير استدلال .

وقال مقاتل بن حيان : بلننا أن الملك الموكل بمحفظ بنى آدم يمشى في الجنة ويبحثه ابن آدم حتى يأتى أقصى منزل هو له فيعرفه ، كل شيء أعطاه الله في الجنة ، فإذا دخل إلى منزله وأزواجه انصرف الملك عنه . وقال سلمة بن كهيل : طرقها لهم . ومعنى هذا : أنه طرقها لهم حتى يهتدوا إليها .

وقال الحسن : وصف الله الجنة في الدنيا لهم فإذا دخلوها عرفوها بصفتها . وعلى هذا القول فالتعريف وقع في الدنيا ، ويكون المعنى يدخلهم الجنة التي عرفها لهم ، وعلى القول الأول يكون التعريف واقعاً في الآخرة هذا كله إذا قيل إنه من التعريف .

وفيه قول آخر : إنه من العرف وهو الرائحة الطيبة ، وهذا اختيار الزجاج ، أى طيبها . ومنه طعام معرف أى مطيب .

وقيل : هو من العرف ، وهو التابع أى تابع لهم طيباتها وملاذها ، والقول

هو الأول ، وأنه سبحانه أعلمها وبينها بما يعلم به كل أحد منزله وداره فلا يتمداه إلى غيره .

وفي صحيح البخارى من حديث قتادة عن أبي سعيد الخدرى أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا خلاص المؤمنون من النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار ، يتقاصون مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم بدخول الجنة ، والذى نفسى بيده إن أحدهم بمنزله فى الجنة أدل منه بمسكنه كان فى الدنيا » .
 وفى سند آخر من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى بمنى بالحق ما أتم فى الدنيا بأعرف بأحوالكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة » .

الباب الثامن والثلاثون

في كيفية دخولهم الجنة وما يستقبلون عند دخولها

وقد تقدم قوله تعالى : (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً) (١) وقال تعالى : (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً) (٢).

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا محمد بن عباد بن موسى المكي ، حدثنا يحيى ابن سليم الطائفي ، حدثنا إسماعيل بن عبدالله المكي ، حدثنا أبو عبدالله أنه سمع الضحاك بن مزاحم يحدث عن الحرث عن علي أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً) (٢) قال : قلت يا رسول الله ، ما الوفاة إلا ركب ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق بيض لها أجنحة عليها رحال الذهب ، شرك نعالهم نور يتلأل كل خطوة منها مثل مد البصر ، وينتهون إلى باب الجنة ، فإذا حاقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب ، وإذا شجرة على باب الجنة ينبع من أصلها عينان ، فإذا شربوا من إحداها جرت في وجوههم نضرة النسيم ، وإذا توضأوا من الأخرى لم تشمت أشعارهم أبداً ، فيضربون الحلقة بالصفيحة ، فلو سمعت طنين الحلقة فيبلغ كل جوراء أن زوجها قد أقبل فتستخفها المعجلة فتبعت قيمتها فيفتح له الباب ، فلو أن الله عز وجل عرفه نفسه لخر ساجداً بما يرى من النور والبهاء ، فيقول : أنا قيمك الذي وكلت بأمرك ، فيتبعه فيقفو أثره ، فيأتي زوجته فتستخفها المعجلة فتخرج من الخيمة فتعانقه وتقول : أنت حبي وأنا حبيك ، وأما الراضية فلا أسخط أبداً ، وأنا الناعمة فلا أبأس أبداً ، والحالدة فلا أظمن أبداً ، فيدخل بيتاً من أساسه إلى سقنه مائة ذراع مبنى على جندل اللؤلؤ والياقوت طرائق حمر

(١) سورة الزمر آية ٧٣ .

(٢) سورة مريم آية ٨٥ .

وطرائق خضر وطرائق صفر ، ما منها طريقة تشاكل صاحبها ، فيأني الأريكة فإذا عليها سرير على السرير سبعون فراشاً عليهم سبعون زوجة على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من باطن الجلد يقضى جماعهن في مقدار ليلة ، تجرى من تحتهم أنهار مطردة أنهار من ماء غير آسن صاف ليس فيه كدر ، وأنهار من عسل مصفى لم يخرج من بطون النحل ، وأنهار من خمر لذة للشاربين لم تمصره الرجال بأقدامها ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه لم يخرج من بطون الماشية ، فإذا اشتروا الطعام ، جاءتهم طيور بيض ، فترفع أجنحتها فيأكلون من جنوبها من أى الألوان شاؤوا ، ثم تطير فتذهب ، فيها ثمار متدلّية ، إذا اشتوها انشعب الغصن إليهم ، فيأكلون من أى الثمار شاؤوا ، إن شاء قائماً وإن شاء متسكناً ، وذلك قوله عز وجل : (وجنى الجنة دان) وبين أيديهم خدم كاللؤلؤ « هذا حديث غريب ، وفي رفعه نظر ، والمعروف أنه موقوف على على ، وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا محمد بن عمر بن ساهان ، حدثنا محمد بن فضيل عن عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان ابن سمدة في هذه الآية : (يوم نحشر للمتقين إلى الرحمن وفداً) (١) . قال : « أما والله لا يحشر الوفد على أرجلهم ، ولا سكن يؤتون بنوق لم تر الخلائق مثلها ، عليها رحال الذهب ، وأزمتها الزبرجد ، فيركبون عليها حتى يضربوا باب الجنة » .

وقال على بن الجعد في الجمديات : أنبأنا زهير بن معاوية ، عن أبي إسحاق ، عن عاصم بن ضمرة عن على قال : « يساق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً ، حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجران ، فعمدوا إلى إحداها كأنما أمروا بها فشربوها منها ، فأذهبت ما في بطونهم من أذى وقذى وبأس ، ثم عمدوا إلى الأخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعم ، فلن تغير أبشارهم أو تغير بعدها أبداً ولن تشعث أشعارهم كأنما دهنوا بالدهان ، ثم انتهوا إلى خزنة الجنة فقالوا : سلام عليكم طيبتم فادخلوها خالدون . قال : ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان أهل الدنيا بالحميم يقدم من غيبته ، فيقولون : أبشر بما أعد الله لك من السكرامة . كذا قال ، ثم

ينطلق غلام من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين فيقول : قد جاء فلان باسمه الذى يدعى به في الدنيا فتقول : أنت رأيتة ؟ فيقول : أنا رأيتة ، وهو ذا بأثرى ، فيستخف إحداهن الفرح حتى تقوم على أسكفة بابها ، فإذا انتهى إلى منزله نظر إلى أساس بنائه ، فإذا جنبد اللؤلؤ فوقه صرح أخضر وأصفر وأحمر من كل لون ، ثم رفع رأسه فنظر إلى سقفه ، فإذا مثل البرق ، فلولا أن الله قدره له لآلم أن يذهب يبصره ، ثم طأطأ رأسه فنظر إلى أزواجه ، وأكواب موضوعة ومارق مصفوفة وزرابى مبثوثة ، فنظروا إلى تلك النعمة ، ثم اتسكروا وقالوا : الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . ثم ينادى مناد : تحيون فلا تموتون أبدا ، وتقيمون فلا تظنمون أبدا ، ولصحون فلا تمضون أبدا .

وقال عبدالله بن المبارك : أنبأنا سليمان بن المنيرة عن حميد بن هلال قال : « ذكر لنا أن الرجل إذا دخل الجنة صور صورة أهل الجنة ، وألبس لباسهم وحلى حلبيهم ، ورأى أزواجه وخدمه ، ويأخذه سوار الفرح لو كان ينبغي أن يموت لمت من سوار فرجه ، فيقال له : رأيت سوار فرحتك هذه ، فلنما قائمة لك أبدا . »

قال ابن المبارك ، وأخبرنا راشد بن زعمد : أنبأنا زهرة بن مبيد القرشى عن أبي عبد الرحمن الجبلى قال : « إن العبد أول ما يدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم كأنهم اللؤلؤ . »

قال ابن المبارك ، وأنبأنا يحيى بن أيوب ، حدثني عبيد الله بن زخر ، عن محمد بن أبي أيوب الخزمي ، عن أبي عبد الرحمن المافرى قال : « إنه ليصف للرجل من أهل الجنة سمطان لا يرى طرفاهما من غلمايه ، حتى إذا مر مشوا وراءه . »

وقال أبو نعيم : أنبأنا أبو سلمة عن الضحاك قال : « إذا دخل المؤمن الجنة دخل أمامه ملك فأخذه به في سككها ، فيقول له : انظر ما ترى ؟ قال : أرى أكثر

قصور رأيتها من ذهب وفضة ، وأكثر أنيس . فيقول له الملك : فإن هذا أجمع لك ،
 حتى إذا رفع إليهم استقبلوه من كل باب ، ومن كل مكان يقولون : نحن لك ،
 ثم يقول : امش ، فيقول : ماذا ترى ، فيقول : أرى أكثر عساكر رأيتها من
 خيام وأكثر أنيس ، قال : فإن هذا أجمع لك ، فإذا رفع إليهم استقبلوه فقالوا :
 نحن لك نحن لك .

وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال : « ليدخلن الجنة من أمق سبعمون ألفاً أو سبعمائة ألف مئاسكون أخذ بعضهم
 ييمض لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم ، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر » .

الباب التاسع والثلاثون

في ذكر صفة أهل الجنة في خلقهم وخلقهم وطولهم وعرضهم ومقدار أسنانهم

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق قال : حدثنا معمر عن همام عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعاً فلما خلقه قال له : اذهب فسلم على أولئك النفر ، وهم نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك ، فإنها تحييتك ونحية ذريتك ، قال : فذهب فقال : السلام عليكم ، فقالوا : السلام عليك ورحمة الله قال : فكل من يدخل الجنة على صورة آدم طوله ستون ذراعاً ، فلم يزل ينقص الخلق بمده حتى الآن » متفق على صحته .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هرون وعفان بن مسلم قالا : حدثنا حماد ابن سلمة ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً أيضاً جماداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين وهم على خلق آدم ستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع » قيل : تفرد به حماد عن علي بن زيد .

وفي جامع الترمذي من حديث شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ ابن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين » قال هذا حديث حسن غريب .

وقال أبو بكر بن أبي داود : حدثنا محمود بن خالد وعباس بن الوليد قال : حدثنا عمر عن الأوزاعي عن هرون بن رباب عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يبعث أهل الجنة على صورة آدم في يولد ثلاث وثلاثين سنة جرداً مرداً مكحلين ، ثم يذهب بهم إلى شجرة في الجنة فيكسون منها لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم » .

وقال الترمذى : حدثنا سويد بن نصر حدثنا عبد الله بن المبارك عن رشيد بن ابن سعد عن عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمع حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير بردون بنى ثلاثين سنة في الجنة لا يزيدون عليها أبداً . وكذلك أهل النار » فإن كان هذا محفوظاً لم يناقض ما قبله ، فإن العرب إذا قدرت بمدد له نيف فإن لهم طريقين ، تارة يذكرون النيف للتحرير وتارة يحذفونه ، وهذا معروف في كلامهم وخطاب غيرهم من الأمم .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا القاسم بن هشام ، حدثنا صفوان بن صالح ، حدثنا رواد بن الجراح العسقلانى ، حدثنا الأوزاعى عن هارون بن رباب عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعاً بذراع الملك ، على حسن يوسف ، وعلى ميلاد عيسى ، ثلاث وثلاثين سنة ، وعلى لسان محمد ، مرد مكحلون » .

وقال ابن وهب : حدثنا معاوية بن صالح ، عن عبد الوهاب بن بخت ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أهل الجنة يدخلون الجنة على قدر آدم ستون ذراعاً ، وعلى ذلك قطعت سرهم » .

وقد تقدم أن أول زمرة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر ، وأن الذين يلونهم على ضوء أشد كوكب في السماء إضاءة . وأما الأخلاق فقد قال تعالى : (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين) (١) ، فأخبر عن تلاقى قلوبهم وتلاقى وجوههم . وفي الصحيحين : « أخلاقهم على خاق رجل واحد على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون ذراعاً في السماء » والرواية على خلق - بفتح الحاء وسكون اللام - والأخلاق كما تكون جمماً للخلق بالضم فهى جمع للخلق بالفتح ، والمراد : تساويهم في الطول والعرض والسن وإن تفاوتوا في الحسن والجمال ، ولهذا فسره بقوله على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون ذراعاً في السماء ، وأما أخلاقهم وقلوبهم ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة : « أول زمرة تلج الجنة » الحديث .

وقد تقدم وفيه لا اختلاف بينهم ولا تباعض ، قلوبهم على قلب رجل واحد ،
يسبحون الله بكرة وعشية ، وكذلك وصف الله سبحانه وتعالى نساءهم بأنهم آتواب .
أى : فى سن واحدة ليس فيهن المجاوز والشواب ، وفى هذا الطول والمرض والسن
من الحكمة ما لا يخفى ، فإنه أبلغ وأكمل فى استيفاء اللذات ؛ لأنه أكل سن القوة
مع عظم آلات ، وباجتماع الأمرين يكون كال اللذة وقوتها ، بحيث يصل فى اليوم
الواحد إلى مائة عذراء ، كما سيأتى إن شاء الله تعالى ، ولا يخفى التناسب الذى بين
هذا الطول والمرض ، فإنه لو زاد أحدهما على الآخر فأت الاعتدال وتناسب الحلقة ،
يصير طولاً مع دقة أو غلظاً مع قصر ، كلاهما غير مناسب ، والله أعلم .

الباب الأربعون

في ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم ،

أعلام منزلة سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه

قال تعالى : (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ، وآتينا عيسى ابن مريم البينات) (١) ، قال مجاهد وغيره : منهم من كلم الله موسى ، ورفع بعضهم درجات ، هو محمد صلى الله عليه وسلم ، وفي حديث الإسراء المنفق على صحته : أنه صلى الله عليه وسلم ، لما جاوز موسى قال : « رب لم أظن أن ترفع علي أحدا » ، ثم علا فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله ، حتى جاوز سدرة المنتهى :

وفي صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا سمعتم للوذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا علي ، فإنه من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشرا ، ثم سلوا لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبني إلا ل عبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة » .

وفي صحيح مسلم من حديث للغميرة بن شعبة عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن موسى سأل ربه : ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ فقال : رجل يجيء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة ، فيقال له : ادخل الجنة ، فيقول : رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له : أرضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ، فيقول : رضيت رب ، فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله ، فقال في الخامسة : رضيت رب ، قال : رب فأعلام منزلة ؟ قال : أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي ، وختمت عليهم فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر » :

وقال الترمذى : حدثنا عبد بن حميد ، أنبأنا شابة عن إسرائيل عن ثوير قال : سمعت ابن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أدنى أهل الجنة منزلة أن ينظر إلى جناته وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف عام ، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها نظرة)^(١) قال : وقد روى هذا الحديث من غير وجه ، عن إسرائيل ، عن ثوير ، عن ابن عمر غير مرفوع . قال : ورواه عبد الملك بن أبجر ، عن ثوير ، عن ابن عمر موقوفاً ، ورواه عبد الله الأشجعي ، عن سفيان ، عن ثوير ، عن مجاهد ، عن ابن عمر نحوه ولم يرفعه .

قلت : ورواه الطبراني في معجمه من حديث أبي معاوية : عن عبد الملك بن أبجر ، عن ثوير ، عن ابن عمر مرفوعاً : « إن أدنى أهل الجنة منزلة لرجل ينظر في ملكه ألف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ، ينظر إلى أزواجه وسرره وخدمه » الحديث . ورواه أبو نعيم ، عن إسرائيل ، عن ثوير قال : سمعت ابن عمر يقول : قال إسرائيل : لا أعلم ثويراً إلا رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن هو ابن موسى ، حدثنا سكين بن عبد العزيز ، حدثنا أبو الأشعث الضرير ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أدنى أهل الجنة منزلة سبع درج وهو على السادسة وفوقه السابعة ، وإن له ثمانمائة خادم ويندى عليه وراح كل يوم بثمانمائة صحيفة ولا أعلمه ، قال : إلا من ذهب في كل صحيفة لون ليس في الآخر ، وإنه ليلد أوله كما ولد آخره ، وعن الأشربة بثمانمائة إناء في كل إناء لون ليس في الآخر ، وإنه ليلد أوله كما ولد آخره ، وإنه ليقول : يارب لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص مما عندي شيء ، وإن له من المحور المين لاثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا ، وإن الواحدة منهن لتأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض » .

قلت : سكين بن عبد العزيز ضمفه اللساني وشهر بن حوشب ضمفه مشهور والحديث منسكرك يخالف الأحاديث الصحيحة ، فإن طول ستين ذراعاً لا يحتمل أن يكون مقعد صاحبه بقدر ميل من الأرض . والذي في الصحيحين ، في أول زمرة

تأج الجنة : لسكل امرىء منهم زوجتان من الحور العين ، فكيف يكون لادنهم
 اثنتان وسبعون من الحور العين ؟ وأقل ساكنى الجنة نساء الدنيا ، فكيف يكون
 لأذى أهل الجنة جماعة منهن ؟ وأيضاً فإن الجنة الذهبيتين أعلى من الفضيتين ؟
 فكيف يكون أذنهم فى الذهبيتين ؟

قال الدولابى : شهر بن حوشب لا يشبه حديثه حديث الناس ، وقال ابن عون
 ابن حوشب : شهرأ تركوه ، وقال النسائى وابن عدى : ليس بالقوى ، وقال
 أبو حاتم : لا يحتج به وتركه شعبة ويحيى بن ساعد ، وهذان من أعلم الناس بالحديث ،
 ورواته وعلاه ، وإن كان غير هؤلاء ، قد وثقه وحسن حديثه ، فلا ريب أنه إذا
 انفرد بما يخالف ما رواه الثقات لم يقبل . والله أعلم .

الباب الحادى والأربعمون

فى تحفة أهل الجنة إذا دخلوها

روى مسلم فى صحيحه من حديث ثوبان قال : « كنت قائماً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء خبر من أخبار اليهود فقال : السلام عليك يا محمد ، فدفعته دفعة كاد يصرع منها ، فقال : لم تدفعنى ؟ فقلت : ألا تقول يا رسول الله ؟ فقال اليهودى : إنما ندعوه باسمه الذى سماه به أهله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن اسمى محمداً الذى سماه به أهلى ، فقال اليهودى : جئت أسألك ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أينفمك بشيء إن حدثتك ؟ فقال : أسمع بأذنى ، فنسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمودعه ، فقال : سل ؟ فقال اليهودى : أين تسكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فى الظلمة دون الجسر ، قال : فمن أول الناس أجازة يوم القيامة ؟ قال : فقراء المهاجرين ، قال اليهودى : فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال : زيادة كبد التنون ، قال : فما غذاؤهم على أرضها ؟ قال : ينحرم لهم نور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها ، قال : فما شراهم ؟ قال من عين فيها تسمى سلسبيلا ، قال : صدقت ، قال : وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان ، قال : أينفمك إن حدثتك ؟ قال : أسمعك بأذنى ، قال : جئت أسألك عن الولد ؟ قال : ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا فملا منى الرجل منى للمرأة أذكرها بإذن الله تعالى ، وإن علامنى المرأة منى الرجل آتينا بإذن الله تعالى ، قال اليهودى : لقد صدقت وإنك لنبى ، ثم انصرف . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد سألتنى عنه ومالى علم بشيء منه ، حتى آتانى الله عز وجل به . »

وفى صحيح البخارى عن أنس قال : « سمع عبد الله بن سلام مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وهو فى أرض يخرتف ، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم

فقال : « إني سألتك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي : فما أول أشرط الساعة ؟ وما أول طعام أهل الجنة ؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال : أخبرني بهن جبريل آنفاً ، قال : جبريل ؟ قال نعم ، قال ذلك عدو اليهود من الملائكة ، فقرأ هذه الآية : (قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله)^(١) أما أول أشرط الساعة : فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة : فزيادة كبد الحوت ، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نعت ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله ، يا رسول الله ، إن اليهود قوم بهت ، وإنهم إن يعملوا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني ، فجاءت اليهود فقال : أي رجل عبد الله فيكم ؟ قالوا : خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا ، قال : أفرأيت إن أسلم عبد الله ؟ فقالوا : أعاده الله من ذلك ، فخرج عبد الله فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فقالوا : شرنا وابن شرنا وانتقصوه ، فقال : هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله .

وفي الصحيحين من حديث عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر لأهل الجنة ، فأني رجل من اليهود فقال : بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة ؟ قال : بلى ، قال : تكون الأرض خبزة واحدة ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ، فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه ، ثم قال : ألا أخبرك بأدامهم ؟ قال : أدامهم بالأدم والنون قال : وما هذا ؟ قال : نون ونون يأكل من زيادة كبدهما سبعون ألفاً .

وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا ابن لهيعة ، حدثني يزيد بن أبي حبيب ، أن أبا الخير أخبره ، أن أبا العوام أخبره ، أنه سمع كعباً يقول : « إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة : ادخلوها إن لكل ضيف جزورا ، وإني أجزركم اليوم ، فأني بشور وحث ، فيجزر لأهل الجنة .

الباب الثاني والأربعون

في ذكر ربح الجنة ومن مسيرة كم ينشق

قال الطبراني : حدثنا موسى بن حازم الأصبهاني ، حدثنا محمد بن بكير الحضرمي ، حدثنا مروان بن معاوية الفزاري ، عن الحسن بن عمرو ، عن مجاهد ، عن جنادة ابن أبي أمية ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قتل قتيلاً من أهل الذمة لم يرح رائحة الجنة ، وأن ربحها ليوجد من مسيرة مائة عام » ورواه البخاري في الصحيح ، عن قيس بن حفص ، عن عبد الواحد بن زياد ، عن الحسن بن عمرو الفقيمي ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو ولم يذكر بينهما جنادة . وقال : « ليوجد من مسيرة أربعين عاماً » .

وقال الترمذي : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا معدي بن سليمان هو البصري . عن ابن مجلان ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ألا من قتل نفساً معاهداً له ذمة الله وذمة رسوله ، فقد أخفر بذمة الله ، فلا يرح رائحة الجنة ، وإن ربحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً » .

قال : وفي الباب عن أبي بكره وحديث أبي هريرة حديث حسن صحيح قال محمد ابن عبد الواحد وإسناده عندي على شرط الصحيح .

قلت : وقد رواه الطبراني من حديث عيسى بن يونس ، عن عوف الأعرابي ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة يرفعه : « من قتل نفساً معاهداً بغير حقها لم يرح رائحة الجنة ، وإن ربح الجنة يوجد من مسيرة مائة عام » .

وقال الطبراني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، عن عبد الرزاق ، عن قتادة ، عن الحسن أو غيره ، عن أبي بكره قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ربح الجنة يوجد من مسيرة مائة عام » ، وهذه الألفاظ لا تعارض بينها بوجه .

وقد أخرجنا في الصحيحين من حديث أنس قال : « لم يشهد عمى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بديراً ، قال : فشق عليه ، قال : أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه ، فإن أراى الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما أصنع ، قال : فهاب أن يقول غيرها ، قال : فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، قال : فاستقبل سعد بن معاذ فقال له : أين أقال : واهال ربح الجنة أجده دون أحد ، قال : فقائلهم حتى قتل ، قال : فوجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية . فقالت أخته عمه الربيع بنت النضر : فما عرفت أخى إلا بينانه ، ونزلت هذه الآية : (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) (١) . قال : فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه » وريح الجنة نوعان : ريح يوجد في الدنيا تشمه الأرواح أحياناً لا تدركه العباد ، وريح يدرك بحاسة الشم للأبدان ، كما تشم روائح الأزهار وغيرها ، وهذا يشترك أهل الجنة في إدراكه في الآخرة من قرب وبعد ، وأما في الدنيا فقد يدركه من شاء الله من أنبيائه ورسله ، وهذا الذى وجدته أنس بن النضر يجوز أن يكون من هذا القسم ، وأن يكون من الأول . والله أعلم .

وقال أبو نعيم : حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا محمد بن أحمد المؤذن ، حدثنا عبد الواحد بن غياث ، أنبأنا الربيع بن بدر ، وحدثنا هرون بن رباب عن مجاهد عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن رائحة الجنة توجد من مسيرة خمسمائة عام » .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي ، حدثنا محمد بن أحمد بن محمد ابن طريف ، حدثنا محمد بن كثير ، حدثني جابر الجعفي عن أبي جعفر محمد بن علي عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام ، والله لا يجدها عاق ولا قاطع رحم » .

وقال أبو داود الطيالسي في مسنده : حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من ادعى

إلى غير آيئه لم يرح راحة الجنة ، وإن ريمها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام ، وقد أشهد الله سبحانه عباده في هذه الدار آثاراً من آثار الجنة وأنموذجا منها من الرائحة الطيبة ، واللذات المشتهية ، والمناظر البهية ، والفاكهة الحسنة . والنعم والسرور ، وقرة العين .

وقد روى أبو نعيم من حديث الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله عز وجل للجنة : طيبي لأهلك فتزداد طيباً ، فذلك البرد الذي يجده الناس بالسحر من ذلك ، كما جعل سبحانه نار الدنيا وآلامها وغمومها وأحزانها تذكرة بنار الآخرة ، قال تعالى في هذه النار : (نحن جعلناها تذكرة)^(١) وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن شدة الحر والبرد من أنفاس جهنم ؛ فلا بد أن يشهد عباده أنفاس جنته وما يذكرهم بها . والله المستعان .

الباب الثالث والأربعون

في الأذان الذي يؤذن به مؤذن الجنة فيها

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ينادى مناد : آن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً ، وآن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً ، وآن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً ، وآن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً » ، وذلك قول الله عز وجل : (ونودوا أن تلتكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون)^(١) . قال عثمان بن أبي شيبة : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا حمزة الزيات ، عن أبي إسحق ، عن الأغر ، عن أبي هريرة وأبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم « (ونودوا أن تلتكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) قال : نودوا أن صحوا فلا تسقموا أبداً ، واخلدوا فلا تموتوا أبداً ، وانعموا فلا تبأسوا أبداً » .

وفي صحيح مسلم من حديث حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى ، عن صهيب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، نادى مناد : يا أهل الجنة ، إن لكم عند الله موعداً ، فيقولون : ما هو ؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة وينجنا من النار ؟ فيكشف الحجاب فينظرون إلى الله ، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً هو أحب إليهم من النظر إليه » .

وقال عبد الله بن المبارك : أنبأنا أبو بكر الالهاني ، أخبرني أبو تميم المجيفي ، قال : سمعت أبا موسى الأشعري يخطب على منبر البصرة يقول : إن الله عز وجل يبعث يوم القيامة ملسكا إلى أهل الجنة ، فيقول : يا أهل الجنة ، هل أنجزكم الله ما وعدكم ؟ فينظرون فيرون الحلى والحلل والأنهار ، والأزواج المطهرة فيقولون :

نعم ، قد أجزنا ما وعدنا ، قالوا ذلك ثلاث مرات ، فينظرون فلا يفتقدون
 مما وعدوا فيقولون : نعم ، فيقول : قد بقي شيء ، إن الله يقول (للذين أحسنوا
 الحسنى وزيادة) (١) : ألا إن الحسنى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله .

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : « إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة ، يا أهل الجنة ، فيقولون : لبيك
 ربنا وسعديك ، فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم
 تمنعنا أحد من خلقك ، فيقول : أنا أعطيتكم أفضل من ذلك ، قالوا : ربنا وأى شيء
 أفضل من ذلك ؟ قال : أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا » ومن
 تراجم البخارى عليه باب كلام ائمة أهل الجنة : وسيأتى فى هذا أحاديث
 نذكرها فى باب معقود لذلك إن شاء الله .

وفي الصحيحين من حديث نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال : « يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ثم يقوم مؤذن بينهم
 فيقول : يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت ، كل خالد فيما هو فيه » وهذا
 الأذان وإن كان بين الجنة والنار فهو يبالغ بجميع أهل الجنة والنار ، ولهم فيها نداء
 آخر يوم زيارتهم ربهم تبارك وتعالى يرسل إليهم ملائكة ، فيؤذن فيهم بذلك فيتسارعون
 إلى الزيارة ، كما يؤذن مؤذن الجمعة إليها ، وذلك فى مقدار يوم الجمعة ، كما سيأتى
 مبينا فى باب زيارتهم الرب عز وجل . والله أعلم .

الباب الرابع والأربعون

في أشجار الجنة وبساتينها وظلالها

قال تعالى: (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود، وطلع منضود، وظل ممدود، وماء مسكوب، وفاكهة كثيرة. لا مقطوعة ولا ممنوعة) (١)، وقال تعالى: (ذواتا أفنان) وهو جمع فنن وهو التمغن، وقال: (فيها فاكهة ونخيل ورمان).

والخضود: الذي قد خضد شوكة أى نزع وقطع، فلا شوكة فيه. هذا قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل وقتادة وأبي الأحوص وقسامة بن زهير وجماعة. واحتج هؤلاء بمجتين:

إحداها: أن الخضد في اللغة القطع، وكل رطب قضبته فقد خضدته، وخضدت الشجر إذا قطعت شوكة فهو خضيد ومخضود، ومنه الخضد، على مثال الثمر، وهو كل ما قطع من عود رطب خضد بمعنى مخضود كقبض وساب، والخضاد شجر رخو لا شوكة فيه.

الحجة الثانية: قال ابن أبي داود: حدثنا محمد بن مصفى، حدثنا محمد ابن المبارك، حدثنا يحيى بن حمزة، حدثنا ثور بن يزيد، حدثني حبيب بن عبيد عن عتبة بن السلى قال: «كنت جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، جاء أعرابي فقال: يا رسول الله، أسمعك تذكر في الجنة شجرة لا أعلم شجرة أكثر شوكا منها - يعني الطلح - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله جعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصوة التيس الملبود فيها سبعون لونا من الطعام لا يشبه لون آخر» (الملبود) الذي قد اجتمع شمره بعضه على بعض، وقال عبد الله بن المبارك: «أبنا صفوان بن عمرو، عن سليم بن عامر قال: «كان أصحاب رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقولون إن شاء الله لينفمنا بالأعراب ومساقلهم ، أقبل أعرابي يوماً ، فقال : يا رسول الله ، ذكر الله في الجنة شجرة مؤذبة وما كنت أرى في الجنة شجرة تؤذى صاحبها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما هي ؟ قال : السدر ، فإن له شوكة مؤذياً . قال : أليس الله يقول : في سدر مخضود !! خضد الله شوكة جمل مكان كل شوكة ثمرة « وقالت طائفة : المخضود هو : الموقر حملاً . وأنكر عليهم هذا القول وقالوا : لا يعرف في الائمة الخضد بمعنى الحمل ، ولم يصب هؤلاء الذين أنكروا هذا القول ، بل هو قول صحيح ، وأربابه ذهبوا إلى أن الله سبحانه وتعالى لما خضد شوكة وأذهب ، وجمل مكان كل شوكة ثمرة أوقرت بالحمل . والحديثان المذكوران يجمعان القولين .

وكذلك قول من قال : المخضود الذي لا يعقر اليد ولا يرد اليد عنه شوك ولا أذى فيه ، فسرره بلازم المعنى ، وهكذا غالب المفسرين يذكرون لازم المعنى المقصود تارة ، وفرداً من أفراد تارة ، ومثلاً من أمثله فيحكىها الجماعون للثت والسمين أقوالاً مختلفة ، ولا اختلاف بينها .

فصل

وأما الطلح ، فأكثر المفسرين قالوا : إنه شجرة اللوز . قال مجاهد : أعجمي طلح وج وحسنه ، فليل لهم : « وطلح منضود » وهذا قول علي بن أبي طالب ، وابن عباس ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري .

وقالت طائفة أخرى : بل هو شجر عظام طوال ، وهو شجر البوادي الكثير الشوك عند العرب ، قال حاديهم :

بشرها دليلها وقال غدا ترين الطلح والجبالا

ولهذا الشجر نور ورائحة وظل ظليل ، وقد نضد بالحمل والتمر مكان الشوك . وقال ابن قتيبة : هو الذي نضد بالحمل أو بالورق والحمل من أوله إلى آخره ، فليس له ساق بارز ، وقال مسروق : ورق الجنة نضيد من أسفلها إلى أعلاها ، وأنهارها تجري من غير أخذود .

وقال الليث : الطلح : شجر أم غيلان ليس له شوك أحجن من أعظم المضاه شوكاً وأصلبه عوداً وأجوده صمغاً . قال أبو إسحاق : يجوز أن يعنى به شجر أم غيلان ، لأن له نوراً طيب الرائحة جداً ، فوعدوا بما يحبون مثله ، إلا أن فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على سائر ما في الدنيا ، فإنه ليس في الجنة عما في الدنيا إلا الأسمى ، والظاهر أن من فسر الطلح المنضود بالموز ، إنما أراد التمثيل به لحسن نضده ، وإلا فالطلح في اللغة : هو الشجر العظيم من البوادي والله أعلم .

وفي الصحيحين من حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، فاقرؤا إن شئتم ، وظل ممدود » .

وفي الصحيحين أيضاً من حديث أبي حازم عن سهل بن سعد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها » قال أبو حازم : فحدثنا به النعمان بن أبي عياش الزرقى فقال : حدثني أبو سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن في الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا شعبة عن أبي الضحاك ، سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين أو مائة سنة ، هي شجرة جنة الخلد » .

وقال وكيع : حدثنا إسماعيل بن أبي خالده ، عن زياد مولى بني مخزوم ، عن الزهرى ، عن أبي هريرة رضى الله عنه : « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام . اقرؤا إن شئتم وظل ممدود ، فبلغ ذلك كعباً فقال : صدق ، والذي أنزل التوراة على لسان موسى ، والفرقان على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ، لو أن رجلاً ركب جذعة أو جذعاً ، ثم دار بأصل تلك الشجرة مائة عام ما بلغها حتى يسقط هرمياً ، إن الله غرسها بيده ونفخ فيها ، وإن أصلها من وراء سورة الجنة ، وما في الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة » :

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا إبراهيم عن سعيد الجوهري ، حدثنا أبو عامر العقدي ، حدثنا ربيعة بن صالح عن سلمة بن وهران عن عكرمة عن ابن عباس قال : « الظل الممدود : شجرة في الجنة على ساق قدر ما يسير الراكب المجد في ظلها مائة عام في كل نواحيها ، فيخرج إليها أهل الجنة أهل الغرف وغيرهم يتحدثون في ظلها ، قال فيشتهى بعضهم ويذكر لهو الدنيا ، فيرسل الله ريحاً من الجنة فتتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا » .

وفي جامع الترمذي من حديث أبي حامد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب » قال هذا حديث حسن .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله أعددت لأبداي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، اقرؤا إن شئتم : (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) (١) ، وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، اقرؤا إن شئتم (وظل ممدود) وموضع سوط من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، اقرؤا إن شئتم (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) (٢) » ، رواه بهذا اللفظ والسياق الترمذي والنسائي وابن ماجه وصدره في الصحيحين .

وفي صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، وإن شئتم فاقرؤا (وظل ممدود وماء مسكوب) (٣) » وقال ابن أبي وهب : حدثنا عمرو بن الحارث أن دراجاً أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال : « قال رجل يارسول الله ، ما طوبى ؟ قال : شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكامها » ، وقد رواه عنه حرمله بزيادة وقال : أخبرني ابن وهب ، أخبرني عمرو ، أن دراجاً حدثه أن أبا الهيثم حدثه عن أبي سعيد

(١) سورة السجدة آية ١٧

(٢) سورة آل عمران آية ١٨٥ .

(٣) سورة الواقعة آية ٣١ .

الحدري « أن رجلاً قال: يا رسول الله ، طوبى لمن آراك وآمن بك ، فقال : طوبى لمن رآني وآمن بي ، ثم طوبى ، ثم طوبى ، ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني ، فقال رجل : يا رسول الله ، وما طوبى ؟ قال : شجرة في الجنة مسيرة مائة عام ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمها . »

قلت : وأول هذا الحديث في المسند ولفظه « طوبى لمن رآني وآمن بي ، وطوبى لمن آمن بي ولم يرني سبع مرات » .

وقال ابن المبارك : حدثنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « نخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر وكربها ذهب أحمر وسعفها كسوة لأهل الجنة منها مقدماتهم وحلهم ، وثمرها أمثال القلال والدلاء ، أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ، وألين من الزبد ليس فيها عجم » .

وقال الإمام أحمد بن علي : حدثنا بحر ، حدثنا هشام بن يوسف ، حدثنا معمر عن يحيى بن أبي كثير عن عامر بن زيد السكالي أنه سمع عتبة بن عبد السلمي يقول : « جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الحوض وذكر الجنة ، ثم قال الأعرابي : فيها فاكهة ؟ قال : نعم وفيها شجرة تدعى طوبى ، فذكر شيئاً لا أدري ما هو ؟ فقال : أي شجر أرضنا تشبهه ؟ قال : ليست تشبه شيئاً من شجر أرضك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أتيت الشام ؟ قال : لا ، قال تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة تلبث على ساق واحد وينفرض أعلاها ، قال ، ما عظم أصلها ؟ قال : لو ارتحات جذعة من إبل أهلك ما أحاطت بأصلها حتى تنسكرفوتها هرماً ، قال : فيها غناب . قال : فما عظم المنقود . قال : مسيرة شهر للغراب لا يقع ولا يفتر ، قال : فما عظم الحبة . قال : هل ذبج أبوك تيساً من غنمه قط عظيماً ؟ قال : نعم ، قال فدافع أهابه فأعطاه أمك ، وقال لها : اتخذى لنا منه دلوا ؟ قال : نعم ، قال الأعرابي : فإن تلك الحبة لتشبهني أنا وأهل بيتي ، قال : نعم وعامة عشيرتك » .

قال أبو يعلى الموصلي في مسنده : حدثنا عبد الرحمن بن صالح ، حدثنا يونس بن بكير ، عن محمد وابن إسحاق ، عن يحيى بن عباد ، عن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر سدرة المنتهى فقال : يسير في ظل الفنون منها الراكب مائة سنة ، أو

قال : يستظل في الفتن منها مائة راكب فيها ، فراش الذهب كأن ثمرها القلال «
ورواه الترمذى وقال : شك يحيى وهو حديث حسن غريب .

وقال عبدالله بن المبارك : أنبأنا ابن عينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال :
« أرض الجنة من ورق وتراها مسك وأصول أشجارها ذهب وورق وأفنانها
لؤلؤ وزبرجد وياقوت ، والورق والتمر تحت ذلك ، فمن أكل قائماً لم يؤذه ، ومن
أكل جالساً لم يؤذه ، ومن أكل مضطجماً لم يؤذه ، وذلت قطوفها تذليلاً » .

وقال أبو معاوية : حدثنا الأعمش عن أبي ظبيان عن جرير بن عبدالله قال :
« نزلنا الصفاح ، فإذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس أن تبلغه ، قال :
فقلت للغلام : انطلق بهذا النطع فأظله ، قال : فانطلق فأظله ، فلما استيقظ إذا هو
سلمان فأتيته أسلم عليه ، فقال : يا جرير ، تواضع لله ، فإن من تواضع لله رفعه الله يوم
القيامة ، يا جرير ، هل تدري ما الظلمات يوم القيامة ؟ قلت : لا أدري . قال : ظلم
الناس بينهم ، ثم أخذ عويداً لا أكاد أراه بين أصبعيه ، فقال : يا جرير ، إذا طلبت
مثل هذا في الجنة لم تجده ، قلت يا عبدالله ، فأين النخل والشجر ؟ قال : أصولها
اللؤلؤ والذهب وأعلاها الثمر » .

الباب الخامس والأربعون

في ثمارها وتمداد أنواعها وصفاتها وريحانها

قال تعالى : (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً ، ولهم أزواج مطهرة)^(١) .

وقولهم هذا الذى رزقنا من قبل أى شبيهه ونظيره لا عينه ، وهل المراد هذا الذى رزقنا فى الدنيا نظيره من الفواكه والثمار ، أو هذا نظير الذى رزقناه قبل فى الجنة ؟

قيل : فيه قولان : فى تفسير السدى عن أبى مالك وأبى صالح : عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا : هذا الذى رزقناه من قبل أنهم أتوا بالثمرة فى الجنة ، فلما نظروا إليها قالوا : هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا . قال مجاهد : ما أشبهه به ، وقال ابن زيد : هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا ، وأتوا به متشابهاً يعرفونه ، وقال آخرون : هذا الذى رزقنا من قبل من ثمار الجنة ، من قبل هذا لشدة مشابهة بمضه بعضاً فى اللون والطعم . واحتج أصحاب هذا القول بحجج :

إحداها : أن المشابهة التى بين ثمار الجنة بعضها لبعض أعظم من المشابهة التى بينها وبين ثمار الدنيا ، ولشدة المشابهة قالوا : هذا هو .

الحجة الثانية : ما حكاه ابن جرير عنهم قال : ومن علة قائلى هذا القول أن ثمار الجنة كلما نزع منها شئ عاد مكانه آخر مثله كما كان . حدثنا ابن بشار :

حدثنا ابن مهدي ، حدثنا سفيان سمعت ابن مرة يحدث عن أبي عبيدة وذكر ثمر الجنة ، وقال : كلما نزع ثمرة عادت مكانها أخرى .

الحجة الثالثة : قوله : وأتوا به متشابهاً ، وهذا كالتعميل والسبب الموجب لقولهم هذا الذي رزقنا من قبل .

الحجة الرابعة : إن المعلوم أنه ليس كل ما في الجنة من الثمار قد رزقوه في الدنيا وكثير من أهلها لا يعرفون ثمار الدنيا ولا رآوها ، ورجحت طائفة منهم ابن جرير وغيره القول الآخر ، واحتجت بوجوه . قال ابن جرير : والذي يحقق صحة قول القائلين : أن معنى ذلك هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا أن الله جل ثناؤه قال : (كلما رزقوا منها من مرة رزقاً) يقولون : هذا الذي رزقنا من قبل ، ولم يخصص أن ذلك من قبلهم في بعض دون بعض ، فإذا كان قد أخبر جل ذكره عنهم أن ذلك من قبلهم كلما رزقوا ثمرة ، فلا شك أن ذلك من قبلهم في أول رزق رزقوه من ثمارها أتوا به بعد دخولهم الجنة واستقرارهم فيها ، الذي لم يتقدمه عندهم من ثمارها ثمرة ، فإذا كان لا شك أن ذلك من قبلهم في أوله كما هو من قبلهم في وسطه وما يتلوه ، فمعلوم أنه محال أن يقولوا لأول رزق رزقوه من ثمار الجنة : هذا الذي رزقنا من قبل هذا من ثمار الجنة ، وكيف يجوز أن يقولوا لأول رزق من ثمارها ولما يتقدمه عندهم غيرها هذا هو الذي رزقنا من قبل ، إلا أن ينسبهم ذو غية وضلال إلى قيل الكذب ، الذي قد طهرهم الله منه أو يدفع دافع أن يكون ذلك من قبلهم الأول ، رزق يرزقونه من ثمارها في دفع صحة ما أوجب الله صحته من غير نصب ، دلالة على أن ذلك في حال من أحوالهم دون حال . فقد تبين أن معنى الآية كلما رزقوا من ثمرة من ثمار الجنة في الجنة قالوا : هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا .

قلت : أصحاب القول الأول يخصصون هذا العام بما عدا الرزق الأول ، للدلالة العقل والسياق عليه ، وليس هذا بيدع من طريقة القرآن وأنت مضطر إلى تخصيصه ولا بد بأنواع من التخصيصات :

أحدها : أن كثيراً من ثمار الجنة وهي التي لا نظير لها في الدنيا ، لا يقال فيها ذلك .

الثاني : أن كثير من أهلها لم يرزقوا جميع ثمرات الدنيا التي لها نظير في الجنة .

الثالث : أنه من المعلوم أنهم لا يستمرون على هذا القول أبد الآباد كما أكلوا ثمرة واحدة قالوا: هذا الذي رزقنا في الدنيا ، ويستمرون على هذا الكلام دائماً إلى غير نهاية ، والقرآن العظيم لم يقصد إلى هذا المعنى ولا هو مما يمتنى بهم من نعمهم ولذتهم ، وإنما هو كلام مبين خارج على المعتاد المفهوم من الطيب .

ومعناه : أنه يشبه بعضه بعضاً ليس أوله خيراً من آخره ، ولا هو مما يعرض له ما يعرض لثمار الدنيا عند تقادم الشجر وكبرها من نقصان حملها وصغر ثمرها وغير ذلك ، بل أوله مثل آخره ، وآخره مثل أوله وهو خيار كله يشبه بعضه بعضاً ، فهذا وجه قولهم ولا يلزم مخالفة ما نصه الله سبحانه وتعالى ولا نسبة أهل الجنة إلى الكذب بوجه ، والذي يلزمهم من التخصص يلزمك نظيره وأكثر منه ، والله أعلم .

وأما قوله عز وجل : (وأتوا به متشابهاً) قال الحسن : خيار كله لارذل ، ألم تروا إلى ثمر الدنيا كيف تستردلون بعضه وأن ذلك ليس فيه رذل ؟ وقال قتادة : خيار لارذل فيه ، فإن ثمار الدنيا ينقى منها ويرذل منها ، وكذلك قال ابن جريح وجماعة ، وعلى هذا ، فالمراد بالتشابه التوافق والتماثل .

وقالت طائفة أخرى ، منهم ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : متشابهاً في اللون والمرأى ، وليس يشبه الطعم ، قال مجاهد : متشابهاً لونه مختلفاً طعمه ، وكذا قال الربيع بن أنس ، وقال يحيى بن أبي كثير « عشب الجنة الزعفران ، وكشبانها المسك ، ويطوف عليهم الولدان بالفاكهة فيأكلونها ثم يأتونهم بمثلها فيقولون : هذا الذي جئتمونا به آنفاً ، فيقول لهم الخدم : كلوا فإن اللون واحد والطعم مختلف ، فهو قوله عز وجل : (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً)^(١) .

وقالت طائفة وناس معنى الآية : أن يشبه عمر الدنيا غير أن عمر الجنة أفضل وأطيب . قال ابن وهب : قال عبد الرحمن بن زيد : يعرفون أسماءهم كما كانوا في الدنيا التفتح بالفتح ، والرمان بالرمان ، قالوا في الجنة : هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً يعرفونه ، وليس هو مثله في الطعم ، واختار ابن جرير هذا القول قال : ودليلنا على فساد قول من قال إن معنى الآية هذا الذي رزقنا من قبل أى في الجنة ، وتلك الدلالة على فساد ذلك القول هي الدلالة على فساد قول من خالف قولنا في تأويل قوله : وأتوا به متشابهاً . أن سبحانه وتعالى أخبر عن المعنى الذي من أجله قال القوم ، هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً .

قلت : وهذا لا يدل على فساد قولهم لما تقدم وقال : (جنات عدن مفتحة لهم الأبواب * متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب) وقال تعالى : (يدعون فيها بكل فاكهة آمنين) ، وهذا يدل على أمنهم من انقطاعها ومضرتها ، وقال تعالى : (وتلك الجنة التي أوردتهموها مما كنتم تعملون * لكم فيها فاكهة كثيرة) (١) وقال تعالى : (وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة) أى لا تكون في وقت دون وقت ، ولا تمنع ممن أرادها وقال : (فهو في عيشة راضية * في جنة عالية * قطوفها دانية) والقطوف : جمع قطف وهو ما يقطف ، والقطف ، - بالفتح - الفعل ، أى ثمارها دانية قريبة ممن يتناولها فيأخذها كيف يشاء ، قال البراء بن عازب : يتناول الثرة وهو نائم وقال تعالى : (ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً) (٢) ، قال ابن عباس : إذا هم أن يتناول من ثمارها تدلت له حتى يتناول ما يريد ، وقال غيره : قريب إليهم مذلة كيف شاؤوا فهم يتناولونها قياماً وقعوداً ومضطجعين ، فيكون كقوله : (قطوفها دانية) . ومعنى تذليل القطف : تسهيل تناوله ، وأهل المدينة يقولون : ذلل النخل ، أى سوعر وقها وأخرجها من السعف حتى يسهل تناولها ، وفي نصب دانية وجهان :

أحدها : أنه على الحال عطفاً على قوله متكئين .

(١) سورة الزخرف آية ٧٣ .

(٢) سورة الإنسان آية ١٤ .

والثاني : أنه صفة الجنة ، وقال تعالى : (فيهما من كل فاكهة زوجان) وفي الجنة الآخرتين (فيهما فاكهة ونخل وزمان) وخص النخل والرمان من بين الفاكهة بالذكر لفضلهما وشرفهما ، كما نص على حدائق النخل والاعناب في سورة النبأ ، إذ هما من أفضل أنواع الفاكهة وأطيبها وأحلاها . وقد قال تعالى : (ولهم فيها من كل الثمرات ومنفردة من ربهم) (١) .

وقال الطبراني : حدثنا معاذ بن النسي ، حدثنا علي بن المديني ، حدثنا ريجال ابن سعيد عن عبادة بن منصور عن أيوب عن أبي قلابة عن إسماعيل عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى » وقال عبد الله بن الإمام أحمد : حدثني عقبة بن مكرم العمي ، حدثنا ربيعة بن إبراهيم بن إرمي بن علي ، حدثنا عوف عن قسامة بن زهير عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أهبط الله آدم عليه السلام من الجنة ، وعلمه صنعة كل شيء وزوده من ثمار الجنة فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أنها تغير وتلك لا تغير » وقد تقدم أن سدرة المنتهى نبتها مثل اللال .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عرضت على الجنة حق لو تناولت منها قطعاً أخذته » وفي لفظ : « فتناولت منها قطعاً فقصرت عنه يدي » وقال أبو خيثمة : حدثنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا عبيد الله ، حدثنا ابن عقيل عن جابر قال : « بينما نحن في صلاة الظهر إذ تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدمنا ثم تناول شيئاً شيئاً ليأخذه ، ثم تأخر ، فلما قضى الصلاة قال له أبي بن كعب : يا رسول الله ، صنعت اليوم في صلاتك شيئاً ما كنت تصنعه ؟ قال : إنه عرضت على الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة فتناولت منها قطعاً من عنب لآتيكم بكم فحيل بيني وبينه ولو آتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا يتقصونه » .

وقال ابن المبارك : أنبأنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال : « ثمر الجنة أمثال اللال والدلاء ، أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، والين من الزبد ، ليس فيه عجم » .

وقال سعيد بن منصور : حدثنا شريك عن أبي إسحاق البراء بن عازب قال :
« إن أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قياماً وقعوداً ومضطجعين على أى حال
شاؤا » .

وقال البزار فى مسنده : حدثنا أحمد بن الفرج الحمصى ، حدثنا عثمان بن سعيد
ابن كثير بن دينار الحمصى ، حدثنا محمد بن المهاجر عن الضحاك المفاىرى عن سليمان
ابن موسى قال : حدثنى كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « ألا مشمر للجنة فإن الجنة لا حظ لها ، هى ورب السكبة
نور يتلألأ ، وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وثمره نضيجة وزوجا
حسنا جميله ، وحلل كثيرة فى مقام أبدأ فى دار سليمة ، فأكهه وخضرة وحبيرة ونعمة
فى محلة عالية بهية ، قالوا : نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها ، قال : قولوا :
إن شاء الله ، قال القوم : إن شاء الله » قال البزار : وهذا الحديث لا نعلم من رواه
عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا أسامة ولا نعلم له طريقاً عن أسامة إلا هذا الطريق ،
ولا نعلم رواه عن الضحاك المفاىرى إلا هذا الرجل محمد بن مهاجر .

وفى حديث لقيط بن صبرة الذى رواه عبدالله بن أحمد فى مسند أبيه وغيره :
« قلت : يا رسول الله على ما يطلع أهل الجنة ؟ قال : على أنهار من عسل مصفى ،
وأنهار من كأس ما بها صداع ولا ندامة ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وماء غير
آسن وبفاكهة لعمر إلهك مما يعلمون وخير مثله معه ، وأما الريحان فهو كل نبت
طيب الرائحة » قال الحسن وأبو العالية : وهو ريحاننا هذا يؤتى بنصن من ريحان
الجنة فنشمه .

الباب السادس والأربعون

في زرع الجنة

قال تعالى : (وفيما ما تشبهه الأعين وتلد الأعين)^(١) ، وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحدث يوماً وعنده رجل من أهل البادية : « أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه عز وجل في الزرع فقال له : أولست فيما اشتيت ؟ فقال : بلى ، ولكني أحب أن أزرع فأسرع ، وبذر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال فيقول الله عز وجل : دونك يا ابن آدم ، فإنه لا يشبعك شيء ، فقال الأعرابي : يا رسول الله ، لا نجد هذا إلا قرشياً أو أنصاريّاً ، فإنهم أصحاب زرع ، فأما نحن فأسنانا بأصحاب زرع ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم » رواه البخاري في كتاب التوحيد في باب كلام الرب تعالى مع أهل الجنة وخرجه في غيره أيضاً . وهذا يدل على أن في الجنة زرعاً وذلك البذر منه « وهذا أحسن أن تكون الأرض معمورة بالشجر والزرع .

فإن قيل : فكيف استأذن هذا الرجل ربه في الزرع فأخبره أنه في غنية عنه ؟ قيل : لعله استأذنه في زرع يباشره ويزرعه بيده ، وقد كان في غنية عنه « وقد كفي مؤونته ، ولا أعلم ذكر الزرع في الجنة إلا في هذا الحديث . والله أعلم .

وروى إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة قال : « بينما رجل في الجنة » فقال في نفسه : لو أن الله يأذن لي لزرعت ، فلا يعلم إلا الملائكة على أبوابه فيقولون : سلام عليكم يقول لك ربك : تمنيت في نفسك شيئاً فقد علمته ، وقد بعث الله معنا البذر فيقول : ابذروا فيخرج أمثال الجبال فيقول له الرب من فوق عرشه : كل يا ابن آدم فإن ابن آدم لا يشبع « والله أعلم .

الباب السابع والأربعون

في ذكر أنهار الجنة وعيونها وأصنافها ومجرها الذي تجري عليه

وقد تكرر في القرآن في عدة مواضع قوله تعالى : (جنات تجري من تحتها الأنهار) ، وفي موضع : (تجري تحتها الأنهار) ، وفي موضع : (تجري من تحتهم الأنهار) وهذا يدل على أمور : أحدها : وجود الأنهار فيها حقيقة . الثاني : أنها جارية لا واقفة . الثالث : أنها تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم كما هو للمهود في أنهار الدنيا ، وقد ظن بعض المفسرين أن معنى ذلك جريانها بأمرهم وتصريفهم لها كيف شاؤوا ، وكان الذي حملهم على ذلك أنه لما سمعوا أن أنهارها تجري في غير أخذود فهي جارية على وجه الأرض حملوا قوله : (تجري من تحتها الأنهار) على أنها تجري بأمرهم إذ لا يكون فوق السكان تحتها وهؤلاء أتوا من ضعف الفهم ، فإن أنهار الجنة - وإن جرت في غير أخذود - فهي تحت القصور والمنازل والغرف وتحت الأشجار ، وهو سبحانه لم يقل : من تحت أرضها ، وقد أخبر سبحانه عن جريان الأنهار تحت الناس في الدنيا فقال : (ألم يروا كم أهلكتنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمسك لهم وأرسلنا السماء عليهم مدراراً ، وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم)^(١) ، فهذا على ما هو للمهود المتعارف ، وكذلك ما حكاه من قول فرعون : (وهذه الأنهار تجري من تحتي)^(٢) ، وقال تعالى : (فيها عينان نضاختان) قال ابن أبي شيبة : حدثنا يحيى بن يمان عن أشعب عن جعفر عن سميد قال « نضاختان بالماء والفواكه » وحدثنا ابن يمان عن أبي إسحاق عن أبان عن أنس قال : نضاختان بالمسك والعنبر ينضخان على دور أهل الجنة ، كما ينضخ المطر على دور أهل الدنيا ، وحدثنا عبدالله بن إدريس عن أبيه عن أبي إسحاق عن البراء قال : اللتان تجريان أفضل من النضاختين وقال تعالى : (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ،

(١) سورة الأنعام آية ٦

(٢) سورة الزخرف آية ٥١

وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من غسل مصفى ولحم فيها من الثمرات ومنفرة
عن ربهم (١) .

فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة ، ونفى عن كل واحد منها الآفة التي
تعرض له في الدنيا ، فأفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه ، وأفة اللبن أن
يتغير طعمه إلى الحموضة ، وأن يصير قارصاً ، وأفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذة
شربها ، وأفة العسل عدم تصفيته .

وهذا من آيات الرب تعالى أن تجري أنهار من أجناس لم تجر العادة في الدنيا
بإجرائها ويجريها في غير أحوالها ، وينفى عنها الآفات التي تمنع كمال اللذة بها كما ينفي
عن خمر الجنة جميع آفات خمر الدنيا من الصداع والنعول والنمو والإنزاف وعدم
اللذة ، فهذه خمس آفات من آفات خمر الدنيا تنتال العقل ويكثر اللغو على شربها ،
بل لا يطيب لشرابها ذلك إلا باللغو ، وتزرف في نفسها وتزرف المال ، وتصدع
الرأس ، وهي كرهية المذاق ، وهي رجس من عمل الشيطان يوقع العداوة والبغضاء
بين الناس ، وتصدع عن ذكر الله وعن الصلاة ، وتدعو إلى الزنا ، وربما دعت إلى
الوقوع على البنت والأخت وذوات المحارم ، وتذهب الغيرة ، وتورث الخزي
والندامة والفضيحة ، وتلحق شاربها بأنقص نوع الإنسان وهم المجانين ، وتسلبه
أحسن الأسماء والسمات ، وتسكوه أقبح الأسماء والصفات ، وتسهل قتل النفس
وإفشاء السر الذي في إفشائه مضرته أو إهلاكه ، ومؤاخذة الشياطين في تبذير المال
الذي جمعه الله قياماً له ولم يلزمه مؤنته ، وتهتك الأستار ، وتظهر الأسرار ،
وتدل على العورات وتهون ارتكاب القبائح والمآثم ، وتخرج من القلب تعظيم المحارم
ومدمنها كما بدوثن ، وكم أهاجت من حرب وأفقرت من غنى ، وأذلت من عزيز ،
ووضعت من شريف ، وسلبت من نعمة وجلبت من نعمة ، وفسخت مودة ، ونسجت
عداوة ، وكم فرقت بين رجل وزوجته فذهبت بقلبه وراحت بلبه ، وكم أورثت
من حسرة وأجرت من عبرة ، وكم أغلقت في وجه شاربها باباً من الشر ، وكم أوقمت
في بلية وعجلت من منية ، وكم أورثت من خزية ، وجرت على شاربها من محنة ،

وجرت عليه من سفلة ، فهي جماع الإثم ، ومفتاح الشر ، وسلاية النعم ، وجلية النعم ، ولو لم يكن من رذائلها إلا أنها لا تجتمع هي وخمر الجنة في جوف عبد ، كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة » . لكفى .

وآفات الخمر أضاف أضاف ما ذكرنا وكلها منتفية عن خمر الجنة .

فإن قيل : فقد وصف سبحانه الأنهار بأنها جارية ، ومعلوم أن الماء الجارى لا يأسن ، فما فائدة قوله : غير آسن ؟

قيل : الماء الجارى وإن كان لا يأسن ، فإنه إذا أخذ منه شيء وطال مكثه أسن ، وماء الجنة لا يمرض له ذلك ، ولو طال مكثه ما طال ،

وتأمل اجتماع هذه الأنهار الأربعة التي هي أفضل أشربة الناس ، فهذا لشربهم وطهورهم ، وهذا لقوتهم وغذائهم ، وهذا لذتهم وسرورهم ، وهذا لشفايتهم ومنفعتهم . والله أعلم .

فصل

وأنهار الجنة تنفجر من أعلاها ، ثم تنحدر نازلة إلى أقصى درجاتها ، كما روى البخارى في صحيحه من حديث أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن في الجنة مائة درجة أعدها الله عز وجل للمجاهدين في سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ، فإنه وسط الجنة ، وأعلى الجنة ، وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تنفجر أنهار الجنة » .

وروى الترمذى نحوه من حديث معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت ، ولفظ حديث عبادة : « الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس أعلاها درجة ، ومنها الأنهار الأربعة والمرش ، فإن سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى » .

وفي المعجم للطبراني من حديث الحسن عن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الفردوس ربوة الجنة وأعلاها وأوسطها ومنها تفجر أنهار الجنة » .

وفي صحيح البخارى من حديث شعبة عن قتادة قال : أخبرني أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رفعت إلى سدرة المنتهى في السماء السابعة نبقها مثل قلال حجر ، وورقها مثل آذان الفيلة ، ويخرج من ساقها نهران ظاهران ، ونهران باطنان ، فقلت : يا جبريل ، ما هذا ؟ قال : أما النهران الباطنان ففي الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات » .

وفي صحيحه أيضاً من حديث هام عن قتادة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بيننا أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المخوف ، فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذى أعطاك ربك ، قال : فضرب الملك يده فإذا طينه مسك أذفر » .

وفي صحيح مسلم من حديث المختار بن قنفل عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الكوثر نهر في الجنة وعدنيه ربي عز وجل » وقال محمد بن عبد الله الأنصارى : حدثنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دخلت الجنة فإذا نهر يجرى حافتاه خيام اللؤلؤ ، فضربت يدي إلى ما يجرى فيه من الماء فإذا أنا بمسك أذفر . فقلت : لمن هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذى أعطاك الله عز وجل » .

قال الترمذى : حدثنا هناد ، حدثنا محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب عن محارب بن دثار عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت ، تربته أطيب من المسك ، وماؤه أحلى من العسل ، وأبيض من الثلج » قال : هذا حديث حسن صحيح ، وقال أبو نعيم الفضل : حدثنا أبو جعفر هو الرازى ، حدثنا ابن أبي نجيب عن مجاهد : (إنا أعطيناك الكوثر)^(١) قال : الحير الكثير . وقال أنس بن مالك :

نهر في الجنة ، وقالت عائشة : هو نهر في الجنة ليس يدخل احد إصبعيه في أذنيه إلا سمع خرير ذلك النهر ، وهذا معناه والله أعلم ؛ أن خرير ذلك النهر يشبه الخرير الذي يسمعه حين يدخل إصبعيه في أذنيه .

وفي جامع الترمذى من حديث الحريري عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن في الجنة بحر الماء ، وبحر العسل ، وبحر اللبن ، وبحر الحمر ، ثم تشقق الأنهار بعد » قال هذا حديث حسن صحيح .

وقال الحاكم : حدثنا الأصم ، حدثنا الربيع بن سليمان ، حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا ابن ثوبان ، عن عطاء بن قرّة ، عن عبد الله بن سمرة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سره أن يسقيه الله عز وجل من الحمر في الآخرة فليتركه في الدنيا ، ومن سره أن يكسبه الله الحرير في الآخرة فليتركه في الدنيا ، وأنهار الجنة تفجر من تحت تلال أو تحت جبال المسك ، ولو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل الدنيا جميعاً لكان ما يحليه الله به في الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعاً » ،

وذكر الأعمش عن عمرو بن مرة عن مسروق عن عبد الله قال : « إن أنهار الجنة تفجر من جبل مسك » وهذا موقوف صحيح .

وذكر ابن مردويه في مسنده : حدثنا أحمد بن محمد بن عاصم ، حدثنا عبد الله ابن محمد بن النعمان ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا الحرث بن عبيد ، حدثنا أبو عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذه الأنهار لشخب من جنة عدن في جوبة ، ثم تصدع بعد أنهاراً » .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا يعقوب بن عبيدة ، حدثنا يزيد بن هرون ، حدثنا الحريري عن معاوية بن قرّة عن أس بن مالك قال : « أظنكم تظنون أن أنهار الجنة أخذود في الأرض ؟ لا والله إنها السائحة على وجه الأرض إحدى حافيتها اللؤلؤ والأخرى الياقوت ، وطينها المسك الأذفر ، قلت : ما الأذفر ؟ قال :

الذى لاخاط له ، ورواه ابن مردويه في تفسيره عن محمد بن أحمد حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى ، حدثنا مهدي بن حكيم ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا الحريري عن معاوية بن قررة عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكره هكذا رواه مرفوعاً .

وقال أبو خيثمة : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أنه قرأ هذه الآية (إنا أعطيناك السكوتر) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعطيت السكوتر فإذا هو يجرى ولم يشق شقاً ، وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ فضربت يدي إلى تربته فإذا مسك أذفر وإذا حصباؤه اللؤلؤ » .

وذكر سفيان الثوري عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن مسروق في قوله تعالى : (وماء مسكوب) قال : أنهار تجرى في غير أخدود قال : (ونخل طلها هضم) قال : من أصلها إلى فروعها أو من كلة نحوها .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة » وقال عثمان بن سعيد الدارمي : حدثنا سعيد بن سابق ، حدثنا مسلمة بن علي عن مقاتل بن حبان عن عكرمة ، عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أنزل الله من الجنة خمسة أنهار : سيحون وهو نهر الهند ، وجيحون وهو نهر بلخ ، ودجلة والفرات وهما نهران العراق ، والنيل وهو نهر مصر ، أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة ، من أسفل درجة من درجاتها على جناح جبريل صلى الله عليه وسلم ، فاستودعها الجبال وأجراها في الأرض ، وجعل فيها منافع للناس في أصناف ما يشبههم ، فذلك قوله : (وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه في الأرض وإننا على ذهاب به لقادرون)^(١) .

فإذا كافي عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل جبريل فرفع من الأرض القرآن ، واللم كله ، والحجر الأسود من ركن البيت ومقام إبراهيم وتابوت موسى

بما فيه ، وهذه الانهار الخمسة فرقع ذلك كله إلى السماء ، فذلك قوله تعالى : (وإنا على ذهاب به لقادرون) فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض ، فقد حرم أهلها خيري الدنيا والآخرة » ورواه أحمد بن عدى في ترجمة مسلمة ، هذا مع أحاديث غيره ، وقال عامة أحاديثه غير محفوظة ، وبالجملة فهو من الضمفاء . قال البخارى : منكر الحديث ، وقال النسائى : متروك ، وقال أبو حاتم : لا تشتغل به .

وقال عبدالله بن وهب : حدثنا سعيد بن أبى أيوب عن عقيل بن خالد عن الزهرى أن ابن عباس قال : « إن في الجنة نهرا يقال له : البيدج ، عليه قباب من ياقوت تحته جوار ، يقول أهل الجنة : انطلقوا بنا إلى البيدج فيتصفحون تلك الجوارى فإذا أعجب رجلا منهم جارية من مصصها فتتبعه » .

فصل

وأما الميون فقد قال تعالى : (إن المتقين في جنات وعيون) وقال تعالى : (إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ، عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجييرا)^(١) ، قال بعض السلف : مهمم قضبان الذهب حيثما مالوا مالت معهم ، وقد اختلف في قوله يشرب بها .

فقال الكوفيون : الباء بمعنى من أى يشرب منها .

وقال آخرون : بل الفعل مضمن . معنى يشرب بها : أى يروى بها ، فلما ضمنه ممناه عداه تمديته ، وهذا أصح والطف وأبلغ .

وقالت طائفة : الباء للظرفية ، والميون اسم للسكان ، كما تقول : كنا بمكان كذا وكذا ، ونظير هذا التضمين قوله تعالى : (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم) ضمن معنى يهم فمدى تمديته وقال تعالى : (ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا ، عينا فيها تسمى سلسبيلا)^(٢) فأخبر سبحانه عن الميون الذى يشرب بها المقربون صرفا ، أن شراب الأبرار يمزج منها ؛ لأن أولئك أخلصوا الأعمال كلها لله فأخلص شرابهم ،

(١) سورة الإنسان الآيات ٥ و ٦ .

(٢) سورة الإنسان آية ١٧ .

وهؤلاء مزجوا فزج شرابهم ، ونظير هذا قوله تعالى : (إن الأبرار لفي نعم ، على الأبرارئك ينظرون ، تعرف في وجوههم نضرة النعيم ، يسقون من رحيق مختوم ، ختامه مسك ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ، ومزاجه من تسليم ، عيناً يشرب بها القربون) (١) ، فأخبر سبحانه عن مزاج شرابهم بشيئين ؟ بالكافور في أول السورة ، والزنجبيل في آخرها ، فإن في الكافور من البرد وطيب الرائحة ، وفي الزنجبيل من الحرارة وطيب الرائحة ، وما يحدث لهم باجتماع الشرايين . ومجىء أحدهما على أثر الآخر حالة أخرى أكل وأطيب وألذ من كل منهما بانفراجه ، ويمدل كيفية كل منهما بكيفية الآخر ، وما اللطف موقع ذكر الكافور في أول السورة ، والزنجبيل في آخرها ، فإن شرابهم مزج أولاً بالكافور ، وفيه من البرد ما يجيء الزنجبيل بمدد فيمدله ،

والظاهر أن الكأس الثانية غير الأولى ، وأنها نوعان لذيذان من الشراب . أحدهما : مزج بكافور . والثاني : مزج بزنجبيل ، وأيضاً فإنه سبحانه أخبر عن مزج شرابهم بالكافور وبرده في مقابلة ما وصفهم به من حرارة الخوف ، والإيثار ، والصبر ، والوفاء بجميع الواجبات التي نبه على وفائهم بأضعفها ، وهو ما أوجبوه على أنفسهم بالنذر على الوفاء بأعلاها ، وهو ما أوجبه الله عليهم . ولهذا قال : (وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً) (٢) ، فإن في الصبر من الحشونة وحبس النفس عن شهواتها ما اقتضى أن يكون في جزائهم من سمة الجنة ، ونعومة الحرير ما يقابل ذلك الحبس والحشونة ، وجمع لهم بين النضرة والسرور ، وهذا جمال ظواهرهم ، وهذا حال بواطنهم ، كما جلوا في الدنيا ظواهرهم بشرائع الإسلام ، وبواطنهم بمحائق الإيمان ، ونظيره قوله في آخر السورة (عليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة) (٣) فهذه زينة الظاهر ، ثم قال : (وسقاهم ربهم شراباً طهوراً) فهذه زينة الباطن المطهر لهم من كل أذى ونقص . ونظيره قوله تعالى لا يبيهم آدم عليه السلام : (إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى ، وأنت لا تظمأ فيها ولا تضحى) فضمن له أن لا يصيبه ذل الباطن بالجوع ، ولا ذل الظاهر بالعرى ، وأن لا يناله حر الباطن بالظمأ ، ولا حر الظاهر بالضحى ، ونظير هذا ما عدده على عباده من نعمه أنه أنزل عليهم لباساً يوارى سواتهم ، ويزين ظواهرهم ، ولباساً آخر يزين بواطنهم

(١) سورة الطائفين الآيات ٢٢ - ٢٨ .

(٢) سورة الإنسان آية ١٢ .

(٣) سورة الإنسان آية ٢١ .

وقلوبهم، وهو لباس التقوى، وأخبر أنه خير اللباسين، وقريب من هذا إخباره أنه زين السماء الدنيا بزينة الكواكب، وحفظاً من كل شيطان مارد، فزين ظاهرها بالنجوم وباطنها بالحرامسة، وقريب منه أمره من أراد الحج بالزاد الظاهر، ثم أخبر أن خير الزاد، الزاد الباطن وهو التقوى، وقريب منه قول امرأة المزيغ عن يوسف، (فذلكن الذي لتنى فيه) فأرتهن حسنه وجماله، ثم قالت: (ولقد راودته عن نفسه فاستمعصم) (١). فأخبرت عن بجمال باطنه وزينته بالمنة، وهذا كثير في القرآن لتأمله:

الباب الثامن والأربعون

في ذكر طعام أهل الجنة وثمراتهم ومصرفه

قال تعالى : (إن المتقين في ظلال وعيون ، وفواكه مما يشتهون ، كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون) (١) ، وقال تعالى : (فأما من أوتى كتابه يمينه فيقول هاؤم أقرأوا كتابي ، إنى ظننت أنى ملاق حسبي ، فهو فى عيشة راضية ، فى جنة عالية ، قطوفها دانية ، كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية) (٢) ، وقال تعالى : (مثل الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحته الأنهار أكلفها دائم وظلها) (٣) ، وقال تعالى : (وأمددناهم بغاكة ولحم مما يشتهون ، يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم) (٤) وقال تعالى : (يسقون من رحيق مختم ختامه مسك ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) (٥) .

وفى صحيح مسلم من حديث أبى الزبير عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا كل أهل الجنة وشربون ولا يمتخطون ولا يتنوطون ولا يبولون ، طعامهم ذلك جشاء كريح المسك ، يلهمون التسييح والتكبير كما تلهمون النفس » ورواه أيضاً من رواية طلحة بن نافع عن جابر وفيه : « قالوا : فما بال الطعام ؟ قال : جشاء ورشح كريح المسك ، يلهمون التسييح والحمد » .

وفى المسند وسنن النسائى بإسناد صحيح على شرط الصحيح من حديث الأعمش ، عن ثمامة بن عتبة عن زيد بن أرقم قال : « جاء رجل من أهل السكتاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا أبا القاسم ، تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ؟ قال : نعم ، والذى نفس محمد بيده إن أحدهم ليمطى قوة مائة رجل »

(١) سورة المرسلات الآيات ٤١ - ٤٣ .

(٢) سورة الحاقة الآيات ١٩ - ٢٤ .

(٣) سورة الرعد آية ٣٥ .

(٤) سورة الطور الآيتان ٢٢ و ٢٣ .

(٥) سورة المطففين ٢٥ و ٢٦ .

في الأكل والشرب والجماع والشهوة ، قال : فإن الندى يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس في الجنة أذى ، قال : تكون حاجة أحدهم رشحاً يفيض من جلودهم كرشح المسك فيضمر بدنه .

ورواه الحاكم في صحيحه ولفظه : « أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فقال : يا أبا القاسم ، ألسنت تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ؟ - ويقول لأصحابه : إن أقر لي بهذا خصمته - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفس محمد بيده ، إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في الطعام والشرب والشهوة والجماع ، فقال له اليهودي : فإن الندى يأكل ويشرب تكون له الحاجة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك ، فإذا البطن قد ضمر . »

وقال الحسن بن عرفة : حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبد الله ابن الحارث عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتميه فيخر بين يديك مشوياً . »

وقد تقدم حديث أنس في قصة عبد الله بن سلام : في أول ما يأكله أهل الجنة وشراهم على أثره ، حديث أبي سعيد الخدري : « تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفأها الجبار بيده زلاً لأهل الجنة . »

وقال الحاكم : أنبأنا الأصم ، حدثنا إبراهيم بن منذر ، حدثنا إدريس بن يحيى ، حدثني الفضل بن الخطاب عن عبيد الله بن موهب عن عصمة بن مالك الخطمي عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن في الجنة طيراً أمثال البخاني ، فقال أبو بكر : إنها لناعمة يارسول الله ، قال : أنعم منها من يأكلها وأنت ممن يأكلها يا أبا بكر ، »

قال الحاكم وأنبأنا الأصم ، حدثنا يحيى بن أبي طالب ، أنبأنا عبد الوهاب ابن عطاء ، أنبأنا سعيد عن قتادة في قوله تعالى : (ولحم طير مما يشتمون) قال : ذكر لنا أن أبا بكر قال : « يارسول الله ، إنى لأرى طير الجنة ناعمة كما أن أهلها ناعمون ، قال : من يأكلها أنعم منها ، وأنها أمثال البخاني وإنى لاحتسب على الله

أن تأكل منها يا أبا بكر ، وبهذا الإسناد عن قتادة عن أيوب رجل من أهل البصرة عن عبد الله بن عمرو في قوله تعالى : (يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب) (١) ، قال : يطاف عليهم بسمين صحفة من ذهب كل صحفة منها فيها لون ليس في الأخرى .

وقال الدراودي : حدثني ابن أخي ابن شهاب عن أبيه عن عبد الله بن مسلم أنه سمع أنس بن مالك يقول في السكوتر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هو نهر أعطانيه ربي أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من المسلف فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر ، فقال عمر بن الخطاب : إنها يا رسول الله لناعمة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : آكلها أنعم منها » تابعه إبراهيم بن سعيد عن ابن أخي عن ابن شهاب ، وقال : فقال أبو بكر بدل عمر .

وقال عثمان بن سعيد الدارمي : حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى : (وكأس من معين) يقول الخمر لا فيها غول يقول ليس فيها صداع ، وفي قوله تعالى : (ولا هم عنها ينزفون) يقول : لا تذهب عقولهم ، وقوله تعالى (وكأساً دهاقاً) يقول ممتلئة ، وقوله : (رحيق مخنوم) يقول : الخمر ختم بالمسك : وقال علقمة عن ابن مسعود : (ختامه مسك) قال : خلطه وليس بخاتم ثم يختم .

قات : يريد - والله أعلم - أن آخره مسك يخالطه فهو من الخاتمة ، وليس من الخاتم .

وقال زيد بن معاوية : سألت علقمة عن قوله تعالى : (ختامه مسك) فقرأتها (خاتمه مسك) فقال لي : ليست خاتمه ، ولكن اقرأه (ختامه مسك) قال علقمة : ختامه خلطه ، ألم تر أن للمرأة من نسائك تقول للطيب : إن خلطه من مسك لكذا وكذا .

وذكر سعيد بن منصور : حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله في قوله تعالى : (ومزاجه من تسنيم) قال : تمزج لاصحاب

اليمين ويشربها للقربون صرفاً . وكذلك قال ابن عباس : يشرب منها القربون صرفاً ، وتمزج ابن دونهم .

وقال مجاهد : ختامه مسك يقول طيبة ، وهذا التفسير يحتاج إلى تفسير . ولفظ الآية أوضح منه . وكأنه والله أعلم ، يريد ما يبقى من أسفل الإناء من الدردى .

وذكر الحاكم من حديث آدم : حدثنا شيبان عن جابر عن ابن سابط عن أبي الدرداء في قوله (ختامه مسك) قال : هو شراب أبيض مثل الفضة يختصون به آخر شرابهم ، لو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها ، لم يبق ذرورح إلا وجد ريح طيبها .

قال آدم : وحدثنا أبو شعبة عن عطاء قال : (التسنيم) : إسم العين التي يمزج بها الحجر .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هشيم ، أنبأنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس في قوله : (وكأساً دهاقا) قال : هي للتابعة المتكئة . قال : وربما سميت العباس يقول : اسقنا وأدهق لنا . وقد تقدم الكلام على قوله تعالى : (إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً ، عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجييراً) وعلى قوله (ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً ، عيناً تسمى كهيها ساسبيلاً)^(١) ، فقالت فرقة : ساسبيلاً جملة مركبة من فعل وفاعل ، وسبيلاً منصوب على المفعول ، أى سل سبيلاً إليها وليس هذا بشيء ، وإنما الساسبيل كلمة مفردة وهي إسم للعين نفسها باعتبار صفتها ، ولقد شق قتادة ومجاهد في اشتقاق اللفظة فقال قتادة : سلسلة فهم يصرفونها حيث شاؤوا .

وهذا من الاشتقاق الأكبر ؛ وقال مجاهد : سلسلة السيل حديدية الجرية ، وقال أبو العالية : والمقابلان تسيل عليهم في الطرق ، وفي منارهم ، وهذا سلاستها وحدة جريتها ، وقال آخرون : منهاها طيبة الطعم والمذاق . وقال أبو إسحاق : ساسبيل صفة لما كان في غاية السلاسة ، فسميت العين بذلك .

وقال ابن الأنباري : الصواب في سلسبيل : أنه صفة للماء ، وليس باسم للمعين ، واحتج على ذلك بحجتين إحداهما : أن سلسبيلاً مصروف ، ولو كان إسماً للمعين لم يصرف للتأنيث والمعية ،

الثانية : أن ابن عباس قال : معناه أنها تنسل في حلقهم انسلالاً .

قلت : ولا حجة له في واحدة منهما ، أما الصرف فلاقتضاء رؤوس الآي له كظأره ، وأما قول ابن عباس ، فإنما يدل على أن المعين سميت بذلك باعتبار صفة السلالة والسهولة . فقد تضمنت هذه النصوص أن لهم فيها الحبز واللحم والفاكهة ، والجلوى وأنواع الأشربة من الماء واللبن والخمر ، وليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء ، وأما المسميات فبينها من التفاوت ما لا يعلمه البشر . فإن قيل : فأين يشوى اللحم وليس في الجنة نار ؟ فقد أجاب عن هذا بعضهم بأنه يشوى به (كن) وأجاب آخرون : بأنه يشوى خارج الجنة ، ثم يؤتى به إليهم . والصواب : أنه يشوى في الجنة بأسباب قدرها العزيز الحكيم لإفضائه وإصلاحه ، كما قدر هناك أسباباً لإيضاج الثمر والطعام ، على أنه لا يمتنع أن يكون فيها نار تصلح لا تفسد شيئاً .

وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مجامرهم الآلوة » و « الجامر » : جمع حجر ، وهو البخور الذي يتبخر بإحراقه و « الآلوة » : العود المطرى ، فأخبر أنهم يتجمرون به أى يتبخرون بإحراقه ، لتسطف لهم رائحته .

وقد أخبر سبحانه أن في الجنة ظلال ، والظلال لا بد أن تقيء مما يقابلها فقال (هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون) (١) وقال : (إن المتقين في ظلال وعيون) . وقال : (وندخلهم ظلالاً ظليلاً) فالأطعمة والجلوى والتجمر تستدعى أسباباً تتم بها . والله سبحانه خالق السبب والشبب ، وهو رب كل شيء ومليكه لا إله إلا هو ، وكذلك جعل لهم سبحانه أسباباً تصرف الطعام من الجشاء والعرق ، الذي يفيض من جلودهم ، فهذا سبب إخراجه ، وذلك سبب إضاجه ، وكذلك جعل في أجوافهم من الحرارة ما يطبخ ذلك الطعام ويلظفه ، ويهيئه لخروجه رشحاً وحشاً ، وكذلك ما هناك من الفواكه والثمار يخلق لها من الحرارة ما ينضجها

ويجمل سبحانه أوراق الشجر ظلالمها ، فرب الدنيا والآخرة واحد ، وهو الخالق
للأسباب والحكم ما يخلفه في الدنيا والآخرة ، والأسباب مظهر أفعاله وحكمته ،
ولسكنها . تختلف ولهذا يقع التعجب من العبد لورود أفعاله سبحانه على أسباب
غير الأسباب المهودة المألوفة ، وربما حمله ذلك على الإنكار والكفر ، وذلك
محض الجهل والظلم ، وإلا فليست قدرته سبحانه وتعالى مقصورة عن أسباب آخر ،
ومسيب ييشئها منها كما لاتقصر قدرته في هذا العالم للشهود عن أسبابه ومسيباته ،
وليس هذا بأهون عليه من ذلك .

ولعل النشأة الأولى التي أنشأها الرب سبحانه وتعالى فيها بالميان والمشاهدة
أعجب من النشأة الثانية التي وعدنا بها إذا تأملها اللبيب . ولعل إخراج هذه
التفواكه والثمار من بين هذه التربة الغليظة ، والماء والخشب والهواء المناسب لها ،
أعجب عند العقل من إخراجها من بين تربة الجنة ومائها وهوائها .

ولعل إخراج هذه الأشربة التي هي غذاء ودواء وشراب ولذة من بين فرت
ودم ، ومن قىء ذباب أعجب من إجرائها أنهاراً في الجنة بأسباب آخر، ولعل إخراج
جوهرى الذهب والفضة من عروق الحجارة من الجبال وغيرها ، أعجب من إنشائها
هناك أسباب آخر ، ولعل إخراج الحرير من لعاب دود القز ، وبنائها على أنفسها
القباب البيض والحمر والصفر ، أحكم بناء أعجب من إخراجهم من أكلم تنشق عنه
شجر هناك قد أودع فيها وأنشئ منها ، ولعل جريان بحار الماء بين السماء والأرض
على ظهور السحاب أعجب من جريانها في الجنة في غير أخذود .

وبالجملة ، فتأمل آيات الله التي دعا عباده إلى التفكر فيها وجلها آيات دالة على
كمال قدرته وعلمه ومشيشه وحكمته وملسكه ، وعلى توحده بالربوبية والإلهية ،
ثم وازن بينها وبين ما أخبر به من أمر الآخرة والجنة والنار ، تجد هذه أدل
شئ على تلك ، شاهدة لها وتجدهما من مشكاة واحدة ورب واحد وخالق واحد ،
ومالك واحد ، فبمدا لقوم لا يؤمنون .

الباب التاسع والأربعون

في ذكر آئيتهم التي يأكلون فيها ويشربون وأجناسها وصفاتها

قال تعالى : (يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب) فالصحاف جمع صحفة
قال السكبي ، بقصاع من ذهب . وقال الليث : الصفحة قطعة مسلطحة عريضة مما لجمع =
صحاف ، قال الأعشى :

والسكاكيك والصحاف من الفضة والضامرات تحت الرجال
وأما الأكواب فجمع كوب ، قال الفراء : الكوب المستدير الرأس الذي لا أذن
له . وأنشد لمدى :

متكئاً تصفق أبوابه يسمى عليه العبد بالكوب
وقال أبو عبيد : الأكواب . الأباريق التي لا خراطيم لها . قال أبو إسحاق :
واحد كواب وهو إناء مستدير لا عروة له ، وقال ابن عباس : هي الأباريق التي
ليست لها آذان ، وقال مقاتل هي أوان مستديرة الرأس ليس لها عرى .

وقال البخاري في صحيحه : الأكواب : الأباريق التي لها خراطيم وقال تعالى :
(يطوف عليهم ولدان مخلدون ، بأكواب وأباريق وكأس من معين)^(١) الأباريق
هي الأكواب التي لها خراطيم ، فإن لم يكن لها خراطيم ولا عرى فهي أكواب -
وإبريق إفعيل من البريق ، وهو الصفاء فهو الذي يبرق لونه من صفائه ثم سمي كل
ما كان على شكله إبريقاً وإن لم يكن صافياً ، وأباريق الجنة من الفضة في صفاء القوارير
يرى من ظاهرها ما في باطنها . والعرب تسمى السيف إبريقاً لبريق لونه ، ومنه
قول ابن أحرر :

تعلقت إبريقاً وعلقت جفنه ليهلك حياً ذا زهاء وخامل

(١) سورة الواقعة الآيتان ١٧ و ١٨ .

وفي نوارده للحيانى : امرأة إيريق إذا كانت براءة ، وقال تعالى : (ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا ، قواريرا من فضة قدروها تقديراً)^(١) فالقوارير هي الزجاج ، فأخبر سبحانه وتعالى عن مادة تلك الآنية أنها من الفضة ، وأنها بصفاء الزجاج وشفافته . وهذا من أحسن الأشياء وأعجبها . وقطع سبحانه توهم كون تلك القوارير من زجاج فقال : (قواريرا من فضة) .

قال مجاهد وقتادة ومقاتل والسكبي والشعبي : قوارير الجنة من الفضة ، فاجتمع لها بياض الفضة وصفاء القوارير . قال ابن قتيبة : كل ما في الجنة من الأنهار وسرورها وفرشها وأكوابها يخالف لما في الدنيا من صنعة المباد ، كما قال ابن عباس : ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء والأكواب في الدنيا ، قد تكون من فضة وتكون من قوارير ، فأعلمنا الله أن هناك أكواباً لها بياض الفضة وصفاء القوارير ، قال : وهذا على التشبيه أراد قوارير كأنها من فضة ، وهذا كقوله تعالى : (كأنهن الياقوت والمرجان) ، أى لهن ألوان للمرجان في صفاء الياقوت . وهذا مردود عليه فإن الآية صريحة أنها من فضة ، و « من » ههنا لبيان الجنس كما تقول : خاتم من فضة ، ولا يراد بذلك أنه يشبه الفضة ، بل جنسه ومادته الفضة ، بل ولعله أشكل عليه كونها من فضة وهي قوارير ، وهو الزجاج وليس في ذلك إشكال لما ذكرناه .

وقوله : (قدروها تقديراً) التقدير : جعل الشيء بقدر مخصوص ، فقدرت الصانع هذه الآنية على قدر ربه لا يزيد عليه ولا ينقص منه ، وهذا أبلغ في لذة الشارب ، فلو نقص عن ربه لنقص التذاده ، ولو زاد حتى يشتم منه حصل له ملالة وسأمة من الباقي . هذا قول جماعة من المفسرين .

(١) سورة الإنسان الآيتان ١٥ و ١٦ .

قال الفراء : قدروا الكأس على قدر رى أحدهم ، لا فضل فيه ولا عجز من هويه ، وهو ألد الشراب .

وقال الزجاج : جعلوا الإناء على قدر ما يحتاجون إليه ويريدونه .

وقال أبو عبيد : يكون التقدير الذين يسقون يقدرونها . ثم يسقون ، يعنى أن الضمير في قدروا للملائكة والخدم قدروا الكأس على قدر الرى ، فلا يزيد عليه فيثقل الكف ولا ينقص منه فتطاب النفس الزيادة كما تقدم ، وقالت طائفة : الضمير يعود على الشاربين ، أى قدروا في أنفسهم شيئاً فجاءهم الأمر بحسب ما قدروه وأرادوه ، وقول الجمهور أحسن وأبلغ ، وهو مستلزم لهذا القول ، والله أعلم .

وأما الكأس ، فقال أبو عبيدة : هو الإناء بما فيه . وقال أبو إسحاق : الكأس الإناء إذا كان فيه خمر ، ويقع الكأس لكل إناء مع شرايه . وللفسرون خسرو الكأس بالخر ، وهو قول عطاء والسكبي ومقاتل ؟ حتى قال الضحاك : كل كأس في القرآن ، فإعناغى به الخمر . وهذا نظر منهم إلى للمعنى المقصود : فإن المقصود ما في الكأس لا الإناء نفسه . وأيضاً فإن من الأسماء ما يكون إسمياً للحال والحل مجتمعين ومنفردين كأنهر والكأس . فإن النهر إسم الماء والحل معاً . ولكل منهما على انفراد ، وكذلك الكأس والقربة . ولهذا يجىء لفظ القربة مراداً به الساكن فقط والمسكن فقط والأمران معاً .

وقد أخرجا في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « جنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما . وجنتان من فضة آتيتهما وما فيهما : وما بين القوم أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن » وفيها أيضاً من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن في أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين يلونهم على أشد كوكب درى في السماء إضاءة ، لا يبولون ولا يتفوطون

ولا يمتخطون ولا يتفلون ، أمشاطهم الذهب ورشحهم للمسك . ومجامرهم الألوة ،
وأزواجهم الحور العين ، أخلاقهم على خلق رجل واحد . على صورة أبيهم آدم عليه
السلام ستون ذراعاً في السماء .

وفي الصحيحين من حديث حذيفة بن اليمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« لا تشرىوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافهما ، فإنها لهم في الدنيا ولكم
في الآخرة » وقال أبو يعلى الموصلي في مسنده : حدثنا ثوبان حدثنا سليمان بن
اللميرة حدثنا ثابت قال : قال أنس « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الرؤيا ،
فربما رأى الرجل الرؤيا فيسأل عنه إذا لم يكن يعرفه . فإذا أتى عليه معروف كان
أعجب لرؤياه إليه . فأنته امرأة فقالت : يا رسول الله رأيت كأنى أتيت فأخرجت
من المدينة فأدخات الجنة ، فسمعت وجية انفتحت لها الجنة فنظرت . فإذا فلان ابن
فلان وفلان ابن فلان فسمعت اثني عشر رجلاً . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد بعث سرية قبل ذلك فجىء بهم ، عليهم ثياب طلس تشخب أوداجهم ، فقيل : اذهبوا
بهم إلى نهر البيدخ أو البيدح . فغمسوا فيه فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر .
فأتوا بصفحة من ذهب فيها بسر ، فأكلوا من ذلك بسر ما شاؤا . فما يقبلونها من
وجهه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا وأكلت معهم . جاء البشير من تلك السرية
فقال : أصيب فلان وفلان حتى عد اثني عشر رجلاً . فدعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم للمرأة . فقال : قصي رؤياك فقصتها وجعلت تقول جىء بفلان وفلان كما قال »
رواه الإمام أحمد في مسنده بنحوه وإسناده على شرط مسلم .

الباب الخمسون

في ذكر لباسهم وحليمهم ومنادياتهم وفرشهم وبسطهم
ووسائدهم وعارقتهم وزرايبهم

قال تعالى : (إن للتعين في مقام أمين * في جنات وعيون * يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين) (١) وقال تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً * أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحملون فيها من أساور من ذهب ، ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك) (٢) .

قال جماعة من المفسرين : السندس مارق من الديباج ، والاسـتبرق ماغلظ منه .

وقالت طائفة : ليس المراد به الغليظ ، ولكن المراد به الصفيق .

وقال الزجاج : هما نوعان من الحرير ، وأحسن الألوان الأخضر ، وألين اللباس الحرير ، فجمع لهم بين حسن منظر اللباس واتخاذ المين به ، وبين نمومته واتخاذ الجسم به ، وقال تعالى : (ولباسهم فيها حرير) .

وهنا مسألة وهذا موضع ذكرها ، وهي أن الله سبحانه وتعالى أخبر أن لباس أهل الجنة حرير ، وضح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة » متفق على صحته ، من حديث عمر بن الخطاب وأنس بن مالك ، وقد اختلف في المراد بهذا الحديث ، فقالت طائفة من السلف والخلف : إنه لا يلبس الحرير في الجنة ، ويلبس غيره من الملابس ، قالوا : وأما قوله تعالى : (ولباسهم

(١) سورة الدخان الآيات ٥١ - ٥٣ .

(٢) سورة الكهف الآيات ٣٠ و٣١ .

فيها حرير) فمن العام المخصوص. وقال الجمهور: وهذا من الوعيد الذي له حكم أمثاله من نصوص الوعيد، التي تدل على أن الفعل مقتض لهذا الحكم. وقد يتخلف عنه لمانع.

وقد دل النص والإجماع على أن التوبة مانعة من لحوق الوعيد ويمنع من لحوقه أيضاً الحسنات الملاحية وللصائب للكفرة ودعاء المسلمين، وشفاعة من يأذن الله له في الشفاعة فيه، وشفاعة أرحم الراحمين إلى نفسه، فهذا الحديث نظم الحديث الآخر من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة. وقال تعالى: (وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً) (١) وقال: (عليهم ثياب سندس خضر وإستبرق) (٢) وتأمل ما دلت عليه لفظة (عليهم) من كون ذلك اللباس ظاهراً بارزاً يجعل ظواهرهم، ليس بمنزلة الشعار الباطن، بل الذي يلبس فوق الثياب للزينة والجمال.

وقد اختلف القراء السبعة في نصب (عليهم) ورفعهم على قراءتين. واختلف النحاة في وجه نصبه هل هو على الظرف أو على الحال، على قولين، واختلف المفسرون: هل ذلك الولدان الذين يطوفون عليهم فيطوفون، وعليهم ثياب السندس والإستبرق، أو للسادات الذين يطوفون عليهم الولدان فيطوفون على ساداتهم، وعلى السادات هذه الثياب، وليس الحال ههنا بالبين ولا تحت ذلك المعنى البديع الرائع. فالصواب أنه منصوب على الظرف فإن عالياً لما كان بمعنى فوق أجرى مجراه، قال أبو علي: وهذا الوجه أبين وهو أن عالياً صفة لجعل ظرفاً كما كان قوله: (والركب أسفل منكم) كذلك وكما قالوا هو ناحية من الدار، وأما من رفع عليهم فعلى الابتداء وثياب سندس خبره، ولا يمنع من هذا أفراد عال، وجمع الثياب. لأن فاعلاً قد يراد به الكثرة، كما قال:

ألا إن جيرانى المشية رائج
دعتم دواع من هوى ومناوح

(١) سورة الإنسان آية ١٢ .

(٢) سورة الإنسان آية ٢١ .

قال تعالى : (مستكبرين به سامراً تهجرون) (١) ومن رفع خضراً أجراه
صفة للثياب وهو الأقيس من وجوه :

أحدها : للطابفة بينهما في الجمع .

الثاني : موافقته لقوله تعالى : (ويلبسون ثياباً خضراً) .

الثالث : نخلصه من وصف للمفرد بالجمع ، ومن جر أجراه صفة للسندس على
إرادة الجنس ، كما يقال : أهلك الناس الدينار الصفر والدرهم البيض .

وتترجح القراءة الأولى بوجه رابع أيضاً ، وهو : أن العرب تجيء بالجمع
الذي هو في لفظ الواحد ، فيجرونه مجرى الواحد كقوله تعالى : (الذي جعل
لسمك من الشجر الأخضر ناراً) (٢) وكقوله : (كأنهم أعجاز نخل منقعر) (٣) فإذا
كانوا قد أفردوا صفات هذا النوع من الجمع ، فأفراد صفة الواحد ، وإن كان في
معنى الجمع أولى .

وفي استبرق قراءتان : الرفع عطفاً على ثياب ، والجر عطفاً على سندس .
وتأمل كيف جمع لهم بين نوعي الزينة الظاهرة من اللباس والحلي ، كما جمع لهم بين
الظاهرة والباطنة كما تقدم قريباً . فجعل البواطن بالشراب الطهور ، والسواعد
بالأساور ، والأبدان بشباب الحرير . وقال تعالى : (إن الله يدخل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحملون فيها من أساور من ذهب
ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير) (٤) واختلفوا في جر لؤلؤ ونصبه ، فمن نصبه ففيه
وجهان :

أحدها : أنه عطف على موضع قوله : من أساور .

(١) سورة المؤمنون آية ٦٧ .

(٢) سورة يس آية ٨٠ .

(٣) سورة القمر آية : ٢٠ .

(٤) سورة الحج آية ٢٣ .

والثاني: أنه منصوب بفعل محذوف دل عليه الأول ، أى ويحلون لؤلؤاً ، ومن جره فهو عطف على الذهب ، ثم يحتمل أمرين :

أحدهما : أن يكون لهم أساور من ذهب وأساور من لؤلؤ ، ويحتمل أن تكون الأساور مركبة من الأمرين معاً الذهب المرصع باللؤلؤ . والله أعلم بما أراد .

قال ابن أبي الدنيا : حدثني محمد بن رزق حدثنا زيد بن الحباب قال حدثني عتبة بن سعد قاضي الري عن جعفر بن أبي المغيرة عن شمر بن عطية عن كعب قال : « إن الله عز وجل ملكاً منذ يوم خلق يصوغ حلى أهل الجنة إلى أن تقوم الساعة ، لو أن قلباً من حلى أهل الجنة أخرج لذهب بضوء شعاع الشمس ، فلا تسألوا بعد هذا عن حلى أهل الجنة » حدثنا الحسن بن يحيى بن كثير العبدي ، حدثنا أبي عن أشعث عن الحسن قال : « الحلى في الجنة على الرجال أحسن منه على النساء » حدثنا أحمد بن منيع حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لميعة حدثنا يزيد بن أبي حبيب عن دواد بن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لو أن رجلاً من أهل الجنة اطاع فبدا سواره لطمس ضوء الشمس ، كما تطمس الشمس ضوء النجوم » .

وقال ابن وهب : حدثني ابن لميعة عن عقيل بن خالد عن الحسن عن أبي هريرة قال : إن أبا أمامة حدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم وذكر حلى أهل الجنة فقال : « مسورون بالذهب والفضة مكللون بالدر ، عليهم أكاليل من در وياقوت متواصلة ، وعليهم تاج كتاج الملوك ، شباب مراد مكحلون » .

وقد أخرجنا في الصحيحين والسياق لمسلم عن أبي حازم قال : « كنت خاب أبي هريرة وهو يتوضأ للصلاة ، فكان يمد يده حتى يبلغ إبطه ، فقلت : يا أبا هريرة ما هذا الوضوء ؟ فقال يا بني فروخ أتم ههنا ؟ لو علمت أنكم ههنا ما توضأت هذا الوضوء ، سمعت خليلي صلى الله عليه وسلم يقول : تبلغ الحلية من المؤمن حيث

يبلغ الوضوء » وقد احتج بهذا من يرى استحباب غسل العضد وإطالته ، والصحيح
أنه لا يستحب ، وهو قول أهل المدينة ، وعن أحمد روايتان والحديث لا يدل على
الإطالة ، فإن الحلية إنما تكون زينة في الساعد والعضد لا في العضد والكف .
وأما قوله : « فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل » فهذه الزيادة مدرجة في
الحديث من كلام أبي هريرة ، لا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، بين ذلك غير
واحد من الحفاظ . وفي مسند الإمام أحمد في هذا الحديث قال نعم : فلا أدري
قوله من استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل ، من كلام النبي صلى الله عليه وسلم
أو شيء قاله أبو هريرة من عنده ، وكان شيخنا يقول هذه اللفظة لا يمكن أن
تكون من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن الغرة لا تكون في اليد لا تكون
إلا في الوجه ، وإطالته غير ممكنة إذ تدخل في الرأس فلا تسمى تلك غرة .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من
يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ، ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ، في الجنة مالا عين
رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » . وقوله لا تبلى ثيابه : الظاهر
أن المراد به الثياب المعينة لا يالحقها البلى ، ويحتمل : أن يراد به الجنس ، بل لا يزال
عليه الثياب الجدد ، كما أنها لا ينقطع أكلها في جنسه ، بل كل ما أكل يخلفه آخر .
والله أعلم .

قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا محمد بن أبي الوضاح
حدثنا الملاء بن عبد الله بن رافع حدثنا حنان بن خارجة عن عبد الله بن عمر قال :
« جاء أعرابي حرى فقال : يا رسول الله أخبرنا عن الهجرة : إليك أينما كنت ،
أم لقوم خاصة . أم إلى أرض معلومة ، إذا مت انقطعت ؟ فسأل ثلاث مرات ثم
جلس ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسيراً ثم قال : أين السائل ؟ فقال :
ها هو ذا يا رسول الله ، قال : الهجرة أن تهجر الفواحش ما ظهر منها وما بطن ،
وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ، ثم أنت مهاجر وإن مت بالحضر ، فقام آخر ، فقال :
يا رسول الله ، أخبرني عن ثياب أهل الجنة أخلق خلقاً أم تنسج نسجاً ؟ قال :
فضحك بعض القوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تضحكون من جاهل
يسأل عالماً !! فأسكت النبي صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال : أين السائل عن ثياب

أهل الجنة ؟ فقال : ها هو ذا يارسول الله ، قال : لا ، بل يشق عنها ثمر الجنة « ثلاث مرات .

وقال الطبراني في معجمه : حدثنا أحمد بن يحيى الحلواني والحسن بن علي النسوي قالا : حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا فضيل بن مرزوق عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبدالله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أول زمرة يدخلون الجنة كأن وجوههم ضوء القمر ليلة البدر ، والزمرة الثانية على لون أحسن كوكب درى فى السماء ، لكل واحد منهم زوجتان من الحور العين على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ سوقها من وراء لحومها وحلها ، كما يرى الشراب الأحمر فى الزجاج البضاء » وهذا الإسناد على شرط الصحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس بن محمد حدثنا الحزرجى بن عثمان السعدي ، حدثنا أبو أيوب مولى لعثمان بن عفان عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقيد سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها ، ولقاب قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها ، ولنصف امرأة من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها ، قال : قلت يارسول الله وما النصف ؟ قال : الحمار . »

وقال ابن وهب : أخبرنا عمرو أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل ليتكبر فى الجنة سبعين سنة قبل أن يتحول ، ثم تأتيه امرأة فتضرب على منكبيه فينظر وجهه فى خدها أصفى من المرأة ، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضىء ما بين الشرق والمغرب . فتسلم عليه فيرد السلام ، ويسألها من أنت ؟ فتقول أنا المزينة ، وأنه ليكون عليه سبعون ثوباً أذناها مثل النعمان من طوبى ، فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك ، وأن عليها التيجان ، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضىء ما بين الشرق والمغرب » وروى الترمذى ذكر التيجان ، وإن أدنى لؤلؤة عن سويد بن نصر عن رشيد بن سعد عن عمرو بن وهب .

وقال ابن ابى الدنيا : حدثنا محمد بن إدريس الحنظلى حدثنا أبو عتبة حدثنا إسماعيل بن عياش عن سعيد بن يوسف عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلام الأسود

قال : سمعت أبا أمامة يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما منكم من أحد يدخل الجنة إلا انطلق به إلى طوبى ، فتنفتح له أكامها فيأخذ من أى ذلك شاء أبيض ، وإن شاء أحمر ، وإن شاء أخضر ، وإن شاء أصفر ، وإن شاء أسود ، ومثل شقائق النعمان وأرق وأحسن » .

قال ابن أبي الدنيا : وحدثنا سويد عن سعيد حدثنا عبد ربه بن بارق الحنفي عن خالد الزميل أنه سمع أباة قال : « قلت لابن عباس : ما حلل الجنة ؟ قال فيها شجرة فيها ثمر كأنه الزمان ، فإذا أراد ولى الله كسوة انحدرت إليه غصنها ، فانفلقت عن سبعين حلة ألوانا بعد ألوان ، ثم تنطبق ترجع كما كانت » .

قال وحدثنا عبد الله بن أبي خيثمة حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثني دراج أبو السمح أن أبا الهيثم حدثه عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال له يا رسول الله « طوبى لمن رآك وآمن بك ، فقال : طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى ، ثم طوبى ثم طوبى ، لمن آمن بي ولم يرني ، فقال له رجل : وما طوبى ؟ قال : شجرة في الجنة مسيرة مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكامها » .

قال وحدثني يعقوب بن عبيد حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا حماد بن سلمة عن أبي المهزم قال : قال أبو هريرة : « دار المؤمن في الجنة لؤلؤة فيها شجرة تنبت الحلل فيأخذ الرجل بأصبعيه - وأشار بالسبابة والإبهام - سبعين حلة بمنطقة بالؤلؤ والمرجان » .

قال وحدثنا حمزة بن العباس حدثنا عبد الله بن عثمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا صفوان بن حمزة عن شريح بن عبيد قال : قال كعب : « لو أن ثوبا من ثياب أهل الجنة لبس اليوم في الدنيا لصعق من ينظر إليه وما حامت أبصارهم » .

وقال عبد الله بن المبارك : أنبأنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن بشر بن كعب أو غيره قال : « ذكر لنا أن الزوجة من أزواج الجنة لها سبعون حلة هي أرق من شقيقكم هذا ، يرى مخ ساقها من وراء اللحم » .

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال : « أهدى أ كيدر دومة إلى النبي صلى الله عليه وسلم جبة من سندس ، فتمعجب الناس من حسننها ، فقال : لتناديل سعد في الجنة أحسن من هذا » .

وفي الصحيحين أيضاً من حديث البراء قال : « أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثوب حرير ، فحملوا يمججون من لينه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تهججون من هذا ؟ لتناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا » .

ولا يخفى ما في ذكر سعد بن معاذ بخصوصه ههنا ، فإنه كان في الأنصار بمنزلة الصديق في المهاجرين واهتز لموته العرش ، وكان لا يأخذه في الله لومة لأثم ، ووخم الله له بالشهادة وآثر رضا الله ورسوله ، على رضا قومه وعشيرته وحلفائه ، ووافق حكمه الذي حكم به حكم الله فوق سبع سمواته ، ونعم جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يوم موته ، فحق له أن تكون مناديله ، التي يمسح بها يديه في الجنة أحسن من حلل الملوك .

فصل

ومن ملابسهم التي يجان على رؤوسهم

ذكر البيهقي من حديث يعقوب بن حميد بن كاسب أنبأنا هشام بن سمان عكرمة عن إسماعيل بن رافع عن سعيد المقبري وزيد بن أسلم عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ القرآن فقام به آناء الليل والنهار ، ويحل حلاله ويحرم حرامه ، خلطه الله بلحمه ودمه ، وجعله رفيق السفرة الكرام البررة ، وإذا كان يوم القيامة كان القرآن له حججياً ، فقال : يارب كل عامل يعمل في الدنيا يأخذ بعمله من الدنيا ، إلا فلانا كان يقوم في آناء الليل وأطراف النهار ، فيحل حلالى ويحرم حرامى يقول : يارب ، فأعطه ، فيتوجه الله تاج الملوك ويكسوه من حلة الكرامة ، ثم يقول : هل رضيت ؟ فيقول : يارب أرغب له في أفضل من هذا ، فيعطيه الله الملك يمينه والخلد بشماله ثم يقول له : هل رضيت ؟ فيقول : نعم يارب » .

وذكر الإمام أحمد في المسند من حديث أبي بريدة عن أبيه يرفعه « تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة ، ثم سكت ساعة ، ثم قال : تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان ، وإنهما يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف ، والقرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب ، فيقول له : هل تعرفني ؟ فيقول له : ما أعرفك ، فيقول له القرآن : أنا الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك ، وإن كل تاجر من وراء تجارته ، وإنك اليوم من وراء كل تجارة ، فيعطى الملك يمينه والخلد شماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ، ويكسى والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا فيقولان : بم كسينا هذا ؟ فيقال : بأخذ ولدك القرآن ، ثم يقال له اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها فهو في صعود ما دام يقرأ هدىً كان أو ترتيلاً » (البطلة) السحرة (والغيابة) ما أظل الإنسان فوقه .

وقال عبد الله بن وهب : أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي السمع عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « تلا قوله عز وجل (جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب) فقال : إن عليهم التيجان ، إن أدنى لؤلؤة منها تنضيء ما بين المشرق والمغرب » .

فصل

وأما الفرش فقد قال تعالى : (متسكئين على فرش بطائنها من استبرق) (١) . وقال تعالى : « وفرش مرفوعة » فوصف الفرش بكونها مبطنة بالاستبرق ، وهذا يدل على أمرين :

أحدهما : أن ظهائرها أعلى وأحسن من بطائنها ، لأن بطائنها للأرض ، وظهائرها للجمال والزينة والمباشرة . قال سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن أبي هبيرة بن مريم عن عبد الله في قوله : بطائنها من استبرق ، قال : هذه البطائن قد خبرتم بها ، فكيف بالظهاير ؟ .

الثاني : يدل على أنها فرش عالية لها سمك وحشو بين البطانة والظهارة ، وقد

عروى في سمكها وارتفاعها آثار إن كانت محفوظة ، فالمراد ارتفاع محلها ، كما رواه الترمذى من حديث أبي سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « في قوله (وفرش مرفوعة) قال : ارتفاعها كما بين السماء والأرض ، ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام » قال الترمذى : حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشيد بن سمدة . قيل : ومعناه أن الارتفاع المذكور للدرجات والفرش عليها ، قلت رشيد بن سمدة عنده مناكير . قال الدارقطنى ليس بالقوى ، وقال أحمد : لا يبالى عن روى ، وليس به بأس فى الرقاق . وقال : أرجو أنه صالح الحديث ، وقال يحيى بن معين : ليس بشيء ، وقال أبو زرعة : ضعيف ، وقال الجوزجاني : عنده مناكير ، ولا ريب أنه كان سوء الحفظ ، فلا يعتمد على ما ينفرد به .

وقد قال ابن وهب : حدثنا عمرو بن الحارث عن دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « في قوله (وفرش مرفوعة) قال : ما بين الفراشين كما بين السماء والأرض » وهذا أشبه أن يكون هو المحفوظ . فإله أعلم .

وقال الطبرانى : حدثنا المقدم بن داود حدثنا أسد بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن مطرف عن عبد الله بن الشيخير عن كعب « في قوله عز وجل (وفرش مرفوعة) قال : مسيرة أربعين سنة » .

قال الطبرانى حدثنا إبراهيم بن نائلة حدثنا إسماعيل بن عمرو البجلي : حدثنا إسرائيل عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة قال : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الفرش المرفوعة قال : لو طرح فراش من أعلاها لهورى إلى قرارها مائة خريف » وفي رفع هذا الحديث نظر ، فقد قال ابن أبي الدنيا : حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا معاذ بن هشام قال : وجدت فى كتاب أبي عن القاسم عن أبي أمامة « فى قوله عز وجل (وفرش مرفوعة) قال : لو أن أعلاها سقطت ما بلغ أسفلها أربعين خريفا » .

فصل

وأما البسط والزرابي فقد قال تعالى : (متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان)^(١) ، وقال تعالى : (فيها سرر مرفوعة ، وأكواب موضوعة ، ونمارق مصفوفة ، وزرابي مبثوثة)^(٢) ، وذكر هشام عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال : (الرفرف) رياض الجنة و (العبقرى) عتاق الزرابي ، وذكر إسماعيل بن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله تعالى (متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان) قال : هي البسط ، قال وأهل المدينة يقولون : هي البسط ، وأما النمارق ، فقال الواحدى : هي الوسائد ، في قول الجميع واحدها : تمرقة ، بضم النون ، وحكى الفراء تمرقة بكسرهما ، وأنشد أبو عبيدة :

إذا ما بساط اللهو مد وقربت للذاتة أنماطه ونمارقه

قال السكبي : وسائد مصفوفة بعضها إلى بعض . وقال مقاتل : هو الوسائد مصفوفة على الطنافس وزرابي ، بمعنى البسط والطنافس واحدها زربية : في قول جميع أهل اللغة والتعبير ، ومبثوثة مبسوطة منشورة .

فصل

وأما الرفرف فقال الليث : ضرب من الثياب خضر تبسط . الواحد : رفرفة . وقال أبو عبيدة : لرفارف البسط ، وأنشد لابن مقبل :

وإنا لنزالون تفتى نعالنا سواقط من أصناف ربط ورفرف

وقال أبو إسحاق : قالوا : الرفرف ههنا رياض الجنة ، وقالوا : الرفرف الوسائد ، وقالوا : الرفرف المحابس ، وقالوا : فضول المحابس للفرش ، وقال البرد :

(١) سورة الرحمن آية ٧٦ .

(٢) سورة الفاشية الآيات ١٣ - ١٦ .

هو فضول الثياب التي تتخذ الملوك في الفرش وغيره ، قال الواحدى : وكان الأقرب هذا ، لأن العرب تسمى كسر الحباء والخرقه التي تخاط في أسفل الحباء : رفرفاً ، ومنه الحديث في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم : « فرقع الرفرف فرأيناه وجهه كأنه ورقة » قال ابن الأعرابي : الرفرف ههنا طرف البساط ، فشبه ما فضل من المحابس ، عما تحته بطرف البساط فسمى رفرفاً .

قلت : أصل هذه السكامة من الطرف أو لجانب فمنه الرفرف في الحائط ، ومنه الرفرف وهو كسر الحباء وجوانب الدرع وما تدلى منها ، والواحدة رفرقة ، ومنه رفرف الطير إذا حرك جناحه حول الشيء يريد أن يقع عليه ، والرفرف ثياب خضر يتخذ منها المحابس . والواحدة رفرقة ، وكل ما فضل من شيء فتى وعطف فهو رفرف « وفي حديث ابن مسعود ، في قوله عز وجل . (لقد رأى من آيات ربه للكبرى)^(١) قال : رأى رفرفاً أخضر سد الأفق » وهو في الصحيحين .

فصل

وأما العبقرى ، فقال أبو عبيدة : كل شيء من البسط عبقرى . قال : ويرون أنها أرض توشى فيها ، وقال الليث : عبقر موضع بالبادية كثير الجن ، يقال : كأنهم جن وعبقر ، قال أبو عبيدة في حديث النبي صلى الله عليه وسلم حين ذكر عمر : فلم أر عبقرياً يفري فريه ، وإنما أصل هذا فيما يقال إنه نسب إلى عبقره وهم أرض يسكنها الجن ، فصار مثلاً منسوب إلى شيء رفيع ، وأنشد زهير :

نخسأل عليها جبة عبقرية جديرون يوماً أن ينالوا فيستملوا

وقال أبو الحسن الواحدى : وهذا القول هو الصحيح في العبقرى ، وذلك أن العرب إذا بالفت في وصف شيء نسبته إلى الجن أو شبهته بهم ، ومنه قول لبيد :

• جن النـدا رواسياً أقدامها •

وقال آخر يصف امرأة :

جنية ولها جن يملها رمى القلوب بقوس ما لها وتر

وذلك أنهم يمتقدون في الجن كل صفة عجيبة ، وأنهم يأتون بكل أمر عجيب ، ولما كان عبقر معروفاً بسكناهم نسبوا إلى كل شيء يبالغ فيه إليها يريدون بذلك أنه من عملهم وصنمهم هذا هو الأصل ، ثم صار العبقرى إسمًا ونعتًا لسكل ما بولغ في صفته ، ويشهد لما ذكرنا بيت زهير ، فإنه نسب الجن إلى عبقر ، ثم رأينا أشياء كثيرة نسبت إلى عبقر غير البسط والثياب كقوله في صفة عمر عبقرياً ، وروى صلته عن الفراء .

قال العبقرى : السيد من الرجال ، وهو الفاخر من الحيوان والجوهر ، فلو كانت عبقر مخصوصة بالوشى ، لما نسب إليها غير الموشى ، وإنما ينسب إليها البسط الموشية العجيبة الصنعة كما ذكرنا ، كما نسب إليها كل ما بولغ في وصفه ..
قال ابن عباس : وعبقرى يريد البسط والطنافس ، وقال السكابي : هي الطنافس الجملة .

وقال قتادة هي عتاق الزرابي . وقال مجاهد : الديباج الغليظ ، وعبقرى جمع واحده عبقرية . ولهذا وصف بالجمع .

فتأمل كيف وصف الله سبحانه وتعالى الفرش بأنها مرفوعة ، والزرابي بأنها ماثونة ، والتمارق بأنها مصفوفة ، فرفع الفرش دال على سمكها ولينها ، وبث الزرابي دال على كثرتها ، وأنها في كل موضع لا يختص بها صدر المجلس دون مؤخره وجوانبه ، وصف المساند ، يدل على أنها مهياة للاستناد إليها دائماً ليست حجابة تصف في وقت دون وقت . والله أعلم .

الباب الحادى والخمسون

فى كر خيامهم وسررم وأرائكهم وبشخاناتهم

قال تعالى : (حور مقصورات فى الخيام)^(١) وفى الصحيحين من حديث أبى موسى الأشعري عن النبى صلى الله عليه وسلم : « إن للمؤمن فى الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا ، فيها أهون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً » .

وفى لفظ لهما : « فى الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة ، عرضها ستون ميلا فى كل زاوية منها أهل ، ما يرون الآخريين يطوف عليهم للمؤمن » .
وفى لفظ آخر لهما أيضاً « الخيمة درة طولها فى السماء ستون ميلا ، فى كل زاوية منها أهل المؤمن لا يراهم الآخرون » .

وللبخارى وحده لفظ « طولها ثلاثون ميلا » وهذه الخيم غير الغرف والقصور ، بل خيام فى البساتين وعلى شواطئ الأنهار .

وقال ابن أبى الدنيا : حدثنا الحسين بن عبد الرحمن عن أحمد بن أبى الحوارى قال سمعت أبى سليمان قال : « ينشأ خلق الحور العين إنشاء ، فإذا تكامل خلقهن خربت عليهم الملائكة الخيام » وقال بعضهم : لما كنا أبكاراً ، وعادة البكر أن تكون مقصورة فى خدرها حتى يأخذها بملها ، أنشأ الله تعالى الحور وقصرهن فى خدور الخيام ، حتى يجمع بينهن وبين أوليائه فى الجنة .

وقال ابن أبى الدنيا : حدثنا إسحاق حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن جابر عن القاسم بن أبى بزة عن أبى عبيدة عن مسروق عن عبد الله قال « لسكل مسلم خيرة ولسكل خيرة خيمة ، ولسكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليها كل يوم من كل باب تحفة وهدية وكرامة لم تكن قبل ذلك ، لا مزجات ولا زفرات ولا بجزرات

«ولا طماحات ، حور عين كأنهن بيض مكنون» .

حدثنا علي بن الجعد حدثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قال : سمعت
أبا الأحوص يحدث عن عبد الله بن مسعود « في قوله تعالى (حور مقصورات في الخيام)
قال : در مجوف » .

وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا سليمان التيمي عن قتادة عن خلود القصرى عن
أبي الورداء قال : « الخيمة لؤلؤة واحدة لها سبعون باباً كلها من درة » .

قال ابن المبارك وأخبرنا هام عن قتادة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :
« الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب » .

وقال ابن أبي الدنيا فضيل بن عبد الوهاب حدثنا شريك عن منصور عن مجاهد :
(حور مقصورات في الخيام) قال في خيام اللؤلؤ والخيمة لؤلؤة واحدة . حدثني
محمد بن جعفر حدثنا منصور حدثنا يوسف بن الصباح عن أبي صالح عن أبي عباس
حور مقصورات في الخيام قال : الخيمة درة من لؤلؤ مجوفة طولها فرسخ وعرضها
فرسخ ولها ألف باب من ذهب حولها سرادق دوره خمسون فرسخاً ، يدخل عليه من
كل باب منها ملك بهدية من عند الله عز وجل وذلك قوله : (واللائكة يدخلون
عليهم من كل باب) (١) والله أعلم .

وأما السرر فقال تعالى : (متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين)
وقال تعالى : (ثلة من الأولين وقليل من الآخرين ، على سرر موضونة متكئين
عليها متقابلين) وقال تعالى : (فيها سرر مرفوعة) فأخبر تعالى عن سررهم بأنها
مصفوفة بعضها إلى جانب بعض ليس بعضها خلف بعض ولا بعيداً من بعض . وأخبر
أنها موضونة والوضن في اللغة : النضيد والنسج المضاعف ، يقال : وضن فلان
الحجر ، والأجر بعضه فوق بعض ، فهو موضون .

وقال الليث الوضن : نسج السرير وأشباهه ويقال : درع موضونة مقاربة

النسج . وقال رجل من العرب لامرأته : ضفى متاع البيت ، أى قاربى بمضد
من بعض .

قال أبو عبيدة والفراء والبرد وابن قتيبة : موضونة منسوجة مضاعفة متداخلة
بعضها على بعض ، كما توضع حلق الدرع ، ومنه سمي الوضين وهو نطاق من سيور
تنسج فيدخل بعضها على بعض ، وأنشدوا للأعشى :

ومن نسج داود موضونة تساق مع الحمى عيرا فميرا

قالوا موضونة : منسوجة بقضبان الذهب مشبكة بالدر والياقوت والزبرجد ،
قال هشيم : أنبأنا حصين عن مجاهد عن ابن عباس قال : مرمولة بالذهب . وقال طي
ابن أبي طلحة عن ابن عباس موضونة : مصفوفة . فأخبر سبحانه أنها مرفوعة .

قال عطاء عن ابن عباس : قال سرر من ذهب مكحلة بالزبرجد والدر والياقوت
والسرير ، مثل ما بين مكة وأيلة .

وقال الكلبي : طول السرير في السماء مائة ذراع ، فإذا أراد الرجل أن يجلس
عليه تواضع له حتى يجلس عليه فإذا جلس عليه ارتفع إلى مكانه .

فصل

(وأما الأرائك) فهي جمع أريكة . قال مجاهد عن ابن عباس : (متسكنين
فيها على الأرائك) ، قال : لا تكون أريكة حتى يكون السرير في الحجلة ، فإذا كان سريراً
بغير حجلة لا يكون أريكة ، وإن كانت حجلة بغير سرير لم تكن أريكة ، ولا تكون
أريكة إلا والسرير في الحجلة ، فإذا اجتمعا كانت أريكة .

وقال مجاهد : هي الأسرة في الحجال . قال الليث : الأريكة سرير حجلة
فالحجلة والسرير أريكة وجمعها أرائك . وقال أبو إسحاق : الأرائك : الفرش

في الحجال. قلت : ههنا ثلاثة أشياء . أحدها : السرير . الثانيه : الحجلة وهي البشخانة التي تملق فوقه . والثالث : الفراش الذي على السرير ، ولا يسمى السرير أريكة ، حتى يجمع ذلك كله .

وفي الصحاح : الأريكة سرير متخذ مزين في قبة أو بيت ، فإذا لم يكن فيه سرير ، فهو حجلة ، والجمع الأرائك .

وفي الحديث : « أن خاتم النبي صلى الله عليه وسلم كان مثل زر الحجلة » وهو المزر الذي يجمع بين طرفها من حجلة أزارها . والله أعلم .

الباب الثاني والخمسون

في ذكر خدمهم وغلماهم

قال تعالى : (يطوف عليهم ولدان مخلدون . بأكواب وأباريق وكأس معين) (١)
وقال تعالى : (ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً) (٢)
قال أبو عبيدة والفراء : مخلدون لا يهرمون ولا يتغيرون . قال والعرب تقول للرجل إذا كبر ولم يشمط : إنه لمخلد وإذ لم تذهب أسنانه من الكبر قيل : هو مخلد ، وقال آخرون : مخلدون مقرطون مسورون أى في آذانهم القرطة وفي أيديهم الأساور . وهذا اختيار ابن الأعرابي ، قال : مخلدون مقرطون بالخلدة . وجمعها خلد . وهى القرطة .

وروى عمرو عن أبيه : خلد جاريته ، إذا حلاها بالخلد وهى القرطة ، وخذل إذا أسن ولم يشب ، وكذلك قال سعيد بن جبير مقرطون . واحتج هؤلاء بحجتين أحدهما : أن الخلود عام لكل من دخل الجنة ، فلا بد أن تكون الولدان موصوفين بتخليد . مختص بهم وذلك هو القرطة . الحجة الثانية . قول الشاعر :

ومخلدات باللجين كأنما أعجازهن رواكد الكشبان

وقال الأولون : الخلد هو البقاء . قال ابن عباس : غلمان لا يموتون . وقول ترجمان القرآن فى هذا كاف ، وهو قول مجاهد والكلبي ، ومقاتل قالوا : لا يكبرون ولا يهرمون ولا يتغيرون ، وجمعت طائفة بين القولين ، وقالوا : هم ولدان لا يمرض لهم الكبر والهرم وفى آذانهم القرطة . فمن قال مقرطون أراد هذا المعنى ، أن كونهم ولدان أمر لازم لهم وشبههم سبحانه باللؤلؤ المنثور لما فيه من البياض وحسن الخلقة .

(١) سورة الواقعة الآيات ١٧ ، ١٨ .

(٢) سورة الإنسان آية ١٩

وفي كونه مشهوراً فائدتان : إحداهما الدلالة على أنهم غير معطلين بل مشوثون في خدمتهم وحوالجتهم . والثانية : أن الأولو إذا كان مشهوراً ولا سيما على بساط من ذهب أو حرير ، كان أحسن لمنظره وأبهى من كونه مجموعاً في مكان واحد .

وقد اختلف في هؤلاء الولدان هل هم من ولدان الدنيا أم أنشأهم الله في الجنة إنشاء ؟ على قولين : فقال علي بن أبي طالب والحسن البصرى : هم أولاد للمسلمين الذين يموتون ولا حسنة لهم ولا سيئة لهم يكونون خدم أهل الجنة ، وولدانهم إذ الجنة لا ولادة فيها .

قال الحاكم ثنا عبد الرحمن بن الحسن ثنا إبراهيم بن الحسين ثنا آدم ثنا المبارك بن فضالة عن الحسن في قوله : (ولدان مخلدون) قال : لم يكن لهم حسنات ولا سيئات فيماتون عليها فوضموا بهذا الموضع . ومن أصحاب هذا القول من قال : هم أطفال للشركيين ، فجعلهم الله خدماً لأهل الجنة ، واحتج هؤلاء بما رواه يعقوب بن عبد الرحمن القارى عن أبي حازم ، قال المديني عن يزيد الرقاشي عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سألت ربي للآلهين من ذرية البشر أن يعذبهم فأعطانيهم فهم خدم أهل الجنة » يعني الإغفال .

قال الدارقطني : ورواه عبد العزيز الماجشون عن ابن المنكدر عن يزيد الرقاشي عن النبي صلى الله عليه وسلم انتهى ، ورواه فضيل بن سليمان عن عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهري عن أنس وهذه الطرق ضعيفة فيزيد واه . وفضيل بن سليمان متكلم فيه وعبد الرحمن بن إسحاق ضعيف .

قال ابن قتيبة : واللاهون من لهيت عن الشيء إذا غفلت عنه وليس هو من لموت ، وأصحاب القول الأول لا يقولون : إن هؤلاء أولاد ولدوا لأهل الجنة فيها ، وإنما يقولون : هم غلمان أنشأهم الله في الجنة ، كما أنشأ الحور العين .

قالوا : وأما ولدان أهل الدنيا فيكونون يوم القيامة أبناء ثلاث وثلاثين لما رواه ابن وهب أنبأنا عمر بن الحارث أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بنى ثلاثين سنة في الجنة ، لا يزيدون عليها أبداً وكذلك أهل النار » رواه الترمذي .

والأشبه أن هؤلاء الولدان مخلوقون من الجنة كالخوارج الذين خدموا لهم وغلما ناء، كما قال تعالى : (ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون) وهؤلاء غير أولادهم، فإن من تمام كرامة الله تعالى لهم أن يجعل أولادهم مخلوقين معهم ولا يجعلهم غلمانا لهم. وقد تقدم في حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أنا أول الناس خروجاً إذا بشوا وفيه يطوف على ألف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون » وللكنون : اللصون التي لم يتبدله الأيادي ، وإذا تأملت لفظة الولدان ولفظة يطوف عليهم واعتبرتها بقوله : (ويطوف عليهم غلمان لهم) وضمنت ذلك إلى حديث أبي سعيد المذكور آنفاً ، علمت أن الولدان غلمان أنشأهم الله تعالى في الجنة خدماً لأهلها . والله أعلم .

الباب الثالث والخمسون

في ذكر نساء أهل الجنة وأصنافهن وحسنهن وأوصافهن وجمالهن الظاهر
والباطن الذي وصفهن الله تعالى به في كتابه

قال تعالى: (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها
الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً
ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون) (١) فتأمل جلالة للبشر ومنزلته وصدقه
وعظمة من أرسله إليك بهذه البشارة وقدر ما بشرك به وضمنه لك على أسهل شيء
عليك وأيسره ، وجمع سبحانه في هذه البشارة بين نعيم البدن بالجنات وما فيها من
الأنهار والثمار ، ونعيم النفس بالأزواج للطهرة ، ونعيم القلب وقرّة العين بمعرفة دوام
هذا النعيم أبداً والآخر وعدم انقطاعه .

والأزواج : جمع زوج ، والمرأة زوج للرجل وهو زوجها ، هذا هو الأنصح ،
وهو لغة قريش وبها نزل القرآن كقوله (اسكن أنت وزوجك الجنة) (٢) ومن
العرب من يقول : زوجة وهو نادر ، لا يكادون يقولونه ، وأما المطهرة فإن جرت
صفة على الواحدة فيجري صفة على جمع التكسير لإجراء له مجرى جماعة ، كقوله
تعالى (مساكن طيبة) (وقرى ظاهرة) ونظائره ، والمطهرة : من طهرت من
الحليض والبول والنفاس والناائط والمخاط والبصاق وكل قذر وكل أذى يكون من
نساء الدنيا ، فطهر مع ذلك باطنها من الأخلاق السيئة والصفات الذمومة ، وطهر
لسانها من الفحش والبذاء ، وطهر طرفها من أن تطمح به إلى غير زوجها ، وطهرت
أثوابها من أن يمرض لها دنس أو وسخ .

قال عبد الله بن المبارك ثنا شعبة عن قتادة عن أبي نظرة عن أبي سعيد عن النبي

(١) سورة البقرة آية ٢٥

(٢) سورة البقرة آية ٣٥

صلى الله عليه وسلم : « لهم فيها أزواج مطهرة » قال : من الحيض والغائط والنجاسة والبصاق » وقال عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس : مطهرة لا يحضن ولا يمدثن ولا يتنخنن ، وقال ابن عباس أيضاً مطهرة من القدر والأذى ، وقال مجاهد : لا يبلن ولا يتوطن ولا يمدن ولا يمدن ولا يمدن ولا يمدن ولا يمدن ولا يمدن ولا يمدن ولا يمدن ، وقال قتادة : مطهرة من الإثم والأذى ، طهرهن الله سبحانه من كل بول وغائط وقدر ومأثم ، وقال عبد الرحمن بن زيد : المطهرة التي لا تحيض وأزواج الدنيا لسن بمطهرات ألا تراهن يدمين ويتركن الصلاة والصيام ، قال : وكذلك خلقت حواء حتى عصت ، فلما عصت قال الله : إني خلقتك مطهرة وسأمديك كما دميت هذه الشجرة .

وقال تعالى : (إن المتقين في مقام أمين : في جنات وعيون . يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين ، كذلك وزوجناهم بحور عين ، يدعون فيها بكل فاكهة آمنين . لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) (١) فجمع لهم بين حسن المنزل وحصول الأمن فيه من كل مكروه واشتماله على الثمار والأنهار ، وحسن اللباس وكمال العشرة لمقابلة بعضهم بعضاً ، وتمام اللذة بالحور العين ودعائهم بجميع أنواع الفاكهة مع أمنهم من انقطاعها ومضرتها وغائلتها ، وختام ذلك أعلمهم بأنهم لا يذوقون فيها هناك موتاً .

والحور : جمع حوراء وهي للمرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء شديدة سواد العين . وقال زيد بن أسلم : الحوراء التي يحار فيها الطرف ، وعين حسان الأعين ، وقال مجاهد : الحوراء التي يحار فيها الطرف من رقة الجلد وصفاء اللون .

وقال الحسن : الحوراء شديدة بياض العين شديدة سواد العين ، واختاف فيه اشتقاق هذه اللفظة ، فقال ابن عباس : الحور في كلام العرب البيض ، وكذلك قال قتادة : الحور البيض ، وقال مقاتل : الحور البيض الوجوه . وقال مجاهد :

الخور العين التي يحار فيمن الطرف باديا مخ سوقهن من وراء ثيابهن ، ويرى الناظر وجهه في كبد إحداهن كالمرآة من رقة الجلد ، وصفاء اللون . وهذا من الاتفاق . وليست اللفظة مشتقة من الحبرة . وأصل الخور : البياض . والتحوير : التبييض . والصحيح : مأخوذ من الخور إن الخور في العين ، وهو شدة بياضها مع قوة سوادها فهو يتضمن الأمرين .

وفي الصحاح : الخور شدة بياض العين في شدة سوادها . امرأة حوراء : بينة الخور . وقال أبو عمر : والخور : أن تسود العين كلها مثل أعين الظباء والبقر ، وليس في بني آدم حور ، وإنما قيل : النساء حور العين ، لأنهن شبهن بالظباء والبقر . وقال الأصمعي : ما أدري ما الخور في العين ؟ قلت : خالف أبو عمر وأهل اللغة في اشتقاق اللفظة ورد الخور إلى السواد ، والناس وغيره إنما ردوه إلى البياض أو إلى بياض في سواد ، والخور في العين : معنى يلتئم من حسن البياض والسواد وتناسبهما واكتساب كل واحد منهما الحسن من الآخر ، عين حوراء : إذا اشتد بياض أبيضها وسواد أسودها ، ولا تسمى المرأة حوراء حتى يكون مع حور عينها بياض لون الجسد . والعين : جمع عينا وهي العظيمة العين من النساء ، ورجل أعين ضخمة العين إذا كان . وامرأة عينا . والجمع عين . والصحيح : أن العين اللأى جمعت أعين صفات الحسن والملاحة ، قال مقاتل : العين حسان الأعين ومن محاسن المرأة اتساع عينها في طول ، وضيق العين في المرأة من العيوب ، وإنما يستحب الضيق منها في أربعة مواضع : ففها وخرق أذنفا وأنفها ، وماهناك ، ويستحب السعة منها في أربعة مواضع : وجهها وصدرها لونها وفرها وبياض عينها . ويستحب السواد منها في أربعة مواضع : عينها وكاهلها وهو ما بين كتفها ، وجهها ، ويستحسن للبياض منها في أربعة مواضع : لونها وفرقها وثقراها وبياض عينها ، ويستحب السواد منها في أربعة مواضع : عينها وحاجبها وهدبها وشعرها ، ويستحب الطول منها في أربعة : قوامها وعنقها وشعرها وبناتها ، ويستحب القصر منها في أربعة : وهي مشوية لسانها ويدها ورجلها وعينها ، فتكون قاصرة الطرف قصيرة الرجل واللسان عن الخروج وكثرة الكلام ، قصيرة اليد عن تناول ما يكره الزوج ، وعن بدله ، وتستحب الرقة منها في أربعة : خصرها وفرقها وحاجبها وأنفها .

فصل

وقوله تعالى: (وزوجناهم بحور عين) قال أبو عبيدة: جعلناهم أزواجاً كما زوج
 النمل بالنمل جعلناهم اثنين اثنين. وقال يونس: قرناهم بهن وليس من عقد التزويج،
 قال: والعرب لا تقول: تزوجت بها وإنما تقول تزوجتها. قال ابن نصر هذا والتنزيل
 يدل على ما قاله يونس وذلك قوله تعالى: (فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكمها) (١)
 ولو كان على تزوجت بها لقال زوجناك بها. وقال ابن سلام: تميم تقول:
 تزوجت امرأة وتزوجت بها، وحكاه الكسائي أيضاً. وقال الأزهرى: تقول العرب:
 زوجته امرأة وتزوجت امرأة وليس من كلامهم: تزوجت بامرأة، وقوله تعالى:
 (وزوجناهم بحور عين) أى قرناهم. وقال الفراء: هى لنة فى ازدشنيه قال الواحدى:
 وقول أبى عبيدة فى هذا أحسن؛ لأنه جملة من التزويج الذى هو بمعنى جعل الشيء
 زوجاً، لا بمعنى عقد النكاح، ومن هذا يجوز أن يقال: كان فرداً فزوجته بآخر،
 كما يقال شفته بآخر، وإنما تمتنع الباء عند من يمتنعها، إذا كان بمعنى عقد
 التزويج.

قلت: ولا يمتنع أن يراد الأمران معاً، فلفظ التزويج يدل على النكاح، كما
 قال مجاهد: أنكحناهم الحور، ولفظ الباء تدل على الاقتران والضم، وهذا أبلغ
 من حذفها والله أعلم. وقال تعالى: (فيهن قاصرات الطرف لم يطمئن إنس قبلهن
 ولا جان: فبأى آلاء ربكما تكذبان. كأنهن الياقوت والمرجان) (٢) وصفهن
 سبعانه بقصر الطرف فى ثلاثة مواضع: أحدها: هذا. والثانى: قوله تعالى فى
 الصفات (وعندهم قاصرات الطرف عين). والثالث: قوله تعالى فى ص (وعندهم
 قاصرات الطرف آراب) والمفسرون كلهم على أن المعنى قصره طرفهن على أزواجهن
 فلا يطمئن إلى غيرهم. وقيل: قصرن طرف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن

(١) سورة الأحزاب آية ٣٧.

(٢) سورة الرحمن الآيات ٥٦ - ٥٨.

وجاهن ، أن ينظروا إلى غيرهن ، وهذا صحيح من جهة المعنى ، وأما من جهة اللفظ : فقاصرات صفة مضافة إلى الفاعل ، لحسان الوجوه وأصله قاصر طرفهن . أى ليس بطامح متعد .

قال آدم : حدثنا ورقاء عن أبي نجيح عن مجاهد في قوله (قاصرات الطرف) قال يقول قاصرات الطرف على أزواجهن فلا يبين غير أزواجهن ، قال آدم : وحدثنا للبارك بن فضالة عن الحسن قال : قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم والله ما هن متبرجات ، ولا متطلعات ، وقال منصور عن مجاهد : قصرن أبصارهن وقلوبهن وأنفسهن على أزواجهن ، فلا يردن غيرهم . وفي تفسير سعيد عن قتادة قال : وقصرن أطرافهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم ، وأما الأتراب فيجمع ترب : وهو لدة الإنسان .

قال أبو عبيدة وأبو إسحاق : أقران أسنانهن واحدة ، قال ابن عباس : وسائر المفسرين مستويات على سن واحد وميلا واحد بنات ثلاث وثلاثين سنة . وقال مجاهد : أتراب : أمثال . وقال أبو إسحاق : هن في غاية الشباب والحسن ، وسمى سن الإنسان وقرنه تربه ؛ لأنه مس تراب الأرض معه في وقت واحد ، والمعنى من الإخبار باستواء أسنانهن أنهن ليس فيهن عجايز قد فات حسنهن ، ولا ولائد لا يطقن الوطاء بخلاف الذكور ، فإن فيهم الولدان وهم الخدم ، وقد اختلف في مفسر الضمير في قوله فيهن فقالت طائفة : مفسره الجنتان وما حوتاه من القصور والترف والحيام . وقالت طائفة : مفسره الفرش المذكورة في قوله متكئين على فرش بطائنها من إستبرق^(١) ، وفي بمعنى على ، وقوله تعالى (لم يطمئن إنس قبلهم ولا جان)^(٢) قال أبو عبيدة : لم يمسهن يقال ما طمط هذا البعير جبل قط أى ما مسه . وقال يونس : تقول العرب هذا جبل ما طمته جبل قط أى ما مسه . وقال الفراء : الطمط الافتضاض وهو النسكاح بالتدمية ، ولطمط هو الدم . وفيه

(١) سورة الرحمن آية ٥٤ .

(٢) سورة الرحمن آية ٥٦ .

ثقتان طمئت يطمئ ويطمئ . قال الليث : طمئت الجارية إذا افترعتهما ، ولطامئت في ثقتهم هي الخائض . قال أبو الهيثم : يقال للمرأة : طمئت تطمئت إذا أدميت بالافتضاض ، وطمئت على فمئت تطمئت إذا حاضت أول ما يحيض فهي طامئت ، وقال في قول الفرزدق :

جرجن للآئي لم يطمئن قبلي وهن أصح من بيض النمام

أى لم يمسن قال المفسرون : لم يطأهن ولم يشهن ولم يجامهن هذه الفاظهم ، وهم مختلفون في هؤلاء فبعضهم يقول هن اللواتى أنشئن في الجنة من حورها وبعضهم يقول يعنى نساء الدنيا أنشئن خلقاً آخر أبقاراً كما وصفن .

قال الشعبي : نساء من نساء الدنيا لم يمسن منذ أنشئن خلقاً .

وقال مقاتل : لأنهن خلقن في الجنة ، وقال عطاء عن ابن عباس : هن الآدميات اللاتى متن أبقاراً .

وقال السكبي : لم يجامهن في هذا الخلق الذى أنشئن فيه إنس ولا جان .

قلت : ظاهر القرآن أن هؤلاء النسوة لسن من نساء الدنيا ، وإنما هن من الحور العين ، أما نساء الدنيا فقد طمئن الإنس ونساء الجن قد طمئن الجن والآية تدل على ذلك .

وقال أبو إسحق : وفي هذه الآية دليل على أن الجن يشئى ، كما أن الإنس يشئى . ويدل على أنهن الحور اللاتى خلقن في الجنة ، أنه سبحانه جعلهن مما أعد الله في الجنة لآهلهن من الفواكه والثمار والأنهار والملابس وغيرها ، ويدل عليه أيضاً الآية التى بعدها وهى قوله تعالى (حور مقصورات في الخيام)^(١) ثم قال (لم يطمئن إنس قبلهم ولا جان) .

قال الإمام أحمد : والحور العين لا يمتن عند النفخة للصور ؛ لأنهن خلقن

اللبقاء ، وفي الآية دليل لما ذهب إليه الجمهور ، أن مؤمن الجن في الجنة كما أن كافرهم في النار . وبوب عليه البخارى في صحيحه فقال : باب ثواب الجن وعقابهم ، ونص عليه غير واحد من السلف ، قال ضمرة بن حبيب ، وقد سئل هل للجن ثواب ؟ فقال نعم ، وقرأ هذه الآية ثم قال : الإنسيات للإنس والجنيات للجن . وقال مجاهد على هذه الآية : إذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجنان على إخليله فجامع منه والضمير في قوله (قبلهم) للمعنيين بقوله متسكنين ، وهم أزواج هؤلاء النسوة .

وقوله (كأنهن الياقوت والمرجان)^(١) قال الحسن وعامة المفسرين : أراد صفاء الياقوت في بياض المرجان ، شبههن في صفاء اللون وبياضه بالياقوت والمرجان . ويدل عليه ما قاله عبدالله : أن المرأة من نساء أهل الجنة لتلبس عليها سبعين حلة من حرير ، فبرى بياض ساقها من ورائهن ذلك بأن الله يقول (كأنهن الياقوت والمرجان) ألا وإن الياقوت حجر لو جمات فيه سلكا ثم استصفيته نظرت إلى السلك من وراء الحجر .

فصل

وقال تعالى في وصفهن (حور مقصورات في الخيام) المقصورات المحبوسات . قال أبو عبيدة : خدرن في الخيام ، وكذلك قال مقاتل وفيه معنى آخر ، وهو أن يكون المراد أنهن محبوسات على أزواجهن ، لا يرون غيرهم وهم في الخيام ، وهذا معنى قول من قال : قصرن على أزواجهن فلا يردن غيرهم ، ولا يطمعن إلى من سواهم ، وذكره الفراء .

قلت : وهذا معنى (قاصرات الطرف) لسكن أو لثك قاصرات بأنفسهن وهؤلاء مقصورات ، وقوله في الخيام على هذا القول : صفة لحور ، أى هن في الخيام ،

وليس معمولاً المقصورات ، وكأن أرباب هذا القول ، فسروا بأن يكن محبوسات
في الخيام لا تفارقها إلى الغرف والبساتين .

أصحاب القول الأول يجيبون عن هذا : بأن الله سبحانه وصفهن بصفات النساء
المخدرات المصونات ، وذلك أجل في الوصف ، ولا يلزم من ذلك أنهن لا يفارقن
الخيام إلى الغرف والبساتين ، كما أن نساء الملوك ودونهم من النساء المخدرات
المصونات لا يمنن أن يخرجن في سفر وغيره إلى منزه وبستان ونحوه . فوصفهن
للأزواج لمن التقصر في البيت ويعرض لهن مع الخدم الخروج إلى البساتين ونحوها ،
وأما مجاهد فقال : مقصورات قلوبهن على أزواجهن في خيام اللؤلؤ ، وقد تقدم
وصف النسوة الأول بكونهن قاصرات الطرف ، وهؤلاء بكونهن مقصورات
والوصفان لسكلا النوعين فإنهما صفتا كل . فتلك الصفة قصر الطرف عن طموحه
إلى غير الأزواج ، وهذه الصفة قصر الرجل على التبرج والبروز والظهور
للرجال .

فصل

وقال تعالى : (فيهن خيرات حسان) فالخيرات جمع خيرة وهي مخففة من خيرة
كسيدة ولينة ، وحسان : جمع حسنة فهن خيرات الصفات والأخلاق والشيم ،
حسان الوجوه .

قال وكيع : حدثنا سفيان عن جابر عن القاسم عن أبي بزة عن أبي عبيدة عن
مسروق عن عبد الله قال : « لسكل مسلم خيرة ولسكل خيرة خيمة ولسكل خيمة
أربعة أبواب يدخل عليها في كل يوم من كل باب تحفة وهدية وكرامة لم تكن قبل
ذلك ، لا نرحات ولا ذفرات ولا بخرات ولا طماحات » .

فصل

وقال تعالى (إنا أنشأناهم إنشأء . فجعلناهم أذكراً . عرباً أتراباً ، لأصحاب
 الجن) (١) أعاد للضمير إلى النساء ولم يجر لمن ذكر ؛ لأن الفرش دلت عليهن
 إذ هن محابن . وقيل الفرش في قوله (وفرش مرفوعة) كناية عن النساء ، كما
 يكفى عنهن بالقوارير والأزر وغيرها . ولكن قوله مرفوعة يأبى هذا إلا أن يقال :
 للرادفة القدر . وقد تقدم تفسير النبي صلى الله عليه وسلم للفرش وارتفاعها ،
 فالصواب أنها الفرش نفسها ودلت على النساء ؛ لأنها محابن غالباً . قال قتادة وسعيد
 ابن جبير : خلقناهم خلقاً جديداً ، وقال ابن عباس : يريد نساء آدميات . وقاله
 السكبي ومقاتل : يني نساء أهل الدنيا المعجز الشمط . يقول تعالى : خلقناهم بئس
 الكبر والمهرم بعد الخلق الأول في الدنيا ، ويؤيد هذا التفسير حديث أنس المرفوع
 « هن عجائزكم الممش الرمش » رواه الثوري عن موسى بن عبيدة عن يزيد
 الرقاشي عنه ويؤيده ما رواه يحيى الحماني حدثنا ابن إدريس عن ليث عن مجاهد عن
 عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « دخل عليها وعندها عجوز فقال من هذه ؟
 فقالت : إحدى خالاتي ، قال : أما إنه لا يدخل الجنة العجوز ، فدخل على العجوز من
 ذلك ما شاء الله فقال للنبي صلى الله عليه وسلم (إنا أنشأناهم إنشأء) خلقاً آخر
 يحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلا وأول من يكسى إبراهيم خليل الله ، ثم قرأ
 النبي صلى الله عليه وسلم (إنا أنشأناهم إنشأء) .

قال آدم بن أبي إياس حدثنا شيبان عن الزهري عن جابر الجعفي عن يزيد
 ابن مرة عن سلمة بن يزيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في قوله
 (إنا أنشأناهم إنشأء) قال : يعني الثيب والأبكار اللاتي كن في الدنيا .

قال آدم وحدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم « لا يدخل الجنة العجز فسكت عجوز ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أخبروها أنها يومئذ ليست بعجوز ، إنها يومئذ شابة، إن الله عز وجل يقول (إنا أنشأناهن إنشاء) » .

وقال ابن أبي شيبة حدثنا أحمد بن طارق حدثنا مسعدة بن اليسع حدثنا سميد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن عائشة « أن النبي صلى الله عليه وسلم أتته عجوز من الأنصار فقالت : يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة ، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : إن الجنة لا يدخلها عجوز ، فذهب نبي الله صلى الله عليه وسلم فصلى ثم رجع إلى عائشة فقالت عائشة : لقد لقيت من كنتك حشقة وشدة ، فقال صلى الله عليه وسلم : إن ذلك كذلك إن الله تعالى إذا أدخلهن للجنة حولهن أبكاراً » .

وذكر مقاتل قولاً آخر وهو اختيار الزجاج أنهم الحور العين التي ذكرهن ، قيل : أنشأهن الله عز وجل لأولياته لم يقع عليهن ولادة » والظاهر أن المراد بأنشأهن الله تعالى في لجنة إنشاء وبدل عليه وحوه :

أحدها : أنه قد قال في حق السابقين (يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب - إلى قوله - كأمثال اللؤلؤ المسكون) فذكر سرهم وآيتهم وشرابهم وطعامهم وأزواجهم من الحور العين ، ثم ذكر أصحاب الميمنة وطعامهم وشرابهم وفرشهم ونساءهم ، والظاهر : أنهم مثل نساء من قبلهن خلقن في الجنة .

الثاني : أنه سبحانه قال (إنا أنشأناهن إنشاء) وهذا ظاهر أنه إنشاء أول لا ثان ، لأنه سبحانه حيث يريد الإنشاء الثاني يقيد به ، كقوله (وأن عليه النشأة الأخرى)^(١) وقوله (ولقد علمتم النشأة الأولى)^(٢) .

الثالث : أن الخطاب بقوله (وكنتم أزواجاً ثلاثة) إلى آخره للذكور والإناث،

والإنشاء الثانية أيضا عامة للتوعين ، وقوله (إنا أنشأناهن إنشاء)^(١) ظهره اختصاصهن بهذا الإنشاء ، وتأمل تأكيده بالمصدر والحديث لا يدل على اختصاص المعجزة المذكورات بهذا الوصف ، بل يدل على مشاركتهن للحوار العيني في هذه الصفات المذكورة ، فلا يتوهم انفراد الحوار العيني عنهن بما ذكر من الصفات ، بل هي أحق به منهن ، فالإنشاء واقع على الصنفين والله أعلم . وقوله (عربا) جمع عرب وهن التحبيبات إلى أزواجهن . قال ابن الإعرابي : العرب من النساء المطلعة لزوجها التحبية إليه . وقال أبو عبيدة : العرب الحسنة التبعل .

قلت : يريد حسن موافقتها وملاطفتها لزوجها عند الجماع ، وقال البرد : هي العاشقة لزوجها وأنشد للبيد :

وفي الخدوج عرب غير فاحشة ربا الروادف يمشى دونها البصر
وذكر المفسرون في تفسير « العرب » أنهم للمواشق التحبيبات الفنجيات
الشكلات المتمشقات الغلمات المنوجات ، كل ذلك من ألفاظهم . وقال البخاري في
صحيجه : عربا مثقلة واحدها عرب . مثل صبور وصبر تسميها أهل مكة العربية ،
وأهل المدينة الفنجية ، وأهل العراق الشكلة « والعرب » التحبيبات إلى أزواجهن .
هكذا ذكره في كتاب « بدء الخلق » وقال في كتاب التفسير في سورة الواقعة :
عربا مثقلة واحدها عرب مثل صبور وصبر تسميها أهل مكة العربية ، وأهل المدينة
الفنجية ، وأهل العراق الشكلة . قلت : فيجمع سبحانه بين حستن صورتها وحسن
عشرتها ، وهذا غاية ما يطالب من النساء وبه تكمل لذة الرجل بهن وفي قوله
(لم يطعمهن إنس قبلهم ولا جان)^(٢) إعلام بكال اللذة بهن ، فإن لذة الرجل بالمرأة
التي لم يطأها سواه ، لها فضل على لذته غيرها ، وكذلك هي أيضا .

فصل

وقال ترمذى : (إن للتعين مفازا . حدائق وأعبا . وكواعب أترابا)^(٣)

(١) سورة الواقعة آية ٣٥ .

(٢) سورة الرحمن آية ٥٦ .

(٣) سورة النبأ آية ٣٢ .

فالكواعب : جمع كاعب وهى الناهد . قال قتادة ومجاهد والفسرون : قال الكلبى : هن الفلكات الواوى تكعب ثديهن وتفلكت ، وأصل اللفظة من الاستدارة . والمزاد أن ثديهن نواهد كالرمان ليست متدلية إلى أسفل ، ويسمين نواهد وكواعب .

فصل

روى البخارى فى صحيحه عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لقدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ، ولقاب قوس أحدكم أو موضع قيده يعنى إسوطه من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولو اطلمت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض للمأت ما بينهما ريحاً ولا ضاءات ما بينهما ، ولنصفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها . »

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والى تلها على أضواء كوكب درى فى السماء ، ولكل امرئ منهم زوجته ، يرى مخ سوتقهما من وراء اللحم ، وما فى الجنة أعزب »

وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا يونس عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين ، على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب »

وقال الطبرانى حدثنا بكر بن سهل الدمياطى حدثنا عمرو بن هشام البيرونى حدثنا سليمان بن أبى كريمة عن هشام بن حسان عن الحسن عن أبيه عن أم سلمة ، قالت « قلت يا رسول الله أخبرنى عن قول الله عز وجل (حور عين) قال : حور بيض (عين) ضخم العينون شقر ، الحوراء بمنزلة جناح النسر ، قالت : أخبرنى عن قوله عز وجل (كأنهن لؤلؤ مكنون) قال : صفاؤه من صفاء الدر الذى فى الأصداف الذى لم تمسه الأيدي ، قلت : يا رسول الله أخبرنى عن قوله عز وجل (فيهن خيرات حسان) قال :

خيرات الاخلاق حسان الوجوه ، قلت : يا رسول الله أخبرني عن قوله عز وجل
 ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾ ^(١) قال : رقتن كركة الجلد الذي رأيت في داخل البيضة
 مما يلي القشر وهو العرق ، قلت يا رسول الله أخبرني عن قوله عز وجل (عربياً أتراباً)
 قال : هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز رمضاً ثم طأ خلقهن الله بعد الكبر ، فجلمهن
 عذارى عربياً متمشقات متحبيبات أتراباً على ميلاد واحد ، قلت : يا رسول الله نساء
 الدنيا أفضل أم الحور العين ؟ قال : بل نساء الدنيا أفضل من الحور كفضل الظهارة
 على البطانة ، قلت : يا رسول الله وبم ذلك ، قال بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله
 تعالى ، ألبس الله وجوههن النور وأجسادهن الحرير بيض الألوان خضر الثياب
 صفراء الحلى مجامرهن الدر وأمشطهن الذهب ، يقلن نحن الخالدات فلا نموت ونحن
 الناعمات فلا نبأس أبداً ، ونحن المقيمات فلا ننظمن أبداً ، ونحن الراضيات فلا ننسخط
 أبداً ، طوبى لمن كنا له وكان لنا ، قلت : يا رسول الله المرأة منا تزوج زوجين أو
 ثلاثة أو أربعة ثم تموت فتدخل الجنة ، ويدخلون معها ، من يكون زوجها ؟ قال :
 يا أم سلمة إنها تخير فتختار أحسنهم خلقاً فتقول : أي رب ، إن هذا كان أحسنهم معي
 خلقاً في دار الدنيا فزوجنيه ، يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة » تقود
 به سليمان بن أبي كريمة ضمه أبو حاتم ، وقال ابن عدي عامة أحاديثه منك كبيرة . ولم أر
 للمتقدمين فيه كلاماً ثم ساق هذا الحديث من طريقه . وقال : لا يعرف إلا بهذا السند .

وقال أبو يعلى الموصلي حدثنا عمر بن الضحاك بن مخلد حدثنا أبو عاصم الضحاك
 بن مخلد حدثنا أبو رافع إسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب
 القرظي عن رجل من الأنصار ، عن أبي هريرة قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وهو في طائفة من أصحابه ، فذكر حديث الصور وفيه « فأقول يا رب وعدتني الشفاعة
 خشفتني في أهل الجنة يدخلون الجنة ، فيقول الله : قد شفعتك وأذنت لهم في دخول
 الجنة » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « والذي بعثني بالحق ، ما أتم

في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم
 فيدخل رجل منهم على اثنتين وسبعين زوجة مما ينشئ الله وتنتين من ولد آدم لها
 فضل على من أنشأ الله، لبيدتهما الله عز وجل في الدنيا، يدخل على الأولى منهما في
 غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مكال بالواو عليه سبعون زوجاً من سندس
 وإستبرق، وإنه ليضع يده بين كتفها ثم ينظر إلى يده من صدرها ومن وراء ثيابها
 وجلدها ولحمها، وإنه لينظر إلى مخ ساقها، كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة
 الياقوت، كبده لها مرآة وكبدها له مرآة، فيبينا هو عندها لا يراها ولا تراه، ولا
 يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء ما يفتر ذكره ولا يشتكي قبلها، فيبينا هو كذلك
 إذ نودي إنا قد عرفنا أنك لا تعلم ولا تعلم، إلا أنه لا منى ولا منية، إلا أن تسكون
 له أزواج غيرها فتخرج فتأنيهن واحدة واحدة كما جاءت واحدة قالت: والله ما
 في الجنة شيء أحسن منك. وما في الجنة شيء أحب إلى منك.»

هذا قطعة من حديث للصور والذي تفرد به إسماعيل بن رافع. وقد روى له
 الترمذي وابن ماجه وضعفه أحمد ويحيى وجماعة. وقال الدارقطني وغيره: متروك
 الحديث. وقال ابن عدي: عامة أحاديثه فيها نظر. وقال الترمذي: وضعفه بعض أهل العلم.
 وسمت محمداً، يعنى البخارى يقول: هو ثقة مقارب الحديث.

وقال لى شيخنا أبو الحجاج الحافظ: هذا الحديث مجموع من عدة أحاديث
 ساقه إسماعيل أو غيره هذه السياقة، وشرحه الوليد بن مسلم في كتاب مفرد، وما
 تضمنه معروف في الأحاديث. والله أعلم.

وقال عبد الله بن وهيب حدثنا عمرو أن دراجاً حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة، الذي له ثمانون
 ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة، وينصب له قبة من لؤلؤ ووزجد وياقوت كما بين
 الجابية وصماء» رواه الترمذي ولكن دراج أبو السمع بالطريق. قال أحمد:
 أحاديثه من أكبر، وقال النسائي: منكر الحديث. وقال أبو حاتم: ضعيف. وقال النسائي:
 أيضاً: ليس بالقوى. وساق له ابن عدي أحاديث وقال: عامتها لا يتابع عليها.
 وقال الدارقطني: ضعيف. وقال مرة متروك. وأما يحيى بن معين فقد وثقه -

وأخرج عنه أبو حاتم بن حبان في صحيحه ، وقال عثمان بن سعيد الدارمي عن علي ابن المديني : هو ثقة .

وقال ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : (كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَاللُّرْجَانُ) قال : « ينظر إلى وجهه في حدها أصفى من المرآة ، وإن أدنى لؤلؤة دلمها لتضوء ما بين المشرق والمغرب ، وإنه ليكون عليها سبعون ثوباً ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك » .

وقال الفريابي : أنبأنا أبو أيوب سليمان بن عبد الرحمن حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن خالد بن ممدان عن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مامن عبد يدخل الجنة إلا ويزوج ثنتين وسبعين زوجة ثنتان من الحور العين وسبعون من أهل ميراثه من أهل الدنيا ليس منهن امرأة إلا وله قبل شهى وله ذكر لا ينثى » .

قلت : خالد هذا هو ابن يزيد بن عبد الرحمن الدمشقي وهاه ابن معين . وقال أحمد : ليس بشيء . وقال النسائي : غير ثقة وقال الدارقطني : ضعيف . وذكر ابن عدى له هذا الحديث مما أنكره عليه .

وقال أبو نعيم : حدثنا إبراهيم بن عبد الله ، حدثنا محمد بن حمويه ، حدثنا أحمد بن حفص ، حدثني أبي ، حدثني إبراهيم بن طهمان عن الحجاج عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « للمؤمنين في الجنة ثلاث وسبعون زوجة ، قلنا يا رسول الله أوله قوة على ذلك ؟ قال : إنه ليعطى قوة مائة رجل » .

قلت : أحمد بن حفص هذا هو السعدي وله مناكير . والحجاج هو ابن أرطاة . وقال الطبراني : حدثنا أحمد بن علي الأبار ، حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع ، وأنبأنا محمد بن أحمد بن هشام بن حسان السنجرى ببغداد ، حدثنا عبد الله بن عمرو ابن أبان قال : حدثنا حسين بن علي الجمعي عن زائدة عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال : « قيل يا رسول الله ، هل تصل إلى نساءنا في

الجنة؟ فقال: إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء، قال الطبراني: لم يروه عن هشام إلا زائدة تفرد به الجعفي. قال محمد بن عبد الواحد المقدسي: ورجال هذا الحديث عندي على شرط الصحيح.

وقال أبو الشيخ: حدثنا أبو يحيى بن مسلم الرازي، حدثنا هناد بن السري، حدثنا أبو أسامة عن هشام بن حسان عن زيد بن أبي الحواري وهو زيد العمى عن ابن عباس قال: « قيل يا رسول الله أنقض إلى نسائنا في الجنة كما تنقض إليهن في الدنيا؟ قال: والذي نفس محمد بيده إن الرجل ليفضي في العذراء الواحدة في مائة عذراء » وزيد هذا قال فيه ابن معين: صالح، وقال مرة: لا شيء، وقال مرة: خفيف، يكتب حديثه وكذلك قال أبو جاتم وقال الدارقطني: صالح، وضعفه النسائي. وقال السعدي: متأسك. قلت: وحسبه رواية شعبة عنه.

فصل

والأحاديث الصحيحة إنما فيها أن لكل منهم زوجتين، وليس في الصحيح زيادة على ذلك، فإن كانت هذه الأحاديث محفوظة، فإما أن يراد بها ما لكل واحد من السراري زيادة على الزوجتين، ويكونون في ذلك على حسب منازلهم في القلعة والسكرة كالخدم والولدان، وإما أن يراد أنه يعطى قوة من يجمع هذا العدد، ويكون هذا هو المحفوظ، فرواه بعض هؤلاء بالمدنى فقال: له كذا وكذا زوجة. وقد روى الترمذي في جامعه من حديث قتاده عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع، قيل: يا رسول الله أو يطبق ذلك؟ قال يعطى قوة مائة » هذا حديث صحيح، فلمل من رواه ينقض إلى مائة عذراء. رواه بالمدنى أو يكون تفاوتهم في عدد النساء بحسب تفاوتهم في الدرجات. والله أعلم.

ولاريب أن للمؤمن في الجنة أكثر من اثنتين، لما في الصحيحين، من حديث أبي عمران الجوني عن أبي بكر عن عبد الله بن قيس عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن للمؤمن في الجنة حريمة من لؤلؤة مجوفة طولها ستون ميلاً للمؤمن فيها أهلون فيطوف عليهم لا يرى بعضهم بعضاً ».

الباب الرابع والخمسون

في ذكر المادة التي خلق منها الحور العين وما ذكر فيها من الأنار
وذكر صفاتهن ومعرفةهن اليوم بأزواجهن

فأما للمادة التي خلق منها الحور العين ، فقد روى البيهقي من حديث الحارث
بن خليفة . حدثنا شعبة حدثنا إسماعيل بن علي عن عبد العزيز بن صهيب ، عن
أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الحور العين خلقن من
«زعفران» قال البيهقي : وهذا منسك بهذا الإسناد ، ولا يصح عن ابن علي .

قلت : ولكنه حديث فيه شعبة ، وقال الطبراني : حدثنا أحمد بن رشدين ،
حدثنا علي بن الحسن بن هارون الأنصاري ، حدثني الليث بن ابنة الليث عن أبي
سليم قال حدثني عائشة بنت يونس امرأة الليث بن أبي سليم عن ليت بن أبي سليم
عن مجاهد عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خلق الحور العين من
«زعفران» قال الطبراني : لا يروى إلا بهذا الإسناد . تفرد به علي بن الحسن بن
هارون .

قلت : وقد رواه إسحاق بن راهويه عن عائشة بنت يونس قالت : سمعت زوجي
ليث بن سليم يحدث عن مجاهد ، فذكره مرفوعاً إليه وهو أشبه بالصواب ، ورواه
عقبة بن مكرم عن عبد الله بن زيادة عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس قوله :
«حولا يصح رفع الحديث ، وحسبه أن يصل إلى ابن عباس ، وقال أبو سلمة بن عبد
الرحمن : « إن لولي الله في الجنة عروساً لم يلد لها آدم ولا حواء ، ولكنها خلقت
من زعفران » وهذا مروى عن صحابين وهما ابن عباس وأنس ، وعن قاصدين ،
وهما أبو سلمة ومجاهد ، وبكل حال فهي من المنشآت في الجنة ليست مولودات بين
الآباء والأمهات ، والله أعلم .

وقد رواه الطبراني من حديث مجاهد بن زحر عن علي بن زيد عن الحسين عن

أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا الإسناد لا يحتج به ، ورواه أبو نعيم .
 حدثنا علي بن محمد الطوسي ، حدثنا علي بن سميد ، حدثنا محمد بن إسماعيل الحسائي .
 حدثنا منصور بن المهاجر ، حدثنا أبو منصور الأبار عن أنس يرفهه : « لو أن
 حوراء بصفتها في سبعة أبحر لمدت البحار من عذوبة فيها ، وخلق الحور الذين
 من الزعفران » وإذا كانت هذه الحلقة الأدمية التي هي أحسن الصور وأجملها ،
 مادتها من تراب وجاءت الصور من أحسن الصورة ، فما الظن بصورة مخلوقة من
 مادة الزعفران الذي هناك !! : فإله للستمان .

وقد روى أبو نعيم من حديث عيسى بن يوسف بن الطباع ، حدثنا جلس بن
 محمد السكلابي ، حدثنا سفيان الثوري ، حدثنا ميمونة ، حدثنا إبراهيم النخعي عن
 علقمة عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يسطع نور
 في الجنة فرغموا رؤوسهم فإذا هو من ثمر حوراء ، ضحككت في وجه زوجها »
 وروى نعمة بن الوليد حدثنا مجمر بن سميد عن خالد بن معدان عن كثير بن
 مرة قال : « إن من المزيدي أن عمر السحابة بأهل الجنة فتقول ماذا تريدون أن أمطركم ؟
 فلا يتمنون شيئاً إلا أمطروا » قال : يقول كثير : لئن أشهدني الله ذلك لأقولن
 أمطرينا جواري مزيينات ، وقد روى في مادة خلقهن صفة أخرى . قال ابن أبي
 الدنيا حدثنا خالد بن سميد عن خدائش حدثنا عبدالله بن وهب حدثنا سميد بن
 أيوب عن عقيل بن خالد الزهري أن ابن عباس قال : « إن في الجنة نهراً يقال له
 البلدخ عليه قباب من ياقوت تحته حور ناشئات يقول أهل الجنة : انطلقوا بنا إلى
 البلدخ ، فيتصفعون تلك الجوارى فإذا أعجب رجل منهم جارية مس مصعبها
 فتبته » وقال الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن الوليد بن عبدة قال :
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل : « يا جبريل قف بي على الحور العين ،
 فأوقفه عليهن . فقال : من أنتن ؟ فقلن : نحن جواري قوم كرام حلوا فلم يظمنوا ،
 وشبوا فلم يهرموا ، وتقاوا فلم يدرنوا » .

وقال ابن المبارك أنبأنا يحيى عن أيوب عن عبدالله بن زخير . عن خالد بن
 عمران عن ابن عباس قال : « كنا جلوساً مع كعب يوماً فقال : لو أن يداً من

الخور دليت من السماء ، لأضاءت لها الأرض كما نضوء الشمس لأهل الدنيا ، ثم قال : إنا قلت : يدها ، فكيف بالوجه وبياضه وحسنه وجماله !! » .

وفي مسند الإمام أحمد من حديث كثير بن مرة عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تؤذى امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الخور العين : لا تؤذيه قالتك الله ، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا » . وفي مراسيل عكرمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الخور العين لا أكثر عدداً من منكن يدعون لأزواجهن يقفن اللهم أعنه على دينك ، وأقبل بقلبه على طاعتك ، ويلفه بمزتك يا أرحم الراحمين » ذكره ابن أبي الدنيا من حديث أسامة بن زيد عن عطاء عنه وذكر الأوزاعي عن حسان بن عطية عن ابن مسعود قال : « إن في الجنة حوراء يقال لها اللعبة ، كل حور الجنان يمجبن بها يضربن بأيديهن على كتفها ويقفن : طوبى لك يا لعبة ، لو يعلم الطالبون لك الجدوا ، بين عينها مكتوب : من كان يبتنى أن يكون له مثلى فإيعمل برضاء ربى » .

وقال عطاء السلمي لملك بن دينار : « يا أبا يحيى شوقنا ، قال : يا عطاء إن في الجنة حوراء يتباهى أهل الجنة بحسنها لولا أن الله تعالى كتب على أهل الجنة أن لا يموتوا لما اتوا من حسنها ، فلم يزل عطاء كمدأ من قول مالك » .

وقال أحمد بن أبي الخوارى : حدثني جعفر بن محمد قال : لقي حكيم حكيماً ، فقال : ألتفتاق إلى الخور العين ؟ فقال : لا ، فقال : فاشتق إليهن ، فإن نور وجههن من نور الله عز وجل ، فنشى عليه ، فحمل إلى منزله فجعلنا نموده شهراً » .

وقال ربيعة بن كلثوم نظر إلينا الحسن ونحن حوله شباب فقال : « يا معشر الشباب ، أمانتشتاقون إلى الخور العين ؟ » وقال لي ابن أبي الخوارى حدثني الحضرمي قال : « نعمت أنا وأبو حمزة على سطح فجعلت أنظر إليه يتقلب على فرشه إلى الصباح ، فقلت : يا أبا حمزة ما قدرت الليلة ، فقال : إنى لما اضطجعت تمتل لي حوراء حتى كأنه

أحسست بجلدها ، وقد مس جلدي ، فحدثت به أبا سليمان فقال : هذا رجل كان مشتاقا .

وقال ابن أبي الحواري : سمعت أبا سليمان يقول : « يلبأ خلق الحور العين بإنشاء ، فإذا تكامل خلقهن ضرب عليهن الملائكة الحيام » .

وذكر ابن أبي الدنيا عن صالح المري عن زيد الرقاشي قال : « بلغني أن نورا سطر في الجنة لم يبق موضع من الجنة إلا دخل من ذلك النور فيه ، فقيل : ما هذا؟ قال : حوراء ضحكت في وجه زوجها ، قال صالح : فشبه رجل من ناحية المجلس ، فلم يزل يشبه حتى مات » .

وقال ابن أبي الدنيا حدثنا بشر بن الوليد حدثنا سعيد بن زربي عن عبد الملك الجوني عن سعيد بن جبير ، قال : سمعت ابن عباس يقول : « لو أن حوراء أخرجت كفها بين السماء والأرض لافتن الخلائق بحسنها ، ولو أخرجت نصفها لكانت الشمس عند حسننها مثل الفتيلة في الشمس لا ضوء لها ، ولو أخرجت وجهها لاضاء حسننها ما بين السماء والأرض » .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثني الحسين بن يحيى وكثير المنبري حدثنا خزيمه أبو محمد عن سفيان الثوري قال : « سطر نور في الجنة لم يبق موضع من الجنة إلا دخل فيه من ذلك النور ، فنظروا فوجدوا ذلك من حوراء ضحكت في وجه زوجها » ورواه الخطيب في تاريخه من حديث عبد الله بن محمد السكرخي ، قال : حدثني عيسى بن يوسف الطباع حدثني جلس بن محمد حدثنا سفيان الثوري عن مقبرة عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سطر نور في الجنة فرموا أبصارهم فإذا هو من ثمر حوراء ضحكت في وجه زوجها » .

وقال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير : « إذا سبغت المرأة من الحور العين

لم يبق شجرة في الجنة إلا وردت »

وقال ابن المبارك حدثنا الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير : « إن الحور
 العين يتلقين أزواجهن عند أبواب الجنة فيقلن : طال ما انتظرناكم ، فنحن
 الراضيات فلا نسخط ، وللقبات فلا نطمئن ، والخالدات فلا نموت ، بأحسن
 أصوات سمعت وتقول : أنت حي وأنا حبيك ، ليس دونك تقصير ، ولا وراءك
 حمدل . »

الباب الخامس والخمسون

في ذكر نكاح أهل الجنة ووطئهم والتذاذم بذلك أكمل لذة وزاهة

ذلك عن اللذي واللتي والضمف ، وأنه لا يوجب غسلا

وقد تقدم حديث أبي هريرة : « قيل يا رسول الله ، أتقضى إلى نساءنا في الجنة ؟ فقال إن الرجل ليصرف في اليوم إلى مائة عذراء » وإن إسناده صحيح. وتقدم حديث أبي موسى للتفق على صحته : « إن للمؤمن في الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا ، له فيها أهلون يطوف عليهم » .

وحديث أنس : « يمطى اؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من النساء » ومحمده الترمذى وروى الطبرانى وعبدالله بن أحمد وغيرهما من حديث لقيط بن عامر أنه قال : « يا رسول الله على ما يطلع من الجنة ؟ قال: على أنهار من غسل مصفى وأنهار من كأس ما بها صداع ولا ندامة ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن ، وناكة لعمري إلهك مما تملكون وخير من مثله وأزواج مطهرة . قلت : يا رسول الله أو لنا فيها أزواج مصالحات ؟ قال: الصالحات لل صالحين ، تلهذوا بهن مثل لذاتكم في الدنيا وتلهذكم ، غير أن لا توالد » .

وقال ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي حنيفة عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يا رسول الله أنطأ في الجنة ؟ قال : نعم والذي نفسي بيده دحماً ، دحماً : فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكاراً » .

وقال الطبرانى : حدثنا إبراهيم بن جابر الفقيه حدثنا محمد بن عبد الملك الدقيقي الواسطي حدثنا يعلى بن عبد الرحمن الواسطي حدثنا شريك عن عاصم الأحول عن أبي التوكل عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن بكاراً » قال الطبرانى: لم يروه عن عاصم إلا شريك تفرد به يعلى .

قال الطبراني : وحدثنا عبدان بن أحمد حدثنا محمد بن عبد الرحيم البرقي حدثنا عمرو بن أبي سلمة حدثنا صدقة عن هاشم بن زيد عن سليم بن أبي يحيى أنه سمع أبا أمامة يحدث أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسئل : « هل يفتاح أهل الجنة ؟ قال : بذكر لا يمل ، وشهوة لا تنقطع دحماً دحماً » .

قال الطبراني : وحدثنا أحمد بن يحيى الخولاني حدثنا سويد بن سعيد حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل : « أجماع أهل الجنة ؟ قال : دحاً دحاً ، ولكن لا منى ولا منية » وهاشم وخالد ، وإن تكلم فيما ليس الاعتماد عليهما ، وقوله : « لا منى ولا منية » أي : لا إزال ولا موت ، وقال أبو نعيم : حدثنا أبو علي محمد بن أحمد حدثنا بشر بن موسى حدثنا أبو عبد الرحمن اللقري حدثنا عبد الرحمن بن زياد حدثنا عمارة بن راشد عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل : « هل يمس أهل الجنة أزواجهم ؟ قال : نعم ، والذي بئني بالحق بذكر لا يمل وفرج لا يحفى وشهوة لا تنقطع » .

وقال الحسن بن سفيان في مسنده : حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة بن خالد حدثنا عثمان بن أبي العاتكة عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل ينسكح أهل الجنة ؟ قال : إي . والذي بئني بالحق دحماً دحماً ، وأشار بيده ، ولكن لا منى ولا منية » وقال سعيد بن منصور حدثنا سفيان بن عمرو عن عكرمة في قوله تعالى : (إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون)^(١) قال في اقتضاض الأبيكار . وقال عبد الله بن أحمد : حدثنا أبو الربيع الزهراني ومحمد بن حميد : قالا : حدثنا يعقوب بن عبد الله حدثنا حفص بن حميد عن بشر بن عطية عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود في قوله : (إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون) قال شغلهم : اقتضاض المذارى . وقال الحاكم : أنبأنا الأصم أنبأنا العباس بن الوليد أخبرني شعيب عن الأوزاعي ، في قوله تعالى : (إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون) قال شغلهم : اقتضاض الأبيكار . قال مقاتل : شغلوا باقتضاض المذارى عن أهل النار فلا يدكرونها ولا يهتمون لهم ، وقال أبو الأحوص : شغلوا باقتضاض الأبيكار عن السرور في الحجال ، وقال سليمان

التيمنى عن أبي جملز ، قلت لابن عباس عن قول الله تعالى : (إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون) ما شغلهم ؟ قال : اقتضاض الأبركار ، وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا فضيل بن عبد الواحد حدثنا يزيد بن زريع عن سليمان التيمي عن أبي عمرو عن عكرمة عن ابن عباس : (في شغل فاكهون) قال : في اقتضاض المذارى .
حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا يحيى بن يمان عن أشعث عن جعفر عن سميد بن جبير « إن شهوته لتجري في جسده سمين عاماً يجمد اللذة ولا يلحهم بذلك جنابة .
فحتاجون إلى التطهير ، ولا ضعف ولا انحلال قوة ، بل وطئهم وطء التذاد ونعيم لا آفة فيه بوجه من الوجوه » .

وأكل الناس فيه أصونهم لنفسه في هذه الدار عن الحرام ، فكما أن من شرب الخمر في الدنيا لم يشرها في الآخرة ، ومن لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ، ومن أكل في صحاف الذهب والفضة في الدنيا لم يأكل فيها في الآخرة ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إنها لحم في الدنيا ولكم في الآخرة » .

فمن استوفى طيباته ولداته وأذهبها في هذه الدار حرماً هناك ، كما نرى سبحانه على من أذهب طيباته في الدنيا ، واستمتع بها ولهذا كان الصحابة ومن تبعهم يخشون من ذلك أشد الخوف ، وذكر الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله : « أنه رآه عمر ومعه لحم قد اشتراه لأهله بدرهم فقال : ما هذا ؟ ! قال لحم اشتريته لأهلي بدرهم ، فقال : أو كلما اشتري أحدكم شيئاً اشتراه ! ! أما سمعت الله تعالى يقول : (أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) (١) .

وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا جرير بن حازم قال حدثنا الحسن قال : « قدم وفد أهل البصرة مع أبي موسى طي عمر ، فكنا ندخل عليه كل يوم وله خبز ثلاثة ، وربما وافقناها مأدومة بالسمن ، وربما وافقناها مأدومة بالزيت ، وربما وافقناها مأدومة باللبن ، وربما وافقناها القلائد اليابسة ، قد دقت ثم أغلى بها ، وربما وافقناها اللحم المريض وهو قليل ، فقال ذات يوم : إني والله قد أرى تقديركم

وكرهيتكم لطعامي ، إني والله لو شئت لكنت أطيبكم طعاماً ، وأرقكم عيشاً ،
ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « غير قوماً بأمر فملوه ، فقال :
أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ، فمن ترك اللذة المحرمة لله
استوفأها يوم القيامة أكمل ما تكون ، ومن استوفأها هنا حرمها هناك أو نقص
كألفها ، فلا يجمل الله لذة من أوضع في معاصيه ومحارمه ، كلذة من ترك شهوته
لله أبداً » والله أعلم .

الباب السادس والخمسون

في ذكر اختلاف الناس هل في الجنة حمل وولادة أم لا ؟

قال الترمذى في جامعه حدثنا بندار حدثنا معاذ بن هشام قال حدثني أبي عن عامر الاحول ، عن أبي الصديق الناجى عن أبي سعيد الخدرى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والمؤمن إذا اشتبه الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة كما يشتهى » . قال هذا حديث حسن غريب ، وقد اختلف أهل العلم في هذا . فقال بعضهم : في الجنة جماع ولا يكون ولد ، هكذا روى عن طاووس وعماهد وإبراهيم النخعى . وقال محمد - يعنى البخارى - قال إسحاق بن إبراهيم في حديث النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا اشتبه المؤمن الولد في الجنة كان في ساعة كما يشتهى ولكن لا يشتهى » . قال محمد روى عن أبي ذر بن العقيلى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد » وأبو الصديق الناجى اسمه بكر بن عمرو ، ويقال بكر بن قيس . انتهى كلام الترمذى :

قلت : إسناده حديث أبي سعيد على شرط الصحيح فرجاله محتج بهم فيه ، ولكنه غريب جداً ، وتأويل إسحاق فيه نظر ، فإنه قال : إذا اشتبه المؤمن الولد ، وإذا للمتحقق الوقوع ، ولو أريد ما ذكره من المعنى ، لقال : لو اشتبه المؤمن الولد لكان حمله في ساعة ، فإن ما لا يكون أحق بأداة كما لو أن المتحقق الوقوع أحق بأداة ، إذا وقد قال أبو نعيم حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا أحمد بن إسحاق حدثنا أبو أحمد الزبيرى حدثنا سفيان الثورى عن أبان عن أبي الصديق الناجى عن أبي سعيد الخدرى قال : « قيل يا رسول الله أيولد لأهل الجنة ، فإن الولد من تمام السرور ؟ فقال : والذي نفسى بيده وما هو إلا كقدر ما يتمنى أحدكم فيكون حمله ورضاعه وشبابه » .

حدثنا أبو الحسن على بن إبراهيم بن أحمد الرازى بمسكة حدثنا عبد الرحمن

ابن محمد بن إدريس حدثنا سليمان بن داود القزاز حدثنا يحيى بن حفص الأسدي . قال : سمعت أبا عمرو بن العلاء يحدث عن جعفر بن ثور العبدي عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل من أهل الجنة ليولد له كما يشتهي ، فيكون حمله وفصاله وشبابه في ساعة واحدة » .

وحديث معاذ بن هشام قال فيه بندار عامر الاحول ، وقال عمرو بن علي عاصم الاحول ، وقال الحاكم أنبأنا الأصم حدثنا محمد بن عيسى حدثنا سلام بن سليمان حدثنا سلام الطويل عن زيد العمى عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري رفعه « إن الرجل من أهل الجنة ليشتهي الولد في الجنة فيكون حمله وفصاله وشبابه في ساعة واحدة » . قال البيهقي : وهذا إسناد ضعيف بكرة ، وأما حديث أبي رزين الذي أشار إليه البخاري فهو حديثه الطويل ، ونحن نسوقه بطوله نجمل به كتابنا فعليه من الجلالة والمهابة ونور النبوة ما ينادى على صحته .

قال عبدالله بن الإمام أحمد في مسند أبيه : كتب إلى إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة عن مصعب بن زبير الزبيري كتبت إليك بهذا الحديث وقد عرضته وسمعته على ما كتبت به إليك ، فحدث به عنى حدثنا عبد الرحمن بن المغيرة الخزامي حدثني عبد الرحمن بن عابس المسمى الأنصاري من بني عمرو بن عوف عن دهم بن الأسود بن عبدالله بن حاجب بن عامر بن المنتفق العقبلي عن أبيه عن عمه لقيط بن عامر . قال دهم : وحدثني أبو الأسود عن عاصم بن لقيط أن لقيطاً خرج وافداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه صاحب له يقال له نهبك بن عاصم بن مالك بن المنتفق . قال لقيط : فخرجت أنا وصاحبي حق قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من صلاة الغداة ، فقام في الناس خطيباً فقال : « ألا أيها الناس إني قد خبأت لكم صوتاً منذ أربعة أيام ألا اسمعتمكم ، ألا فهل من امرئ بعثه قومه ؟ فقالوا له : اعلم لنا ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ألا ثم لعله أن يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو يلهيه الضلال ألا إني مشغول ،

ألا هل بانفت، ألا اسمعوا تعيشوا، ألا اجلسوا ألا اجلسوا، قال : فجلس الناس ، وقت أنا وصاحبي حتى إذا فرغ لنا فؤاده وبصره ، قلت : يا رسول الله ما عندك من علم الغيب؟ فضحك لعمر الله وهز رأسه وعلم أني أبتنى سقطه، فقال ضن ربك بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله، وأشار بيده قلت : وما هي ؟ قال : علم المنية قد علم متى مينة أحدكم ولا تعلمونه ، وعلم ما في غد ما أنت طاعم غداً ولا تعلمونه ، وعلم يوم النيث يوم يشرف عليكم أذلين مشفقين، فيظل يضحك قد علم أن غيركم إلى قريب . قال لقيط : قلت : لن نعلم من رب يضحك خيراً ، وعلم يوم الساعة ، قلت : يا رسول الله ، علمنا بما تعلم الناس وما تعلم ، فإننا من قبيل لا يصدقون تصديقنا أحد ، من مذحج التي تربوا علينا ، وختم التي توالينا ، وعشيرتنا التي نحن منها ، قال : تلبثون ما لبثتم ثم يتوفى نبيكم ثم تلبثون ما لبثتم ، ثم تبعث الصائحة . لعمر إلهك لا تدع على ظهرها شيئاً إلا مات ، ولللائكة الذين مع ربك عز وجل ، فأصبح ربك يطوف في الارضين وخات عليه البلاد ، فأرسل ربك السماء تهضب من عند العرش ، فلعمر إلهك ما تدع على ظهرها من مصرع قتيل ولا مدفن ميت إلا شقت القبر عنه حتى يخلفه من عند رأسه ، فيستوى جالساً فيقول : ربك مهيم ، لما كان فيه . يقول : يارب أمتي اليوم ولعمري بالحياة عشية تحسبه حديثاً بأهله ، فقلت : يا رسول الله ، كيف يجمعنا بعد ما تمزقتا الرياح والبلى والسباع ؟ فقال : أنبتك بمثل ذلك في آلاء الله الأرض ، أشرفت عليها وهي مدرة بالية . فقلت : لانتحيا أبداً ثم أرسل ربك عليها السماء فلم تلبث عليك إلا أياما حتى أشرفت عليها وهي شربة واحدة ، ولعمر إلهك هو أقدر على أن يجمعهم من الماء على أن يجمع نبات الأرض ، فيخرجون من الأضواء ومن مصارعهم فتظنون إليه وينظر إليكم ، قال : قلت يا رسول الله ، فكيف ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد ينظر إلينا وننظر إليه ، قال : أنبتك بمثل ذلك في آلاء الله : الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونها ، ويريانكم ساعة واحدة ، لا تضارون في رؤيتهما ، ولعمر إلهك ، هو أقدر على أن يراكم وترونه منهما ، قلت : يا رسول الله فما يفعل بنا ربنا ، إذا لقيناه ؟ قال : تعرضون عليه بادية له صفحاتكم لا تخفي عليه منكم خافية ، فيأخذ ربك عز وجل بيده غرفة من الماء ، فينضح بلسمكم بها ، فلعمر إلهك ما يخطيء وجه أحد منكم منها قطرة . فأما السلم فتدع وجهه مثل

الربطة البيضاء ، وأما الكافر فتعظم وجهه بمثل اللحم الأسود ، إلا ثم ينصرف نبيكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينصرف على أثره الصالحون فيسلكون جسراً من النار ، فيطأ أحدكم الجمرة فيقول : حس فيقول ربك : أو إنه ، فيظلمون على حوض الرسول صلى الله عليه وسلم على أظهاء والله ناهلة قط رأيتها ، فلمر ربك ، ما يبسط واحد منكم يده إلا وقع عليها قدح مطهرة من الطوف والبول والأذى ، ونحبس الشمس والقمر ، فلا ترون منهما واحداً قال : قلت يا رسول الله : فيم نبصر ؟ قال : بمثل بصرك ساعتك هذه ، وذلك مع طلوع الشمس في يوم أشرقته الأرض ، ثم واجهته الجبال . قال : قلت : يا رسول الله فيم نجزي من حسانتنا وسيئاتنا ؟ قال : الحسنة بمشر أمثالها والسيئة بمثلها إلا أن يعفو ، قال : قلت : يا رسول الله ما الجنة ما النار ؟ قال لعمر إلهك إن للنار سبعة أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً . وأن للجنة ثمانية أبواب ، ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً ، قال : قلت يا رسول الله فعلى ما نطلع من الجنة ؟ قال : على أنهار من عسل مصفى وأنهار من كأس ما بها من صداع ولا ندامة ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن وبفاكهة لعمر إلهك مما تعلمون وخير من مثله معه . وأزواج مطهرة ، قلت : يا رسول الله ، ولنا فيها أزواج أو منهن صالحات ؟ قال : الصالحات للصالحين ، تلدن بهن مثل لئناسك في الدنيا ، ويلدذن بكم غير أن لا نواله ، قال لقيط : فقلت : أقصى ما نحن بالفن ومنتهوك إليه ، فلم يجبه النبي صلى الله عليه وسلم : فقلت : يا رسول الله على ما أبايكم فبسط النبي صلى الله عليه وسلم يده ، وقال : على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن لا تشرك بالله إلهاً غيره ، قال : قلت : وإن لنا ما بين المشرق والمغرب ؟ فقبض النبي صلى الله عليه وسلم يده وبسط أصابعه وظن أنى مشروط شيئاً لا يطمينه .

قال : قلت : نحل منهما حيث شئنا ولا يجنى على امرئ إلا نفسه فبسط يده ، وقال : ذلك لك تحلى حيث شئت ولا يجنى عليك إلا نفسك . قال : فانصرفنا وقال : ها إن ذين ها إن ذين لعمر إلهك إن حدثت إلا أنهما من اتقى الناس في الأولى والآخرة ، فقال له كعب بن الجدارية أخو بني بكر بن كلاب : من هم يا رسول الله ؟ قال : بنو المنتفق أهل ذلك ، قال : فانصرفنا وأقبلت عليه فقلت : يا رسول الله ، هل

لاحد مما مضى من خبر في جاهليتهم ؟ قال : قال رجل من عرض فريش : والله إن أباك المنتفق لفي النار ، قال فكأنه قد وقع جزء من جلدي ووجهي ولحمي مما قال لأبي علي رؤوس الناس : فهمت أن أقول وأبوك يارسل الله ، ثم إذا الأخرى أجمل ، فقلت يارسل الله وأهلك ؟ قال : وأهل لعمر الله ما أتيت عليه من قبر عامري أو قرشي من مشرك قتل أرسلني إليك محمد صلى الله عليه وسلم ، فأبشرك بما يسوءك ، نجر على وجهك وبطنك في النار .

قال : قلت : يارسل الله ما فعل الله بهم ذلك ، وقد كانوا على عمل لا يحسنون إلا إياه وكانوا يحسبونهم مصلحين ؟ قال : ذلك بأن الله عزوجل بعث في آخر كل سبع أمم نبياً ، فمن عصى نبيه كان من الضالين ، ومن أطاع نبيه كان من المهتدين .

هذا حديث كبير مشهور ولا يعرف إلا من حديث أبي القاسم عن عبد الرحمن ابن المغيرة بن عبد الرحمن المدني ثم من رواية إبراهيم بن حمزة الزيري المدني عنه ، وهما من كبار علماء المدينة ثقتان يحتج بهما في الحديث ، احتج بهما الإمام محمد بن إسماعيل البخاري وروى عنهما في مواضع من كتابه . رواه أئمة الحديث في كتبهم منهم أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن الإمام أحمد وأبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي الماصم وأبو القاسم الطبراني ، وأبو الشيخ الحافظ وأبو عبد الله بن منده والحافظ وأبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه والحافظ أبو نعيم الأصفهاني وغيرهم على سبيل القبول والتسليم .

قال الحافظ أبو عبد الله بن منده : روى هذا الحديث محمد بن إسحاق الصنعائي وعبد الله بن أحمد بن حنبل وغيرهما وقرؤه بالمراق يجمع العلماء وأهل الدين فلم ينكرة أحد منهم ولم يتكلم في إسناده ، وكذلك أبو زرعة وأبو حاتم على سبيل القبول . وقال أبو الخير بن حمدان : هذا حديث كبير ثابت مشهور .

وسألت شيخنا أبا الحاج المرى عنه فقال عليه جلالة النبوة ، وقال نفاة الإيلاد : فهذا حديث صريح في إنتفاء الولادة وقوله إذا انتهى معلق بالشرط ، ولا يلزم من التعليق وقوع المعلق ولا المعلق به ، وإذا وإن كانت ظاهرة في المحقق فقد تستعمل لجرد التعليق الأعم عن المحقق وغيره ، قالوا : وفي هذا الموضع يتعين ذلك لوجوه :

أحدها : حديث أبي رزين .

والثاني : قوله تعالى : (ولهم فيها أزواج مطهرة)^(١) ، وهن اللاتي طهرن من الحيض والنفاس والأذى . قال سفیان : أسأنا ابن أبي نجيح عن مجاهد : مطهرة من الحيض والنفاس والبول والنخام والبصاق والمني والولد ، وقال أبو معاوية حدثنا ابن جريج عن عطاء أزواج مطهرة قال : من الولد والحيض والتائط والبول .

الثالث : قوله غير أنه لا منى ولا منية وقد تقدم ، والولد إنما يخلق من ماء الرجل ، فإذا لم يكن هناك منى ولا منى ولا تفخ في الفرج لم يكن هنا إيلاد ؛

الرابع : أنه قد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يبقى في الجنة فضل فينشيء الله لها خلقاً يسكنهم إياها ، ولو كان في الجنة إيلاد لكان الفضل لأولادهم وكانوا أحق له من غيرهم » .

الخامس : أن الله سبحانه وتعالى جعل الحمل والولادة مع الحيض والمني ، فلو كانت النساء يجبلن في الجنة لم ينقطع عنهن الحيض والإنزال .

السادس : أن الله سبحانه قدر التناسل في الدنيا ، لأنه قدر الموت وأخرجهم إلى هذه الدار قرناً بعد قرن ، وجعل لهم أمداً يذهبون إليه ، فلو لا التناسل لبطل النوع الإنساني ، ولهذا الملائكة لا تتناسل ، فإنهم لا يموتون كما تموت الإنس والجن ، فإذا كان يوم القيامة أخرج الله سبحانه الناس كلهم من الأرض ، وأنشأهم للبقاء لا للموت فلا يحتاجون إلى تناسل ، يحفظ النوع الإنساني إذ هو منشأ للبقاء والدوام ، فلا أهل الجنة يتناسلون ولا أهل النار .

السابع : أنه سبحانه وتعالى قال : (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم)^(٢) فأخبر سبحانه أنه يكرمهم بإلحاق ذرياتهم الذين كانوا لهم في الدنيا ، ولو كان ينشأ لهم في الجنة ذرية أخرى ، لذكرهم كما ذكر ذرياتهم الذين كانوا في الدنيا ، لأن قرة أعينهم كانت تكون بهم ، كما هي بذرياتهم من أهل الدنيا .

(١) سورة البقر آية ٢٥ .

(٢) سورة الطور آية ٢١ .

الثامن : أنه إما أن يقال باستمرار التناسل فيها لا إلى غاية أو إلى غاية ، ثم تنقطع وكلاهما مما لا سبيل إلى القول به لاستلزام الأول اجتماع أشخاص لا تتناهى ، واستلزام الثانى انقطاع نوع من لذة أهل الجنة وسرورهم وهو محال ، ولا يمكن أن يقال : يتناسل يموت معه نسل ويخلفه نسل ، إذ لا موت هناك .

التاسع : أن الجنة لا ينمو فيها الإنسان كما ينمو فى الدنيا ، فلا ولدان أهلها ينمون ويكبرون ولا الرجال ينمون كما تقدم ، بل هؤلاء ولدان صنار لا يتغيرون ، وهؤلاء أبناء ثلاث وثلاثين لا يتغيرون ، فلو كان فى الجنة ولادة لكان المولود ينمو ضرورة حتى يصير رجلاً ومعلوم أن من مات من الأطفال يردون أبناء ثلاث وثلاثون من غير نمو يوضحه .

الوجه العاشر : أن الله سبحانه وتعالى ينشئ أهل الجنة نشأة الملائكة أو أكمل من نشأتهم بحيث لا يبولون ولا يتغوطون ولا ينامون ويلهون التسييح ولا يهرمون على تناول الأحقاب ، ولا تنمو أبدانهم بل القدر الذى جعلوا عليه لازم لهم أبداً والله أعلم فهذا ما فى المسألة ، فأما قول بعضهم : إن القدرة سالحة والكل ممكن . وقول آخرين : إن الجنة دار المسكفين التى يستحقونها بالعمل . وأمثال هذه المباحث فرخيصة ، وهى فى كتب الناس . وبالله التوفيق .

قال الحاكم : قال الأستاذ أبو سهل : أهل الزيف ينسكرون هذا الحديث يعنى حديث الولادة فى الجنة . وقد روى فيه غير إسناد . وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال : يكون ذلك على نحو مما روينا والله سبحانه وتعالى يقول : (وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين)^(١) ، وليس بالمستحيل أن يشتهى المؤمن الممكن من شهواته اللصنى المقرب المسلط على لذاته قرة وثمره فؤاد من الذين أنعم الله عليهم بأزواج مطهرة .

فإن قيل : فى الحديث أنهم لا يحضن ولا يفنسن فأين يكون الولد ؟

قلت : الحيض سبب الولادة المتمد مدة بالحمل على الكثرة والوضع عليه ، كما

أن جميع بلاد الدنيا من المشارب والمطاعم والملابس على ما عرف من التعمب والنصب، وما يقبه كل منهما مما يحذر منه ويخاف من عواقبه، وهذه خمرة الدنيا المحرمة للاستولية على كل بلية قد أعدها الله تعالى لأهل الجنة مزوعة البلية موفرة اللذة فلم لا يجوز أن يكون على مثله الولد ! انتهى كلامه .

قلت : النافون للولادة في الجنة لم ينفوها لزيغ قلوبهم ولكن حديث أبي رزين « غير أن لا توالد » وقد حكينا قول عطاء وغيره أنهم مطهرات من الحيض والولد. وقد حكى الترمذي عن أهل العلم من السلف والخلف في ذلك قولين ، وحكى قول أبي إسحاق بإنكاره ، وقال أبو أمامة في حديثه : « غير أن لا منى ولا منية ، والجنة ليست دار تناسل بل دار بقاء وخلد لا يموت من فيها فيقوم نسله مقامه » وحديث أبي سعيد الخدري هذا أجود أسانيده إسناد الترمذي ، وقد حكى بغيره . وأنه لا يعرف إلا من حديث أبي الصديق الناحي ، وقد اضطرب لفظه فتارة يروي عنه إذا اشتهى الولد ، وتارة إنه ليشتهى الولد ، وتارة إن الرجل من أهل الجنة ليولد له ، فالله أعلم ، فإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قاله فهو الحق الذي لا شك فيه ، وهذه الألفاظ لا تنافي بينها ولا تناقض ، وحديث أبي رزين « غير أن لا توالد » إذ ذاك نفي للتوالد المهود في الدنيا ، ولا ينفي ولادة حمل الولد فيها ووضعها وسنه وشبابه في ساعة واحدة ، فهذا ما انتهى إليه علمنا القاصر في هذه المسألة ، وقد أتينا فيها بما لملك لا تجده في غير هذا الكتاب . والله أعلم .

الباب السابع والخمسون

في ذكر سماع الجنة وغناء الحور العين وما فيه من الطرب واللذة

قال تعالى : (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون ه فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون) (١) ، قال محمد بن جرير : حدثني محمد بن موسى الحرشي قال : حدثنا عامر بن نساف قال : سألت يحيى بن أبي كثير عن قوله عز وجل : (فهم في روضة يحبرون) قال الخبر : اللذة والسماع ، حدثنا عبد الله بن محمد الفريابي حدثنا ضمرة بن ربيعة عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير في قوله : (يحبرون) قال : السماع في الجنة ولا يخالف هذا قول ابن عباس بكرمون وقال مجاهد ، وقتادة : ينعمون ، فلذة الأذن بالسماع من الخبرة والنعم .

وقال الترمذي : حدثنا هناد وأحمد بن منيع قالا : حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن في الجنة لمجتمعاً للحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلهما ، يقان : نحن الخالدات فلا نبيد ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ، طوبى لمن كان لنا . وكن له » وفي الباب عن أبي هريرة وأبي سعيد وأنس وحديث علي حديث غريب .

قلت : وفي الباب عن ابن أبي أوفى وأبي أمامة ، وعبد الله بن عمر أيضاً ، فأما حديث أبي هريرة : فقال جعفر الفريابي ، حدثنا سعد بن حفص حدثنا محمد بن مسلمة عن أبي عبد الرحمن عن زيد بن أبي أنيسة عن المنهال بن عمرو عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : « إن في الجنة نهراً طول الجنة حافتاه العذارى قيام متقابلات ، ينفين بأصوات حتى يسممها الخلائق ، ما يرون في الجنة لذة مثلهما ، فقلنا : يا أبا هريرة وما ذلك الغناء ؟ قال إن شاء الله التسبيح والتحميد والتقديس وثناء علي الرب عز وجل » هكذا رواه موقوفاً .

وروى أبو نعيم في صفة الجنة من حديث مسلمة بن علي عن زيد بن واقد عن رجل عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن في الجنة شجرة جذوعها من ذهب وفروعها من زبرجد ولؤلؤ فتب لها ريح فيصطفقن فما سمع الصامعون بصوت شيء قط ألد منه » .

وأما حديث أنس : فقال أبو نعيم : أنبأنا عبد الله بن جعفر حدثنا إسماعيل ابن عبد الله حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم حدثنا ابن أبي فديك عن ابن أبي ذئب عن عون بن الخطاب عن عبد الله بن رافع عن أبي الأسن عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الحور العين يغنين في الجنة ، يقان : نحن الحور الحسان ، خلقن لأزواج كرام » ورواه ابن أبي الدنيا حدثنا أبو خيثمة حدثنا إسماعيل بن عمر حدثنا ابن أبي ذئب عن أبي عبد الله بن رافع عن بعض ولد أنس فذكره .

وأما حديث ابن أبي أوفى : فقال أبو نعيم حدثنا محمد بن جعفر من أصله حدثنا موسى بن هارون حدثنا حامد بن يحيى الباقعي حدثنا يونس بن محمد المؤدب حدثنا الوليد بن أبي ثور حدثني سعد الطائي عن عبد الرحمن بن سابط عن ابن أبي أوفى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يزوج كل واحد من أهل الجنة أربعة آلاف بكر وثمانية آلاف أيم ومائة حوراء فيجتمعن في كل سبعة أيام فيقان بأصوات حسان ، لم تسمع الخلائق بمثلهن : نحن الخالدات فلا نبيد ، ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط ، ونحن المقيات فلا نظعن ، طوبى لمن كان لنا وكن له » .

وأما حديث أبي أمامة : فقال جعفر اليرباعي حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثنا خالد بن يزيد عن أبي مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من عبد يدخل الجنة ، إلا ويجلس عند رأسه وعند رجلية ثنتان من الحور العين ، يغنيانه بأحسن صوت سمعه الإنس والجن ، وليس بمزامير الشيطان » ،

وأما حديث ابن عمر : فقال الطبراني حدثنا أبو رفاعة عمارة بن وئيمة بن موسى الفرات المصري حدثنا سعيد بن أبي مریم حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير عن زيد بن أسلم عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات ما سمها أحد قط ، إن ما يغنين به : نحن الخيرات الحسان ، أزواج قوم كرام ، ينظرون بقرّة أعين ، وإن ما يغنين به نحن الخالدات فلا تمتنه ، نحن الآمنات فلا نخفنه ، نحن المقيّات فلا نظمنه » قال الطبراني لم يروه عن زيد بن أسلم إلا محمد تفرّد به ابن أبي مریم .

وقال ابن وهب : حدثني سعيد بن أبي أيوب قال : وقال رجل من قريش لابن شهاب : هل في الجنة سماع فإنه حبيب إلى السماع ؟ فقال إى والذى نفس ابن شهاب بيده ، إن في الجنة لشجراً حملة اللؤلؤ والزبرجد ، وتحته جوار ناهدات يتقنين بألوان يقلن : نحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الخالدات فلا نموت ، فإذا سمع ذلك الشجر صفق بمضه بمضاً ، فأجبن الجوارى ، فلا ندرى أصوات الجوارى أحسن أم أصوات الشجر .

قال ابن وهب وحدثنا الليث بن سعد عن خالد بن يزيد « أن الحور العين يغنين أزواجهن فيقلن : نحن الخيرات الحسان ، أزواج شباب كرام ، ونحن الخالدات فلا نموت ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ، ونحن المقيّات فلا نظمن ، في صدر إحداهن مكتوب أنت حبي وأنا حبيك انتهت نفسى عندك ، لم تر عيناي مثلك » وقال ابن المبارك حدثنا الأوزاعي حدثنا يحيى بن أبي كثير : « إن الحور العين يتلقين أزواجهن عند أبواب الجنة فيقلن : طالما انتظرناكم ، فنحن الراضيات فلا نسخط ، والمقيّات فلا نظمن ، والخالدات فلا نموت ، بأحسن أصوات سمعت . وتقول : أنت حبي وأنا حبيك ؛ ليس دونك مقصر ولا وراثة معدل . »

فصل

ولهم سماع أعلى من هذا

وقال ابن أبي الدنيا حدثني دهم بن الفضل القرشي حدثنا رواد بن الجراح عن الأوزاعي : « قال بانى أنه ليس من خلق الله أحسن صوتاً من إسرافيل ، فيأمره الله تبارك وتعالى فيأخذ في السماع ، فما يبقى ملك في السموات إلا قطع عليه صلواته ، فيمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث ، فيقول الله عز وجل : وعزتي لو يعلم العباد قدر عظمى ما عبدوا غيري » وحدثني داود بن عمر الضبي حدثنا عبد الله بن المبارك عن مالك ابن أنس عن محمد بن المنكدر قال : « إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا ينزهون أسماعهم وأنفسهم عن مجالس اللهو ومزامير الشيطان أسكنوهم رياض المسك . ثم يقول للملائكة أسمعوهم تمجيدى وتمجيدى » .

وقال ابن أبي الدنيا حدثني محمد بن الحسن حدثني عبد الله بن أبي بكر حدثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار في قوله عز وجل : (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) قال : إذا كان يوم القيامة أمر بمنبر رفيع فوضع في الجنة ، ثم نودى : يا داود مجدنى بذلك الصوت الحسن الرخيم الذى كنت تمجيدنى به في دار الدنيا ، قال : فيستفرغ صوت داود نعم أهل الجنان فذلك قوله تعالى : (إن له عندنا لزلفى وحسن مآب) (١) .

وذكر حماد بن سلمة عن ثابت البناني وحجاج الأسود عن شهر بن حوشب قال : « إن الله جل ثناؤه يقول للملائكة : إن عبادى كانوا يحبون الصوت الحسن في الدنيا فيدعونه من أجل فاسمعوا عبادى ، فيأخذوا بأصوات من تهليل وتسبيح وتكبير لم يسمعوها بمثله قط » .

وقال عبدالله ابن الإمام أحمد في كتاب « الزهد » لآبيه حدثني علي بن مسلم الطوسي حدثني سيار حدثنا جعفر حدثنا مالك بن دينار « في قوله عز وجل : (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) قال : يقيم الله سبحانه داود عند ساق العرش ، فيقول : يا داود مجدنى اليوم بذلك الصوت الحسن الرحيم ، فيقول : إلهى كيف أمجدك وقد سلبتني في دار الدنيا ؟ قال : فيقول : الله عز وجل ، فإني أردت عليك ، قال : فإردت عليه فيزداد صوته قال : فيستفرغ صوت داود نعم أهل الجنة » .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا مسلم بن إبراهيم الحراني حدثنا مسكين بن بكير الأوزاعي عن عبيدة بن أبي لبابة قال : « إن في الجنة شجرة ثمرها زبرجد وياقوت ولؤلؤ ، فيبث الله ريحاً فتصفق فتسمع لها أصوات لم يسمع الله منها » .

حدثنا أبو بكر بن يزيد ، وإبراهيم بن سعيد قالا : حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا ربيعة بن صالح عن سلمة بن زهران عن عكرمة عن ابن عباس قال : « في الجنة شجرة على ساق قدر ما يسير الراكب في ظلها مائة عام ، فيتحدثون في ظلها فيشتمى بعضهم ، فيذكر لهو الدنيا فيرسل الله ريحاً من الجنة ، فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا » .

حدثنا إبراهيم بن سعيد حدثنا علي بن عاصم حدثني سعيد بن سعيد الحراني قال : حدثت : « أن في الجنة آجاماً من قصب من ذهب حملها اللؤلؤ فإذا اشتوى أهل الجنة أن يسموا صوتاً حسناً بئث الله على تلك الآجام ريحاً فتأتهم بكل صوت يشتهونه » .

فصل

ولهم سماع أعلى من هذا يضمحل دونه كل سماع ، وذلك حين يسمعون كلام الرب جل جلاله وخطابه وسلامه عليهم ومحاضراته لهم ، ويقرأ عليهم كلامه ، فإذا سمعوه منه ، فكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك ، وسيبرك أيها السني من الأحاديث الصحاح والحسان في ذلك ما هو من أحب سماع لك في الدنيا وألذ لأذنك وأقر لمينك ، إذ ليس في الجنة لذة أعظم من النظر إلى وجه الرب تعالى ، وسماع كلامه منه ولا يعطى أهل الجنة شيئاً أحب إليهم من ذلك .

وقد ذكر أبو الشيخ عن صالح بن حبان عن عبدالله بن بريدة قال : « إن أهل الجنة يدخون كل يوم مرتين على الجبار جل جلاله فيقرأ عليهم القرآن ، وقد جلس كل امرئ منهم مجلسه الذي هو مجلسه على منابر الدر والياقوت والزبرجد والذهب والزمرد ، فلم تفر أعينهم بشيء ، ولم يسمعوا شيئاً قط أعظم ولا أحسن منه ، ثم ينصرفون إلى رحالهم ناعمين قريرة أعينهم ، إلى مثلها من الغد » .

الباب الثامن والخمسون

في ذكر مطايا أهل الجنة وخبولهم ومراكبهم

قال الترمذى حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن حدثنا عاصم بن علي حدثنا المسعودي عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه : « أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : هل في الجنة من خيل ؟ قال : إن أدخلك الله الجنة فلا نشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء يطير بك في الجنة حيث شئت ، قال : وسأله رجل ، فقال : يا رسول الله هل في الجنة من إبل ؟ قال : فلم يقل ما قال لصاحبه ، قال : إن أدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهدت نفسك ولدت عينك . »

حدثنا سويد بن نصر أنبأنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن علقمة بن مرثد عن عبد الرحمن بن سابط عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه بمعناه ، وهذا أصح من حديث المسعودي حدثنا محمد بن إسماعيل بن سورة الاحمسي ، حدثنا أبو معاوية عن واصل بن السائب عن أبي سورة عن أبي أيوب قال : « أتى النبي صلى الله عليه وسلم أعرابي فقال : يا رسول الله إني أحب الخيل أفي الجنة خيل ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا دخلت الجنة أتيت بهرس من ياقوتة له جناحان حملت عليه ثم طار بك حيث شئت . »

قال الترمذى : هذا حديث إسناده ليس بالقوى ولا نعرفه من حديث أبي أيوب إلا من هذا الوجه ، وأبو سورة هو ابن أخي أبي أيوب يضعف في الحديث . ضعفه ابن معين جداً ، وسمعت محمد بن إسماعيل يقول : أبو سورة هذا منكر الحديث ، يروى مناكير عن أبي أيوب لا يتابع عليه .

قلت : أما حديث علقمة بن مرثد ، فقد اضطرب فيه علقمة ، فمرة يقول عن سليمان بن بريدة عن أبيه ، ومرة يقول عن عبد الرحمن بن سابط عن عمير بن ساعدة قال : « كنت أحب الخيل فقلت هل في الجنة خيل يا رسول الله ؟ » .

ومرة يقول : قال رجل من الأنصار ، يقال له عمير بن ساعدة يا رسول الله

ومرة يقول عن عبد الرحمن بن سابط عن النبي صلى الله عليه وسلم ، والترمذى جعل هذا أصح من حديث المسمودي لأن سفيان أحفظ منه ، وأثبت . وقد رواه أبو نعيم من حديث علقمة هذا فقال عن أبي صالح عن أبي هريرة : « إن أعرابياً قال يارسول الله أفي الجنة إبل ؟ قال : يا أعرابي إن يدخلك الله الجنة رأيت فيه - ما تشهى نفسك وتلذ عينك » ورواه أيضاً من حديث علقمة عن يحيى بن إسحاق عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الجنة فقال : « والفر دوس أعلاها سموا وأوسهمانهم محلا ومنها تفجر أنهار الجنة ، وعليها يوضع العرش يوم القيامة ، فقام إليه رجل فقال : يارسول الله إني رجل حبيب إلى الخيل فهل في الجنة خيل ؟ قال : إني والذي نفسي بيده إن في الجنة خيلاً وإيلاً همامة ترف بين خلال ورق الجنة ، يتزاورون عليها حيث شاؤوا ، فقام إليه رجل فقال : يارسول الله إني حبيب إلى الإبل » وذكر الحديث . وأما حديث أبي سورة فلا يعرف إلا من حديث واصل بن السائب عنه ولم يروه عنه غيره ، وغير يحيى بن جابر الطائى وقد أخرج أبو داود حديث : « ستفتح عليكم الأمصار وتجنبدون إجناداً » وأخرج له ابن ماجه عن أبي أيوب : « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم توضأ فخلل لحيته » وحديثاً آخر في تفسير قوله تعالى (حتى تستأنسوا) وأخرج له الترمذى حديث « خيل الجنة » فقط . ورواه أبو نعيم من حديث جابر بن نوح عن واصل به وقال : « إن أهل الجنة ليتزاورون على نجائب بيض ، كأنها الياقوت ، وليس في الجنة من البهائم إلا الخيل والإبل » .

وقال أبو الشيخ حدثنا القاسم بن زكريا حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مروان ابن معاوية عن أبي الحكم عن أبي خالد عن الحسن البصرى عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة جاءتهم خيول من ياقوت أحمر لها أجنحة لا تبول ولا تروث ، فقمعدوا عليها ثم طارت بهم في الجنة ، فيتجلى لهم الجبار ، فإذا رأوه خروا سجداً فيقول لهم الجبار تعالى : ارفعوا رؤوسكم فإن هذا ليس يوم عمل ، إنما هو يوم نعيم وكرامة ، فيرفعون (١٧ - حادى الأرواح)

رؤوسهم فيمطر الله عليهم طيباً ، فيمرون بكثبان للسك ، فيمطر الله
 على تلك الكثبان ريحاً ، فتبجحها عليهم حتى إنهم ليرجعون إلى أهلهم وإنهم
 لشمع غير .

وقال عبد الله بن المبارك حدثنا همام عن قتادة عن عبد الله بن عمرو قال :
 « في الجنة عتاق الخيل ، وكرائم النجائب » .

الباب التاسع والخمسون

في زيارة أهل الجنة بعضهم بعضاً ، وتذاكرهم ما كان بينهم في الدنيا

قال تعالى : (فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ، قال قائل منهم إني كان لي قرين ، يقول أئنك لمن المصدقين ، أنذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمدينون ، قال هل أنتم مطلمون ، فاطلع فرآه في سواء الجحيم ، قال تالله إن كدت لتردين ، ولولا نعمة ربي لسكنت من الضجرين)^(١) فأخبر سبحانه وتعالى أن أهل الجنة ، أقبل بعضهم على بعض يتحدثون ويسأل بعضهم بعضاً ، عن أحوال كانت في الدنيا ، فأفضت بهم المحادثة والمذاكرة إلى أن قال قائل منهم : إني كان لي قرين في الدنيا ينكر البعث والدار الآخرة ، ويقول ما حكاه الله عنه يقول : أئنك لمن المصدقين ، بأنا نبعث ونجazy بأعمالنا ونحاسب بها بعد أن مزقنا البلى ، وكنا تراباً وعظاماً ، ثم يقول للمؤمن لإخوانه في الجنة : هل أنتم مطلمون في النار لتنظر منزلة قريفي هذا وما صار إليه .

هذا أظهر الأقوال وفيها قولان آخران : أحدهما أن الملائكة تقول لهؤلاء المتذاكرين الذين يحدث بعضهم بعضاً : هل أنتم مطلمون ؟ رواه عطاء عن ابن عباس .

والثاني : أنه من قول الله عز وجل لأهل الجنة يقول لهم : هل أنتم مطلمون : والصحيح القول الأول . وأن هذا قول المؤمن لأصحابه وعادتيه ، والسياق كله والإخبار عنه وعن حال قريته قال كعب « بين الجنة والنار كوى ، فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو كان له في الدنيا اطلع من بعض تلك الكوى » .

وقوله : واطلع ، أى أشرف . قال مقاتل : لما قال لأهل الجنة هل أنتم مطلمون ؟

قالوا له : أنت أعرف به منا ، فاطلع أنت فأشرف فرأى قرينه في سواء الجحيم ، ولولا أن الله عرفه إياه لما عرفه ، لقد تغير وجهه ولونه وغيره العذاب أشد تغير : فعندها قال : تالله إن كدت لتردين ، ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين . أى إن كدت لتهلكنى ، ولولا أن أنعم الله على بنعمته لكنت من المحضرين معك في العذاب ، وقال تعالى (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ، قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين ، فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ، إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم) (١) وقال الطبرانى حدثنا الحسن بن إسحاق حدثنا سهل بن عثمان حدثنا المسيب بن شريك عن بشر بن نعيم عن القاسم عن أبي أمامة قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيتراور أهل الجنة ؟ قال : يزور الأعلى الأسفل ، ولا يزور الأسفل الأعلى ، إلا الذين يتحابون في الله يأتون منها حيث شاؤوا على التوق محتجبين الحشاييا . »

وقال الدورقي : حدثنا أبو سلمة التبوذكى حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال : « بلغنا أن أهل الجنة يزور الأعلى الأسفل ولا يزور الأسفل الأعلى » وقد تقدم حديث علقمة بن مرثد عن يحيى بن إسحاق عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة ، وقال الطبرانى حدثنا محمد بن عبدوس حدثنا الحسن بن حماد حدثنا جابر ابن نوح عن واصل بن السائب عن أبي سورة عن أبي أيوب يرفعه « إن أهل الجنة يتزاورون على التجائب » وقد تقدم فأهل الجنة يتزاورون فيها ويستنيز بعضهم بعضاً ، وبذلك تم لنتهم وسرورهم . ولهذا قال حارثة للنبي صلى الله عليه وسلم وقد سأله : « كيف أصبحت يا حارثة ؟ قال : أصبحت مؤمناً حقاً ، قال : إن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ قال : عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى ، وأظلمات نهارى ، وكأنى أنظر إلى عرش ربي بارزاً ، وإلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وإلى أهل النار يعذبون فيها ، فقال : عبد نور الله قلبه . »

وقال ابن الدنيا حدثنا عبد الله حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا سميد بن دينار

عن الربيع بن صبيح عن الحسن عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا دخل أهل الجنة الجنة ، فيشتاق الإخوان بعضهم إلى بعض ، قال : فيسير سرير هذا إلى سرير هذا وسرير هذا إلى سرير هذا ، حتى يجتمعوا جميعاً ، فيقول أحدهما لصاحبه : تعلم متى غفر الله لنا ؟ فيقول صاحبه يوم كنا في موضع كذا وكذا فمدعونا الله فغفر لنا » . قال : وحدثني حمزة بن العباس أنبأنا عبد الله بن عثمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا إسماعيل بن عياش قال حدثني ثعلبة بن مسلم عن أيوب بن بشير العجلي عن شفي بن مانع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاوون على المطايا والنجب وأنهم يؤتون في الجنة بخيل مسرجة ملجمة ، لا تروث ولا تبول ، فيركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله عز وجل فيأتيهم مثل السحابة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، فيقولون : مطرى علينا فما يزال المطر عليهم حتى ينتهي ذلك فوق أمانهم .

ثم يبعث الله ريحاً غير مؤذية فتدسف كسائب من مسك عن أيانهم وعن شمائلهم ، فيأخذ ذلك للمسك في نواصي خيولهم وفي مفارقهم وفي رؤوسهم ، ولكل رجل منهم حمة على ما اشتهدت نفسه ، فيتعلق ذلك المسك في تلك الجمال ، وفي الخيل ، وفيما سوى ذلك من الثياب ثم يقبلون حتى ينتهوا إلى ما شاء الله تعالى ، فإذا المرأة تنادى بعض أولئك : يا عبد الله أما لك فينا حاجة ؟ فيقول : ما أنت ومن أنت ؟ فتقول : أنا زوجتك وحبك ، فيقول : ما كنت عدت بمكانك . فتقول المرأة : أو ما عدت أن الله قال (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) (١) فيقول : بلى ، وربى ، فالعله يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفاً ، لا يلتفت ولا يمود ما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم والكرامة » .

حدثني حمزة أنبأني عبد الله بن عثمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا رشدين بن سعد قال حدثني ابن أنعم أن أبا هريرة قال : « إن أهل الجنة ليتزاوون على العيس

الجون ، عليها رحال الميس ، تشير مناسمها غبار المسك ، خطام أو زمام أحدها خير من الدنيا وما فيها .

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث أبي اليمان حدثنا إسماعيل بن عياش عن عمرو ابن محمد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عن هذه الآية (وتفتح في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله) (١) قال : هم الشهداء يبعثهم الله متقلدين أسيافهم حول عرشه ، فأتاهم ملائكة من المحشر بنجائب من ياقوت ، أزمته الدر الأبيض ، برحال الذهب أعناقها السندس والإستبرق ، وتمازقها ألين من الحرير ، مد خطاها مد أبصار الرجال ، يسرون في الجنة على خيول ، يقولون عند طول النزهة : انطلقوا بنا ننظر كيف يقضى الله بين خلقه ، يضحك الله إليهم ، وإذا ضحك الله إلى عبد في موطن فلا حساب عليه .

قال ابن أبي الدنيا وحدثنا الفضل بن جعفر بن حسن حدثنا أبي عن الحسن بن علي عن علي قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن في الجنة لشجرة يخرج من أعلاها حلال ، ومن أسفلها خيل من ذهب مسرجة ملجمة من در وياقوت ، لا تروث ولا تبول ، لها أجنحة خطوها مد بصرها ، فيركبها أهل الجنة فتطير بهم حيث شاؤوا ، فيقول الذين أسفل منهم درجة : يارب بما بلغ عبادك هذه السكرامة ؟ قال : فيقال لهم : كانوا يصلون في الليل وكنتم تنامون ، وكانوا يصومون وكنتم تأكلون ، وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون ، وكانوا يقاتلون وكنتم تجبنون .

فصل

ولهم زيارة أخرى أعلى من هذه وأجل ، وذلك حين يزورون ربهم تبارك
وتعالى ، فيريهم وجهه ويسمعهم كلامه ، ويحل عليهم رضوانه .
وسيمر بك ذكر هذه الزيارة عن قريب ، إن شاء الله .

الباب الستون

في ذكر سوق الجنة وما أعد الله تعالى فيه لأهلها

قال مسلم في صحيحه حدثنا سعيد بن عبد الجبار الصيرفي حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة ، فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً ، فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً ، فيقول لهم أهلوهم : والله لقد ازددتم بمدا حسناً وجمالاً ، فيقولون : والله وأتم لقد ازددتم بمدا حسناً وجمالاً » ورواه الإمام أحمد في مسنده عن عفان عن حماد بن سلمة وقال « فيها كئيبان المسك فإذا خرجوا إليها هبت الريح » .

وقال ابن أبي عاصم في كتاب السنة : حدثنا هشام بن عمار حدثنا عبد الحميد ابن حبيب بن أبي العسر عن الأوزاعي عن حسان بن عطية عن سعيد بن المسيب أنه لقي أبا هريرة . فقال أبو هريرة : « أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة . فقال سعيد أو فيها سوق؟ قال : نعم ، أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوها بفضل أعمالهم فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة عن أيام الدنيا فيزورون الله تبارك وتعالى ، فيبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة ، فيوضع لهم منابر من نور ، ومنابر من لؤلؤ ، ومنابر من زبرجد ، ومنابر من ياقوت ، ومنابر من ذهب ، ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما فيها دنى . على كئيبان المسك والكافور ، وما يرون أن أصحاب السكراسي بأفضل منهم مجالساً ، قال أبو هريرة : وهل نرى ربنا عز وجل ؟ قال : نعم ، قال : هل التمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ؟ قلنا : لا ، قال : فكذلك لا تمارون في رؤية ربكم ، ولا يبقى ذلك المجلس أحد إلا حاضره الله محاضرة ، حتى يقول : يا فلان ابن فلان ، أتذكر يوم فعلت كذا وكذا ؟ فيذكره ببعض غدراته في الدنيا ، فيقول : بلى . أفلم تغفر لي ؟ فيقول : بلى ، فيمغفر لي بلغت منزلتك هذه ،

قال : فبينما هم على ذلك ، إذ غشيتهم سحابة من فوقهم ، فأمرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط ، قال : ثم يقول ربنا تبارك وتعالى : قوموا إلى ما أعددت لكم من السكرامة فخذوا ما اشتهيت ، قال : فيأتون سوقاً قد حفت بها اللائكة فيها ما لم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع الآذان ولم يحظر على القلوب ، قال : فيحمل لنا ما اشتيناهم ليس يباع فيه ولا يشتري ، وفي ذلك السوق يلقي أهل الجنة بمضهم بمضاً ، قال : فيقبل ذو البزة المرتفعة فيلقى من هو دونه وما فهم ذنى ، فروعها ما يرى عليه من اللباس والهيشة ، فما ينقضى آخر حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه ، وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها ، قال : ثم ننصرف إلى منازلنا فيأقانا أزواجنا فيقلن : مرحباً وأهلاً بجننا ، لقد جئت وإن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه ، فنقول : إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار عز وجل ، وبجئنا أن نقبل بمثل ما انقلنا » ورواه الترمذى فى صفة الجنة عن محمد بن إسماعيل عن هشام بن عمار ، ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار وليس فى هذا الإسناد من ينظر فيه إلا عبد الحميد بن حبيب وهو كاتب الأوزاعى ، فلا ننسكرك عليه تفردته عن الأوزاعى بما لم يروه غيره . وقد قال الإمام أحمد وأبو حاتم الرازى : هو ثقة : وأما دحيم والنسائى فضعفاه ، ولا نعرف أنه حدث عن غير الأوزاعى والترمذى . قال : فى هذا الحديث غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

قلت : وقد رواه ابن أبى الدنيا عن الحسب بن موسى حدثنا هقل بن زياد عن الأوزاعى قال : نبئت أن سميد بن المسيب لقي أبا هريرة فذكره . وقال الترمذى : حدثنا أحمد بن منيع حدثنا أبو معاوية أنبأنا عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن على بن أبى طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن فى الجنة لسوقاً ما فيها شراء ولا بيع إلا الصور من الرجال والنساء ، فإذا اشتهى الرجل الصورة دخل فيها » قال هذا حديث غريب .

وقال عبد الله بن المبارك : أنبأنا سليمان التيمى عن أنس بن مالك قال : « يقول أهل الجنة انطلقوا إلى السوق ، فينطلقون إلى كئبان المسك ، فإذا رجعوا إلى أزواجهم ، قالوا : إنا لنجد لكهن ربحاً ما كانت لكهن ، قال : فيقلن لقد رجعتن بربح ما كانت لكم إذ خرجتم من عندنا » قال ابن المبارك : أنبأنا حميد الطويل عن

أنس بن مالك قال : إن في الجنة سوقاً كثبان مسك يخرجون إليها ويجتمعون إليها، فيبعث الله ريحاً فتدخلها بيوتهم فيقول لهم أهلهم إذا رجعوا إليهم : قد ازددتم أيضاً بعدنا حسناً .

وقال الحافظ محمد بن عبد الله الحضرمي المعروف بمطين : حدثنا أحمد بن محمد ابن طريف البجلي حدثنا أبي حدثنا محمد بن كثير حدثني جابر الجعفي عن أبي جعفر عن علي بن الحسين عن جابر بن عبد الله قال : « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن مجتمعون ، فقال : يا معشر المسلمين إن في الجنة لسوقاً ما يباع فيها ، ولا يشتري إلا الصور، من أحب صورة من رجل أو امرأة دخل فيها . والله أعلم .

الباب الحادى والستون

في ذكر زيادة أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى

وقال الإمام الشافعى رضى الله عنه في مسنده حدثنا إبراهيم بن محمد قال حدثني موسى بن عبيدة قال حدثني أبو الأزره معاوية بن إسحاق بن طلحة عن عبد الله ابن عبيد بن عمير أنه سمع أنس بن مالك يقول : « أنى جبريل بمرآة يضاء فيها وكت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا ؟ قال : الجمعة فضلت بها أنت وأمتك ، فالناس لسكهم فيها تبع اليهود والنصارى ، ولكم فيها خير ساعة ، وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخير إلا استجيب له ، وهو عندنا يوم المزيد ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : يا جبريل وما يوم المزيد ؟ قال : إن ربك اتخذ من الفردوس وادياً أفتح فيه كتب المسك ، فإذا كان يوم القيامة أنزل الله تبارك وتعالى ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين ، وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد ، عليها الشهداء والصديقون ، فجلسوا من ورائهم على تلك السكيب فيقول الله تعالى : أنا ربكم قد صدقتم وعدى فسلونى أعطكم ، فيقولون : ربنا نسألك رضوانك ، فيقول : قد رضيت عنكم ولكم ما تمنيتم ، ولدى مزيد ، فهم يحبون يوم الجمعة لما يمطيهم فيه ربهم من الخير ، وهو اليوم الذى استوى فيه ربكم على المرش وفيه خلق آدم عليه الصلاة والسلام ، وفيه تقوم الساعة ، ولهذا الحديث طرق سنشير إليها في باب المزيد إن شاء الله تعالى .

وروى أبو نعيم من حديث شيبان بن خبير بن فرقد عن الحسن عن أبي برزة الأسلمى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن أهل الجنة ليمدون في حلة ويروحون في أخرى كنفوسهم ورواحه ، إلى ملك من ملوك الدنيا ، كذلك يمدون ويروحون إلى زيارة ربهم عز وجل ، وذلك لهم بمقادير ومعامل يملكون تلك الساعة

التي يأتون فيهارهم عز وجل» قال وروى جعفر بن حسن بن فرقد عن أبيه عليه السلام. وذكر أبو نعيم أيضاً من حديث أبي إسحاق عن الحارث عن علي قال : « إذا سكن أهل الجنة الجنة ، أتاهم ملك فيقول لهم : إن الله تبارك وتعالى يأمركم أن تزوروه ، فيجتمعون فيأمر الله تبارك وتعالى دواد عليه السلام ، فيرفع صوته بالتسبيح والنهليل ، ثم يوضع مائدة الخلد قالوا : يا رسول الله وما مائدة الخلد ؟ قال زاوية من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغرب ، فيطعمون ثم يسقون ثم يكسون فيقولون : لم يبق إلا النظر في وجه ربنا عز وجل ، فيتجلى لهم فيخرون سجداً ، فيقال لهم : لستم في دار عمل ، إنما أنتم في دار جزاء

وقال ابن أبي الدنيا حدثنا أبو موسى إسحاق بن إبراهيم الهروي حدثنا القاسم بن يزيد الموصلي، قال : حدثني أبو إلياس قال : حدثني محمد بن علي بن الحسين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال أبو نعيم حدثنا محمد بن علي بن حنبل حدثنا إبراهيم بن شريك حدثنا أحمد بن يونس حدثنا المعافى بن عمران وكان من خيار الناس قال حدثنا إدريس بن سنان عن وهب بن منبه عن محمد بن علي قال إدريس : ثم أتيت محمد بن علي بن الحسين ابن فاطمة فحدثني قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى ، لو سخر الجواد الراكب أن يسير في ظلها لساير فيها مائة عام ، ورقها برود خضر ، وزهرها رياض صفر . وأقنابها سندس واستبرق ، وثمارها حلال ، وصفها زنجبيل وعسل ، وبطحاؤها ياقوت أحمر وزمرد أخضر ، وثرابها مسك وحشيشها زعفران ، منبع وإلا لنجوج يؤججان من غير وقود ویتفجر من أصلها أنهار السلسيل والمعين والرحيق ، وظلها مجلس من مجالس أهل الجنة يأنفونه ومتحدث يجمعهم . فبينما هم يوماً يتحدثون في ظلها إذ جاءتهم الملائكة يقودون نجباء جبلت من الياقوت ثم نفع فيها الروح مزومة بسلاسل من ذهب ، كأن وجوهها المصابيح نضارة وحسناً ، وبرها خز

أحمر ، ومرعزى أبيض مختلطان لم ينظر الناظرون إلى مثلها ، عليها رحائل الواحها من الدر والياقوت ، منقصة بالؤلؤ والمرجان وصفافها من الذهب الأحمر ، ملبسة بالعبقري والأرجوان ، فأناخوا إليهم تلك النجائب ، ثم قالوا لهم : إن ربكم تبارك وتعالى يقراءكم السلام ويستزركم لتنظروا إليه ، وينظر إليكم ، وتحيونه وبحييكم ويكلمكم وتكلمونه ، ويزيدكم من سمته وفضله ، إنه ذو رحمة واسعة وفضل عظيم .

فيتحول كل رجل منهم على راحلته ، ثم انطلقوا صفاً واحداً معتدلاً لا يفوق منه شيء شيئاً ولا يقرب أذن ناقة أذن صاحبها ولا تركب ناقة بركت صاحبها ، ولا يبرون بشجر من أشجار الجنة إلا أتخفتمهم بشمرها ، ورحات لهم عن طريقهم ، كراهية أن ينثلهم صفهم أو يفرق بين الرجل ورفيقه . فلما دفعوا إلى الجبار تبارك وتعالى أسفر لهم عن وجهه الكريم ، ونجلى لهم في عظمتها العظيمة ، فقالوا : ربنا أنت السلام ومنك السلام ولك حق الجلال والإكرام .

فقال لهم ربهم تبارك وتعالى : إني السلام ومنى السلام ولى حق الجلال والإكرام ، مرحباً بعبادى الذين حفظوا وصيقي ، وراعوا عهدي ، وخافوني بالقيب وكانوا منى على حال مشفقين ، قالوا : وعزتك وجلالك وعلو مكانك ما قدرناك حق قدرك ، وما أديننا إليك كل حقك ، فائذن لنا بالسجود لك ، فقال لهم ربهم تبارك وتعالى : إني قد وضعت عنكم مؤنة العبادة وأرحت لكم أبدانكم ، فلطالما ما أتعبتكم لى الأبدان وأعنيتم لى الوجوه ، فالآن أفضيتكم إلى روحى ورحقى وكرامتى ، فاسألونى ماشئتم وتمنوا على أعطىكم أمانىكم فأنى لن أجزيكم اليوم بقدر أعمالكم ، ولكن بقدر رحقى وكرامتى وطولى وجلالى وعلو مكانى وعظمة شأنى . فلا يزالون فى الأمانى والعطايا والمواهب ، حتى أن المقتصر من أمنيته ليتمنى مثل جميع الدنيا منذ خلقها الله عز وجل إلى يوم أفتناها ، فقال لهم ربهم عز وجل : لقد قصرتم فى أمانىكم ورضيتهم بدون ما يحق لكم فقد أوجبت لكم ما سألتهم وتمنيتم وألحقت بكم

ذريتكم وزادتكم ما قصرت عنه أمانيتكم » ولا يصح رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وحسبه أن يكون من كلام محمد بن علي، فغلط فيه بعض هؤلاء الضملاء، فجعله من كلام النبي صلى الله عليه وسلم

وإدريس بن سنان هذا هو سبط وهب بن منبه ضمه ابن عدي. وقال الدراقطنى: مترك. وأما أبو إلياس المتابع له فلا يدري من هو. أما القاسم بن يزيد الموصلى الراوى عنه فمجهول أيضاً، ومثل هذا لا يصح رفعه. والله أعلم.

وقال الضحاك في قوله عز وجل (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً) (١) قال: على النجائب عليها الرحال.

الباب الثاني والستون

في ذكر السحاب والمطر الذي يصيهم في الجنة

قد تقدم في حديث سوق الجنة أنه ينشاهم يوم الزيارة سحابة من فوقهم فتمطر عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه قط .

وقال بقية بن الوليد حدثنا بجير بن سعيد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة قال : « إن من المزد أن تمر السحابة بأهل الجنة ، فتقول : ماذا تريدون أن أمطركم ؟ فلا يتمنون شيئا إلا أمطروا » .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثني أزهر بن مروان حدثنا عبد الله بن عبد الله الشيباني عن عبد الرحمن بن بديل عن أبيه عن صفى الجمالي ، قال : سألت عبد العزيز ابن مروان عن وفد أهل الجنة قال : إنهم يقدون إلى الله سبحانه وتعالى كل يوم خميس فتوضع لهم أسرة ، كل إنسان منهم أعرف بسريره منك بسريرك هذا الذي أنت عليه ، فإذا قدموا عليه وأخذ القوم مجالسهم قال الله تعالى : أطعموا عبادي وخلقى وجيراني ووفدى . فيطعموا ثم يقول : أسقوهم .

قال : فيأتون بآنية من الوان شتى مختمة فيشربون منها . ثم يقول : عبادي وخلقى وجيراني ووفدى قد طعموا وشربوا فسكهم ، فتجىء ثمرات شجر ندلى فياكلون منها ماشاؤوا ، ثم يقول : عبادي وخلقى وجيراني ووفدى قد طعموا وشربوا فسكهم أكسوم ، فتجىء ثمرات شجر أصفر وأخضر وأحمر ، وكل لون لم تنبت إلا الحلال ، فتشتر عليهم حلالا وقصا ، ثم يقول : عبادي وخلقى وجيراني ووفدى قد طعموا وشربوا فسكهم وكسوا ، طيبوهم فيتناثر عليهم المسلك مثل رذاذ المطر .

ثم يقول : عبادي وجيراني وخلقى ووفدى قد طعموا وشربوا فسكهم وكسوا

وطيخوا الأتجالين لهم حتى ينظروا إلى ، فإذا تجلى لهم فنظروا إليه فنضرت وجوههم ، ثم يقال لهم : ارجعوا إلى منازلكم ، فتقول لهم أزواجهم : خرجتم من عندنا على صورة ، ورجعتم على غيرها؟ فيقولون : ذلك أن الله جل ثناؤه تجلى لنا فنظرنا إليه فنضرت وجوهنا .

وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا إسماعيل بن عياش قال حدثني ثعلبة بن مسلم عن أيوب بن بشير العجلي عن شفي بن مانع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن من نعم أهل الجنة أنهم يترأرون على المطايا والنجب ، وأنهم يؤتون في الجنة بخيل مسرجة ملجمة لا تروث ولا تبول ، يركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله ، فيأتيهم مثل السحابة فيها ملاعين رأت ولا أذن سمعت ، فيقولون : أمطري علينا فما يزال المطر عليهم حتى ينتهي ذلك فوق أمانهم ، ثم يبعث الله رجلاً غير مؤذية فتنسف كتبنا من مسك عن أيانهم وعن شمائلهم ، فيأخذون ذلك المسك في نواصي خيولهم وفي مفارقتها وفي رؤوسهم ولسكل رجل منهم جملة على ما اشتهت نفسه ، فيتعلق ذلك المسك في تلك الحمام . وفي الخيل وفيما سوى ذلك من الثياب ، ثم يقبلون حتى ينتهوا إلى ما شاء الله ، فإذا المرأة تنادى بعض أولئك : عبد الله أما لك فينا من حاجة ؟ فيقول : ما أنت ومن أنت ؟ فتقول : أنا زوجتك وحبك . فيقول : ما كنت علمت بمكانك ، فتقول المرأة : أو ما تعلم أن الله تعالى قال (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا ي عملون) (١) فيقول : بلى وربى فعمله يشتغل عنها بمد ذلك الموقف أربعين خريفاً ، ما يشمله عنها إلا ما هو فيه من النعيم . »

فصل

وقد جعل الله سبحانه وتعالى السحاب وما يطره سبباً للرحمة والحياة في هذه الدار وبجعله سبباً لحياة الخلق في قبورهم حيث يطر على الأرض أر بيمين صباحاً مطراً متداركاً من تحت العرش ، فينبتون تحت الأرض كنبات الزرع وييمثون يوم القيامة والسماء تطش عليهم ، وكأنه والله أعلم أثر ذلك المطر العظيم كما يكون في الدنيا ، ويشير لهم سحاباً في الجنة يطرهم ، ما شاؤوا من طيب وغيره ، وكذلك أهل النار ينشئ لهم سحاباً يطر عليهم عذاباً إلى عذابهم ، كما أنشأ لقوم هود وقوم شعيب ، سحاباً أمطر عليهم عذاباً أهلكهم فهو سبحانه بنشئه للرحمة والمذاب .

الباب الثالث والستون

في ذكر ملك الجنة وأن أهلها كلهم ملوك فيها

قال تعالى (وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملئاً كبيراً)^(١) قال ابن أبي نجيح عن مجاهد «ملئاً كبيراً» قال عطاء ، وقال ابن كثير الملائكة عليهم لا تدخل الملائكة عليهم إلا بإذن ، وقال كعب في قوله تعالى : (وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملئاً كبيراً) يرسل إليهم ربهم الملائكة فتأني الملائكة فتستأذن عليهم الملائكة ، وقال : بعضهم الخدم ، ولا يدخل عليهم الملائكة إلا بإذن .

وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أنه ذكر مراكب أهل الجنة ثم تلا (وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملئاً كبيراً) .

وقال ابن أبي الحواري سمعت أبا سليمان يقول في قوله عز وجل : (وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملئاً كبيراً) قال : الملك الكبير ، إن رسول الله يأتيه بالتحفة واللطف ، فلا يصل إليه حتى يستأذن له عليه فيقول للحاجب : استأذن علي ولي الله فإنني لست أصل إليه ، فيعلم ذلك الحاجب حاجباً آخر وحاجباً بحد حاجب ، ومن داره إلى دار السلام باب يدخل منه على ربه إذا شاء بلا إذن ، فالملك الكبير أن رسول رب العزة لا يدخل عليه إلا بإذن ، وهو يدخل على ربه بلا إذن .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا صالح بن مالك حدثنا صالح المري حدثنا يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك يرفعه : « إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة من يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم » حدثنا محمد بن عباد بن موسى أنبأنا زيد بن الحباب عن أبي هلال الراسبي ، أنبأنا الحجاج بن عتاب العبدي عن عبد الله بن معبد الزماني عن أبي هريرة قال : « إن أدنى أهل الجنة منزلة وليس فيهم دني ، من يندو عليه

كل يوم ويروح خمسة عشر ألف خادم ، ليس منهم خادم إلا ومعه طرفة ليست مع صاحبه » وحدثني محمد بن عباد حدثنا زيد بن الحباب عن أبي هلال حدثنا حميد ابن هلال : قال « ما من رجل من أهل الجنة إلا وله ألف خازن ليس منهم خازن إلا طلى عمل ليس عليه صاحبه » وحدثني هارون بن سفيان أنبأنا محمد بن عمر أنبأنا الفضل بن فضالة عن زهرة بن معبد عن أبي عبد الرحمن الجبلي قال « إن المبد أول ما يدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم كأنهم اللؤلؤ » .

حدثني هارون بن سفيان حدثنا محمد بن عمر أنبأنا محمد بن هلال عن أبيه عن أبي هريرة قال : « إن أدنى أهل الجنة منزلة وما فيهم دنيء لمن يقدو عليه عشرة آلاف خادم ، مع كل خادم طرفة ليست مع صاحبه » .

وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا يحيى بن أيوب حدثني عبد الله بن رجز عن محمد بن أبي أيوب الخزومي عن أبي عبد الرحمن المغافري قال : « إنه ليصف للرجل من أهل الجنة سماطان لا يرى طرفاهما من غلماثة ، حتى إذا مر مشوا وراه » وقال أبو خيثمة حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم واثنان وسبعون زوجة ، وتنصب له قبة من لؤلؤ وياقوت وزبرجد ، كما بين الجابية وصنماء » .

وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا بقية بن الوليد حدثني أرطاة بن المنذر قال : سمعت رجلاً من مشيخة الجند يقال له : أبو الحجاج قال : جلست إلى أبي أمامة فقال : « إن المؤمن يكون متكثراً على أريكة إذا دخل الجنة وعنده سماطان من الخدم ، وعند طرف السماطين ، باب محبوب فيقبل الملك من ملائكة الله عز وجل ليستأذن فيقوم أدنى الخدم إلى الباب ، فإذا هو بالملك يستأذن فيقول للذي يليه : ملك يستأذن ، ويقول للذي يليه : ملك يستأذن ، حتى يبلغ المؤمن فيقول : إئذنوا له ، فيقول أقربهم إلى المؤمن ائذنوا له ، ويقول الذي يليه للذي يليه :

اثنوا له كذلك ، حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب فيفتح له ، فيدخل فيسلم ثم ينصرف .»

وقال ابن أبي الدنيا : حدثني محمد بن الحسن حدثنا قبيصة حدثنا سليمان المنبري عن الضحاك بن مزاحم قال : « بينا ولى الله في منزله إذ أتاه رسول من الله عز وجل فقال للأذن : استأذن لرسول الله على ولى الله ، فيدخل الأذن فيقول له : يا ولى الله ، هذا رسول من الله يستأذن عليك ، قال : ائذن له فيأذن له فيدخل على ولى الله ، فيضع ما بين يديه تحفة ، فيقول : يا ولى الله إن ربك يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تأكل من هذه ، قال : فيشبهه بطعام أكله أيضاً فيقول : نعم! أأكلت هذا الآن ، فيقول : إن ربك يأمرك أن تأكل منها ، فيأكل منها فيجد منها طعم كل ثمرة في الجنة قال فذلك قوله تعالى (وأنوا به متشابها) « (١) .

وفي صحيح مسلم من حديث المنيرة بن شعبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سأل موسى ربه ما أذن أهل الجنة منزلة ؟ قال : هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة ، فيقال له : ادخل الجنة ، فيقول : أى رب . كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ، فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيت ربى ، فيقول له : لك ذلك ومثله ومثله ومثله ، فقال فى الخامسة : رضيت ربى فيقول هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتيت نفسك ، ولنت عينك فيقول رضيت ربى » وذكر الحديث . وقد تقدم ذكره بتامه .

وقال البزار فى مسنده : حدثنا محمد بن المنى حدثنا للمنيرة بن سلمة حدثنا وهيب عن الحريرى عن أبى بصرة عن أبى سميد قال : « خلق الله الجنة لينة من فضة ، ولينة من ذهب ، وغرسها بيده ، وقال لها : تسكمنى ، فقالت : قد أفلح

المؤمنون ، فدخانها الملائكة ، فقالت : طوبى لك منزل الملوك « هكذا رواه وهيب عن الحريري موقوفا ، ورواه عدى بن الفضل عن الحريري فرغمة وقال البراز : ولا نعلم أحدا رفعه إلا عدى بن الفضل بهذا الإسناد ، وعدى بن الفضل ليس بالحافظ ، وهو شيخ بصرى .

قلت : عدى بن الفضل هذا انفرد به ابن ماجه ، وقد ضعفه يحيى بن معين وأبو حاتم . والحديث صحيح موقوف . والله أعلم .

وقد تقدم ذكر التيجان على رؤوسهم ، وإنما يلبسها الملوك .

الباب الرابع والستون

في أن الجنة فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخيال وأن موضع سوط

منها خير من الدنيا وما فيها

قال تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمئناً وبما رزقناهم ينفقون ، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) (١)
وتأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزء الذي أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس ، وكيف قابل فلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم ، حين يقوموا إلى صلاة الليل بقرّة الأعين في الجنة .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« قال الله عز وجل : أعددت لمبادئ الصالحين ، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، مصداق ذلك في كتاب الله (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) » .

وفي لفظ آخر فيما « يقول الله عز وجل : أعدت لمبادئ الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ذخراً لبله ما أطلعتكم عليه ثم قرأ (فلا تعلم نفس - الآية) » .

وفي بعض طرق البخاري « قال أبو هريرة : اقرؤوا إن شئتم (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) » .

وفي صحيح مسلم من حديث سهل بن سعد الساعدي قال : « شهدت مع

النبي صلى الله عليه وسلم مجلساً وصف فيه الجنة حتى انتهى . ثم قال في آخر حديثه :
 فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ثم قرأ هذه الآية
 (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ولما رزقناهم ينفقون ،
 فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « لقاب قوس أحدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب » وقد تقدم
 حديث أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ألا مشمر الجنة ، فإن للجنة
 لا خطر لها هي ورب السكبة نور يتلألأ ، وربحانة تهترز وقصر مشيد ، ونهر
 مطرد ، وثمرة نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة ، ومقام في أبدى في
 دار سليمة ، وفاكهة وخضرة وحبيرة ونعمة . ومحلة عالية بهية . »

ولو لم يكن من خطر الجنة وشرها إلا أنه لا يسأل بوجه الله غيرها ، لكفاها
 شرفاً وفضلاً . كما في سنن أبي داود من حديث سليمان بن معاذ عن ابن المنكدر عن
 جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يسأل بوجه الله
 إلا الجنة » .

وفي معجم الطبراني من حديث بقية عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس
 رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما خلق الله الجنة عدن ،
 خلق فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ثم قال لها :
 تكلمي . فقالت : قد أفلح المؤمنون » .

وفي صحيح البخاري من حديث سهل بن سعد قال : « سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول : « موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام عن أبي هريرة
 قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقيد سوط أحدكم من الجنة خير مما
 بين السماء والأرض » وهذا الإسناد على شرط الصحيحين .

وقال الترمذى حدثنا سويد بن نصر حدثنا ابن المبارك أنبأنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لو أن أقل ظفر مما في الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السموات والأرض ، ولو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع فبدا أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس ضوء الكواكب » قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب . لانعرفه بهذا الإسناد إلا من حديث ابن لهيعة ، وقد روى يحيى بن أيوب هذا الحديث عن يزيد بن أبي حبيب وقال عن عمر بن سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم .

قلت : وقد رواه ابن وهب أنبأنا عمرو يعني ابن الحارث أن سليمان بن حميد حدثه أن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال سليمان : لا أعلم إلا أنه حدثني عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لو أن أقل ظفر من الجنة برز للدنيا لتزخرفت له ما بين السماء والأرض » .

وفي الباب عن أنس بن مالك وأبي سعيد الخدري وعبد الله بن عمرو بن العاص « وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده وجمالها مقراً لأحبابه ، وملاًها من رحمته وكرامته ورضوانه ، ووصف نعيمها بالفوز العظيم وملئها بالملك الكبير ، وأودعها جميع الخير بمخذافيره : وطهرها من كل عيب وآفة ونقص ، فإن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران ، وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن ، وإن سألت عن لاطها فهو المسك الأذفر ، وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر . وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب .

وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة ، لامن الحطب والحشب . وإن سألت عن ثمرها فأمثال القلال الين من الزبد وأحلى من العسل .

وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكن من رقائق اللؤلؤ . وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى .

وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون ، وإن

سألت عن شرابهم فالتسليم والزنجبيل والكافور . وإن سألت عن آنتيمهم فآنية الذهب والفضة في صفاء القوارير .

وإن سألت عن سمة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام ، وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها فإنها تستفز بالطرب لمن يسمعها ، وإن سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المجد السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها ، وإن سألت عن سمعتها فأدنى أهلها يسير في ملكه وسرره وقصوره ويساينه مسيرة ألفي عام .

وإن سألت عن خيامها وقبابها ، فالخيمة الواحدة من درة مجوفة طولها ستون ميلا من تلك الخيام ، وإن سألت عن علائها وجواسقها فهي غرف من فرقها غرف مبنية تجرى من تحتها الأنهار ، وإن سألت عن ارتفاعها فانظر إلى السكوكب الطالع أو الغارب في الأفق الذي لا تكاد تناله الأبصار .

وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب ، وإن سألت عن فرشها فبطائنها من استبرق مفروشة في أعلى الرتب ، وإن سألت عن أرائكها فهي الأسرة عليها البشخانات وهي الحجال مزرة بأزرار الذهب . فما لها من فروج ولا خلال .

وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر . وإن سألت عن أسنانهم فأبناء ثلاث وثلاثين على صورة آدم عليه السلام أبي البشر ، وإن سألت عن سماعهم ففناء أزواجهم من الحور العين وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبيين . وأعلى منهما خطاب رب العالمين .

وإن سألت عن مطاياهم التي يزاورون عليها، فنجائب إن شاء الله مما شاء تسير بهم حيث شاؤوا من الجنان . وإن سألت عن حلِيمهم وشارتهم فأساور الذهب واللؤلؤ على الرؤوس ملابس التيجان . وإن سألت عن غلمانهم فولدان مخلدون كأنهم لؤلؤ مكنون .

وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم ، فهن السكوكب الأتراب ، اللاتي جرى

في أعضائهم ماء الشباب ، فلورد والتفاح مالمسته الحدود ، وللرمان ما تضمنته
النهود ، ولؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور ، وللرقة واللطفة ما دارت عليه الحصور ،
تجري الشمس من محاسن وجهها إذا برزت ، ويضئ البرق من بين ثناياها إذا
ابتسمت ، إذا قابلت جها فقل ما نشاء في تقابل النيرين ، وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة
الحيين . وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق العصيين ، يرى وجهه في صحن خدها ،
كما يرى في المرأة التي جلاها صيقلا ، ويرى مخ ساقها من وراء اللحم ولا يستره
جلدها ولا عظمها ولا حلقها . لو اطلمت على الدنيا ملأت ما بين الأرض والسما
ريحا ، ولا استنطقت أفواه الخلائق تهديلا وتكبيرا وتسييحا ، ولتخرق لها ما بين
الخافقين ، ولا غمضت عن غيرها كل عين ، ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس
ضوء النجوم ، ولآمن من على ظهرها بالله الحي القيوم . ونصيفها على رأسها خير
من الدنيا وما فيها ، ووصلها أشهى إليه من جميع أمانها ، لا زداد على طول
الاحقاب إلا حسنا وجمالا ، ولا يزداد لها طول المدى إلا محبة ووصالا ، مبرأة من
الجلب والولادة والحليض والنفاس ، مطهرة من الخاط والبصاق والبول والغائط
وسائر الأدناس ، لا يهني شبابها ، ولا تبلى ثيابها ولا يخفق ثوب جمالها ، ولا يبل
طيب وصالها ، قد قصرت طرفها على زوجها ، فلا تطمح لأحد سواه ، وقصر طرفه
عليها في غاية أمنيته وهواه ، إن نظر إليها سرتة ، وإن أمرها بطاعته أطاعته ،
وإن غاب عنها حفظته ، فهو منها في غاية الأمان والأمان ، هذا ولم يطعمها قبله
إنس ولا جان ، كلما نظر إليها ملأت قلبه سرورا ، وكلما حدثته ملأت أذنه لؤلؤا
منظوما ومنثورا ، وإذا برزت ملأت القصر والقرعة بورا .

وإن سألت عن السن فأتراب في أعدل سن الشباب ، وإن سألت عن الحسن
فهل رأيت الشمس والقمر ، وإن سألت عن الحدق فأحسن سواد في أصفى بياض
في أحسن حور ، وإن سألت عن القدود فهل رأيت أحسن الأغصان ، وإن سألت
عن النهود فهن السكواعب ، نهودهن كألطف الرمان ، وإن سألت عن اللون
فمكانته الياقوت والمرجان ، وإن سألت عن حسن الخاق فهن الخيرات الحسان ،
اللاتي جمع لهن بين الحسن والإحسان ، فأعطين جمال الباطن والظاهر ، فهن
أفراح النفوس وقرعة النواظر .

وإن سألت عن حسن العشرة ولذة ما هنالك فهن الغرب المتحبيبات إلى الأزواج
بلطافة التبعل التي تمتزج بالروح أي امتزاج .

فما ظنك بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها أضاعت الجنة من ضحكها . وإذا
انتقلت من قصر إلى قصر . قلت : هذه الشمس متنقلة في بروج فلحكتها ، وإذا
حاضرت زوجها فياحسن تلك المحاضرة . وإن حاضرتة فيالذة تلك المانقة
والمحاضرة :

وحديثها السحر الحلال لو أنه لم يجن قتل المسلم المتحرز

إن طال لم يمل وإن هي حدثت ود المحدث أنهم لم توجز

وإن غنت فيالذة الأبصار والأسماع ، وإن آنت وأمتعت فياحبذا تلك
المؤانسة والإمتاع . وإن قبات فلا شيء أشهى إليه من ذلك التقبيل ، وإن نولت
فلا ألد ولا أطيب من ذلك التنويل .

هذا ، وإن سألت عن يوم المزيد وزيارة العزيز الحميد ورؤية وجهه المنزه
عن التمثيل والتشبيه ، كما ترى الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر كما نوار عن
الصادق المصدوق النقل فيه ، وذلك موجود في الصحاح والسنن والمسائيد . من
رواية جرير وصهيب وأنس وأبي هريرة وأبي موسى وأبي سعيد ، فاستمع يوم
ينادى المنادى : يا أهل الجنة ، إن ربكم تبارك وتعالى يستبزيكم فخي على زيارته ،
فيقولون : سمعنا وطاعة ، وينهضون إلى الزيارة مبادرين ، فإذا بالنجائب قد أعدت
لهم فيستوون على ظهورها مسرعين ، حتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جعل
لهم موعداً . وجمعوا هناك فلم يقادر الداعي منهم أحداً ، أمر الرب تبارك وتعالى
بكرسيه فنصب هناك ثم نصب لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ، ومنابر من
زبرجد ، ومنابر من ذهب ومنابر من فضة . وجلس أديانهم وحاشاهم أن يكون
فيهم دنيء على كشيان للسك ما يرون أن أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا ، حتى
إذا استقرت بهم مجالسهم واطمأننت بهم أما كتبهم نادى المنادى : يا أهل الجنة إن
لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه . فيقولون : ما هو ؟ ألم بيض وجوهنا

ويثقل موازيننا . ويدخلنا الجنة ويحزحنا عن النار . فبينما هم كذلك إذ سطم لهم نور أشرفت له الجنة فرموا رؤوسهم فإذا الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه ، قد أشرفت عليهم من فوقهم وقال : يا أهل الجنة ، سلام عليكم ، فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم : اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام ، فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى يضحك إليهم ، ويقول : يا أهل الجنة ، فيكون أول ما يسمعون منه تعالى : أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ، ولم يروني ، فهذا يوم للمزيد ، فيجتمعون على كلمة واحدة أن قد رضينا فارض عنا ، فيقول : يا أهل الجنة ، إني لولم أرض عنكم لم أسكنكم جنق . هذا يوم المزيد فاسألوني . فيجتمعون على كلمة واحدة : أرنا وجهك ننظر إليه . فيكشف لهم الرب جل جلاله الحجب ، ويتجلى لهم فينشاهم من نوره مالولا أن تنال الله قضي أن لا يحترقوا لا حترقوا . ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة حتى إنه ليقول يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا يذكره بيهض غدراته في الدنيا ، فيقول : يارب ألم تنفرت لي ؟ فيقول : بلى بمفترتي بلغت منزلتك هذه .

فيالذة الاسماع بتلك المحاضرة وياقرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجه الكريم في الدار الآخرة وياذلة الراجمين بالصفقة الخاسرة . (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ، ووجوه يومئذ باسرة . تظن أن يفعل بها فاقرة) (١) .

فحى على جنات عدن فإنها منازلك الأولى فيها الخميم
ولسكننا سبي المدو فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونسلم

الباب الخامس والستون

في رؤيتهم ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم جهرة ، كما يرى القمر ليلة البدر
وتجليه لهم ضاحكا إليهم

هذا الباب أشرف أبواب الكتاب وأجلها قدراً وأعلاها خطراً وأقربها لميون
أهل السنة والجماعة ، وأشدّها على أهل البدعة والضلالة ، وهي الغاية التي شمر إليها
للمشركون وتنافس فيها المتنافسون ، وتسابق إليها للتسابقون ، ولشأنها فليعمل العاملون .
إذا ناله أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم ، وحرمانه والحجاب عنه لأهل الجحيم
أشد عليهم من عذاب الجحيم ، اتفق عليها الأنبياء والرسلون ، وجميع الصحابة
والتابعون ، وأئمة الإسلام على تتابع القرون ، أنكرها أهل البدع المارقون ،
والجهمية المنهوكون ، والفرعونية المعطلون ، والباطنية الذين هم من جميع الأديان
منسلخون ، والرافضة الذين هم بمجائيل الشيطان متمسكون ، ومن حبل الله منقطعون ،
وعلى مسبة أصحاب رسول الله عاكفون . وللسنة وأهلها محاربون ، ولسكل عدو الله
ورسوله ودينه مسالمون ، وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون وعن بابه مطرودون .

أولئك أحزاب الضلال وشيعة اللعين . وأعداء الرسول وحزبه . وقد أخبر الله
سبحانه عن أعلم الخلق به في زمانه ، وهو كليمه ونجيه وصفيه من أهل الأرض ،
أنه سأل ربه تعالى النظر إليه فقال له ربه تبارك وتعالى : (لن تراني ولكن انظر
إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) (١) وبيان
الدلالة من هذه الآية من وجوه عديدة :

أحدها : أنه لا يظن بكليم الرحمن ورسوله الكريم عليه أن يتسأل ربه مالا

يجوز عليه ، بل هو من أبطل الباطل وأعظم المحال ، وهو عند فروخ اليونان والصابئة والفرعونية بمنزلة أن يسأله أن يأكل ويشرب وينام ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه ، فيالله العجب كيف صار أتباع الصابئة والمجوس والمشركين عباد الأصنام وفروخ الجهمية والفرعونية أعلم بالله تعالى من موسى بن عمران وبما يستحيل عليه ويجب له وأشد تنزيها له منه ؟ ! !

ينسكرو

الوجه الثاني : أن الله سبحانه وتعالى لم ينسكرك عليه سؤاله ولو كان محالا لا ينسكرك عليه ، ولهذا لما سأل إبراهيم الخليل ربه تبارك وتعالى أن يرهبه كيف يحبي الموتى لم ينسكرك عليه ، ولما سأل عيسى ابن مريم ربه إزال المائدة من السماء لم ينسكرك سؤاله ، ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنسكرك عليه سؤاله وقال (إني أعظك أن تكون من الجاهلين . قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تنقصر لي وترحمني أكن من الخاسرين) (١)

الوجه الثالث : أنه أجابه بقوله لن تراني ولم يقل لا تراني ، ولا أنى لست بمرئي ، ولا تجوز رؤيتي ، والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله .

وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى يرى ، ولكن موسى لا تحتل قواه رؤيته في هذا الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى يوضحه الوجه الرابع وهو قوله : (ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني) فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليله له في هذه الدار ، فكيف بالبشر الضعيف الذي خلق من ضعف . . ؟

الوجه الخامس : إن الله تعالى قادر على أن يجعل الجبل مستقراً مكانه ، وليس هذا بمتنع في مقدوره ، بل هو ممكن وقد علق به الرؤية ، ولو كانت محالا في ذاتها لم يعلقها بالممكن في ذاته ، ولو كانت الرؤية محالا لكان ذلك نظير أن يقول : إن

استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام ، فالأمران عندكم سواء .

الوجه السادس : قوله سبحانه وتعالى (فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكا) وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته تبارك وتعالى ، فإنه إذا جاز أن يتجلّى للجبل الذى هو حماد لا ثواب له ولا عقاب ، فكيف يمتنع أن يتجلّى لأنبيائه ورسله وأوليائه فى دار كرامته ويرىهم نفسه ؟ فأعلم سبحانه وتعالى موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته فى هذا الدار ، فالبشر أضعف .

الوجه السابع : أن ربه سبحانه وتعالى قد كلمه منه إليه وخطبه وناجاه وناداه ، ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبة كلامه معه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز ولهذا لا يتم إنكار التكليم وقد جمعت هذه الطوائف بين إنكار الأمرين ، فأنكروا أن يكلم أحد أو يراه أحد يراه أحد ، ولهذا سأله موسى النظر إليه لما أسمعه كلامه وعلم نبي الله جواز رؤيته من وقوع خطابه وتكليمه ، فلم يخبره باستحالة ذلك عليه ، ولكن أراه أن ما سأله لا يقدر على احتمالها كما لم يثبت الجبل لتجليه .

وأما قوله تعالى « لن ترانى » فإنما يدل على النفى فى المستقبل ، ولا يدل على دوام النفى ولو قيدت بالتأييد فكيف إذا أطلقت قال تعالى : (ولن يتنوه أبدا) مع قوله تعالى (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك) (١) .

فصل

الدليل الثانى قوله تعالى : (واتقوا الله واعلموا أنكم ملائقوه) (١) وقوله تعالى : (تحيتهم يوم يلقونه سلام) وقوله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه) وقوله تعالى (قال الذين يظنون أنهم ملائقوا الله) (٢) وأجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب إلى الحى السليم من المعنى والمانع اقتضى المعاينة والرؤية ولا ينتقض هذا بقوله تعالى (فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقونه) (٣) فقد دلت الأحاديث الصحيحة الصحيحة على أن المنافقين يرونه تعالى فى عرصات القيامة ، بل والكفار أيضاً كما فى الصحيحين من حديث التجلى يوم القيامة وسيمر بك عن قريب إن شاء الله تعالى : وفى هذه المسألة ثلاثة أقوال لأهل السنة .

أحدها : أن لا يراه إلا المؤمنون .

والثانى : يراه جميع أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ، ثم يحتجب عن الكفار فلا يرونه بمد ذلك .

والثالث : يراه المنافقون دون الكفار .

والأقوال الثلاثة فى مذهب أحمد وهى لأصحابه ، وكذلك الأقوال الثلاثة بيمينها لهم فى تكليمه ولهم ، ولشيخنا فى ذلك مصنف مفرد ، وحكى فيه الأقوال الثلاثة وحجج أصحابها ، وكذا قوله سبحانه وتعالى : (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقية) (٤) . إن عاد الضمير على العمل فهو رؤيته فى الكتاب مسطوراً مثبتاً . وإن عاد على الرب سبحانه وتعالى فهو لقاءه الذى وعد به .

(٢) سورة البقرة آية ٢٤٩

(٤) سورة الانشقاق آية ٦

(١) سورة البقرة آية ٢٢٣

(٣) سورة التوبة آية ٧٧

فصل

الدليل الثالث قوله تعالى : (والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ، للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) (١) فالحسنى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجهه الكريم ، كذلك فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أنزل عليه القرآن ، فالصحابة من بعده كما روى مسلم في صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قال : « قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، نادى مناديا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً ويريد أن ينجزكموه ، فيقولون : ما هو ؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويرحنا عن النار ؟ فيكشف الحجاب فينظرون الله فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ، وهى الزيادة » وقال الحسن بن عرفة حدثنا مسلم بن سالم الباهلي عن نوح بن أبي مريم عن أنس قال : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال للذين أحسنوا العمل فى الدنيا الحسنى وهى الجنة ، والزيادة : وهى النظر إلى وجه الله . »

وقال محمد بن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا إبراهيم بن المختار عن ابن جريج عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال : الزيادة النظر إلى وجه الرحمن جل جلاله ، قلت : عطاء هذا هو الخراسانى ، وليس عطاء بن أبى رباح .

قال ابن جرير وحدثنا ابن عبد الرحيم حدثنا عمرو بن أبى سلمة ، قال سمعت زهيراً وقال يعقوب بن سفيان حدثنا صفوان بن صالح حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا زهير بن محمد قال حدثنى من سمع أبا المالئة الرياحى يحدث عن أبى بن كعب قال : « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الزيادة فى كتاب الله

(١) سورة يونس الآيتان ٢٥، ٢٦

عز وجل قوله تعالى : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) (١) قال الحسنى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الله عز وجل .

وقال أسد السنة : حدثنا قيس بن الربيع عن إبان عن أبي تيممة الهيجمى أنه سمع أبا موسى يحدث أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يبعث الله عز وجل يوم القيامة منادياً ينادى يا أهل الجنة ، بصوت يسمع أولهم وآخرهم ، إن الله وعدكم الحسنى ، والحسنى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل » .

وقال ابن وهب أخبرني شبيب عن أبان عن ابن تيممة الهيجمى ، أنه سمع أبا موسى الأشعري يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل يأمر يوم القيامة منادياً ينادى : يا أهل الجنة ، بصوت يسمع أولهم وآخرهم : إن الله وعدكم الحسنى وزيادة ، الحسنى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الرحمن » .

وأما الصحابة : فقال ابن جرير : حدثنا ابن يسار حدثنا عبد الرحمن هو ابن مهدي حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد عن أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال : النظر إلى وجه الله الكريم .

وهذا الإسناد عن أبي إسحاق عن مسلم بن يزيد عن حذيفة : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال : النظر إلى وجه ربهم تعالى .

وحدثنا علي بن عيسى حدثني شبابة حدثنا أبو بكر الهذلي قال : سمعت أبو تيممة الهيجمى يحدث عن أبي موسى الأشعري قال : « إذا كان يوم القيامة يبعث الله تعالى إلى أهل الجنة منادياً ينادى : هل أنجزكم الله ما وعدكم ؟ فينظرون إلى ما أعد لهم من الكرامة فيقولون : نعم ، فيقول (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) النظر إلى وجه الرحمن عز وجل » .

وقال عبد الله بن المبارك عن أبي بكر الهذلي أنبأنا أبو تميم قال : سمعت
أبا موسى الأشعري يخطب الناس في جامع البصرة ويقول : إن الله يبعث يوم القيامة
ملكاً إلى أهل الجنة ، فيقول : يا أهل الجنة ، هل أنجزكم الله ما وعدكم ؟ فينظرون
فيرون الحلى والحلل والأنهار والأزواج المطهرة ، فيقول : نعم . قد أنجزنا الله
ما وعدنا ، ثم يقول الملك : هل أنجزكم الله ما وعدكم ثلاث مرات ، فلا يفقدون
شيئاً مما وعدوا فيقولون : نعم ، فيقول : قد بقي لكم شيء ، إن الله عز وجل يقول :
(للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) ألا إن الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله
تعالى .

وفي تفسير أسباط بن نصر عن إسماعيل السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن
ابن عباس ، وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة
لا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة) قال : أما الحسنى فالجنة ، وأما الزيادة فالنظر إلى
وجه الله ، وأما القتر فالسواد .

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى وعامر بن سعد وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي
والضحاك بن مزاحم وعبد الرحمن بن سابط وأبو إسحاق السبيعي وقتادة وسعيد
ابن المسيب والحسن البصري وعكرمة مولى ابن عباس ومجاهد بن جبير : الحسنى
الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى ، وقال غير واحد من السلف في الآية :
(ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة) (١) بمد النظر إليه والأحاديث عنهم بذلك صحيحة ،
ولما عطف سبحانه الزيادة على الحسنى التي هي الجنة دل على أنها أمر آخر وراء
الجنة وقدر زائد عليها . ومن فسر الزيادة بالمنفرة والرضوان فهو من لوازم رؤية
الرب تبارك وتعالى .

فصل

الدليل الرابع : قوله تعالى : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) (١) ووجه الاستدلال بها أنه سبحانه وتعالى جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته وسمع كلامه فلم يره المؤمنون ، ولم يسمعوا كلامه . كانوا أيضاً محجوبين عنه ، وقد احتج بهذه الحجة الشافعي نفسه وغيره من الأئمة ، فذكر الطبراني وغيره عن المزني ، قال : سمعت الشافعي يقول في قوله عز وجل : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فيها دليل على أن أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة .

وقال الحاكم : حدثنا الأصم أنبأنا الربيع بن سليمان قال : حضرت محمد بن إدريس الشافعي ، وقد جاءتة رقعة من الصميد فيها ما تقول في قول الله عز وجل : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فقال الشافعي : لما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضى ، قال الربيع : فقلت يا أبا عبدالله وبه تقول ؟ قال نعم وبه أدين الله ، ولم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله لما عبدالله عز وجل .

ورواه الطبراني في شرح السنة من طريق الأصم أيضاً ، وقال أبو زرعة الرازي : سمعت أحمد بن محمد بن الحسين يقول : سئل محمد بن عبدالله بن الحكم ، هل يرى الخلق كلهم ربهم يوم القيامة المؤمنون والكفار ؟ فقال محمد بن عبدالله : ليس يراه إلا المؤمنون . قال محمد : وسئل الشافعي عن الرؤية فقال : يقول الله تعالى : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ففي هذا دليل على أن المؤمنون لا يحجبون عن الله عز وجل .

فصل

والدليل الخامس : قوله عز وجل : (لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد)^(١) قال الطبراني : قال علي بن أبي طالب وأنس بن مالك : هو النظر إلى وجه الله عز وجل ، وقاله من التابعين زيد بن وهب وغيره .

فصل

لدليل السادس : قوله عز وجل : (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار)^(٢) والاستدلال بهذا أعجب فإنه من أدلة النفاة ، وقد قرر شيخنا وجه الاستدلال به أحسن تقرير والطفه ، وقال لي أنا أنزم أنه لا يحتج مبطل بآية أو حديث صحيح على باطله ، إلا وفي ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله . فمنها هذه الآية وهي على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها . فإن الله سبحانه وتعالى إنما ذكرها في سياق التمدح . ومعلوم أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية ، وأما العدم المحض فليس بكال ولا يمدح الرب تبارك وتعالى بالعدم إذا تضمن أمراً وجودياً كتمدحه بنبي السنة . والنوم المتضمن كمال القيومية ونفي الموت المتضمن كمال الحياة ونفي اللغوب ، والإحياء المتضمن كمال القدرة ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال ربوبيته وإلهيته وقهره . ونفي الأكل والشرب المتضمن كمال الصمدية وغناه ، ونفي الشفاعة عنده بدون إذنه المتضمن كمال توحيده وغناه عن خلقه ، ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه . ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته ، ونفي المثل المتضمن كمال ذاته وصفاته . ولهذا لم يتمدح بعدم محص لا يتضمن مراً ثبوتياً . فإن المدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمدوم فيه فلو كان المراد بقوله : (لا تدركه الأبصار) أنه لا يرى بحال لم يكن في ذلك مدح ولا كمال ، لمشاركة المدوم له في ذلك . فإن العدم للصرف لا يرى ولا تدركه الأبصار ، والرب جل جلاله يتعالى أن يمدح

(١) سورة ق آية ٣٥

(٢) سورة الأنعام آية ١٠٣

بما يشاركه فيه العدم المحض ، فإذا المعنى أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به كما كان المعنى في قوله : (وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة) أنه يعلم كل شيء وفي قوله : (وما مسنا من لغوب) أنه كامل القدرة وفي قوله : (ولا يظلم ربك أحداً) أنه كامل العدل وفي قوله : (لاتأخذ سنة ولا نوم) أنه كامل القيومية .

فقوله (لاتدرکه الابصار) يدل على غاية عظمته وأنه أكبر من كل شيء وأنه لعظمته لا يدرك ، بحيث يحاط به فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية كما قال تعالى : (فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا) (١) فلم ينف موسى الرؤية ولم يريدوا بقولهم : (إنا لمدركون) إنا لمرثيون . فإن موسى صلوات الله وسلامه عليه نفي إدراكهم إياهم بقوله « كلا » وأخبر الله سبحانه أنه لا يخاف دركهم بقوله : (ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا يخشى) (٢) فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه فالرب تعالى يرى ولا يدرك كما يعلم ولا يحاط به ، وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية .

قال ابن عباس : (لاتدرکه الابصار) لا تحيط به الابصار ، قال قتادة : هو أعظم من أن تدرکه الابصار ، وقال عطية : ينظرون إلى الله ولا تحيط أبصارهم به من عظمته وبصره يحيط بهم ، فذلك قوله تعالى : (لاتدرکه الابصار وهو يدرك الابصار) فالؤمنون يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم عياناً ولاتدرکه أبصارهم ، بمعنى أنها لا تحيط به إذ كان غير جائز أن يوصف الله عز وجل بأن شيئاً يحيط به وهو بكل شيء محيط ، وهكذا يسمع كلام من يشاء من خلقه ولا يحيطون بكلامه ، وهكذا يعلم الخلق ما علمهم ولا يحيطون بعلمه .

ونظير هذا : اسقدلالم على نفي الصفات بقوله تعالى : (ليس كمثل شيء) وهذا من أعظم الأدلة على كثرة صفات كاله ونعمت جلاله ، وأنها لكثرتها وعظمتها وسعتها لم يكن له مثل فيها ، وإلا فلو أريد بها نفي الصفات لكان العدم المحض أولى

(١) سورة الشعراء آية ٦١ .

(٢) سورة طه آية ٧٦ .

بهذا المدح منه مع أن جميع العقلاء ، إنما يفهمون من قول القائل فلان لا مثل له وليس له نظير ، ولا شبيه ولا مثل ، أنه قد تميز عن الناس بأوصاف ونعوت لا يشاركونه فيها وكما كثرت أوصافه ونعوته فات أمثاله ، وبمدعن مشابهة أضرابه ، فقوله (ليس كمثل شيء) من أدل شيء على كثرة نعوته وصفاته وقوله (لا تدركه الابصار) من أدل شيء على أنه يرى ولا يدرك وقوله : (هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش ، يعلم ما يبلغ فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، وهو معكم أينما كنتم ، والله بما تعملون بصير) (١) من أدل شيء على مباينة الرب لخلقه فإنه لم يخلقهم فى ذاته بل خلقهم خارجاً عن ذاته ، ثم بان عنهم باستوائه على عرشه ، وهو يعلم ما هم عليه فيراهم وينفذهم بصره ، ويحيط بهم علماً وقدرة وإرادة وسمماً وبصراً ، فهذا معنى كونه سبحانه معهم أينما كانوا ، وتأمل حسن هذه المقابلة لفظاً ومعنى بين قوله : (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) (٢) فإنه سبحانه لمظمته تعالى أن تدركه الابصار وتحيط به ، وللاظفة وخبرته يدرك الابصار فلا تخفى عليه فهو العظيم فى لطفه ، اللطيف فى عظمته ، العالى فى قربه ، القريب فى علوه ، الذى ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ، لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير .

فصل

الدليل السابع قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناظرة ٥ إلى ربها ناظرة) (٣) وأنت إذا أجرت هذه الآية من تحريفها عن مواضعها والكذب على المتكلم بها سبحانه فيما أراده منها وجدتها منادية نداء صريحاً ، أن الله سبحانه يرى عياناً بالابصار يوم القيامة ، وإن أبيت إلا تحريفها الذى يسميه المحرفون تأويلاً ، فتأويل النصوص الماد والجنة والنار والميزان والحساب أسهل على أربابهم من تأويلها ، وتأويل كل نص تضمنه القرآن والسنة ، كذلك ولا يشاء مبطل على وجه الأرض أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجدته متأول مثل هذه النصوص . وهذا الذى أفسد الدين والدنيا ، وإضافة النظر إلى الوجه الذى هو محله

(١) سورة الحديد آية ٤

(٢) سورة الأنعام آية ١٠٣

(٣) سورة القيامة آية ٣٢

في هذه الآية وتمديته بأداة إلى الصريحة في نظر العين وإخلاء الكلام من قرينة تدل على أن المراد بالنظر المضاف إلى الوجه الممدى بإلى خلاف حقيقته ، وموضوعه صريح في أن الله سبحانه وتعالى أراد بذلك نظر العين التي في الوجه ، إلى نفس الرب حل جلاله ، فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتمديه بنفسه ، فإن عدى بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله : (انظرونا نقتبس من نوركم) (١) وإن عدى بغيره فمعناه التنفك والاعتبار كقوله : (أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض) وإن عدى بإلى فمعناه المعاينة بالابصار كقوله (انظر إلى ثمره إذا أثمر) (٢) فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر ؟ ! .

قال يزيد بن هارون : أنبأنا مبارك عن الحسن قال : نظرت إلى ربها تبارك وتعالى فنظرت بنوره ، فاسمع الآن أيها السني تفسير النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين وأئمة الإسلام لهذه الآية قال ابن مردويه في تفسيره : حدثنا إبراهيم عن محمد حدثنا صالح بن أحمد حدثنا يزيد بن الهيثم حدثنا محمد بن الصباح حدثنا المصعب بن المقدم حدثنا سفيان عن ثوير بن أبي ناجة عن أبيه عن عبد الله ابن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة) قال من البهاء والحسن ، إلى ربها ناظرة ، قال : في وجه الله عز وجل .

وقال أبو صالح عن ابن عباس ، إلى ربها ناظرة . قال : تنظر إلى وجه ربها عز وجل ، وقال عكرمة : وجوه يومئذ ناضرة قال : من النعيم إلى ربها ناظرة ، قال : تنظر إلى ربها نظراً ، ثم حكى عن ابن عباس مثله . وهذا قول كل مفسر من أهل السنة والحديث .

فصل

وأما الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الدالة على الرؤية فتواترة ، رواها عنه أبو بكر الصديق وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري وجري بن عبد الله

(١) سورة الحديد آية ١٣ .

(٢) سورة الأنعام آية ٩٩ .

البجلي وصهيب بن سنان الرومي وعبدالله بن مسعود الهذلي وعلي بن أبي طالب
وأبو موسى الأشعري وعدى بن حاتم الطائي وأنس بن مالك الأنصاري وبريدة
ابن الحصيب الأسلمي وأبو رزين العقيلي ، وجابر بن عبدالله الأنصاري ، وأبو أمامة
الباهلي ، وزيد بن ثابت ، وعمار بن ياسر وعائشة أم المؤمنين ، وعبدالله بن عمر
وعمار بن روية ، وسلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان ، وعبدالله بن عباس
وعبدالله بن عمرو بن العاص ، وحديثه موقوف ، وأبي بن كعب ، وكعب بن
عجرة وفضالة بن عبيد وحديثه موقوف ، ورجل من أصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم غير مسمى .

فهاك سياق أحاديثهم من الصحاح وللسانيد والسنن وتلقها بالقبول والتسليم
واشراح الصدر لا بالتحريف ، والتبديل ، وضيق العطن ، ولا تكذب بها فمن
كذب بها لم يكن إلى وجه ربه من الناظرين ، وكان عنه يوم القيامة
من المحجوبين .

فصل

فأما حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فقال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم
ابن إسحاق الطالقاني ، قال حدثني النضر بن شميل للزازي ، قال حدثني أبو نعامه :
قال حدثني أبو هنيذة البراء بن نوفل عن دالان المدوي عن حذيفة عن أبي بكر
الصديق قال : « أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فصلى الفداة فجلس ،
حق إذا كان من الضحى ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جلس مكانه
حتى صلى الأولى والعصر والمغرب ، كل ذلك لا يتكلم حتى صلى المشاء الأخيرة ،
ثم قام إلى أهله ، فقال الناس لأبي بكر : الا تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما شأنه ؟ صنع اليوم شيئاً لم يصنعه قط ، قال : فسأله ، فقال : نعم عرض على ما هو
كائن من أمر الدنيا والآخرة ، فجمع الأولون والآخرون في صعيد واحد ، فقطع
الناس بذلك حتى انطلقوا إلى آدم صلى الله عليه وسلم والعرق يكاد يلجمهم ، فقالوا :
يا آدم أنت أبو البشر ، وأنت اصطفاك الله عز وجل اشفع لنا إلى ربك ، قال :
لمقد لقيت مثل الذي لقيتم ، انطلقوا إلى أبيكم بمد أبيكم ، إلى نوح : (إن الله

اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين (١) قال : فينطلقون إلى نوح صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : اشفع لنا إلى ربك ، فأنت اصطفاك الله واستجاب لك في دعائك ولم يدع على الأرض من الكافرين دياراً ، فيقول : ليس ذلكم عندي : انطلقوا إلى إبراهيم صلى الله عليه وسلم فإن الله اتخذ خليلاً ، فينطلقون إلى إبراهيم ، فيقول : ليس ذلكم عندي انطلقوا إلى موسى صلى الله عليه وسلم فإن الله عز وجل كلمه تكليماً ، فيقول موسى صلى الله عليه وسلم : ليس ذلك عندي ، انطلقوا إلى عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم ، فإنه كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى فيقول عيسى : ليس ذلكم عندي . انطلقوا إلى سيد ولد آدم ، انطلقوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، فليشفع لكم إلى ربكم عز وجل ، قال : فينطلق فيأتي جبريل ربه تبارك وتعالى فيقول له الله عز وجل : إئذن له وبشره بالجنة ، فينطلق به جبريل ربه صلى الله عليه وسلم فيخر ساجداً قدر جمعة ، ويقول الله عز وجل : ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع ، قال : ويرفع رأسه فإذا نظر إلى وجه ربه خر ساجداً قدر جمعة أخرى ، فيقول الله عز وجل : ارفع رأسك وقل تسمع ، واشفع تشفع ، قال : فيذهب ليقع ساجداً فيأخذ جبريل بضبعه فيفتح الله عليه من الدعاء شيئاً لم يمتحه على بشر قط ، فيقول : أى رب خلقتني سيد ولد آدم ولا فخر ، وأول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر ، حتى إنه لبرد على الحوض أكثر مما بين صنماء وأيلة ، ثم يقال : ادعوا الصديقين فيشفعون ، ثم يقال : ادعوا الأنبياء . قال فيجىء النبي ومعه الصحابة ، والنبي ومعه الخسة والسنة . والنبي وليس معه أحد ، ثم يقال : ادعوا الشهداء فيشفعون لمن أرادوا ، قال : فإذا فملت الشهداء ذلك ، قال : فيقول الله عز وجل : أنا أرحم الراحمين أدخلوا جنتي من كان لا يشرك بي شيئاً ، قال : فيدخلون الجنة ، قال : ثم يقول الله عز وجل : انظروا في أهل النار هل تلقون من أحد عمل خيراً قط ؟ قال : فيجدون في النار رجالاً ، فيقولون له هل عملت خيراً قط ؟ فيقول : لا غير أني كنت أسامع الناس في البيع ، فيقول الله عز وجل : اسمحوا لمبدي بسماحته إلى

عبيدي . ثم يخرجون من النار رجلاً يقول له : هل عملت خيراً قط ؟ فيقول : لا ، غير أني أمرت ولدي إذ امت ، فأحرقوني في النار ثم اطحنوني حتى إذا كنت مثل السكحل فاذهبوا بي إلى البحر فأذروني في الريح ، فوالله لا يقدر على رب العالمين أبداً . فقال الله عز وجل له : لم فعلت ذلك ؟ قال : من مخافتك ، قال ، فيقول الله عز وجل : انظر إلى ملك أعظم منك ، فإن لك مثله وعشرة أمثاله ، قال فيقول : أنسخر بي وأنت الملك ، وذلك الذي ضحكك منه من الضحى .

فصل

وأما حديث أبي هريرة وأبي سميد في الصحيحين من حديث أبي هريرة « أن ناساً قالوا يارسول الله هل ترى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ قالوا : لا يارسول الله ؟ قال : هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا لا ، قال فإنكم ترونه كذلك ، يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول : من كان يعبد شيئاً فليتبعمه ، فليتبعم من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت ، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتهم الله تعالى في صورة غير صورته التي يعرفون ، فيقول : أنا ربكم فيقولون : نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتهم الله عز وجل في صورته التي يعرفون ، فيقول أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا فيتبعمونه ، ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم ، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ولا يتسكلم يومئذ إلا الرسل ، ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم ، وفي جهنم كلاب مثل شوك السمعان ، هل رأيتم السمعان ؟ قالوا نعم يارسول الله ، قال : فإنها مثل شوك السمعان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله عز وجل ، تحطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله ، ومنهم المجازي حتى ينجو ، فإذا فرغ الله من القضاء بين العباد ، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار ، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول : لا إله إلا الله ، فيعرفونهم بأثر السجود ، وتأكل النار من آدم إلا أثر السجود ، حرم الله على النار أن تأكل أثر

السجود ، فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فيلبثون كما
 ثبتت الحبة في حميل السيل ، ثم يفرغ الله من القضاء بين المباد ويقتى رجل مقبل
 بوجهه على النار ، وهو آخر أهل الجنة دخولا الجنة ، فيقول : أى رب اصرف وجهي
 عن النار ، فإنه قد قشبتى ريحها وأحرقنى ذكاًؤها ، فيدعو الله ما شاء أن
 يدعو ، ثم يقول تبارك وتعالى : هل عسيت إن فعلت ذلك أن تسأل غيره ؟ فيقول :
 لا أسألك غيره . فيعطى ربه من عهود ومواثيق ما شاء الله ، فيصرف الله وجهه عن
 النار ، فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت ، ثم يقول : أى رب
 قدمنى إلى باب الجنة ، فيقول الله اليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسألنى غير
 الذى أعطيتك ؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك ! ! فيقول أى رب فيدعو الله حتى
 يقول له : فهل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسألنى غيره ؟ فيقول : لا وعزتك ،
 فيعطى ربه ما شاء من عهود ومواثيق فيقدمه إلى باب الجنة ، فإذا قام على باب
 الجنة انتفعت له الجنة فرأى ما فيها من الخير والسرور ، فسكت ما شاء الله أن
 يسكت ، ثم يقول أى رب أدخلنى الجنة فيقول الله تبارك وتعالى له : اليس قد
 أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسألنى غير ما أعطيت ، ويلك يا ابن آدم ما أغدرك ؟
 فيقول : أى رب ، لا أكون أشقى خلقك فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله منه ،
 فإذا ضحك الله منه قال : ادخل الجنة ، فإذا دخلها قال الله له : تمن ، فيسأل ربه
 ويتمنى حتى أن الله ليذكره فيقول : تمن كذا وكذا حتى إذا انقطعت به الأمانى ،
 قال عز وجل : ذلك لك ومثله معه . قال أبو سعيد : وعشرة أمثاله معه .

قال عطاء بن يزيد وأبو سعيد الخدرى مع أبي هريرة لا يرد عليه من حديثه
 شيئاً حتى إذا حدث أبو هريرة قال : إن الله عز وجل قال لذلك الرجل ومثله معه .
 قال أبو سعيد وعشرة أمثاله معه يا أبا هريرة ما حفظت إلا قوله ذلك لك ومثله
 معه ، قال أبو سعيد : أشهد أنى حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله :
 ذلك لك وعشرة أمثاله ، قال أبو هريرة . وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا
 الجنة .

وفي الصحيحين أيضاً عن أبي سعيد الخدرى « أن ناساً في زمن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قالوا : يا رسول الله ، هل ترى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة محمواً ليس معها سحاب ؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر محمواً ليس فيها سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله ؟ قال ما تضارون في رؤيته تبارك وتعالى يوم القيامة ؟ إلا كانت تضارون في رؤية أحدهما ، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن ، ليتبع كل أمة ما كانت تعبد ، فلا يبقى حد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب ، إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر - فاجر ، وغبرات أهل الكتاب ، فتدعى اليهود فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد عزير ابن الله ، فيقال : كذبتهم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فإذا تبغون ؟ قالوا : عطشنا ياربنا فاسقنا ، فيشار إليهم ألا تردون ؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً ، فيتساقطون في النار ، ثم تدعى النصارى فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا كنا نعبد للمسيح ابن الله ، فيقال لهم : كذبتهم ، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فيقال لهم : ماذا تبغون ؟ فيقولون عطشنا ياربنا فاسقنا ، قال : فيشار إليهم ألا تردون ، فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار ، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر ، أنام رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها . قال : فما تنتظرون ؟ لتتبع كل أمة ما كانت تعبد ، قالوا : ياربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم ، فيقول أنا ربكم فيقولون : نموذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً مرتين أو ثلاثاً ، حتى إن بعضهم ليسكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها ؟ فيقواون : نعم ، فيكشف عن ساق فلا يبقى من كاد يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة ، كلما أراد أن يسجد خر على قفاه .

ثم يرفعون رؤوسهم ، وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة ، فيقول : أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ، ثم يضرب لهم الجسر على جهنم وتحمل الشفاعة . قيل يا رسول الله وما الجسر ؟ قال : دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة

تكون بنجد فيها شوبكة يقال لها السعدان ، فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبروق
وكالريح وكالطير ، وكأجاويد الخيل والركاب فجاج مسلم ، ومخدوش مرسل ،
ومكدوس في نار جهنم ، حتى إذا خلص المؤمنون من النار ، فوالذي نفسى بيده
ما من أحد منكم ناشد مناشدة في استيفاء الحق من المؤمنين لله تعالى يوم القيامة
لإخوانهم الذين في النار ، يقولون : ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون ،
فيقال لهم : أخرجوا من عرفتم فيحرم صورهم على النار فيخرجون خلقاً كثيراً ، قد
أخذت النار إلى أنصاف ساقيه وإلى ركبتيه فيقولون : ربنا ما بقى فيها أحد ممن
أمرتنا ، فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه ،
فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون : ربنا لم ندر فيها ممن أمرتنا أحداً ثم يقول :
ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً ،
ثم يقولون : ربنا لم ندر فيها خيراً قط ، وكان أبو سعيد الخدري يقول : إن
لم تصدقوني بهذا الحديث فاقروا إن شئتم (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك
حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً) (١) . فيقول الله عز وجل : شفعت
الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة
من النار فيخرج منها قوماً لم يملوا خيراً قط فدعادوا حملاً فيلقبهم في نهر في أفواه
الجنة يقال له نهر الحياة ، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ، ألا ترونها تكون
إلى الحجر أو إلى الشجر ، ما يكون منها إلى الشمس أصيغر وأخضر ، وما يكون
منها إلى الظل يكون أبيض . فقالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال :
فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة ، فيقول أهل الجنة : هؤلاء
عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ، ولا خير قدموه ، ثم يقول :
ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم . فيقولون : ربنا أعطيتنا ما لم تمنع أحداً من
المالين ، فيقول : لكم عندي أفضل من هذا . فيقولون : ياربنا وأي شيء أفضل
من هذا ؟ فيقول تعالى رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبداً .

فصل

وأما حديث جرير بن عبد الله ففي الصحيحين من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عنه قال : « كنا جلوساً مع النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا، لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا ثم قرأ قوله : (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) (١) ، رواه عن إسماعيل بن أبي خالد عبد الله بن إدريس الأزدي ويحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن محمد المحاربي وجرير بن عبد الحميد وعبيد بن حميد وهشيم بن بشير وعلي بن عاصم وسفيان بن عيينة ومروان بن معاوية وأبو أسامة وعبد الله ابن نعيم ومحمد بن عبيد وأخوه يعلى بن عبيد ووكيع بن الجراح ومحمد بن فضيل والطفಾಯي يزيد بن هارون وإسماعيل بن أبي خالد وعنبسة بن سعيد والحسن ابن صالح بن حي وورقاء بن عمرو وعمار بن رزيق وأبو الأغر سعيد بن عبد الله ونهر بن طريف وعمار بن محمد والحسن بن عياش أخو أبي بكر ويزيد ابن عطاء وعيسى بن يونس وشعبة بن الحجاج وعبد الله بن المبارك وأبو حمزة السكري وحسين بن واقد ومعمّر بن سليمان وجمهر بن زياد وخذاش بن المهاجر وهريم بن سفيان ومندل بن علي وأخوه سنان بن علي وعمر بن يزيد وعبد المنفار ابن القاسم ومحمد بن بشير الحريري ومالك بن مغول وعصام بن النعمان وعلي بن القاسم السكندی وعبيد بن الأسود الهمداني وعبد الجبار بن العباس والمعلّى بن هلال ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة والصباح بن محارب ومحمد بن عيسى وسعيد ابن حازم وأبان بن أرقم وعمرو بن النعمان ومسعود بن سعد الجمعي وعثمان بن علي وحسن بن حبيب وسنان بن هارون البرجمي ومحمد بن يزيد الواسطي وعمرو ابن هشام ومحمد بن مروان ويعلى بن الحارث المحاربي وشعيب بن راشد والحسن ابن دينار وسلام بن أبي مطيع وداود بن الزرقان وحماد بن أبي حنيفة ويمقوب بن

ابن حبيب وحكام بن سلم وأبو مقاتل بن حفص ومسيب بن شريك وأبو حنيفة
النهان بن ثابت وعمرو بن سمر الجمعي وعمرو بن عبد الغفار التيمي وسيف بن
هارون البرجمي أخو سنان وعابد بن حبيب ومالك بن سمير بن الحسن ويزيد
ابن عطاء مولى أبي عوانة وخالد بن يزيد العصري وعبد الله بن موسى وخالد بن
عبد الله الطحان وأبو كدينة يحيى بن المهلب ورقبة بن مصقلة ومعر بن سليمان
الرقى ومرجى بن رجاء وعمرو بن جرير ويحيى بن هاشم السمسار وإبراهيم بن
طهيمان وخارجة بن مصعب وعبد الله بن عثمان شريك شعبة وعبد الله بن فروح
وزيد بن أبي أنيسة، وجوده فقال: « فستماينون ربكم عز وجل كما تماينون هذا
القمر » وأبو شهاب الخياط وقال « سترون ربكم عياناً » وحاتمة بن هرم
وعاصم بن حكيم ومقاتل بن سليمان وأبو جعفر الرازي والحسن بن أبي جعفر
والوليد بن عمرو وأخوه عثمان بن عمرو وعبد السلام بن عبد الله بن قره
العنبري ويزيد بن عبد العزيز وعلى بن صالح بن حى وزفر بن الهذيل والقاسم
ابن معن، تابع إسماعيل بن أبي خالد عن قيس جماعة منهم بيان بن بشر ومجالد بن
سميد وطارق بن عبد الرحمن وجرير بن يزيد بن جرير البجلي وعيسى بن المسيب
كلهم عن قيس بن أبي حازم عن جرير وكل هؤلاء شهدوا على إسماعيل بن أبي
خالد وشهد إسماعيل بن أبي خالد على قيس وشهد قيس بن أبي حازم على جرير
ابن عبد الله وشهد جرير بن أبي حازم عبد الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكأنك تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول ويبلغه لأمته ولا شيء أقر
لأعينهم منه، وشهدت الجهمية والفرعونية والرائضة والقرامطة والباطنية وفروخ
الصائبة والمجوس واليونان بكفر من اعتقد ذلك وأنه من أهل التشبيه والتجسيم،
وتابعهم على ذلك كل عدو للسنة وأهلها، والله تعالى ناصر كتابه وستة رسوله
ولو كره الكافرون.

فصل

وأما حديث صهيب فرواه مسلم في صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عز وجل : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ يقولون : ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ، ثم تلا هذه الآية (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) (١) ، وهذا حديث رواه الأئمة عن حماد وتلقوه عن نبيهم بالقبول والتصديق .

فصل

وأما حديث عبد الله بن مسعود فقال الطبراني حدثنا محمد بن نصر الأزدي وعبد الله بن أحمد بن حنبل والحضرمي قالوا حدثنا إسماعيل بن عبيد الله بن أبي كريمة الحرائي حدثنا محمد بن سلمة الحرائي عن أبي عبد الرحيم عن زيد بن أنيسة عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة بن عبد الله عن مسروق بن الأجدع حدثنا عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم ، قياماً أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء ، قال : ويُنزل الله عز وجل في ظلل من التمام من المرش إلى الكرسی ، ثم ينادى مناد : أيها الناس ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم ورزقكم وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً أن يولى كل ناس منكم ما كانوا يتولون ويعبدون في الدنيا ، أليس ذلك عدلاً من ربكم ؟ قالوا : بلى ، فينطلق كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويتولون في الدنيا ، قال : فينطلقون ، ويمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون . فمنهم من ينطلق إلى الشمس ومنهم من ينطلق إلى القمر وإلى الأوثان من الحجارة وأشياء ما كانوا يعبدون ، قال : ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى ، ويمثل لمن

(١) سورة يونس آية ٢٦

كان يعبد عزيزاً شيطان عزيز، وبيقى محمد صلى الله عليه وسلم وأمه، فيأتيهم الرب عز وجل فيقول: ما بالسك لا تنطلقون كما انطلق الناس؟ قال، فيقولون: إن لنا إلهاً ما رأيناها بمد، فيقول: هل تعرفونه إن رأيتموه؟ فيقولون: إن بيننا وبينه علامة إذا رأيناها عرفناه، قال فيقول ماهي؟ فيقولون يكشف عن ساقه، فعند ذلك يكشف عن ساق فيخرون له سجداً ويبقى قوم ظهورهم كصياعي البقر يريدون السجود فلا يستطيعون وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالون، ثم يقول: ارفعوا رؤوسكم فيرفعون رؤوسهم فيعطهم نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يعطى نوره على قدر الجبل العظيم يسمى بين أيديهم، ومنهم من يعطى نوراً أصغر من ذلك، ومنهم من يعطى نوراً مثل النخلة يمينه، ومنهم من يعطى نوراً أصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلاً يعطى نوره على إبهام قدمه يضيء مرة، ويظلم مرة. فإذا أضاء قدمه ومشى، وإذا طوى قام والرب تبارك وتعالى أمامهم حتى يمر في النار فيبقى أثره كحد السيف قال: ويقول مروا فيمروا على قدر نورهم منهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالسحاب، ومنهم من يمر كانهض الكوكب، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كشدة الفرس، ومنهم كشدة الرحل حتى يمر الذي أعطى نوره على قدر إبهام قدمه يجبو على وجهه ويديه ورجليه تجر يد وتعلق يد وتجر رجل وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار، فلا يزال كذلك حتى يخلص، فإذا خلاص وقف عليهم ثم قال: الحمد لله لقد أعطاني الله ما لم يعط أحداً إذ نجاني منها بمد أن رأيتها قال فينطلق به إلى غدبر عند باب الجنة فيمتسل فيعود إليه ربيع أهل الجنة والوأنهم، فيرى ما في الجنة من خلال الباب فيقول رب أدخلني الجنة. فيقول الله تبارك وتعالى له: أنسأل الجنة وقد نجيتك من النار؟ فيقول يارب اجعل بيني وبينها حجبا لا أسمع حسيسها. قال: فيدخل الجنة قال ويرى أو يرفع له منزل أمام ذلك، كأنما الذي هو فيه إليه حلم ليدخله فيقول رب أعطني ذلك المنزل فيقول: فاعلمك إن أعطيتك تسأل غيره؟ فيقول: وعزتك لا أسأل غيره، وأي منزل يكون أحسن منه؟ قال فيعطاه فينزله. قال ويرى أو يرفع له منزل آخر ليدخله فيقول رب أعطني ذلك المنزل فيقول الله عز وجل فاعلمك إن أعطيتك تسأل غيره، فيقول: لا وعزتك لا أسأل غيره وأي منزل يكون أحسن منه؟ قال: فيعطاه فينزله قال: ويرى

أو يرفع له أمام ذلك منزل آخر كأنما الذى هو فيه إليه حلم، فيقول : رب أعطني ذلك المنزل فيقول الله جل جلاله : فملك إن أعطيتك تسأل غيره ، قال لا وعزتك لا أسأل غيره . وأى منزل يكون أحسن منه قال فيعطاه فينزل ثم يسكت ، فيقول الله عز وجل : مالك لا تسأل ؟ فيقول : رب لقد سألتك حتى استحيتك وأنسمت لك حتى استحيتك ، فيقول الله عز وجل : ألا ترضى أن أعطيك مثل الدنيا منذ يوم خلقتها إلى يوم أفنيها وعشرة أضمانه ؟ فيقول : أنستهزىء بى وأنت رب العزة ، فيضحك الرب عز وجل من قوله . قال : فرأيت عبد الله بن مسعود إذا بلغ بهذا المسكان من هذا الحديث ضحك . فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن قد سمعتك تحدث بهذا الحديث مراراً ، كما بلغت هذا المسكان من هذا الحديث ضحكت ؟ فقال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث بهذا الحديث مراراً كما بلغ هذا المسكان من هذا الحديث ضحك حتى تبدو أضراسه . قال : فيقول الرب عز وجل : لا ، ولكنى على ذلك قادر سل ، فيقول : ألقى بالناس فيقول : الحق بالناس فينطلق يرمل في الجنة حتى إذا دنا من الناس رفع له قصر من درة فيخر ساجداً فيقال له ارفع رأسك مالك ؟ فيقول رأيت ربى أو تراءى لى ربى ، فيقال له إنما هو منزل من منازلك . قال ثم يلتقى فيها رجلاً فتهياً للسجود فيقال له مه مالك ؟ فيقول : رأيت أنك ملك من الملائكة فيقول له إنما أنا خازن من خزائنك عبد من عبيدك تحت يدى ألف قهرمان على مثل ما أنا عليه قال : فينطلق أمامه حتى يفتح له القصر . قال وهو فى درة مجوفة سقائفها وأبوابها وأغلاقتها ومفاتيحها منها تستقبله جوهرة خضراء مبطنة بحمراء كل جوهرة تفضى إلى جوهرة على غير لون الأخرى فى كل جوهرة سرر وأزواج ووصائف أذناهن حوراء عيناء ، عليها سبعون حلة يرى مع ساقها من وراء حلقها ، كبدها مرآته إذا عرض عنها إعراضة ازدادت فى عنه سبعين ضعفاً عما كانت قبل ذلك ، فيقول لها : والله لقد ازددت فى عيني سبعين ضعفاً ، فنقول له : والله والله وأنت لقد ازددت فى عيني سبعين ضعفاً . فيقال له : أشرف قال : فيشرف ، فيقال له : ملكك مسيرة مائة عام ينفذه بصره ، قال فقال عمر : ألا تسمع إلى ما يحدثنا ابن أم عبد يا كعب ، عن أدنى أهل الجنة منزلاً فيكيف أعلام ؟ .

قال كعب : يا أمير المؤمنين فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت إن الله عز وجل جعل داراً فيها ما شاء من الأزواج والثمرات من الأزواج والثمرات والأشربة ، ثم أطبقها فلم يرها أحد من خلقه لا جبريل ولا غيره من الملائكة ، ثم قرأ كعب (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) (١) قال : وخلق دون ذلك جناتين وزينهما بما شاء وأراهما من شاء من خلقه ، ثم قال : من كان كتابه في عليين نزل تلك الدار التي لم يرها أحد حتى إن الرجل من أهل عليين ، ليخرج فيسير في ملكه فلا تبقى خيمة من خيام الجنة إلا دخلها من ضوء وجهه فيستبشرون بریحه فيقولون : واهاً لهذا الريح هذا رجل من أهل عليين ، قد خرج يسير في ملكه ، فقال : ويحك يا كعب هذه القلوب قد استرسلت فاقبضها ، فقال كعب : والذي نفسى بيده إن لجهنم يوم القيامة لوفرة ما يبقى من ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا يخر لركبته حتى إن إبراهيم خليل الله يقول « رب نفسى نفسى حتى لو كان لك عمل سبعين نبياً إلى عملك لظننت أنك لا تنجو » .

هذا حديث كبير حسن رواه المصنفون في السنة كعبد الله بن أحمد والطبراني والدراقطى في كتاب الرؤية رواه عن ابن ساعد حدثنا محمد بن أبي عبد الرحمن المقرئ قال حدثنا أبي حدثنا ورقاء بن عمر حدثنا أبو طيبة عن كرز بن وبرة عن نعيم بن أبي هند عن أبي عبيدة عن عبد الله ورواه من طريق عبد السلام بن حرب حدثنا الدالانى حدثنا المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة به ورواه من طريق زيد بن أنيسة عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة به ورواه من طريق أحمد ابن أبي طيبة عن كرز بن وبرة عن نعيم بن أبي هند عن أبي عبيدة .

فصل

وأما حديث علي بن أبي طالب فقال يعقوب بن سفيان حدثنا محمد بن المصنف حدثنا
سويد بن عبد العزيز حدثنا عمرو بن خالد عن زيد بن علي عن أبيه عن جده عن
علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يزور أهل الجنة الرب
تبارك وتعالى في كل جمعة وذكر ما يمطون . قال : ثم يقول الله تبارك وتعالى :
اكشفوا حجابا ، فيكشف حجاب ثم حجاب ، ثم يتجلى لهم تبارك وتعالى عن
وجهه ، فكأنهم لم يروا نعمة قبل ذلك ، وهو قوله تبارك وتعالى (ولدنا
مزيد) (١) . »

فصل

وأما حديث أبي موسى في الصحيحين عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« جنتان من فضة آيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آيتهما وما فيهما وما بين
القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم تبارك وتعالى إلا رداء الكبرياء على وجهه في
جنة عدن . »

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى وعثمان قالا حدثنا حماد بن سلمة
عن علي بن زيد عن عمارة عن أبي بردة عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « يجتمع الله الأمم في صعيد واحد يوم القيامة فإذا بدا الله أن يصدع
بين خلقه ، مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون فيتمونهم حتى يحمونهم النار ثم يأتينا
ربنا عز وجل ونحن على مكان رفيع فيقول من أنتم ؟ فنقول : نحن المسلمون ،
فيقول : ما تنتظرون ؟ فنقول : ننتظر ربنا عز وجل ، فيقول : وهل تعرفونه إن

رأيتموه؟ فنقول نعم إنه لأعدل له فيتجلى لنا ضاحكا فيقول: أبشروا يا معشر المسلمين، فإنه ليس منكم أحد إلا جعلت في النار يهوديا أو نصرانيا مكانه .

وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عمارة القرشي عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يتجلى لنا ربنا تبارك وتعالى ضاحكا يوم القيامة » .

وذكر الدارقطني من حديث أبان بن أبي عياش عن أبي تميمه الهجيمي عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يبعث الله يوم القيامة مناديا بصوت يسمعه أولهم وآخرهم أن الله عز وجل وعدكم الحسنى وزيادة ، فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل » .

فصل

وأما حديث عدى بن حاتم في صحيح البخارى قال : « بينا أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أتى إليه رجل فشكا إليه الفاقة ثم أتى إليه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال، يا عدى هل رأيت الخيرة؟ قلت لم أرها وقد أنبئت عنها قال: فإن طالت بك حياة لترين الظمينة ترتحل من الخيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله، قلت : فيبينا بيني وبين نفسي فأين دعار طيء الذين سمروا البلاد ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى ، قلت : كسرى بن هرمز؟ قال : كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطالب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه ، وليقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له ، فيقول : ألم أبعث إليك رسولا فيبائلك؟ فيقول : بلى ، يارب فيقول : ألم أعطك مالا وأفضل عليك؟ فيقول بلى ، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم » .

قال عدى بن حاتم سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « اتقوا النار ولو بشق

عمرة، فمن لم يجد شق ثمرة فبكلمة طيبة، قال عدى: فرأيت الظهينة ترتحل من الحيرة تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله وكانت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون، ما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «

فصل

وأما حديث أنس بن مالك، ففي الصحيحين من حديث سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيهمون لذلك. وفي لفظ فيهمون لذلك، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا حتى يرشحنا من مكاننا هذا؟ فيأتون آدم فيقول: أنت أبو الحلق، خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا عند ربنا حتى يرشحنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها، ولكن اثنوا نوحاً أول رسول بعثه الله عز وجل، قال: فيأتون نوحاً فيقول: لست هناكم فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها، ولكن اثنوا إبراهيم الذي اتخذ الله خليلاً فيأتون إبراهيم فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها، ولكن اثنوا موسى الذي كلمه الله تكليماً وأعطاه التوراة فيأتون موسى فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها، ولكن اثنوا عيسى روح الله وكلمته فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول: لست هناكم، ولكن اثنوا محمداً صلى الله عليه وسلم، عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فيأتوني فأستأذن على ربي فيؤذن لي، فإذا أنا رأيتُه فأقع ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني، فيقال: يا أحمد ارفع رأسك وقل تسمع، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يملئنيه ربي، فأشفع فيحذلني حذاً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأقع ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع رأسك يا أحمد وقل تسمع، وسل تعط، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد

ربى بتحميد يملئنيه ربي ، ثم أشفع : فيجد لي حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ، قال : فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة ، قال : فأقول يارب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن أى وجب عليه الخلود .

وذكر ابن خزيمة عن ابن عبد الحكم عن أبيه وشعيب بن الليث عن الليث حدثنا معمر بن سليمان عن حميد عن أنس قال : « يلقى الناس يوم القيامة ماشاء الله يلقوه من الحبس فيقولون: انطلقوا بنا إلى آدم فيشفع لنا إلى ربنا ، فذكر الحديث إلى أن قال « فينطلقون إلى محمد صلى الله عليه وسلم فأقول أنا لها ، فأنطلق حتى أستفتح باب الجنة فيفتح لي فأدخل وربى على عرشه فأخر ساجداً » وذكر الحديث .

وقال أبو عوانة وابن أبي عروبة وهمام وغيرهم عن أنس في هذا الحديث ، فأستأذن على ربي فإذا رأيته وقعت ساجداً، وقال عفان عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس، فأتى ربي وهو على سريره أو كرسيه فأخر له ساجداً . وساقه ابن خزيمة بسياق طويل ، وقال فيه : فأستفتح فإذا نظرت إلى الرحمن وقعت له ساجداً .

ورؤية النبي صل الله عليه وسلم لربه في هذا المقام ثابتة عنه ثبوتاً يقطع به أهل العلم بالحديث والسنة ، وفي حديث أبي هريرة « أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر ، وأنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وأنا صاحب لواء الحمد ولا فخر ، وأنا أول من يدخل الجنة ولا فخر ، آخذ بمحلقة باب الجنة ، فيؤذن لي فيستقبلني وجه الجبار جل جلاله فأخر له ساجداً » .

وقال الدارقطني : حدثنا محمد بن إبراهيم النسائي المدل بمصر حدثنا عبد الله ابن محمد بن جعفر القاضي حدثنا أبو بكر إبراهيم بن محمد حدثنا الخليل عن عمر الأشج عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) (١) قال « النظر إلى وجه الله عز وجل » .

حدثنا أبو صالح عبدالرحمن بن سعيد بن هارون الأصهباني ومحمد بن جعفر ابن أحمد الطبري ومحمد بن علي بن إسماعيل الأيلي ، قال : حدثنا عبد الله بن روح المدائني حدثنا سلام بن سليمان حدثنا ورقاء وإسرائيل وشعبة وجريير بن عبد الحميد كلهم قالوا: حدثنا ليث بن عثمان بن أبي حميد عن أنس بن مالك ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أتاني جبريل وفي كفه كالرآة البيضاء يحملها ، فيها كالنكتة السوداء فقلت : ما هذه التي في يدك يا جبريل ؟ فقال : هذه الجمعة ، قلت : وما الجمعة ، قال لكم فيها خير كثير ، قلت : وما يكون لنا فيها ؟ قال يكون عيداً لك ولقومك من بعدك ، ويكون اليهود والنصارى تبعاً لك ، قلت : ومالنا فيها ؟ قال لكم فيها ساعة لا يسأل الله عبد فيها شيئاً هو له قسم ، إلا أعطاه إياه ، وأليس له بقسم إلا ذخره في آخرته ما هو أعظم منه ، قلت : ما هذه النكتة التي هي فيها ؟ قال : هي الساعة ونحن ندعوه يوم المزيد ، قلت : وما ذلك يا جبريل ؟ قال إن ربك اتخذ في الجنة وادياً فيه كتبان من مسك أبيض ، فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين على كرسية فيحذف الكراسي بكراسي من نور ، فيجىء النبيون حتى يجلسوا على تلك الكراسي ويحذف الكراسي بمنابر من نور ومن ذهب مكالمة بالجواهر ، ثم يجىء الصديقون والشهداء حتى يجلسوا على تلك المنابر ، ثم ينزل أهل الغرف من غرفهم ، حتى يجلسوا على تلك الكتبان ، ثم يتجلى لهم عز وجل فيقول : أنا الذي صدقتكم وعدى وأتمت عليكم نعمتي وهذا محل كرامتي ، فسلوني ، فيسألونه ، حتى تنتهي رغبتهم فيفتح لهم في ذلك مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وذلك بمقدار منصرفكم من الجمعة ثم يرتفع على كرسية عز وجل ويرتفع معه النبيون والصديقون ، ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم وهي لؤلؤة بيضاء وزبرجدة خضراء وياقوتة حمراء ، غرفها وأبوابها وأنهارها مطردة فيها وأزواجها وخدامها وثمارها متدلّيات فيها ، فجلسوا إلى شيء بأحوج منهم إلى يوم الجمعة ، ليزدادوا نظراً إلى ربهم ويزدادوا منه كرامة » .

هذا حديث كبير عظيم الشأن رواه أئمة السنة وتلقوه بالقبول وجعل به الشافعي مسنده ، فرواه عن إبراهيم بن محمد قال حدثني موسى بن عبيدة قال حدثني

أبو الأزرع عن عبد الله بن عبد بن عمير أنه سمع أنس بن مالك فذكر نحوه وقد تقدم لفظه . ثم قال الشافعي أنبأنا إبراهيم قال حدثني أبو عمران إبراهيم بن الجعد عن أنس شبيها به وزاد فيه أشياء . ورواه محمد بن إسحاق ، قال : حدثني إيث بن أبي سليم عن عثمان بن عمير عن أنس به وقال فيه « ثم يتجلى لهم ربهم عز وجل حتى ينظروا إلى وجهه الكريم » وذكر باقي الحديث ، ورواه عمرو بن أبي قيس عن أبي ظبية عن عاصم عن عثمان بن عمير أبي اليقظان عن أنس وجوده وفيه : « فإذا كان يوم الجمعة نزل على كرسيه ثم حف الكرسى بمنابر من نور ، فيجيء النبيون حتى يجلسوا عليها ويحيى أهل الغرف حتى يجلسوا على السكب ، قال : ثم يتجلى لهم ربهم تبارك وتعالى ، فينظرون إليه فيقول : أنا الذى صدقتم وعدى وأعمت عليكم نعمتى ، وهذا محل كرامتى أسألونى ، فيسألونه الرضى ، قال رضائ آمن لكم دارى ، وأنا لكم كرامتى سلونى فيسألونه الرضى ، قال : فيشهدهم بالرضاء ثم يسألونه حتى تنتهى رغبتهم » وذكر الحديث ، ورواه على بن حرب حدثنا إسحاق ابن سليمان حدثنا عنيسة بن سعيد عن عثمان بن عمير ورواه الحسن بن عرفة حدثنا عمار بن محمد بن أخت سفيان الثورى عن ليث بن أبي سليم عن عثمان وقال فيه ثم يرتفع على كرسيه ويرتفع معه النبيون والصديقون والشهداء ، ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم .

ورواه الدارقطنى من طريق آخر من حديث قتادة عن أنس قال سمعته يقول : « بينا نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال : أتانى جبريل فى يده كالمراة البيضاء فى وسطها كالنكتة السوداء ، قلت : يا جبريل ما هذا ؟ قال هذا يوم الجمعة ، يمرضه عليك ربك ليسكون لك عيداً ولامتك من بعدك ، قال : قلت يا جبريل ما هذه النكتة السوداء ؟ قال : هى الساعة وهى تقوم يوم الجمعة . وهو سيد أيام الدنيا ، ونحن ندعوه فى الجنة يوم الزيد ، قال : قلت يا جبريل ولم تدعونه يوم الزيد ؟ قال : إن الله اتخذ فى الجنة واديا أبيض ، من مسك أبيض ، فإذا كان يوم الجمعة نزل ربنا عز وجل على كرسيه إلى ذلك الوادى ، وقد حف الكرسى بمنابر من ذهب مكللة بالجواهر ، وقد حفت تلك المنابر بكراسى من نور . ثم يؤذن لأهل

العرف فيقبلون يخوضون كشيان المسك إلى الركب ، عليهم أسورة الذهب والفضة
وثياب السندس والحريز ، حتى ينتهوا إلى ذلك الوادى ، فإذا اطمانوا فيه جلوساً
بمث الله عليهم ريمحاً يقال لها المثيرة ، فأثارت ينابيع المسك الأبيض في وجوههم
وثيابهم وهم يومئذ جرد مرد مكحلون أبناء ثلاث وثلاثين سنة على صورة آدم يوم
خلقه الله عز وجل ، فينادى رب العزة تبارك وتعالى رضوان وهو خازن الجنة ،
فيقول : يا رضوان ارفع الحجب بينى وبين عبادى وزوارى ، فإذا رفع الحجب بينه
وبينهم فرأوا بهاءه ونوره هو له بالسجود فيناديهم تبارك وتعالى بصوته : ارفعوا
رؤوسكم فإنما كانت العبادة فى الدنيا وأنتم اليوم فى دار الجزاء ، سلونى ماشتم فأنا
ربكم الذى صدقتكم وعدى ، وأتمت عليكم نعمى ، فهذا محل كرامتى فسلونى
ما شتمتم ، فيقولون : ربنا وأى خير لم تفعله بنا ، أأست أعنتنا على سكرات الموت ،
وأنست منا الوحشة فى ظلمات القبور ، وآمنت روعتنا عند النفخة فى الصور ؟ أأست
أقلت عثراتنا ، وسترت علينا القبيح من فعلنا، وثبت على جسر جهنم أقدامنا ؟ أأست
الذى أدنيتنا من جوارك وأسمعتنا لداذة منطقتك ، وتجلت لنا بنورك فأى خير لم
تفعله بنا ؟ فعموذ بالله عز وجل، فيناديهم بصوته فيقول : أنا ربكم الذى صدقتكم
وعدى ، وأتمت عليكم نعمى فسلونى ، فيقولون: نسألك رضاك فيقول : برضاى عنكم
أقلتكم عثراتكم ، وسترت عليكم القبيح من أموركم ، وأدنيت منى جواركم ،
وأسمعتكم لداذة منطقتى وتجلت لىكم بنورى ، فهذا محل كرامتى فسلونى ،
فيسألونه حتى تنهى رغبهم ثم يقول عز وجل سلونى فيسألونه حتى تنهى رغبهم ،
ثم يقول عز وجل : سلونى ، فيقولون : رضينا ربنا وسلهنا فيزيدهم من مزيد فضله
وكرامته مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ويكون ذلك
مقدار تفرقهم من الجمعة ، قال أنس : فقلت بأبى وأمى يارسول الله وما مقدار
تفرقهم ؟ قال : كقدر الجمعة إلى الجمعة ، قال : ثم يحمل عرش ربنا تبارك وتعالى
معهم الملائكة والنبيون ثم يؤذن لأهل العرف فيعودون إلى غرفهم وهما غرفتان
من زمردتين خضراوين وليسوا إلى شىء أشوق منهم إلى الجمعة لينظروا إلى ربهم
عز وجل، وليزيدهم من مزيد فضله وكرامته. قال أنس: سمعته من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وليس بينى وبينه أحد .

ورواه الدارقطني أيضاً عن أبي بكر النيسابورى قال أخبرنى أبو العباس بن الوليد بن يزيد قال أخبرنى محمد بن شعيب قال أخبرنى عمر مولى عفرة عن أنس، ورواه محمد بن خالد بن جنى حدثنا أبو اليمان الحكيم بن نافع حدثنا صفوان قال : قال أنس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ورواه أبو بكر بن أبي شذبة حدثنا عبد الرحمن بن محمد عن ليث عن أبي عثمان عن أنس . ورواه إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة عن زهير بن حرب حدثنا جرير عن ليث عن عثمان ابن أبي حميد عن أنس ورواه عن الأسود بنى عامر قال ذكر لى عن شريك عن أبي اليقظان عن أنس ورواه ابن بطة فى الإبانة من حديث الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة . وسيأتى سياقه وقد جمع ابن داود طرقة .

فصل

وأما حديث بريدة بن الحصيب فقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة حدثنا أبو خالد عبد العزيز بن أبان القرشى حدثنا بشير بن المهاجر عن عبد الله ابن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة ، ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان » .

فصل

وأما حديث أبي رزين العقيلي فرواه الإمام أحمد من حديث شمعة وحماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن خدّاش عن أبي رزين قال : « قلنا : يا رسول الله أكلنا يرى ربه عز وجل يوم القيامة ؟ قال : نعم ، قلت : وما آية ذلك في خلقه ؟ قال : أليس كلكم ينظر إلى القمر ليلة البدر ؟ قلنا : نعم ، قال : الله أكبر وأعظم . »

قال عبد الله قال أبي والصواب حدس . وقال أبو داود سليمان بن الأشعث حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد بن سلمة به فقد اتفق شمعة وحماد بن سلمة وحسبك بما على روايته عن يعلى بن عطاء ورواه الناس عنهما وعن أبي رزين فيه إسناد آخر قد تقدم ذكره في حديثه للطويل وأبو رزين العقيلي له صحبة وعداده من أهل الطائف . وهو لقيط بن عامر ويقال لقيط بن صبرة ، هكذا قال البخاري ، وابن أبي حاتم وقيل : هما اثنان ، ولقيط بن عامر غير لقيط بن صبرة . والصحيح الأول . وقال ابن عبد البر : من قال لقيط بن صبرة نسبة إلى جده وهو لقيط بن عامر بن صبرة .

فصل

وأما حديث جابر بن عبد الله فقال الإمام أحمد حدثنا روح بن جريح قال أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابراً يسأل عن الورود فقال : « نحن يوم القيامة على كذا وكذا ، أي فوق الناس ، فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تمبد الأول ، فالأول ، ثم يأتينا ربنا بمد ذلك فيقول : ومن تنتظرون ؟ فيقولون : ننتظر ربنا ، فيقول : أنا ربكم : فيقولون حتى ننظر إليك . فيتجلى لهم تبارك وتعالى يضحك . قال : فينطلق بهم ويتبعونه ويمطى كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نوراً ، ثم يتبعونه على جسر

جهنم وعليه كلاب وحسك ، تأخذ من شاء الله ثم يطفأ نور المنافق ثم ينجو المؤمنون فتنجو أول زمرة وجوهم كالقمر ليلة البدر وسبعون ألفاً لا يحاسبون ، ثم الذين يلونهم كأضواء نجم في السماء ثم كذلك ثم تحل الشفاعة حتى يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من خير ما يزن شعيرة . فيجملون بفناء الجنة ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء حتى ينبتون نبات الشيء في السيل ، ويذهب حرقه ثم يسأل حتى يجعل الله له الدنيا وعشرة أمثالها معها .

رواه مسلم في صحيحه وهذا الذي وقع في الحديث من قوله : على كذا وكذا . قد جاء مفسراً في رواية صحيحة ذكرها عبد الحق في الجمع بين الصحيحين « نحن يوم القيامة على تل مشرفين على الخلائق » .

وقال عبد الرزاق أنبأنا رباح بن زيد قال حدثني ابن جريج قال أخبرني زياد ابن سمد أن أبا الزبير أخبره عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يتجلى لهم الرب تبارك ينظرون إلى وجهه ، فيخرون له سجداً ، فيقول ارفعوا رؤوسكم فليس هذا بيوم عبادة » .

وقال الدارقطني : أنبأنا أحمد بن عيسى بن السكن حدثنا أحمد بن محمد بن عمر بن يونس حدثنا محمد بن شرحبيل الصنماني قال حدثني ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يتجلى لنا ربنا عز وجل يوم القيامة ضاحكا » ورواه أبو قرة عن مالك بن أنس عن زياد ابن سمد حدثنا أبو الزبير عن جابر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا كان يوم القيامة جمعت الأمم ، فذكر الحديث ، وفيه : فيقولون أتعرفون الله عز وجل إن رأيتموه ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : وكيف تعرفونه ولم تروه ؟ فيقولون : نعم أنه لا عدل له ، قال : فيتجلى لهم تبارك وتعالى ، فيخرون له سجداً » .

وقال ابن ماجه في سننه : حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب حدثنا

أبو عاصم العباداني عن فضل بن عيسى الرقاشي عن محمد بن المنسكدر عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم ، فإذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة ، وهو قول الله عز وجل (سلام قولاً من رب رحيم) (١) فلا يفتنون إلى شيء مما هم فيه من النعيم ماداموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم وتبقى فيهم بركته ونوره . »

وقال حرب في مسأله : حدثنا يحيى بن أبي حزم حدثنا يحيى بن أبو عاصم العباداني فذكره . وعند البيهقي في هذا الحديث سياق آخر رواه أيضاً من طريق العباداني عن الفضل بن عيسى عن ابن المنسكدر عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينا أهل الجنة في مجلس لهم إذ سطع لهم نور على باب الجنة ، فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب تبارك وتعالى قد أشرف . فقال تعالى : يا أهل الجنة سلوني . قالوا نسألك الرضى عنا قال: رضائي أحلكم داري وأنا لك كرامتي ، هذا أو انها فسلوني ، قالوا : نسألك الزيادة . قال : فيؤتون بنجائب من ياقوت أحمر أزمته زمرد أخضر وياقوت أحمر فجاءوا عليها تضع حوافرها عند منتهى طرفها ، فيأمر الله بأشجار عليها الثمار فتجيء جوارى الحور العين وهن يقلن : نحث الناعمات فلا نبأس ، ونحن الخالدات فلا نموت ، أزواج قوم مؤمنين كرام ، ويأمر الله عز وجل بكشبان من مسك أبيض أذفر فيشير عليهم ريحاً يقال لها : المثيرة ، حتى تنتهي بهم إلى جنة عدن وهي قسبة الجنة ، فتقول الملائكة : ياربنا قد جاء القوم ، فيقول مرحباً بالصادقين ومرحباً بالطائمين ، قال : فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله تبارك وتعالى ويتمتعون بنور الرحمن حتى لا يبصر بعضهم بعضاً ، ثم يقول : ارجعوهم إلى القصور بالتعفف فيرجعون وقد أبصر بعضهم بعضاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذلك قوله تعالى : (نزلاً من غفور رحيم) (٢) .

رواه في كتاب البعث والنشور وفي كتاب الرؤية قال : وقد مضى في هذا

(١) سورة يس آية ٥٨ .

(٢) سورة فصلت آية ٣٢ .

الكتاب ، وفي كتاب الرؤية ما يؤكد هذا الخبر ، وقال الدراقطنى : أنبأنا الحسن ابن إسماعيل أنبأنا أبو الحسن على بن عبدة حدثنا يحيى بن سميد القظان عن ابن أبي ذئب عن محمد بن المنكدر عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل يتجلى للناس عامة ويتجلى لأبي بكر خاصة » .

فصل

وأما حديث أبي أمامة قال ابن وهب أخبرني يونس بن زيد عن عطاء الخراسانى عن يحيى بن أبي عمرو الشيبانى عن عمرو بن عبد الله الحضرمى عن أبي أمامة قال : « خطبنا رسول الله عليه وسلم يوماً فكان أكثر خطبته ذكر الدجال يحذرنا منه ، ويحدثنا عنه حتى فرغ من خطبته ، فكان فيما قال لنا يومئذ : إن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا حذره أمته وإنى آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم ، وهو خارج فيكم لا محالة فإن يخرج وأنا بين أظهركم فأنا حجيج كل مسلم ، وإن يخرج فيكم بعدى فكل امرئ حجيج نفسه ، والله خليفى على كل مسلم ، إنه يخرج من حلة بين العراق والشام عاث يمينا وعات شمالا ، ياعباد الله اثبتوا وإنه يبدأ فيقول : أنا نبي ولا نبي بعدى ، ثم يثنى فيقول أنا ربكم ولن تزوا ربكم حتى تموتوا ، وأنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن . فمن لقيه منكم فليتهفل في وجهه وليقرأ الفوانح سورة أصحاب الكهف ، وإنه يسلط على نفس من بنى آدم فليقتلها ثم يحياها وإنه لا يعدو ذلك ولا يسلط على نفس غيرها ، وإن من فتنته أن معه جنة ونارا ، فإره جنة وجنته نار ، فمن ابتلى بناره فليغمض عينيه وليستغث بالله تكن برداً وسلاماً كما كانت النار برداً وسلاماً على إبراهيم ، وإن أيامه أربعون يوماً : يوماً كسنة ويوماً كشهر ويوماً كجمعة ويوماً كالأيام وآخر أيامه كالسراب ، يصبح الرجل عند باب المدينة فيسمى قبل أن يبلغ بابها الآخر ، قالوا : فكيف نصلى يا رسول الله في تلك الأيام ؟ قال تقدرون كما تقدرون في الأيام الطوال » ورواه الدراقطنى عن ابن صاعد عن أحمد بن الفرخ عن ضمرة بن ربيعة عن يحيى بن أبي عمروية .

فصل

وأما حديث زيد بن ثابت ، فقال الإمام أحمد حدثنا أبو المغيرة قال حدثني أبو بكر قال حدثني ضمرة بن حبيب عن زيد بن ثابت « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علمه دعاء وأمره أن يتعاهد به أهله كل يوم قال : قل حين تصبح : لبيك اللهم لبيك ، لبيك وسعديك والخير في يديك ومنك وإليك ، اللهم وما قلت من قول أو نذرت من نذر أو حلفت من حلف فمشيتك بين يديه ، ماشئت كان وملم تشألم يكن ، ولا حول ولا قوة إلا بك إنك على كل شيء قدير ، اللهم وما صليت من صلاة فعلى من صليت ، وما لعنت من لعنة فعلى من لعنت ، أنت ولي في الدنيا والآخرة توفى مسلماً والحقني بالصالحين ، أسألك اللهم الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك ، من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة ، أعوذ بك اللهم أن أظلم ، أو أظلم أو أعتدى أو يعتدى علي ، أو أكسب خطيئة محبطة أو ذنباً لا تغفره ، اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ذا جلال والإكرام ، فإني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا وأشهدك وكفى بك شهيداً . إني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، لك الملك ولك الحمد وأنت على كل شيء قدير ، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك وأشهد أن وعدك حق وأن لقاءك حق ، والجنة حق والساعة آتية لا ريب فيها وأنت تبعث من في القبور ، وأشهد أنك إن تسكنني إلى نفسي تسكنني إلى ضيعة وعورة وذنب وخطيئة ، وإني لا أثق إلا برحمتك فاغفر لي ذنبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وتب علي إنك أنت التواب الرحيم » رواه أبو داود في صحيحه .

فصل

وأما حديث عمار بن ياسر فقال الإمام أحمد حدثنا إسحاق الأزرق عن شريك عن أبي هاشم عن أبي مجلز: «قال صلى بنا عمار صلاة فأوجز فيها فأنكروا ذلك فقال: ألم أتم الركوع والسجود؟ قالوا: بلى، قال: أما إنى قد دعوت فيها بدعاء، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به: اللهم بملك الغيب وقدرتك على الخلق أحينى ما علمت الحياة خيراً لى، وتوفنى إذا علمت الوفاة خيراً لى، وأسألك خشيتك فى الغيب والشهادة وكلمة الحق فى الغضب والرضا، والقصد فى الفقر والغنى، وولادة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك فى غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة. اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين» وأخرجه ابن حبان والحاكم فى صحيحيهما.

فصل

وأما حديث عائشة: فى صحيح الحاكم من حديث الزهرى عن عروة عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر: «يا جابر ألا أبشرك؟ قال بلى يشرك الله بخير. قال: شعرت أن الله أحيا أباك فأقدمه بين يديه فقال: تمنى على عبدى ما شئت أعطه. قال: يارب ما عبدتك حق عبادتك أتمنى عليك أن تردنى إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك، فأقتل فىك مرة أخرى! قال إنه قد سلف منى أنك إليها لا ترجع» وهو فى المسند من حديث جابر وفى مسنده أدخله.

وللترمذى فيه سياق أنم من هذا عن جابر قال: «لما قتل عبد الله بن عمرو بن حزام يوم أحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا جابر ألا أخبرك ما قال الله عز وجل لا يبيك؟ قال بلى. قال: ما كلم الله عز وجل أحداً إلا من وراء حجاب

وكلم أباك كفاحاً. فقال : يا عبدى تمن على أعطك . قال : يارب محببى ، فأقبل فبك
تغانية ، قال : إنه قد سبق منى أنهم إليها لا يرجعون ، قال : يارب فأبلغ من ورأى
فأنزل الله عز وجل هذه الآية (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً -
الآية) (١) « قال الترمذى هذا حديث حسن غريب . قلت وإسناده صحيح ورواه
الحاكم فى صحيحه .

فصل

وأما حديث عبد الله بن عمر ، فقال الترمذى حدثنا عبد بن حميد عن شبابة
عن إسرائيل عن ثوير بن أبى فاختة ، وقال الطبرانى حدثنا أسد بن موسى حدثنا
أبو معاوية محمد بن حازم عن عبد الملك بن أبجر عن ثوير بن أبى فاختة عن ابن
عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أدنى أهل الجنة منزلة لرجل
ينظر فى ملكه إلى سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر إلى أزواجه وسرره وخدمه ،
وإن أفضلهم منزلة من ينظر إلى وجه الله تبارك وتعالى كل يوم مرتين » .

قال الترمذى : وروى هذا الحديث من غير وجه عن إسرائيل عن ثوير عن ابن
عمر مرفوعاً ، ورواه عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر مرفوعاً .
وروى الأشجعى عبيد الله بن سفيان الثورى بن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر
نحوه ولم يرفعه حدثنا بذلك أبو كريب قلت ورواه الحسن بن عرفة بن شبابة عن
إسرائيل عن ثوير عن ابن عمر مرفوعاً وزاد فيه ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه
وسلم (وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة) (٢) .

وقال سميد بن هشيم بن بشير عن أبيه عن كريب بن حكيم عن نافع عن ابن
عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوم القيامة أول يوم نظرت فيه

(١) سورة آل عمران آية ٢٦٦ .

(٢) سورة القيامة آية ٢٣ .

عين إلى الله تبارك وتعالى » ورواه الدارقطني عن جماعة عن أحمد بن يحيى بن حبان الرقي عن إبراهيم بن خرزاذ عنه .

وقال الدارقطني : حدثنا أحمد بن سليمان حدثنا أحمد بن يونس حدثنا عبد الحميد بن صالح حدثنا أبو شهاب الخياط عن خالد بن دينار عن حماد بن جعفر عن عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ألا أخبركم بأسفل أهل الجنة ، قالوا : بلى يا رسول الله ، فذكر الحديث - إلى أن قال - حقه إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنوا أن لا نعيم أفضل منه أشرف الرب تبارك وتعالى عليهم ، فينظرون إلى وجه الرحمن عز وجل ، فيقول : يا أهل الجنة هللوني وكبروني وسبحوني بما كنتم تهللوني وتكبروني وتسبحوني في دار الدنيا فيتجاوبون بهليل الرحمن فيقول تبارك وتعالى لداود : يا داود قم فمجدي . فيقوم داود فيمجد ربه عز وجل » .

وقال عثمان بن سعيد الدارمي في رده على بشر المريسي حدثنا أحمد بن يونس عن أبي شهاب الخياط عن خالد بن دينار عن حماد بن جعفر عن ابن عمر يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم : « إن أهل الجنة إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنوا أن لا نعيم أفضل منه تجلى لهم الرب تبارك وتعالى فنظروا إلى وجه الرحمن ، ففسوا كل نعيم عاينوه حين نظروا إلى وجه الرحمن » .

فصل

وأما حديث عمارة بن روية فقال ابن بطة في الإبانة حدثنا عبد النافر بن سلامة الحمصي حدثنا محمد بن عوف بن سفيان الطائي حدثنا أبو اليمان حدثنا إسماعيل بن عياش عن عبد الرحمن بن عبد الله بن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي بكر بن عمارة بن روية عن أبيه قال : « نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى القمر ليلة البدر فقال : إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ، لاتضارون في رؤيته »

فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ، وصلاة قبل غروبها فافعلوا .

قال ابن بطة وأخبرني أبو القاسم بن عمر بن أحمد عن أبي بكر أحمد بن هارون حدثنا عبد الرازي بن منصور حدثنا المغيرة حدثنا السعدي عن إسماعيل بن أبي خالده عن أبي بكر بن عمارة بن رويبة عن أبيه قال : « نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القمر ليلة البدر فقال : إنكم سترون ربكم تبارك وتعالى ، كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تنابوا على ركعتين قبل طلوع الشمس وركعتين بعد غروبها ، فافعلوا . »

فصل

وأما حديث سلمان الفارسي فقال أبو معاوية حدثنا عاصم الأحول عن أبي عثمان عن سلمان الفارسي قال : « يأتون النبي صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : يانبي الله إن الله فتح بك وختم بك وغفر لك ، قم فاشفع لنا إلى ربك ، فيقول : نعم أنا صاحبكم فيخرج يحوش الناس حتى ينتهي إلى باب الجنة ، فيأخذ بمخلة الباب فيقرع فيقال من هذا ؟ فيقال محمد ، فيفتح له فيجىء حتى يقوم بين يدي الله فيستأذن في السجود فيؤذن له » الحديث .

فصل

وأما حديث حذيفة بن اليمان فقال ابن بطة أخبرني أبو القاسم عمر بن أحمد عن أبي بكر أحمد بن هارون حدثنا يزيد بن جمهور حدثنا الحسن بن يحيى بن كثير الغنبري حدثني أبي عن إبراهيم بن المبارك عن القاسم بن مطيب عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة بن اليمان . وقال البزار حدثنا محمد بن معمر وأحمد بن عمرو ابن عبيد العصفري قال حدثنا يحيى بن كثير حدثنا إبراهيم بن المبارك عن القاسم بن مطيب عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتاني جبريل فإذا في كفه مزاة كأصفي المرابيا وأحسنها وإذا في وسطها

سكتة سوداء ، قال : قلت : يا جبريل ما هذه ؟ قال هذه الدنيا صفاؤها وحسنها .
قال قلت : وما هذه اللمعة في وسطها ؟ قال هذه الجمعة ، قال قلت : وما الجمعة ؟
قال يوم من أيام ربك عظيم وسأخبر بك بشرفه وفضله وإسمه في الآخرة . أما شرفه
وفضله في الدنيا فإن الله تعالى جمع فيه أمر الخلق ، وأما ما يرجى فيه فإن فيه ساعة
لا يوافقها عبد مسلم أو أمة مسلمة يسألان الله فيها خيراً إلا أعطاهما إياه . وأما شرفه
وفضله وإسمه في الآخرة فإن الله تبارك وتعالى إذا صبر أهل الجنة إلى الجنة ، وأهل
النار إلى النار ، وجرت عليهم أيامها وساعاتها ليس بها ليل ولا نهار إلا قد علم الله
مقدار ذلك وساعاته ، فإذا كان يوم الجمعة في الحين الذي يبرز أو يخرج فيه أهل
الجنة إلى جمعهم نادى منادياً : يا أهل الجنة اخرجوا إلى دار الزيد ، لا يعلم سعته
وعرضه وطوله إلا الله عز وجل ، في كئيبان من المسك قال فيخرج غلمان الآبياء
بمنابر من نور ، ويخرج غلمان المؤمنين بكراسي من ياقوت ، قال : فإذا وضعت لهم
وأخذ القوم مجالسهم بعث الله تبارك وتعالى عليهم ريحاً تدعى للثيرة ، تشير عليهم
آثار المسك الأبيض تدخله من تحت ثيابهم ويخرجه في وجوههم وأشعارهم ، فتلك
الريح أعلم كيف تصنع بذلك للمسك من امرأة أحدكم لو دفع إليها ذلك الطيب بإذن
الله تعالى ، قال : ثم يوحى الله سبحانه إلى حملة العرش فيوضع بين ظهراني الجنة
وبينهم وبينهم الحجب ، فيكون أول ما يسمعون منه أن يقول : أين عبادي الذين
أطاعوني في التيب ولم يروني وصدرة ارسلني واتبعوا أمرى فسلوني فهذا يوم الزيد ،
قال : فيجتمعون على كلمة واحدة : ربنا رضينا عنك فارض عنا ، قال : فيرجع الله
تعالى في قولهم إن يا أهل الجنة اني لو لم أرض عنكم لما أسكنتكم جنتي فسلوني
فهذا يوم الزيد ، قال : فيجتمعون على كلمة واحدة رضينا عنك فارض عنا ، قال :
فيرجع الله عز وجل في قولهم أن يا أهل الجنة ، اني لو لم أرض عنكم لما أسكنتكم
جنتي فهذا يوم الزيد فسلوني ، قال فيجتمعون على كلمة واحدة : رب وجهك رب
وجهك أرنا ننظر إليه ، قال : فيكشف الله تبارك وتعالى تلك الحجب ويتجلى لهم
فيشاهم من نوره شيء لولا أنه قضى عليهم أن لا يحترقوا لاحترقوا بما غشبهم من
نوره ، قال : ثم يقال ارجعوا إلى منازلكم ، قال : فيرجعون إلى منازلهم وقد
خفوا على أزواجهم وخفين عليهم بما غشبهم من نوره ، فإذا صاروا إلى منازلهم

يزاد النور و مكن حتى يرجعوا إلى صورهم التي كانوا عليها قال فيقول لهم أزواجهم:
 لقد خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها! قال فيقولون ذلك بأن الله تبارك
 وتعالى تجلي لنا فنظرنا منه إلى ما خفينا به عليكم ، قال : فلهم في كل سبعة أيام
 للضعف على ما كانوا فيه قال وذلك قوله عز وجل : (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من
 قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون)^(١) .

وقال عبد الرحمن بن مهدي حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن مسلم بن
 يزيد السمدى عن حذيفة في قوله عز وجل : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)^(٢)
 قال : النظر إلى وجه الله عز وجل ، قال الحاكم ، وتفسير الصحابي عندنا في
 حكم للرفوع .

فصل

وأما حديث ابن عباس فروى ابن خزيمة من حديث حماد بن سلمة عن ابن
 جدعان عن أبي نضرة قال : خطبنا ابن عباس فقال : قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم : « ما من نبي إلا وله دعوة تتجلبها في الدنيا ، وإنى اختبأت دعوتى شفاعة
 لأمتى يوم القيامة ، فأتى باب الجنة فأخذ بحلقة الباب ، فأقرع الباب فيقال : من
 أنت ؟ فأقول : أنا محمد فأنتى ربي وهو على كرسية أو على سريره ، فيتجلى لى ربي
 فأخر له ساجداً » ورواه ابن عيينة عن ابن جدعان فقال عن أبي سعيد بدل
 ابن عباس . وقال أبو بكر بن أبي داود حدثنا عمى محمد بن الأشعث حدثنا ابن
 جبير قال حدثنى أبى جبير عن الحسن عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال : « إن أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى في كل يوم جمعة في رمال الكافور
 وأقربهم منه مجلساً أسرعهم إليه يوم الجمعة وأبكرهم غداً » .

فصل

وأما حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال الصنعاني حدثنا صدقة بن عمرو المقدي قال : قرأت على محمد بن إسحاق حدثني أمية بن عبد الله بن عمرو ابن عثمان عن أبيه عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث مروان بن الحكم وهو أمير المدينة قال : « خلق الله الملائكة لمبادته أصنافاً فإن منهم الملائكة قياماً صافين من يوم خلقهم إلى يوم القيامة ، وملائكة ركوعاً خشوعاً من يوم خلقهم إلى يوم القيامة ، وملائكة سجوداً منذ خلقهم إلى يوم القيامة ، فإذا كان يوم القيامة وتجلّى لهم تعالى ونظروا إلى وجهه الكريم قالوا : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك » .

فصل

وأما حديث أبي بن كعب فقال الدارقطني حدثنا عبد الصمد بن طي حدثنا محمد ابن زكريا بن دينار قال حدثني قحطبة بن علاقة حدثنا أبو جلدة عن أبي العالية عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) (١) قال : النظر إلى وجه الله عز وجل : وأما حديث كعب بن عجرة . فقال محمد بن حميد : حدثنا إبراهيم بن المختار عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال « الزيادة النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى » .

فصل

وأما حديث فضالة بن عبيد فقال ابن سعيد الدارمي حدثنا محمد بن المهاجر عن
 أبي حنيس عن أبي الدرداء أن فضالة يعني ابن عبيد كان يقول : « اللهم إني أسألك
 الرضا بعد القضاء ، وبرد العيش بعد الموت ، ولذة النظر إلى وجهك ، والشوق إلى
 لقاءك ، في غير ضراء مضرة ، ولا فتنة مضلة » .

فصل

وأما حديث عبادة بن الصامت في مسند أحمد من حديث بقية حدثنا يحيى بن
 سعيد عن خالد بن معدان عن عمرو بن الأسود عن جنادة بن أبي أمية عن عبادة
 بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « قد حدثتكم عن الدجال حتى
 خشيت أن لا تمقلوا أن مسيح الدجال رجل قصير أفحج جمد أعور مطموس العين
 سبت بناتة ولا جعراء . فإن التبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور وإنسكم
 لمن روا ربكم حتى تموتوا » .

وأما حديث الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال الصنعمانى حدثنا
 روح بن عبادة حدثنا عباد بن منصور قال سمعت عدى بن أرطاة يخاطب على المنبر
 بالمدائن فجعل يمظ حتى بكى وأبكنا ثم قال : كونوا كرجل قال لابنه وهو يمظه :
 « يا بني أوصيك أن لا تصلى صلاة إلا ظننت أنك لا تصلى بعدها غيرها حتى تموت ،
 وتمال يا بني نعم عمل رجلين كأنهما قد وقفا على النار ثم سألا الكرة ولقد سمعت
 خلافاً — نسي عباد اسمه — ما بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم غيره فقال :
 إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن لله ملائكة ترعد فرانسهم من مخافته ،
 ما منهم ملك تقطر دمعته من عينه إلا وقعت ملسكا يسبح الله تعالى ، قال : وملائكة
 سجود منذ خلق الله السموات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم
 القيامة ، وصفوف لم ينصرفوا عن مصافهم ، ولا ينصرفون إلى يوم القيامة ، فإذا

كان يوم القيامة وتجلى لهم ربهم ، فنظروا إليه قالوا : سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لك أن نميدك .

فصل

وهناك بمض ما قاله بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وللتابعون وأئمة الإسلام بهم .

قول أبي بكر الصديق رضى الله عنه قال أبو إسحاق عن عامر بن سعد قرأ أبو بكر الصديق : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) (١) فقالوا : ما الزيادة يا خليفة رسول الله ؟ قال : النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى .

قول علي بن أبي طالب رضى الله عنه : قال عبد الرحمن بن أبي حاتم حدثنا ميسرة الهمداني حدثنا صالح بن أبي خالد العبدي عن أبي الاحوص عن أبيه إسحاق الهمداني عن عمارة بن عبيد قال سمعت علياً يقول : « من تمام النعمة دخول الجنة ، والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى في جنته » .

قول حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال : حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن مسلم بن زيد عن حذيفة قال : الزيادة النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى .

قول عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس رضى الله عنهم : ذكر أبو عوانة عن هلال عن عبد الله بن عكيم قال سمعت عبد الله بن مسعود يقول في هذه المسجد - مسجد الكوفة - يبدأ باليمين قبل أن يحدثنا فقال : « والله ما منكم من إنسان إلا أن ربه سيخلو به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر . قال فيقول ما غرك بي يا بن آدم ثلاث مرات ، ماذا أجبت الرسائل ثلاثاً ، كيف عملت فيما علمت » وقال ابن أبي داود : حدثنا أحمد بن الأزهر حدثنا إبراهيم بن الحكم حدثنا أبيه عن عكرمة قال قيل لابن عباس : كل من دخل الجنة يرى الله عز وجل ؟ قال :

نعم ، وقال أسباط بن نصر عن إسماعيل السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود « الزيادة » النظر إلى وجه الله عز وجل .

قول معاذ بن جبل : قال عبدالرحمن بن أبي حاتم أنبأنا إسحاق بن أحمد الحراز حدثنا إسحاق بن سليمان الرازي عن المنيرة بن مسلم عن ميمون بن أبي حمزة قال : « كنت جالسا عند أبي وائل فدخل علينا رجل يقال له أبو عفيف فقال له شقيق ابن سلمة : يا أبا عفيف ألا تحدثنا عن معاذ بن جبل؟ قال بلى . سمعته يقول : يحشر الناس يوم القيامة في صعيد واحد فينادي أين المتقون فيقومون في كنف واحد من الرحمن لا يحتجب الله منهم ، ولا يستتر ، قلت : من للمتقون ؟ قال : قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا لله في العبادة فيمرون إلى الجنة »

قول أبي هريرة رضى الله عنه : قال ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن أبي النصر أن أبا هريرة كان يقول « لن تروا ربكم حتى تذوقوا الموت » .

قول عبد الله بن عمر : قال حسين الجعفي عن عبد الملك بن أبيجر عن ثور عن ابن عمر قال : « إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر إلى ملكه ألقى عام يرى أدنام . كما يرى أفساه ، وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر إلى وجه الله في كل يوم مرتين » .

قول فضالة بن عبيد : ذكر الدارمي عن محمد بن مهاجر عن أبي الحليس عن أبي الدرداء أن فضالة بن عبيد كان يقول : « اللهم إني أسألك الرضا بمد القضاء ، وبرد الميش بمد الموت ، ولذة للنظر إلى وجهك » وقد تقدم .

قول أبي موسى الأشعري : قال وكيع عن أبي بكر الهذلي عن أبي تيمية عن أبي موسى قال : الزيادة النظر إلى وجه الله ، وروى يزيد بن هارون وابن أبي عدي وابن علي عن التيمي عن أسلم المجلبي عن أبي مزانة عن أبي موسى الأشعري أنه كان يحدث الناس فشخصوا بأبصارهم . فقال : ما صرف أبصاركم عني ؟ قالوا الهلال . قال : فكيف بكم إذا رأيتم وجه الله جهرة ؟

قول أنس بن مالك : قال ابن أبي شيبة : حدثنا يحيى بن يمان حدثنا شريك عن أبي اليقظان عن أنس بن مالك في قوله عز وجل : (ولدينا مزيد) (١) قال : يظهر لهم الرب تبارك وتعالى يوم القيامة . قول جابر بن عبد الله : « قال مروان بن معاوية عن الحكم بن أبي خالد عن الحسن عن جابر قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة وأديم عليهم بالسكرامة جاءتهم خيول من ياقوت أحمر لا تبول ولا تروث لها أجنحة فيقعدون عليها ثم يأتون الجبار فإذا تجلى لهم خرواله سجداً فيقول : يا أهل الجنة ارفعوا رؤوسكم فقد رضيت عنكم لاسخط بعهده . »

قال الطبري : فتحصل في الباب ممن روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصحابة حديث الرؤية ثلاث وعشرون نفساً منهم علي وأبو هريرة وأبو سعيد وجرير وأبو موسى وصهيب وجابر وابن عباس وأنس وعمار بن ياسر وأبي بن كعب ، وابن مسعود وزيد بن ثابت وحذيفة بن اليمان وعبادة بن الصامت وعدى ابن حاتم وأبو رزين العقيلي وكعب بن عجرة وفضالة بن عبيد وبريدة بن الحصيب ورجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال الدارقطني : أنبأنا محمد بن عبد الله حدثنا جعفر بن محمد الأزهر حدثنا حفص بن غسان قال سمعت يحيى بن معين يقول عندي سبعة عشر حديثاً في الرؤية كلها صحاح .

وقال البيهقي : روينا في إثبات الرؤية عن أبي بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبي موسى وغيرهم ولم يرو عن أحد منهم فيها ولو كانوا فيها مختلفين لتقل اختلافهم في ذلك إلينا ، كما أنهم لما اختلفوا في رؤية الله بالأبصار في الدنيا تقل اختلافهم في ذلك إلينا فلما نقلت رؤية الله سبحانه وتعالى بالأبصار في الآخرة عنهم ولم ينقل عنهم في ذلك اختلاف ، كما نقل عنهم فيها اختلاف في الدنيا ، علنا أنهم كانوا على القول برؤية الله بالأبصار في الآخرة متفقين ومجتمعين .

فصل

وأما التابعون ونزل الإسلام وعصاة الإيمان ، من أئمة الحديث والنفقة والتفسير وأئمة التصوف ، فأقوالهم أكثر من أن يحيط بها إلا الله عز وجل قال سعيد بن المسيب : الزيادة النظر إلى وجه الله ، رواه مالك عن يحيى عنه . وقال الحسن : الزيادة النظر إلى وجه الله ، رواه ابن أبي حاتم عنه . وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى : الزيادة النظر إلى وجه الله تعالى ، رواه حماد بن زيد عن ثابت عنه وقاله عامر بن سعد البجلي ، عكره سفيان عن أبي إسحاق عنه ، وقاله عبد الرحمن بن سابط رواه جرير بن ليث عنه . وقاله عكرمة ومجاهد : وقتادة والسدي والضحاك وكعب .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله : أما بعد ، فإني أوصيك بتقوى الله ولزوم طاعته والتمسك بأمره ، والمعاهدة على ما حملك الله من دينه ، واستحفظك من كتابه ، فإن بتقوى الله نجى أولياء الله من سخطه ، وبها رافقوا أنبياءه ، وبها نصرت وجوههم ، ونظروا إلى خالقهم ، وهى عصمة في الدنيا من الفتن ومن كرم يوم القيامة .

وقال الحسن : لو علم العابدون في الدنيا أنهم لا يرون ربهم في الآخرة لذابت أنفسهم في الدنيا .

وقال الأعمش وسعيد بن جبير : إن أشرف أهل الجنة لمن ينظر إلى الله تبارك وتعالى غدوة وعشية ، وقال كعب : ما نظر الله سبحانه إلى الجنة قط إلا قال طيبى لأهلك . فزادت ضعفاً على ما كانت حتى يأتها أهلها وما من يوم كان لهم عيد في الدنيا إلا ويخرجون في مقدره في رياض الجنة فيبرز لهم الرب تبارك وتعالى فينظرون إليه وتسفي عليهم الريح المسك ولا يسألون الرب تعالى شيئاً إلا أعطاهم حتى يرجعوا ، وقد ازدادوا على ما كانوا من الحسن والجمال سبعين ضعفاً ، ثم يرجعوا إلى أزواجهم وقد ازددن مثل ذلك . وقال هشام بن حسان إن الله

سبحانه وتعالى يتجلى لأهل الجنة فإذا رآه أهل الجنة نسوا نعيم الجنة. وقال طاووس: أصحاب المراء والمقاييس لا يزال بهم المراء والمقاييس حتى يجحدوا الرؤية ويخالفوا أهل السنة.

وقال شريك عن أبي إسحاق السبيعي: الزيادة النظر إلى وجه الرحمن تبارك وتعالى. وقال حماد بن زيد عن ثابت عن عبد الرحمن عن ابن أبي ليلى أنه تلى هذه الآية: (الذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال إذا دخل أهل الجنة الجنة أعطوا فيها ما سألوا وما شاءوا فيقول الله عز وجل لهم إنه قد بقي من حَقِّكم شيء لم تعطوه فيتجلى لهم ربهم فلا يكون ما أعطوه عند ذلك بشيء فالحسن الجنة والزيادة النظر إلى وجه ربهم عز وجل: (ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة) (١) بعد نظرهم إلى ربهم تبارك وتعالى، وقال علي بن المديني سألت عبد الله بن المبارك عن قوله تعالى: (فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً) (٢) قال عبد الله: من أراد النظر إلى وجه الله خالقه فليعمل عملاً صالحاً ولا يجرب به أحداً، وقال نعيم بن حماد: سمعت ابن المبارك يقول ما حجب الله عز وجل أحد عنه إلا عذبه ثم قرأ: (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون. ثم إنهم لصالوا الجحيم. ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون) (٣) قال: بالرؤية. ذكره ابن أبي الدنيا عن يعقوب عن إسحاق عن نعيم.

وقال عباد بن العوام قدم علينا شريك بن عبد الله منذ خمسين سنة فقلت له يا أبا عبد الله إن عندنا قوماً من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث «إن الله ينزل إلى سماء الدنيا» و«إن أهل الجنة يرون ربهم» فحدثني بنحو عشرة أحاديث في هذا وقال: أما نحن فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عنهم أخذوا، وقال عقبه بن قبيصة أئبنا أبا نعيم يوماً فنزل إلينا من الدرجة التي في داره جلس أوسطها كأنه مغضب، فقال حدثنا سفيان بن سعيد ومنذر الثوري وزهير بن معاوية وحدثنا حسن بن صالح بن حدي وحدثنا شريك ابن عبد الله التخمي هؤلاء أبناء المهاجرين يحدثوننا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تبارك وتعالى يرى في الآخرة حتى جاء ابن يهودى صباغ يزعم أن الله تعالى لا يرى - يعنى بشر المرئى .

(١) سورة يونس آية ٢٦ . (٢) سورة الكهف آية ١١٠ .

(٣) سورة المطففين آية ١٥-١٧ .

فصل

في المنقول عن الأئمة الأربعة ونظر أئمتهم وشيوخهم وأتباعهم على طريقهم ومنهاجهم: ذكر قول إمام دار الهجرة مالك بن أنس: قال أحمد بن صالح المصري حدثنا عبد الله بن وهب قال: قال مالك بن أنس: «الناس ينظرون إلى ربهم عز وجل يوم القيامة بأعينهم» .

وقال الحارث بن مسكين حدثنا أشهب قال سئل مالك عن قوله عز وجل: (وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة) أنظر إلى الله عز وجل! قال نعم، فقلت إن أقواماً يقولون تنظر ما عنده، قال بل تنظر إليه نظراً وقد قال موسى يارب أرني أنظر إليك، قال لن تراني وقال الله تعالى: (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)^(١)

وذكر الطبري وغيره أنه قيل لمالك إنهم يزعمون أن الله لا يرى، فقال مالك السيف السيف. ذكر قول ابن اللاجشون. قال أبو حاتم الرازي قال أبو صالح كاتب الليث أملى على عبد العزيز بن أبي سلمة اللاجشون وسألته عما جمحت الجهمية فقال: لم يزل يملئ لهم الشيطان حتى جمحدوا قوله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة)^(١) فقالوا لا يراه أحد يوم القيامة فجمحدوا، والله أفضل كرامة الله التي أكرم بها أوليائه يوم القيامة من النظر إلى وجهه ونصرتهم بإيمانهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر. فورب السماء والأرض ليجمان رؤيته يوم القيامة للمخلصين له ثواباً لينضر بها وجوههم دون المجرمين وتفلاح بها حججهم على الجاحدين وهم على ربهم يومئذ لمحجوبون لا يرونه كما زعموا أنه لا يرى ولا يكلمهم ولا ينظر إليهم ولم عذاب أليم. ذكر قول الأوزاعي. ذكر ابن أبي حاتم عنه قال: إني لأرجو أن يحجب الله عز وجل جهماً وأصحابه عن أفضل ثوابه الذي وعده الله أوليائه حين يقول: (وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة) فجمحد جهم وأصحابه أفضل ثوابه الذي وعده الله أوليائه .

(٢) سورة القيامة آية ٢٣ .

(١) سورة المطففين آية ١٥ .

ذكر قول الليث بن سعد : قال ابن أبي حاتم حدثنا إسماعيل بن أبي الحارث حدثنا الهيثم بن خارجة قال سمعت الوليد بن مسلم يقول سألت الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي فيها الرؤية . فقالوا: تمر بلا كيف قول سفيان بن عيينة : ذكر الطبري وغيره عنه أنه قال من لم يقل إن للقرآن كلام الله وإن الله يرى في الجنة فهو جهمي ، وذكر عنه ابن أبي حاتم أنه قال يصلى خلف الجهمي : والجهمي الذي يقول: لا يرى ربه يوم القيامة .

قول جرير بن عبد الحميد : ذكر ابن أبي حاتم عنه أنه ذكر حديث ابن سابط في الزيادة : أنها النظر إلى وجه الله فأنكره رجل فصاح به وأخرجه من مجلسه .

قول عبد الله بن المبارك : ذكر عبد الرحمن بن أبي حاتم عنه أن رجلاً من الجهمية قال له يا أبا عبد الرحمن « خداراً . بأن جهان جون بيند » ومعناه كيف يرى الله يوم القيامة ؟ فقال : بالعين .

وقال ابن أبي الدنيا حدثنا يعقوب بن إسحق قال سمعت نعيم بن حماد يقول سمعت ابن المبارك يقول : ما حجب الله عنه أحداً إلا عذبه ثم قرأ : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون : ثم إنهم لصالوا الجحيم . ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون) (١) قال ابن المبارك : بالرؤية .

قول وكيع بن الجراح : ذكر ابن أبي حاتم عنه أنه قال يراه تبارك وتعالى المؤمنون في الجنة ولا يراه إلا للؤمنون . قول قتبية بن سعيد : ذكر ابن أبي حاتم عنه قال : قول الأئمة المأخوذ به في الإسلام والسنة والإيمان بالرؤية والتصديق بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرؤية .

قول أبي عبيد القاسم بن سلام : ذكر ابن بطة وغيره عنه أنه ذكرت عند هذه الأحاديث التي في الرؤية فقال : هي عندنا حق رواها الثقات عن الثقات إلى أن

جارت إلينا إلا أنا إذا قيل لنا فسروها لنا قلنا : لا تفسر منها شيئاً ولكن نخصيها كما جاءت .

قول أسود بن سالم شيخ الإمام أحمد : قال الروزي حدثنا عبد الوهاب الوراق قال سألت أسود بن سالم عن أحاديث الرؤية فقال : أحلف عليها بالطلاق وبالشئ أنها حق .

قول محمد بن إدريس الشافعي : قد تقدم رواية الرابع عنه أنه قال : إنه قال في قوله تعالى : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) لما حجب هؤلاء في السخط ، كان في هذا دليل على أن أولياء الله يرونه في الرضا . قال الربيع فقلت يا أبا عبد الله وتقول به ؟ قال نعم وبه أدين الله ، ولو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله عز وجل لماعبده .

وقال ابن بطة حدثنا أبو القاسم الأنطاقي صاحب المزني قال : قال الشافعي رحمه الله : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) دلالة على أن أولياء الله يرونه يوم القيامة بأبصارهم ووجوههم .

قول إمام السنة أحمد بن حنبل : قال إسحاق بن منصور قلت لأحمد : أليس ربنا تبارك وتعالى يراه أهل الجنة ؟ أليس تقول بهذه الأحاديث ؟ قال أحمد : صحيح ، قال ابن منصور وقال إسحاق بن راهويه صحيح ولا يدعه إلا كل مبتدع أو ضعيف للرأى .

وقال الفضل بن زياد : سمعت أبا عبد الله وقيل له تقول بالرؤية ؟ فقال : من لم يقل بالرؤية فهو جهمي ، قال سمعت أبا عبد الله وبلغه عن رجل أنه قال : إن الله لا يرى في الآخرة فغضب غضباً شديداً ، ثم قال من قال إن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر ، عليه لعنة الله وغضبه ، من كان من الناس أليس يقول الله عز وجل : (وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة) (١) وقال : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وقال أبو داود : سمعت أحمد وذكر له عن رجل شئ في الرؤية فغضب وقال : من قال إن الله لا يرى فهو كافر .

(١) سورة القيامة آية ٢٣ .

وقال أبو داود وسمنت أحمد بن حنبل وقيل له في رجل يحدث بمحدث عن رجله
 عن أبي المطوف إن الله لا يرى في الآخرة ، فقال : لمن الله من يحدث بهذا الحديث
 اليوم ، ثم قال أخزى الله هذا ، وقال أبو بكر المروزي : قيل لأبي عبد الله :
 تعرف عن يزيد بن هارون عن أبي المطوف عن أبي الزبير عن جابر : إن استقر
 الجبل فسوف تراني . وإن لم يستقر فلا تراني في الدنيا ولا في الآخرة ، فنضب
 أبو عبد الله غضباً شديداً حتى تبين في وجهه وكان قاعداً والناس حوله فأخذ نمطه
 واتملم ، وقال أخزى الله هذا . لا ينبغي أن يكتب ودفع أن يكون يزيد بن
 هارون رواء أو حدث به وقال هذا جهمي كافر خالف ، ما قال الله عز وجل :
 (وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة) وقال : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ
 لمحجوبون) أخزى الله هذا الحديث ، قال أبو عبد الله : ومن زعم أن الله لا يرى
 في الآخرة فقد كفر ، وقال أبو طالب قال أبو عبد الله قول الله عز وجل : (هل
 ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) (١) ، (وجاء ربك والملك
 صفاً صفاً) (٢) فمن قال إن الله لا يرى فقد كفر ، وقال إسحاق بن إبراهيم بن
 هانيء سمعت أبا عبد الله يقول : من لم يؤمن بالرؤية فهو جهمي ، والجهمي كافر .

وقال يوسف بن موسى بن محمد القطان : قيل لأبي عبد الله : أهل الجنة
 ينظرون إلى ربهم تبارك وتعالى ويكلمونه ويكلمهم ؟ قال : نعم ، ينظر إليهم
 وينظرون إليه ويكلمهم ويكلمونه كيف شاؤوا وإذا شاؤوا .

وقال حنبل بن إسحاق سمعت أبا عبد الله يقول : القوم يرجعون إلى التمهليل في
 أقوالهم ينكرون الرؤية والآثار كلها وما ظننتم على هذا حتى سمعت مقالاتهم . قال
 حنبل وسمعت أبا عبد الله يقول من زعم أن الله لا يرى في الآخرة فهو جهمي فقد
 كفر ورد على الله وعلى الرسول ومن زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً فقد
 كفر ورد على الله قوله ، قال أبو عبد الله : فنحن نؤمن بهذه الأحاديث ونقر بها
 ونمرها كما جاءت .

(١) سورة البقرة آية ٢٦٠ .

(٢) سورة الفجر آية ٢٢ .

وقال الأثرم سمعت أبا عبد الله يقول فأما من يقول إن الله لا يرى في الآخرة فهو جهل ، قال أبو عبد الله وإنما تسكلم من تكلم في رؤية الدنيا . وقال إبراهيم بن زياد الصائغ سمعت أحمد بن حنبل يقول : « الرؤية من كذب بها فهو زنديق » وقال حنبل سمعت أبا عبد الله يقول : « أدركنا الناس وما يتكبرون من هذه الأحاديث شيئاً — أحاديث الرؤية — وكانوا يتحدثون بها على الجملة يمرونها على حالها غير منكرين لذلك ولا مرتابين » وقال أبو عبد الله قال الله تعالى : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا) (١) وكنتم الله موسى من وراء حجاب فقال : (رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل ، فإن استقر مكانه فسوف تراني) (٢) فأخبر الله عز وجل أن موسى يراه في الآخرة وقال : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ولا يكون حجاب إلا لرؤية أخبر الله سبحانه وتعالى أن من شاء الله ومن أراد يراه والكفار لا يرونه ، قال حنبل : وسمعت أبا عبد الله يقول : قال الله تعالى : (وجوه يومئذ مفاضرة . إلى ربها ناظرة)

والأحاديث التي تروى في النظرة إلى الله تعالى حديث جابر بن عبد الله وغيره « وتظنون إلى ربكم » أحاديث صحاح وقال : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) انظر إلى وجه الله تعالى . قال أبو عبد الله يؤمن بها ونعلم أنها حق أحاديث الرؤية ونؤمن بأن الله يرى ، نرى ربنا يوم القيامة لا نشك فيه ولا نرتاب ، قال سمعت أبا عبد الله يقول : من زعم أن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر بالله وكذب بالقرآن ، ورد على الله أمره يستتاب فإن تاب وإلا قتل ، قال حنبل : قلت لأبي عبد الله في أحاديث الرؤية فقال هذه صحاح يؤمن بها وتقر بها وكما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وإسناده جيد أقررنا به قال أبو عبد الله إذا لم تقر بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ودفعناه رددنا على الله أمره قال الله عز وجل : (وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا) (٣)

(٢) سورة الأعراف آية ١٤٣

(١) سورة الشورى آية ٥١

(٣) سورة المشر آية ٧

قول إسحق بن راهويه: ذكر الحاكم وشيخ الإسلام وغيرهما عنه أن عبد الله بن طاهر أمير خراسان سأله فقال يا أبا يعقوب هذه الأحاديث التي يروونها في النزول والزوية ما هن؟ فقال رواها من روى الطهارة النسل والصلاة والأحكام وذكر أشياء فإن يكونوا في هذه عدولا، وإلا فقد ارتفعت الأحكام وبطل الشرع. فقال: غفك الله كما شفيتني أو كما قال.

قول جميع أهل الإيمان: قال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتابه: إن المؤمنين لم يختلفوا أن المؤمنين يرون خالقهم يوم المماد ومن أنكر ذلك فليس يؤمن عند المؤمنين.

قول المزني: ذكر الطبري في السنة عن إبراهيم عن أبي داود المصري قال كنا عند نعيم بن حماد جلوساً فقال نعيم للمزني: ما تقول في القرآن؟ فقال أقول إنه كلام الله، فقال غير مخلوق؟ فقال غير مخلوق. قال وتقول إن الله يرى يوم القيامة؟ قال: نعم فلما افترق الناس قام إليه المزني فقال: يا أبا عبد الله شهرتني على رؤوس الناس، قد أكثروا فيك فأردت أن أبرئك.

قول جميع أهل اللغة: قال أبو عبد الله بن بطة سمعت أبا عمر محمد بن الواحد صاحب اللغة يقول: سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلباً يقول في قوله تعالى: (وكان بالمؤمنين رحيماً: تحييمهم يوم يلقونه سلام) (١) أجمع أهل اللغة على أن اللقاء ههنا لا يكون إلا معانية ونظراً بالأبصار وحسبك بهذا الإسناد صحة، واللقاء ثابت بنص القرآن كما تقدم. وبالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم وكل أحاديث اللقاء صحيحة كحديث أنس في قصة حديث بئر معونة «إنا قد لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا» وحديث عبادة وعائشة وأبي هريرة وابن مسعود «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه» وحديث أنس «إنكم ستلقون بمدى أثرة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله» وحديث أبي ذر «لو لقيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لقيتك

يقراها مغفرة» وحديث أبي موسى «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة» وغير ذلك من أحاديث اللقاء التي اطردت كلها بلفظ واحد .

فصل

في وعيد منكرى الرؤية

قد تقدم قوله تعالى : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وقول عبد الله بن المبارك : ما حجب الله عنه أحداً إلا عذبه ثم قرأ قوله تعالى : (ثم إنهم لصالوا الجحيم . ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون) (١) قال بازوية وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال : « قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست فيها سحابة ؟ قالوا : لا ، قال : هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس فيه سحابة ؟ قالوا : لا ، قال : هو الذي نفس محمد بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما . فيلقى العبد فيقول : أى قل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وترفع ؟ فيقول : بلى أى ربى ، فيقول أظننت أنك ملاقى ! فيقول : لا فيقول أنساك كما نسيتى ، ثم يلقى الثانى فيقول أى قل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وترفع ؟ فيقول بلى أى ربى ، فيقول أظننت أنك ملاقى فيقول : لا . فيقول : إني أنساك كأنسيتى ، ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك ، فيقول : يارب آمنت بك وبكتبك ورسلك وصليت وصمت وتصدقت وبتنى بخير ما استطاع . فيقول : ههنا إذا ، ثم يقال : الآن نمت شاهداً عليك فيتفكر في نفسه من الذى يشهد على فيختم على فيه ، ويقال لفتخذه : انطقى ، فينطق فتخذه ولحمه وعظامه بمعله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المتناقض ، وذلك الذى يسخط الله عليه . »

فأجمع بين قوله : فإنكم سترون ربكم . وقوله : لمن ظن أنه غير ملاقيه فإنى أنساك

كانتسبى . وإجماع أهل السنة على أن اللقاء المعاينة بالأبصار ، يحصل لك العلم بأن منكرى الرؤية أحق بهذا الوعيد .

ومن تراجم أهل السنة على هذا الحديث : باب في الوعيد لمنكرى الرؤية ، كله
فصل شيخ الإسلام وغيره ، وبالله التوفيق ،

فصل

قد دل القرآن والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام ، وأهل الحديث
عصابة الإسلام ، ونزل الإيمان وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن الله
سبحانه وتعالى يرى يوم القيامة بالأبصار عياناً كما يرى القمر ليلة البدر صحوماً ، وكما
ترى الشمس في الظهيرة ، فإن كان لما أخبر الله ورسوله عنه من ذلك حقيقة وأن له
والله حق الحقيقة فلا يمكن أن يروه إلا من فوقهم لاستحالة أن يروه من أسفل
منهم أو خلفهم أو أمامهم أو عن يمينهم أو عن شمالهم ، وإن لم يكن لما أخبر به
حقيقة كما يقوله أفراخ الصابئة والفلاسفة والمجوس والفرعونية بطل الشرع والقرآن ،
فإن الذى جاء بهذه الأحاديث هو الذى جاء بالقرآن والشريعة والذى بانها هو
القدى بلغ الدين . فلا يجوز أن يحمل كلام رسوله عظيم بحيث يؤمن ببعض معانيه
ويكفر ببعضها ، فلا يجتمع في قلب العبد بمد الاطلاع على هذه الأحاديث وفهم
معناها إنكارها والشهادة بأن محمداً رسول الله أبداً . والحمد لله الذى هدانا لهذا
وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ، والمنحرفون هم
باب رؤية الرب تبارك وتعالى نوعان :

أحدهما : من يزعم أنه يرى في الدنيا ويحاضر ويسامر .
والثاني : من يزعم أنه لا يرى في الآخرة البتة . ولا يكلم عباده وما أخبر الله
به ورسوله وأجمع عليه الصحابة والأئمة يكذب الفريقين . وبالله التوفيق .

الباب السادس والستون

في تكليمه سبحانه وتعالى لأهل الجنة وخطابه لهم ومحاضرتة إياهم

وسلامه عليهم

قال تعالى : (إن الذين يشترون بهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكهم) (١) وقال في حق الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين لكانوا في ذلك هم وأعداؤه سواء ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدة أصلاً . إذ تكليمه لعباده عند الفرعونية والمطلة مثل أن يقال يؤاكلهم ويشاربهم ، ونحو ذلك تعالى الله عما يقولون : وقد أخبر الله سبحانه أنه يسلم على أهل الجنة . وأن ذلك السلام حقيقة وهو قول من رب رحيم ، وتقدم تفسير النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الآية في حديث جابر في الرؤية ، وأنه يشرف عليهم من فوقهم ويقول « سلام عليكم يا أهل الجنة » فيرونها عياناً ، وفي هذا إثبات الرؤية والتكليم والملاو . والمطلة تنكر هذه الأمور الثلاثة وتكفر القائل بها . وتقدم حديث أبي هريرة في سوق الجنة وقول النبي صلى الله عليه وسلم « ولا يبقى أحد في ذلك المجلس إلا حاضره الله محاضرة ، فيقول يا فلان أتذكر يوم فلت كذا وكذا » الحديث

وتقدم حديث عدى بن حاتم « ما منكم إلا من سيكلمه ربه يوم القيامة » وحديث أبي هريرة في الرؤية وفيه « يقول الرب تبارك وتعالى للمبد : ألم أكرمك وأسودك » الحديث . وحديث بريدة « ما منكم من أحد إلا سيخول به ربه وليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب » الحديث

وحديث أنس في يوم الزيد ومخاطبته فيه لأهل الجنة مرارا ، وبالجملة تأمل
 لأحاديث الرؤية تجد في أكثرها ذكر للتكليم .

قال البخارى في صحيحه باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة . وساق
 فيه عدة أحاديث فأفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه تبارك وتعالى وتكليمه لهم
 فإنكار ذلك إنكار لروح الجنة وأعلى نعيمها وأفضله الذى ما طابت لأهلها إلا به ،
 والله المستعان .

الباب السابع والستون

في أبدية الجنة وأنها لا تنفى ولا تنبذ

هذا مما يعلم بالاضطرار أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر به قال تعالى :
﴿ وأما الذين سمدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء
ربك عطاء غير مجذوذ ﴾ (١) أى مقطوع ، ولا تنافى بين هذا وبين قوله إلا ما شاء
ربك ، واختلف السلف فى هذا الاستثناء . فقال ميمر عن الضحاك : هو فى الذين يخرجون
من النار فيدخلون الجنة يقول سبحانه : إنهم خالدون فى الجنة مادامت السموات
والأرض إلا مدة مكثهم فى النار .

قلت : وهذا يحتمل أمرين :

أحدهما : أن يكون الإخبار عن الذين سمدوا وقع عن قوم مخصوصين
حوم هؤلاء .

والثانى : وهو الأظهر أن يكون وقع عن جملة السمداء والتخصيص
بالمذكورين هو فى الاستثناء وما دل عليه . وأحسن من هذين التقديرين أن
ترد المشبهة إلى الجميع حيث لم يسكونوا فى الجنة فى الموقف ، وعلى هذا فلا يبقى فى
الآية تخصيص . وقالت فرقة أخرى : هو استثناء استثناء الرب تعالى ولا يفعله
كما تقول : والله لا ضربك إلا أن أرى غير ذلك وأنت لا تراه . بل تجزم بضربه .

وقالت فرقة أخرى : الرب إذا استثنى شيئاً كثيراً مع مثله ومع ما هو أكثر
منه ، كان معنى إلا فى ذلك ومعنى الواو سواء والمعنى على هذا سوى ما شاء الله من
الزيادة على مدة دوام السموات والأرض . هذا قول الفراء وسيبويه : يحمل إلا بمعنى

سكن . قالوا : ونظير ذلك أن تقول : لى عليك ألف إلا الألفين الذين قبلها أى سوى الألفين . قال ابن جرير : وهذا هو أحب الوجوهين إلى ، لأن الله تعالى لا خلف لوعده وقد وصل الاستثناء بقوله (عطاء غير مجذوذ) .

قالوا : ونظير أن تقول : أسكنتك دارى حولا إلا ما شئت أى سوى ما شئت من الزيادة عليه .

وقالت فرقة أخرى : هذا الاستثناء إنما هو مدة احتباسهم عن الجنة ما بين اللوت والبعث وهو البرزخ إلى أن يصبروا إلى الجنة ثم هو خلود الأبد فلم يفسبوا عن الجنة إلا بمقدار إقامتهم فى البرزخ . وقالت فرقة أخرى : المزية قد وقعت لهم من الله بالخلود الدائم إلا أن يشاء الله خلاف ذلك إعلاماً لهم بأنهم مع خلودهم فى مشيئته وهذا كما قال لبيبة (ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك) (١) وقوله (فإن يشأ الله يحتم على قلبك) (٢) وقوله (قل لو شاء الله ماتلوتة عليكم) (٣) ونظائرهما وأخبر عباده سبحانه أن الأمور كلها بمشيئته ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن .

وقالت فرقة أخرى : المراد بمدة دوام السموات والأرض فى هذا العالم فأخبر سبحانه أنهم خالدون فى الجنة مدة دوام السموات والأرض إلا ما شاء الله أن يزيدهم عليه . ولعل هذا قول من قال إن إلا بمعنى سوى ولكن اختلفت عبارته وهذا اختيار ابن قتيبة . قال : للمعنى خالدون فيها مدة العالم سوى ما شاء أن يزيدهم من الخلود على مدة العالم . وقالت فرقة أخرى : ما بمعنى من كقوله (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) (٤) والمعنى إلا من شاء ربك أن يدخله النار بذنوبه من السماء . والفرق بين هذا القول وبين أول الأقوال : أن الاستثناء على ذلك القول من المدة وعلى هذا القول من الأعيان .

وقالت فرقة أخرى : المراد بالسموات والأرض سماء الجنة وأرضها وهما باقيتان أبداً وقوله : (إلا ما شاء ربك) إن كانت ما بمعنى من فهم الذين يدخلون النار ثم يخرجون منها وإن كانت بمعنى الوقت فهو مدة احتسابهم فى البرزخ وللوقف ، قال

(٢) سورة الشورى آية ٢٤ .

(٤) سورة النساء آية ٣ .

(١) سورة الإسراء آية ٨٦

(٣) سورة يونس آية ١٦

الجنى : سألت عبد الله بن وهب عن هذا الاستثناء ، فقال سمعت فيه أنه قدر وقوفهم في اللوقف يوم القيامة إلى أن يقضى بين الناس .

وقالت فرقة أخرى : الاستثناء راجع إلى مدة لبثهم في الدنيا وهذه الأقوال متقاربة ويمكن الجمع بينها بأن يقال أخبر سبحانه عن خلودهم في الجنة كل وقت إلا وقتاً يشاء أن لا يكونوا فيها وذلك يتناول وقت كونهم في الدنيا وفي البرزخ وفي موقف القيامة وعلى الصراط ، وكون بعضهم في النار مدة وعلى كل تقدير فهذه الآية من التشابه وقوله فيها (عطاء غير مجذوذ) محكم وكذلك قوله (إن هذا لرزقنا ماله من نفاد) وقوله (أكلها دائم وظلها) وقوله (وما هم منها بمخرجين) .

وقد أكد الله سبحانه خلود أهل الجنة بالتأييد في عدة مواضع من القرآن وأخبر أنهم لا يدوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ، وهذا الاستثناء منقطع وإذا ضمنته إلى الاستثناء في قوله (إلا ما شاء ربك) تبين لك المراد من الآيتين واستثناء الوقت الذي لم يكونوا فيه في الجنة من مدة الخلود كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت فهذه موتة تقدمت على حياتهم الأبدية . وذلك مفارقة للجنة تقدم على خلودهم فيها . وبالله التوفيق .

وقد تقدم قول النبي صلى الله عليه وسلم « من يدخل الجنة ينعم ولا يبؤس ، ويخلد ولا يموت » وقوله « ينادى مناديا أهل الجنة أن لكم أن تصحوا فلا تستموا أبداً ، وأن تشبوا فلا تهرموا أبداً ، وأن تحبوا فلا تموتوا أبداً » .

وثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يحاء بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يقال : يا أهل الجنة فيظلمون مشفقين ويقال يا أهل النار فيظلمون فرحين فيقال هل تعرفون هذا فيقولون : نعم هذا الموت فيذبح بين الجنة والنار ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت » .

فصل

وهذا موضع اختلف فيه للتأخرون على ثلاثة أقوال :

أحدهما : أن الجنة والنار فائتان غير أبديتين بل كما هما حادثتان فهما فائتان .
والقول الثاني : إنهما باقيتان دائمتان لا يفنيان أبداً .

والقول الثالث : إن الجنة باقية أبدية والنار فانية ، ونحن نذكر هذه الأقوال
سوما قبلها وما احتج به أرباب كل قول ، وزد ما خالف كتاب الله وسنة رسوله .
فأما القول بفنائهما فهو قول قاله جهم بن صفوان إمام للمطلة الجهمية ، وليس له فيه
سلف قط من الصحابة ولا من التابعين ولا أحد من أئمة الإسلام ولا قال به أحد
من أهل السنة . وهذا القول مما أنكره عليه وعلى أتباعه أئمة الإسلام وكفروهم
به وصاحوا بهم من أقطار الأرض ، كما ذكره عبد الله ابن الإمام أحمد في كتاب
السنة عن خارجة بن مصعب أنه قال : كفرت الجهمية بثلاث آيات من كتاب الله
عز وجل ، بقول الله سبحانه وتعالى (أكلها دائم وظلها) (١) وهم يقولون لا يدوم ،
وبقول الله تعالى (إن هذا لرزقنا ماله من نفاد) (٢) وهم يقولون ينفد ، ويقول
الله عز وجل (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) (٣) .

قال شيخ الإسلام : وهذا قاله جهم لأصله الذي اعتقده وهو امتناع وجود
ما لا يتناهى من الحوادث وهو عمدة أهل الكلام التي استدلوا بها على حدوث
الأجسام وحدوث ما لم يحل من الحوادث وجعلوا ذلك عمدتهم في حدوث العالم ،
فمرأى الجهم أن ما يمنع من حوادث لا أول لها في الماضي يمنع في المستقبل . فداوم الفعل
يمنع عنده على الرب تبارك وتعالى في المستقبل ، كما هو ممنوع عنده عليه في الماضي .

وأبو الهذيل العلاف شيخ المعتزلة وافقه على هذا الأصل ، لكن قال : إن هذا

(٢) سورة من آية ٥٤

(١) سورة الرعد آية ٣٥

(٣) سورة النحل آية ٩٦

يقتضي فناء الحركات لكونها متعاقبة شيئاً بحد شيء . فقال ببناء حركات أهل الجنة
ولنار حتى يصيروا في سكون دائم لا يقدر أحد منهم على حركة ، وزعمت فرقة من
واقفهم على امتناع حوادث لا نهاية لها أن هذا القول مقتضى العقل ، لكن لما جاء
السمع ببقاء الجنة ولنار قلنا بذلك ، وكأن هؤلاء لم يظلمون ما كان متمماً في العقل
لا يجيء الشرع بوقوعه إذ يستحيل عليه أن يجبر بوجود ما هو ممتنع في العقل وكأنهم
لم يفرقوا بين محالات العقول ومجازاتها ، فالسمع يجيء بالثاني لا بالأول فالسمع
يجيء بما يعجز العقل عن إدراكه ولا يستقل به ولا يجيء بما يعلم العقل إحاطته .

والأكثر من الذين وافقوا جهما وأبا الهذيل على هذا الأصل فرقوا بين الماضي
والمستقبل ، وقالوا : الماضي قد دخل في الوجود بخلاف المستقبل ، والممتنع إنما هو
دخول ما لا يتناهى في الوجود لا تقدير دخوله شيئاً بحد شيء . قالوا : وهذا نظير
أن يقول القائل : لا أعطيك درهماً إلا وأعطيك بحد درهماً آخر فهذا ممكن ، والأول
نظير أن يقول : لا أعطيك درهماً إلا وأعطيك قبله درهماً فهذا محال ، وهؤلاء عندهم
وجود ما لا يتناهى في الماضي محال ووجوده في المستقبل واجب ، ونازعهم في ذلك
آخرون فقالوا بل الأمر في الماضي كالمستقبل ولا فرق بينهما ، بل الماضي والاستقبال
أمر نسي فسكل ما يكون مستقبلاً يصير ماضياً وكل ماضٍ فقد كان مستقبلاً فلا يعقل
إمكان الدوام في أحد طرفين وإحاطته في الطرف الآخر .

قالوا : وهذه مسألة دوام فاعلية الرب تبارك وتعالى وهو لم يزل رباً قادراً
فعلا فإنه لم يزل حياً عليماً قديراً ، ومن المحال أن يكون الفعل متمماً عليه لذاته ،
ثم ينقلب فيصير ممكناً لذاته من غير تجديد شيء وليس للأزل حد محدود حتى يصير
الفعل ممكناً له عند ذلك الحد ويكون قبله متمماً عليه فهذا القول تصوره كاف في
الجزم بفساده ويكفي في فساده أن الوقت الذي انقلب فيه من الإحالة الذاتية إلى
الإمكان الذاتي إما أن يصح أن يفرض قبله وقت يمكن فيه الفعل أو لا يصح .

فإن قائم لا يصح كان هذا تحكما غير معقول وهو من جنس الهوس ، وإن
قلتم يصح : قيل وكذلك ما يفرض قبله لا إلى غاية ، فما من زمن محقق أو مقدار

إلا والفعل يمكن فيه وهو صفة كمال وإحسان ومتلق حمد رب تعالى وربوبيته
وملكه وهو لم يزل رباً جيداً ملكاً قادراً لم تتجدد له هذه الأوصاف كما أنه لم
يزل حياً مريداً عليماً . والحياة والإرادة والعلم والقدرة نقضى آثارها ومتطافها ،
فكيف يعقل حتى قد ير علم مريد ليس له مانع ولا قاهر يقهره يستحيل عليه
أن يفعل شيئاً البتة ؟ .

وكيف يجمل هذا أصل من أصول الدين ويجمل مياراً على ما أخبر الله به
ورسوله ويفرق به بين جائزات المقول ومحالاتها ؟ فإذا كان هذا شأن الميزان
فكيف يستقيم الموزون به ، وأما قول من فرق بأن الماضى قد دخل في الوجود
دون المستقبل فكلام لا تحقيق وراءه ، فإن الذى يحصره الوجود من الحركات
هو التناهى ثم يمدم فيصير ماضياً ، كما ممدوماً لما كان مستقبلاً فوجوده بين
عدمين وكما انقضت جملة حدثت بعدها جملة أخرى ، فالذى صار ماضياً هو بينه
الذى كان مستقبلاً فإن دل الدليل على امتناع . إلا يتناهى شيئاً قبل شيء فهو بمينه ،
حل على امتناعه شيئاً بعد شيء .

وأما تفريقكم بقولكم المستقبل نظير قوله : ما أعطيك درهماً إلا وأعطيك بعده
درهماً فهذا ممكن . والماضى نظير قوله ما أعطيك درهماً إلا وأعطيك قبله درهماً ،
فهذا الفرق فيه تلبيس لا ينجح وليس بنظير ما نحن فيه بل نظيره أن يقول ما أعطيك
درهماً إلا وقد تقدم من إعطاء درهم قبله . فهذا ممكن الدوام في الماضى على حد
إمكانه في المستقبل ولا فرق في العقل الصحيح بينهما البتة، ولما لم يجد الجهم وأبو الهذيل
وأبناءهما بين الأمرين فرقا قالوا : بوجوب تنهى الحركات في المستقبل كما يجب
ابتدؤها عندهم في الماضى

وقال أهل الحديث : بل هما سواء في الإمكان والوقوع ولم يزل الرب سبحانه
وتعالى فما لا لا يريد ولم يزل ولا يزال موصوفاً بصفات السكال ممنوعاً بنموت الجلال ،
وليس المتمكن من الفعل كل وقت كالذى لا يمكنه الفعل إلا في وقت معين وليس
صن يخلق كمن لا يخلق ، ومن يحسن كمن لا يحسن ، ومن يدبر الأمر كمن

لا يدبر، وأى كمال في أن يكون رب العالمين معطلا عن الفعل في مدة مقدرة
أو محققة لا تنتهي يستحيل منه الفعل وحقيقة ذلك أنه لا يقدر عليه

وإن أيتهم هذا الإطلاق وقام إن الحال لا يوصف بكونه غير مقدور عليه،
فجمعهم بين محالين الحكم بإباحة الفعل من غير موجب لإحاطته وانقلابه من الإحالة
الذاتية إلى الإمكان التامى من غير تجديد سبب وزعمهم أن هذا هو الأصل الذى
تثبتون به وجود الصانع وحدوث العالم وقيامه الأبدان فنجيتهم على العقل والشرع،
والرب تعالى لم ينزل قادراً على الفعل والسلام بمشيئته ولم يزل فعلاً لما يريد
سولم يزل رباً محسناً .

والمقصود : أن القول بقاء الجنة والنار قول مبتدع لم يقله أحد من الصحابة
ولا التابعين ولا أحد من أئمة المسلمين . والذين قالوه إنما تلقوه عن قياس فاسد
كما اشتبه أصله على كثير من الناس فاعتقدوه حقاً وبنو عليه القول بمخلق القرآن
وونى الصفات وقد دل القرآن والسنة والعقل الصريح على أن كلمات الله وأفعاله
لا تنتهى ولا تنقطع بآخر ولا تحدىأول قال تعالى (قل لو كان البحر مداداً لكلمات
ربى لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً) (١) .

وقال تعالى : (ولو أن مافى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده
سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم) (٢) فأخبر عن عدم نفاد
كلماته لمزته وحكمته وهذان وصفان ذاتيان له سبحانه وتعالى لا يكون إلا كذلك .

وذكر ابن أبى حاتم فى تفسيره عن سليمان بن عامر قال : سمعت الربيع بن أنس
يقول إن مثل علم العبادة كلهم فى علم الله عز وجل كقطرة من هذه البحور كلها
وقد أنزل الله سبحانه وتعالى فى ذلك (ولو أن مافى الأرض من شجرة
أقلام) - الآية .

(١) سورة الكهف آية ١٠٩ .

(٢) سورة لقمان آية ٢٧ .

وقوله (قل لو كان البحر مداداً — الآية) يقول سبحانه وتعالى قل لو كان البحر مداداً لكلمات الله والشجر أقلام لانكسرت الأقلام وفتى ماء البحر ، وكلمات الله تعالى باقية لا يفنيها شيء ، لأن أحداً لا يستطيع أن يقدر قدره ولا يثني عليه كما يثني بل هو كما أنتى على نفسه إن ربنا كما يقول وفوق ما يقول ، ثم إن مثل نعيم الدنيا أوله وآخره في نعيم الآخرة كعجة من خردل في خلال الأرض كلها .

فصل

وأما أبدية النار ودوامها فقال فيها شيخ الإسلام: فيها قولان معروفان عن السلف والخلف والنزاع في ذلك معروف عن التابعين ، قلت : ههنا أقوال سبعة :

أحدها : أن من دخلها لا يخرج منها أبداً بل كل من دخلها محلد فيها أبداً لا يباد بإذن الله ، وهذا قول الخوارج واللمتزلة .

والثاني : أن أهلها يمدبون فيها مدة ثم تنقلب عليهم وتبقى طبيعة نارية لهم يتلذذون بها لموافقها لطبيعتهم ، وهذا قول إمام الاتحادية ابن عربي الطائفي .

قال في فصوصه : الثناء بصدق الوعد لا يصدق الوعيد والحضرة الإلهية تتطلب الثناء المحمود بالذات ، فيثنى عليها بصدق الوعد لا بصدق الوعيد بل بالتجاوز (فلاتحسبن الله يخلف وعده رسله) (١) لم يقل وعيده بل قال (وتجاوز عن سيئاتهم) (٢) مع أنه توعد على ذلك ، وأثنى على إسماعيل بأنه كان صادق الوعد وقد زال الإمكان في حق الحق من طلب المرجح :

فلم يبق إلا صادق الوعد وحده	وما لوعيد الحق عين تمانين
إن دخلوا دار الشقاء فإنهم	على لذة فيها نعيم مبانين
نعيم جنسان الخلد والأمر واحد	وبينهما عند التجلي تباين
يسمى عذاباً من عذوبة طعمه	وذلك له كالقشر والقشر صابن

(١) سورة إبراهيم آية ٤٧ :

(٢) سورة الأحقاف آية ١٦ .

وهذا في طرف والمعتزلة الذين يقولون لا يجوز على الله أن يخلف وعيده بل يجب عليه تعذيب من توعد بالعذاب في طرف ، فأولئك عندهم لا ينجو من النار من دخلها أصلاً ، وهذا عنده لا يعذب بها أحد أصلاً . والفريقان مخالفان لما علم بالاضطرار أن الرسول جاء به وأخبر به عن الله عز وجل .

الثالث : قول من يقول إن أهلها يمدبون فيها إلى وقت محدود ثم يخرجون منها ويخلفهم فيها قوم آخرون ، وهذا القول حكاه اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم فأكذبهم الله تعالى في القرآن فيه :

فقال تعالى : (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة قل اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده ، أم تقولون على الله ما لا تعملون * بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) (١) .

وقال تعالى : (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم . ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون * ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون) (٢) .

فهذا القول إنما هو قول أعداء الله اليهود فهم شيوخ أربابه والقائلين به . وقد دل القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام على فساد .

قال تعالى : (وما هم بخارجين من النار) وقال (وما هم منها بمخرجين) وقال : (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها) .

وقال تعالى : (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها) وقال تعالى (لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها) (٣) وقال تعالى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) (٤) .

(١) سورة البقرة الآيتان ٨٠ و٨١

(٢) سورة آل عمران آية ٢٣ و٢٤ .

(٣) سورة فاطر آية ٣٦ .

(٤) سورة الأعراف آية ٤٠ .

وهذا أبلغ ما يكون في الإخبار عن استحالة دخولهم الجنة .

الرابع : قول من يقول : يخرجون منها وتبقى ناراً على حالها ليس فيها أحد يهذب ، حكاه شيخ الإسلام . والقرآن والسنة أيضاً يردان على هذا القول كما تقدم .

الخامس : قول من يقول : بل تفتى بنفسها لأنها حادثة بعد أن لم تكن : وما ثبت حدوته استحالة بقاءه وأبديته . وهذا قول جهم بن صفوان وشيعته ولا فرق عنده في ذلك بين الجنة والنار .

السادس : قول من يقول تفتى حياتهم وحركاتهم ويصيرون جماداً لا يتحركون ولا يحسبون بألم . وهذا قول أبي الهذيل الملاف إمام المعتزلة طرداً لامتناع حوادث لانهاية لها . والجنة والنار عنده سواء في هذا الحكم .

السابع : قول من يقول : بل يفنيها ربها وخلقتها تبارك وتعالى ، فإنه جعل لها أمداً تنتهي إليه ثم تفتى ويزول عذابها .

قال شيخ الإسلام : وقد نقل هذا القول عن عمر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم . وقد روى عبد بن حميد وهو من أجل أئمة الحديث في تفسيره للشهور حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن الحسن قال قال عمر : « لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج ، لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه » .

وقال : حدثنا حجاج بن منهال عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن أن عمر ابن الخطاب قال : « لو لبث أهل النار في النار عدد رمل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه » ذكر ذلك في تفسير قوله تعالى : (لا يشين فيها أحقاباً)^(١) فقد رواه عبد وهو من الأئمة الحفاظ وعلماء السنة عن هذين الجليلين سليمان بن حرب وحجاج بن منهال

كلاهما عن حماد بن سلمة وحسبك به وحماد يرويه عن ثابت وحميد وكلاهما يرويه عن الحسن ، وحسبك بهذا الإسناد جلاله .

والحسن وإن لم يسمع من عمر ، فأما رواه عن بعض التابعين ولو لم يصح عنده ذلك عن عمر لما جزم به. وقال : قال عمر بن الخطاب ، ولو قدر أنه لم يحفظ عن عمر فتداول هؤلاء الأئمة له غير مقابلين له بالإسكار والرد مع أنهم ينكرون على من خالف السنة بدون هذا فلو كان هذا القول عند هؤلاء الأئمة من البدع المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأئمة ، لكانوا أول منكر له .

قال : ولا ريب أن من قال هذا القول عن عمر ونقله عنه إنما أراد بذلك جنس أهل النار الذين هم أهلها ، فأما قوم أصيبوا بذنوبهم فقد علم هؤلاء وغيرهم أنهم يخرجون منها ، وأنهم لا يلبثون قدر رمل عالج ولا قريباً منه .

ولفظ أهل النار لا يختص بالموحدين بل يختص بمن عداهم ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ، أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولا يناقض هذا قوله تعالى : (خالدون فيها) وقوله : (وما هم منها بمخرجين) (١) .

بل ما أخبر الله به هو الحق والصدق الذي لا يقع خلافه ، لكن إذا انقضى أجلها وفنيت تفتى الدنيا لم تبق ناراً ولم يبق فيها عذاب قال أرباب هذا القول :

وفي تفسير علي بن أبي طلحة الوالي عن ابن عباس في قوله تعالى : (قال النار مشواكم خالدون فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم) قال : لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه ولا ينزلهم جنة ولا ناراً .

قالوا : وهذا الوعيد في هذه الآية ليس مختصاً بأهل القبلة فإنه سبحانه قال : « ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من

الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجات لنا قال النارموا كم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم . وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون (١).

وأولياء الجن من الإنس يدخل فيهم الكفار قطعاً فإنهم أحق بما الاتهم من عصاة المسلمين، كما قال تعالى : (إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) .

وقال تعالى : (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) (٢) .

وقال تعالى : (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون . وإخوانهم يمدونهم فى النفى ثم لا يقصرون) (٣) .

وقال تعالى : (أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو) (٤) .

وقال تعالى : (فقاتلوا أولياء الشيطان) .

وقال تعالى : (أولئك حزب الشيطان إلا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) (٥)

وقال تعالى : (وإن الشياطين ليوحون إلى أولياهم ليجادلوكم وإن أطعمتوهم إنكم لمشركون) (٦) والاستثناء وقع فى الآية التى أخبرت عن دخول أولياء الشياطين النار .

فمن ههنا قال ابن عباس: لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله . قالوا : وقول من قال إن « إلا » بمعنى سوى أى سوى ما شاء الله أن يزيدهم من أنواع العذاب وزمنه لا تخفى منافرة المستثنى والمستثنى منه، وإن الذى يفهمه المخاطب مخالفة ما بعد « إلا » لما قبلها .

(٢) سورة النحل الآيات ٩٩ و١٠٠

(٤) سورة الكهف آية ٥٠

(٦) سورة الأنعام آية ١٢١

(١) سورة الأنعام الآيات ١٢٨ - ١٢٩

(٣) سورة الأعراف آية ٢٠١

(٥) سورة المجادلة آية ١٩

قالوا: وقول من قال إنه لإخراج ما قبل دخولهم إليها من الزمان كزمان البرزخ والوقوف ومدة الدنيا أيضاً ، لا يساعد على وجه الكلام ، فإنه استثناء من جملة خبرية مضمونها أنهم إذا دخلوا النار لبثوا فيها مدة دوام السموات و الأرض إلا ما شاء الله .

وليس المراد الاستثناء قبل الدخول هذا ما لا يفهمه المخاطب ألا ترى أنه سبحانه يخاطبهم بهذا في النار حين يقولون (ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا) فيقول لهم حينئذ : (النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله) .

وفي قوله : (ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا) نوع اعتراف واستسلام وتحسر أى استمتع الجن بنا واستمتعنا بهم ، فاشركنا في الشرك ودواعيه وأسبابه ، وآثرنا الاستمتاع على طاعتك وطاعة رسلك ، وانقضت آجالنا وذهبت أعمارنا في ذلك ولم نكتسب فيها رضاك ، وإنما كان غاية أمرنا في مدة آجالنا استمتاع بعضنا ببعض .

فتأمل ما في هذا من الاعتراف بحقيقة ما هم عليه وكيف بدت لهم تلك الحقيقة ذلك اليوم ، وعلموا أن الذي كانوا فيه في مدة آجالهم هو حظهم من استمتاع بعضهم ببعض ولم يستمتعوا بعبادة ربهم ومعرفة وتوحيده ومحبته وإيثار مرضاته .

وهذا من نمط قولهم : (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) وقوله : (فاعترفوا بذنبهم) وقوله : (فاعلموا أن الحق لله) ونظائره . والمقصود أن قوله (إلا ما شاء الله) عائد إلى هؤلاء المذكورين مختصاً بهم أو شاملاً لهم ولعصاة الموحدين ، وأما اختصاصه بعصاة المسلمين دون هؤلاء فلا وجه له .

ولما رأث طائفة ضعف هذا القول قالوا : الاستثناء يرجع إلى مدة البرزخ والوقوف . وقد تبين ضعف هذا القول ، ورأت طائفة أخرى أن الاستثناء يرجع إلى نوع آخر من المذاب غير النار .

قالوا : والمعنى أنكم في النار أبداً إلا ما شاء الله أن يمدبكم بغيرها وهو الزمهر

وقد قال تعالى (إن جهنم كانت مرصداً . للاطغين مآباً . لا يشين فيها أحقاباً) (١).

قالوا : والابد لا يقدر بالاحقاب .

وقد قال ابن مسعود في هذه الآية : لياتين على جهنم زمان وليس فيها أحد وذلك بمد ما يلبثون فيها أحقاباً ، وعن أبي هريرة مثله حكاة البعوى عنهما . ثم قال : ومعناه عند أهل السنة إن ثبت أنه لا يبقى فيها أحد من أهل الإيمان .

قالوا : قد ثبت ذلك عن أبي هريرة وابن مسعود وعبد الله بن عمر وقد سأل حرب إسحق بن راهويه عن هذه الآية فقال : سألت إسحق قلت قوله الله تعالى : (خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك) فقال : أنت هذه الآية على كل وعيد في القرآن .

حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا معتمر بن سليمان قال : قال أبي حدثنا أبو نصره عن جابر أو أبي سعيد أو بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال هذه الآية تأتي على القرآن كاة : (إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد) (٢) .

قال المعتمر : قال أتى على كل وعيد في القرآن ، حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي عن شعبة عن أبي بلخ سمع عمرو بن ميمون يحدث عن عبد الله بن عمرو قال لياتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد ، وذلك بمد ما يلبثون فيها أحقاباً .

حدثنا عبيد الله حدثنا أبي حدثنا شعبة عن يحيى بن أيوب عن ابن زرع عن أبي هريرة قال : ما أنا بالذي لا أقول إنه سيأتي على جهنم يوم لا يبق فيها أحد ، وقرأ قوله : (فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق) الآية (٣) .

(١) سورة النبأ الآيات ٢١ - ٢٣ .

(٢) سورة هود آية ١٠٧ .

(٣) سورة هود آية ٦٠٦ .

قال عبيد الله : كان أصحابنا يقولون يعنى به الموحدين حدثنا أبو معن حدثنا وهب بن جرير حدثنا شعبة عن سليمان التيمي عن أبي نضرة عن جابر بن عبد الله أو بعض أصحابه في قوله (خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك) (١) قال هذه الآية تأتي على القرآن كله . وقد حكى ابن جرير هذا القول في تفسيره عن جماعة من السلف فقال : وقال آخرون عنى بذلك أهل النار وكل من دخلها . ذكر من قال ذلك ثم ذكر الآثار التي تذكرها .

وقال عبد الرزاق أنبأنا ابن النيمي عن أبيه عن أبي نضرة عن جابر أو أبي سعيد أو عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله (إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد) قال هذه الآية تأتي على القرآن كله يقول حيث كان في القرآن خالدين فيها تأتي عليه قال : وسمعت أبا مجاز يقول : جزاؤه فإن شاء الله تجاوز عن عذابه .

وقال ابن جرير حدثنا الحسن بن يحيى أنبأنا عبد الرزاق فذكره قال وحدثنا عن المسيب عمه ن ذكره عن ابن عباس : (خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك) قال استثنى الله قال أمر الله النار أن تأكلهم . قال : وقال ابن مسعود : ليأتين على جهنم زمان نحق أبوابها ليس فيها أحد بعد ما يلبثون فيها أحقاباً ، حدثنا ابن حميد حدثنا جرير بيان عن الشعبي قال : جهنم أسرع الدارين عمراً ، وأسرعها خراباً ،

وحكى ابن جرير في ذلك قولاً آخر فقال : وقال آخرون أخبرنا الله عز وجل بمشيئته لأهل الجنة فمرنا معنى ثنياه بقوله « عطاء غير مجدوذ » وأنها لفي الزيادة على مقدار مدة السموات والأرض قالوا : ولم يخبرنا بمشيئته في أهل النار ، وجائز أن تكون مشيئته في الزيادة وجائز أن تسكون في النقصان . حدثني يونس أنبأنا ابن وهب قال : قال ابن زيد في قوله تعالى : (خالدين فيها مادامت السموات والأرض

إلا ماشاء ربك) فقراً حق باغ (عطاء غير مجذوذ) فقال أخبرنا بالذي يشاء لأهل الجنة فقال (عطاء غير مجذوذ) ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار .

وقال ابن مردويه في تفسيره : حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا جبير بن عرفة حدثنا يزيد بن مروان الخلال حدثنا أبو خليل حدثنا سفيان يعني الثوري عن عمرو ابن دينار عن جابر قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فأما الذين شقوا في النار لهم فيها زفير وشهيق . خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ماشاء ربك) (١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن شاء الله أن يخرج أناساً من الذين شقوا من النار فيدخلهم الجنة فعل » . وهذا الحديث يدل على أن الاستثناء إنما هو للخروج من النار بعد دخولها خلافاً لمن زعم أنه لما قبل الدخول ، ولكن إنما يدل على إخراج بعضهم من النار ، وهذا حق بلا ريب وهو لا ينفي انقطاعها وفناء عذابها وأكلها لمن فيها وأنهم يمدبون فيها دائماً ما دامت كذلك وما هم منها بمخرجين ، فالحديث دل على أمرين : أحدهما : أن بعض الأشقياء إن شاء الله أن يخرجهم من النار وهي نار فعل ، وإن الاستثناء إنما هو فيما بعد دخولها لأنها قبله وعلى هذا فيكون معنى الاستثناء إلا ماشاء ربك من الأشقياء فإنهم لا يخلدون فيها ويكون الأشقياء نوعين نوعاً يخرجون منها ونوعاً يخلدون فيها فيكونون من الذين شقوا أولاً ثم يصيرون من الذين سعدوا فتجتمع لهم الشقاوة والسعادة في وقتين قالوا وقد قال تعالى (إن جهنم كانت مرصداً ، لاطاعين مآباً ، لا تبين فيها أحقاباً ، لا يذوقون فيها برداً ولا شرباً ، إلا حميماً وغساقاً ، جزاء وفاقاً ، إنهم كانوا لا يرجون حساباً ، وكذبوا بآياتنا كذاباً) (٢) فهذا صريح في وعيد الكفار المسكذبين بآياته ولا يقدر الأبدى بهذه الأحقاب ولا غيرها ، كما لا يقدر به القديم . ولهذا قال عبدالله بن عمرو فيما رواه شعبة عن أبي بلعج سمع عمرو بن ميمون يحدث عنه « ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقاباً » .

(١) سورة هود الآيات ١٠٦ و١٠٧ .

(٢) سورة النبأ الآيات ٢١ - ٢٨ .

فصل

والذين قطعوا بدوام النار لهم ست طرق :

أحدها : اعتقاد الإجماع فكثير من الناس يعتقدون أن هذا مجمع عليه بين الصحابة والتابعين لا يختلفون فيه ، وأن الاختلاف فيه حادث وهو من أقوال أهل البدع .

الطريق الثاني : أن القرآن دل على ذلك دلالة قطعية فإنه سبحانه أخبر أنه عذاب مقيم ، وأنه لا يفتزعهم وأنه لن يزيدهم إلا عذاباً وأنهم خالدون فيها أبداً ومأمم بخارجين من النار ، ومأمم منها بمخرجين ، وأن الله حرم الجنة على الكافرين وأنهم لا يدخلون الجنة حتى يبلج الجمل في سم الخياط ، وأنهم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها وأن عذابها كان غراماً ، أى مقبلاً لازماً . قالوا وهذا يفيد القطع بدوامه واستمراره .

الطريق الثالث : أن السنة المستفيضة أخبرت بخروج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان دون الكفار ، وأحاديث الشفاعة من أولها إلى آخرها صريحة بخروج عصاة الموحدين من النار وأن هذا حكم مختص بهم فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم ولم يختص الخروج بأهل الإيمان .

الطريق الرابع : أن الرسول وقفنا على ذلك وعلمناه من دينه بالضرورة من غير حاجة بنا إلى نقل معين ، كما علمنا من دينه دوام الجنة وعدم فنائها .

الطريق الخامس : أن عقائد السلف وأهل السنة مصرحة بأن الجنة والنار مخلوقتان وأنهما لا يفنيان بل هما دائمتان ، وإنما يذكرن فناءهما عن أهل البدع .

الطريق السادس : أن العقل يقضى بخلود الكفار في النار ، وهذا مبنى على قاعدة وهي أن المعاد وثواب النفوس المطيعة وعقوبة النفوس الفاجرة هل هو مما

يُعلم بالعقل أولاً يعلم إلا بالسمع ؟ فيه طريقتان لنظار المسلمين ، وكثير منهم يذهب إلى أن ذلك يعلم بالعقل مع السمع ، كما دل عليه القرآن في غير موضع ، كإنكاره سبحانه على من زعم أنه يسوي بين الأبرار والفسجار ، في الحيا والمات وعلى من زعم أنه خلق خلقه عبثاً ، وأنهم إليه لا يرجعون ، وأنه يتركهم سدى أى لا يشيهم ولا يعاقبهم ، وذلك يقدر في حكمته وكاله ، وأنه نسبه إلى ما لا يليق به وربما قرره بأن النفوس البشرية باقية واعتقاداتها وصفاتها لازمة لها لا تفارقها وإن ندمت عليها ، لما رأت العذاب فلم تندم عليها لقبحها أو كراهة ربها لها ، بلى لوفارقتها العذاب رجعت كما كانت أولاً قال تعالى : (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ، بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا مادوا لها نهوا عنه وإنهم لسكاذبون) (١) .

فهؤلاء قد ذاقوا العذاب وباشروه ولم يزل سببه ومقتضيه من نفوسهم بل خبئها وكفرها قائم بها لم يفارقها بحيث لو ردوا لمادوا كفاراً كما كانوا وهذا يدل على أن دوام تمذيبهم يقضى به العقل كما جاء به السمع ، قال أصحاب إفتاء الكلام على هذه الطرق يبين الصواب في هذه المسألة .

فأما الطريق الأول فالإجماع الذى ادعيتوه غير معلوم ، وإنما يظن الإجماع في هذه المسألة من لم يعرف النزاع ، وقد عرف النزاع فيها قديماً وحديثاً بل لو كاف مدعى الإجماع أن ينقل عن عشرة من الصحابة فما دونهم إلى الواحد أنه قال : إن النار لا تنفى أبداً ، لم يجد إلى ذلك سبيلاً .

ونحن قد نقلنا عنهم التصريح بخلاف ذلك فما وجدنا عن واحد منهم خلاف ذلك بل التابعون حكوا عنهم هذا وهذا ، قالوا : والإجماع المعتد به نوعان ، متفق عليهما ، ونوع ثالث مختلف فيه ، ولم يوجد واحد منها في هذه المسألة النوع الأول ما يكون معلوماً من ضرورة الدين كوجوب أركان الإسلام وتحريم المحرمات الظاهرة .

الثاني : ما ينقل عن أهل الاجتهاد التصريح بحكمه .

الثالث : أن يقول بعضهم القول وينشر في الأمة ولا ينكره أحد ، فأين معكم واحد من هذه الانواع ، ولو أن قائلنا ادعى الإجماع من هذه الطرق واحتج أن الصحابة صح عنهم ولم ينكر أحد منهم عليه لسكان أسعد بالإجماع منكم .

قالوا : وأما الطريق الثاني وهو دلالة القرآن على بقاء النار وعدم فنائها ، فأين في القرآن دليل واحد يدل على ذلك ؟ نعم ، الذي دل عليه القرآن أن الكفار خالدون في النار أبداً ، وأنهم غير خارجين منها وأنه لا يفتر عنهم عذابها وأنهم لا يموتون فيها وأن عذابهم فيها مقيم ، وأنه غرام لازم لهم وهذا كله مما لا نزاع فيه بين الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وليس هذا مورد النزاع وإنما النزاع في أمر آخر وهو أنه هل النار أبدية أو مما كتب عليه الفناء ؟ وأما كون الكفار لا يخرجون منها ولا يفتر عنهم من عذابها ولا يقضى عليهم قيموتوا ولا يدخلون الجنة حتى يبلغ الجبل في سم الحياض فلم يختلف في ذلك الصحابة ولا التابعون ولا أهل السنة وإنما خالف في ذلك من قد حكينا أقوالهم من اليهود والاتحادية وبعض أهل البدع . وهذه النصوص وأمثالها تقتضي خروجهم في دار العذاب مادامت باقية ولا يخرجون منها مع بقائها البتة كما يخرج أهل التوحيد منها مع بقائها . فالفرق بين من يخرج من الحبس وهو حبس على حاله وبين من يبطل حبسه بخراب الحبس وانتقاضه .

قالوا : وأما الطريق الثالث ، وهو مجيء السنة المستفيضة بخروج أهل الكبار من النار دون أهل الشرك فهي حق لا شك فيه وهي إنما تدل على ما قلناه من خروج الموحدين منها وهي دار العذاب لم تكن ويبقى المشركون فيها مادامت باقية والنصوص دلت على هذا وعلى هذا .

قالوا : وأما الطريق الرابع : وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفنا على ذلك ضرورة فلا ريب أنه من المعلوم من دينه بالضرورة أن الكفار باقون فيها

مادامت باقية هذا معلوم من دينه بالضرورة ، وأما كونها أبدية لا انتهاء لها ولا تنفى كالجنة ، فأين في القرآن والسنة دليل واحد يدل على ذلك .

قالوا : وأما الطريق الخامس وهو أن عقائد أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان لا يفنيان أبداً . فلا ريب أن القول بفنائهما قول أهل البدع من الجهمية والمعتزلة . وهذا القول لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أحد من أئمة المسلمين وأما فناء النار وحدها فقد أوجدناكم من قال به الصحابة وتفريقهم بين الجنة والنار فكيف يكون القول به أقوال أهل البدع مع أنه لا يعرف عن أحد من أهل البدع التفريق بين الدارين ، فقولكم إنه من أقوال أهل البدع كلام من لا خبرة له بمقالات بني آدم وآرائهم واختلافهم .

قالوا : والقول الذي يمد من أقوال أهل البدع ما خالف كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة ، إما الصحابة أو من بعدهم ، وإما قول يوافق الكتاب والسنة وأقوال الصحابة فلا يمد من أقوال أهل البدع وإن دانوا به واعتقدوه فالحق يجب قبوله ممن قاله . والباطل يجب رده على من قاله وكان معاذ بن جبل يقول : « الله حكم قسط هلك المرتابون إن من ورائكم قتناً يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يقرؤه المؤمن والمنافق والمرأة والصبي والأسود والأحمر فيوشك أحدهم أن يقول : قد قرأت القرآن فما أظن أن يتبعوني حتى أبتدع فإن كل بدعة ضلالة وإياكم وزينة الحكيم ؟ فإن للشيطان قد يتكلم على لسان الحكيم بكلمة الضلالة ، وإن المنافق قد يقول : كلمة الحق فتلقوا الحق عمن جاء به فإن على الحق نوراً ، قالوا : وكيف زينة الحكيم ، قال : هي الكلمة تروعيك وتذكرونها وتقولون ما هذه ؟ فاحذروا زيقته ولا تصدركم عنه فإنه يوشك أن يفى وأن يراجع الحق ، وإن العلم والإيمان مكانهما إلى يوم القيامة . »

والذي أخبر به أهل السنة في عقائدهم هو الذي دل عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه السلف أن الجنة والنار مخلوقتان ، وأن أهل النار لا يخرجون منها ولا يخفف عنهم من عذابها ولا يفتر عنهم وأنهم خالدون فيها ، ومن ذكر منهم أن النار لا تنفى

أبدأ فإعنا قاله لظنه أن بعض أهل البدع قال بفنائها ، ولم يباينه تلك الآثار التي تقدم ذكرها قالوا . وأما حكم العقل بتخليد أهل النار ، فيها ، فأخبار عن العقل بما ليس عنده ، فإن المسألة من المسائل التي لا تعلم إلا بخبر الصادق :

وأما أصل الثواب والعقاب : فهل يعلم بالعقل مع السمع أو لا يعلم إلا بالسمع وحده ؟ ففيه قولان لنظار المسلمين من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم ، والصحيح أن العقل دل أعلى المعاد والثواب والعقاب إجمالاً وأما تفصيله فلا يعلم إلا بالسمع ودوام الثواب والعقاب ما لا يدل عليه العقل بمجرد ، وإنما علم بالسمع وقد دل السمع دلالة قاطمة على دوام ثواب المطيعين ، وأما عقاب العصاة فقد دل السمع أيضاً دلالة قاطمة على انتقاعه في حق الموحدين ، وأما دوامه وانتقاعه في حق الكفار فهذا معترك الغزال فمن كان السمع من جانبه فهو أسعد بالصواب . وبالله التوفيق .

فصل

ونحن نذكر الفرق بين دوام الجنة والنار شرعاً وعقلاً وذلك يظهر من وجوه :

أحدها : أن الله سبحانه وتعالى أخبر ببقاء نعيم أهل الجنة ودوامه وأنه لا نفاد له ولا انتقاع وأنه غير مجدود ، وأما النار فلم يخبر عنها بأكثر من خلود أهلها فيها وعدم خروجهم منها وأنهم لا يموتون فيها ولا يحيون وأنها مؤصدة عليهم وإنهم كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدها فيها وأن عذابها لازم لهم وأنه مقيم عليهم لا يفتقر عنهم والفرق بين الخبرين ظاهر .

الوجه الثاني : أن النار قد أخبر سبحانه وتعالى في ثلاث آيات عنها بما يدل على عدم أبديتها . الأولى : قوله سبحانه وتعالى : (قال النار مثواكم خالدین فيها إلا ما شاء الله إن ربكم حكيم عليهم) (١) الثانية : قوله (خالدین فيها ما دامت السموات

والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد (١) .

الثالثة : قوله : (لا يبين فيها أحقاباً) (٢) ولولا الأدلة القطعية الدالة على أبدية الجنة ودوامها لكان حكم الاستثناءين في الموضعين واحداً كيف وفي الآيتين من السياق ما يفرق بين الاستثناءين فإنه قال في أهل النار : (إن ربك فعال لما يريد) (٣) فعلمنا أنه سبحانه وتعالى يريد أن يفعل فعلاً لم يخبرنا به ، وقال في أهل الجنة : (عطاء غير مجذود) (٤) فعلمنا أن هذا العطاء والنعم غير مقطوع عنهم أبداً . فالعذاب مؤقت معلق والنعم ليس بمؤقت ولا معلق .

الوجه الثالث : أنه قد ثبت أن الجنة لم يدخلها من لم يعمل خيراً قط من المذنبين الذين يخرجهم الله من النار ، وأما النار فلم يدخلها من لم يعمل سوءاً قط ولا يعذب إلا من عصاه .

الوجه الرابع : أنه قد ثبت أن الله سبحانه وتعالى ينشئ للجنة خلقاً آخر يوم القيامة يسكنهم إياها ولا يفعل ذلك بالنار ، وأما الحديث الذي قد ورد في صحيح البخارى من قوله : « وأما النار فينشئ الله لها خلقاً آخرين » فمطلوع من بعض الرواة انقلب عليه الحديث وإنما هو ما ساقه البخارى في الباب بنفسه « وأما الجنة فينشئ الله لها خلقاً آخرين » ذكره البخارى رحمه الله مبيئاً أن الحديث انقلب لفظه على من رواه بخلاف هذا وهذا ، والمقصود أنه لا تقاس النار بالجنة في التأيد مع هذه الفروق .

يوضحه الوجه الخامس : أن الجنة من موجب رحمته ورضاه ، والنار من غضبه وسخطه ، ورحمته سبحانه تناب غضبه وتسبقه ، كما جاء في الصحيح من حديث أبي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو

(١) سورة هود آية ١٠٧ .

(٢) سورة النبأ آية ٢٣ .

(٣) سورة هود آية ١٠٧ .

(٤) سورة هود آية ١٠٨ .

عنده موضوع على العرش أن رحمتي تغلب غضبي » وإذا كان رضاه قد سبق غضبه وهو يقبله كان للتسوية بين ما هو من موجب رضاه وما هو من موجب غضبه متمماً .

يوضحه الوجه السادس : أن ما كان بالرحمة وللرحمة فهو مقصود لذاته قصد الغايات وما كان من موجب الغضب والسخط فهو مقصود لغيره قصد الوسائل فهو مسبوق مغلوب مراد لغيره وما كان للرحمة فغالب سابق مراد لنفسه .

يوضحه الوجه السابع : وهو أنه سبحانه قال للجنة : أنت رحمتي أرحم بك من أشاء وقال للنار : أنت عذابي أعذب بك من أشاء ، وعذابه مفعول منفصل ، وهو ناشئ عن غضبه ، ورحمته ههنا هي الجنة وهي رحمة مخلوقة ناشئة عن الرحمة التي هي صفة الرحمن فههنا أربعة أمور رحمة هي وصفه سبحانه ، وثواب منفصل هو ناشئ عن رحمته ، وغضب يقوم به سبحانه ، وعقاب منفصل ينشأ عنه فإذا غلبت صفة الرحمة صفة الغضب فلا أن يغلب ما كان بالرحمة لما كان بالغضب أولى وأحرى ، فلا تقاوم النار التي نشأت عن الغضب الجنة التي نشأت عن الرحمة

يوضحه الوجه الثامن : أن النار خلقت تخويلاً للمؤمنين وتطهيراً للاخطئين والمجرمين ، فهي طهرة من الخبث الذي اكتسبته النفس في هذا العالم فإن تطهرت ههنا بالتوبة النصوح والحسنات الماحية والمصائب المكفرة لم يحتاج إلى تطهير هناك وقيل لها مع جملة الطيبين سلام عليكم طيبم فادخلوها خالدين . وإن لم تتطهر في هذه الدار ووافت الدار الأخرى بدونها ونجاستها وخبثها أذخت النار طهرة لها ويكون مكثها في النار بحسب زوال ذلك الدرن والخبث والنجاسة التي لا يفساها الماء ، فإذا تطهرت الطهر التام أخرجت من النار والله سبحانه خلق عباده حنفاء وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها ، فلو خلوا وفطروهم لما نشؤوا إلا على التوحيد ولكن عرض لاكثر الفطر ما غيرها ، ولهذا كان نصيب النار أكثر من نصيب الجنة وكان هذا التغيير مراتب لا يحصيها إلا الله فأرسل الله رسوله ، وأزل كتبه يذكر عباده بفطرته التي فطرهم عليها ، فعرف الموفقون الذين سبقتم لهم من الله الحسنى صحة ما جاءت

به فالرسل ونزلت به الكتب بالفطرة الأولى فتوافق عندهم شرع الله ودينه الذي أرسل به رسله وفطرته التي فطرهم عليها فمنعهم الشرعة المنزلة والفطرة المكملّة ، أن تسكتب نفوسهم خبيثاً ونجاسة ودرناً يعلق بها ولا يفارقها ، بل كلما لم بهم شيء من ذلك ومسهم طائف من الشيطان أغاروا عليه بالشرعة والفطرة فأزالوا موجبيه وأثره ، وكل لهم الرب تعالى ذلك بأقضية يقضيها لهم مما يحبون أو يكرهون ، تمحص عنهم تلك الآثار التي شوشت الفطرة فجاء مقتضى الرحمة فصادف مكاناً قابلاً مستعداً لها ليس فيه شيء يدافعه فقال هنا أمرت وليس لله سبحانه غرض .

في تمذيب عباده بغير موجب كما قال تعالى (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكراً علياً)^(١) واستمر الأشقياء مع تغيير الفطرة ونقلها مما خلقت عليه إلى ضده حتى استحکم الفساد وتم التغيير ، فاحتاجوا إلى إزالة ذلك إلى تغيير آخر وتطهير ينقلهم إلى الصحة حيث لم تنقلهم آيات الله للتلاوة والخلقوة وأنداره المحبوبة والمكروهة في هذه الدار ، فأتاح لهم آيات أخر وأقضية ، وعقوبات فوق التي كانت في الدنيا تستخرج ذلك الخبيث والنجاسة التي لا تزول بغير النار ، فإذا زال موجب العذاب وسببه زال العذاب وبقي مقتضى الرحمة لا ممرض له ، فإن قيل هذا حق ولكن سبب التمذيب لا يزول إلا إذا كان السبب عارضاً كما صي للموحدين ، أما إذا كان لازماً كالكفر والشرك فإن أثره لا يزول كما يزول السبب ، وقد أشار سبحانه إلى هذا المعنى بعينه في مواضع من كتابه منها : قوله تعالى (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) فهذا إخبار بأن نفوسهم وطبائهم لا تقتضى غير الكفر والشرك ، وأنها غير قابلة للإيمان أصلاً . ومنها قوله تعالى : (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً)^(٢) فأخبر سبحانه أن ضلالهم وعمامهم عن الهدى دائم لا يزول حتى مع ممانئة الحقائق التي أخبرت بها الرسل ، وإذا كان العمى والضلال لا يفارقهم فإن موجبيه وأثره ومقتضاه لا يفارقهم . ومنها : قوله تعالى (ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ، ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون)^(٣) وهذا يدل على أنه

(١) سورة النساء آية ١٤٧ .

(٢) سورة الإسراء آية ٧٢ .

(٣) سورة الأنفال آية ٢٣ .

ليس فيهم خير يقتضى الرحمة ولو كان فيهم خير لما ضيع عليهم أجره ، ويدل على أنهم لا خير فيهم هناك أيضاً قوله « أخرجوا من النار من كان في قلبه أدنى مثقال ذرة من خير » ولو كان عند هؤلاء أدنى مثقال ذرة من خير لخرجوا منها مع الخارجين .

قيل : لعمر الله إن هذا لمن أقوى ما يتمسك به من المسألة ، وإن الأمر لكما قلتم ، وإن العذاب يدوم بدوام موجبه وسببه ، ولا ريب أنهم في الآخرة في عمى وضلال كما كانوا في الدنيا وبواطنهم خبيثة كما كانت في الدنيا ، والمذاب مستمر عليهم دائماً ما داموا كذلك : ولكن هل هذا الكفر والتكذيب والحجث أمر ذاتي لهم زواله مستحيل أم هو أمر عارض طارئ على الفطرة قابل للزوال ؟ هذا حرف للمسألة وليس بأيديكم ما يدل على استحالة زواله وأنه أمر ذاتي وقد أخبر سبحانه أنه فطر عباده على الخيفية ، وأن الشياطين اجتالهم عنها فلم يفطروهم سبحانه على الكفر والتكذيب ، كما فطر الحيوان البهيم على طبيعته وإنما فطروهم على الإقرار بخالقهم ومحبته وتوحيده .

فإذا كان هذا الحق الذي قد فطروا عليه وخلقوا عليه قد أمكن زواله بالكفر والشرك الباطل فإمكان زوال الكفر والشرك الباطل بضده من الحق أولى وأحرى ، ولا ريب أنهم لو ردوا على تلك الحال التي هم عليها لمادوا لما نهوا عنه ولكن من أين لكم أن تلك الحال لا تزول ولا تتبدل بنشأة أخرى ينشئهم فيها تبارك وتعالى إذا أخذت النار مأخذها منهم ، وحصلت الحكمة المطلوبة من عذابهم ، فإن العذاب لم يكن سدى وإنما كان الحكمة المطلوبة . فإذا حصلت تلك الحكمة لم يبق في التعذيب أمر يطلب ولا غرض يقصد والله سبحانه ليس يشتهي بعذاب عباده كما يشتهي المظلوم من ظالمه وهو لا يعذب عبده لهذا الغرض ، وإنما يعذبه طهرة له ورحمة به فمذابه مصلحة له ، وإن تألم به غاية الألم . كما أن عذابه بالحدود في الدنيا مصلحة لأربابها .

وقد سمي الله سبحانه الحد عذاباً وقد اقتضت حكمته سبحانه أن جعل لكل (٢٤ - حادى الأرواح)

داء دواء يناسبه ، ودواء الهداء المضال يكون من أشق الأدوية ، والطبيب الشفيق يكوى المريض بالنار كيأ بعد كي ليخرج منه المادة الرديئة للطائرة على الطبيعة المستقيمة وإن رأى قطع العضو أصلح للعليل قطعه وأذاقه أشد الألم . فهذا قضاء الرب وقدره في إزالة مادة غريبة طرأت على الطبيعة المستقيمة بشير اختيار العبد ، فكيف إذا طرأ على الفطرة السليمة مواد فاسدة باختيار العبد وإرادته ؟

وإذا تأمل اللبيب شرع الرب تعالى وقدره في الدنيا وثوابه وعقابه في الآخرة وجد ذلك في غاية التناسب والتوافق وارتباط ذلك بهمه ببعض فإن مصدر الجميع عن علم تام وحكمة بالغة ورحمة سائبة وهو سبحانه الملك الحق البين وملئكه ملك ورحمة وإحسان وعدل .

الوجه التاسع : أن عقوبته للعبد ليست لحاجته إلى عقوبته لانه لانه تعود إليه ولالذفع مضرة وألم يزول عنه بالعقوبة . بل يتعالى عن ذلك ويتنزه كما يتعالى عن سائر العيوب والنقائص ، ولا هي عبث محض خال عن الحكمة والغاية الحميدة فإنه أيضاً يتنزه عن ذلك ويتعالى عنه ، فإما أن يكون من تمام نعم أوليائه وأحبابه ، وإما أن يكون من مصلحة الأشقياء ومداوانهم ، أو لهذا ولهذا .

وطى التقادير الثلاث : فالتمذيب أمر مقصود لغيره قصد الوسائل لا قصد الغايات والمراد من الوسيلة إذا حصل على الوجه المطلوب زال حكمها ، ونعم أوليائه ، ليس متوقفاً في أصله ولا في كماله على استمرار عذاب أعدائه ، ودوامه ومصلحة الأشقياء ليست في الدوام والاستمرار ، وإن كان في أصل التمذيب مصلحة لهم .

الوجه العاشر : أن رضا الرب تبارك وتعالى ورحمته صفتان ذاتيتان له ، فلا ملتهى لرضاه بل كما قال أعلم الخلق به : سبحانه الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته . فإذا كانت رحمته غلبت غضبه فإن رضا نفسه أعنى وأعظم ، فإن رضوانه أكثر من الجنات ونعيمها وكل ما فيها وقد أخبر أهل الجنة أنه يحمل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبداً . وأما غضبه تبارك وتعالى وسخطه فليس من

صفاته الذاتية التي يستحيل انكارها عنها بحيث لم ينزل ولا يزال غضبان والناس لهم في
صفة الغضب قولان :

أحدهما : أنه من صفاته الفعلية القائمة به كسائر أعماله .

والثاني : أنه صفة فعل منفصل عنه غير قائم به . وعلى القولين فليس كالحياة
والعلم والقدرة التي يستحيل مفارقتها والمذاب إنما ينشأ من صفة غضبه وما سمرت
النار إلا بغضبه ، وقد جاء في أثر مرفوع « إن الله خلق خلقاً من غضبه وأسكنهم
بالمشرق وينتقم بهم ممن عصاه » فخلقوا منه سبحانه نوعان نوع مخلوق من الرحمة
ومو بالرحمة . ونوع مخلوق من الغضب وبالغضب . فإنه سبحانه له الكمال المطلق من
جميع الوجوه الذي يتزهد عن تقدير خلافه ومنه أنه يرضى ويغضب ويثيب ويعاقب
ويعطى ويمنع ويمز ويذل وينتقم ويعفو . بل هذا موجب لما كره الحق وهو حقيقة
الملك المقرون بالحكمة والرحمة والحمد ، فإذا زال غضبه سبحانه وتبدل برضاه زالت
عقوبته وتبدلت برحمته فانقلبت العقوبة رحمة بل لم تنزل رحمة وإن تنوعت صفاتها
وصورتها كما كان عقوبة العصاة رحمة وإخراجهم من النار رحمة ، فتقبلوا في رحمته
في الدنيا وتقبلوا فيها في الآخرة ، لكن تلك رحمة يحبونها وتوافق طبائهم وهذه
رحمة يكرهونها وتشق عليهم ، كرحمة الطبيب الذي يبضع لحم المريض ويلقى عليه
المكارى ليستخرج منه المواد الرديئة الفاسدة .

فإن قيل : هذا اعتبار غير صحيح فإن الطبيب يفعل ذلك بالليل وهو يحبه وهو
راض عنه ولم ينشأ فعله به عن غضبه عليه ولهذا لا يسمى عقوبة ، وأما عذاب هؤلاء
خائفة إنما حصل بغضبه سبحانه عليهم وهو عقوبة محضة .

قيل : هذا حق ولكن لا يتأني كونه رحمة بهم ، وإن كان عقوبة لهم وهذا
كإقامة الحدود عليهم في الدنيا فإنه عقوبة ورحمة وتخفيف وطهرة ، فالحدود طهرة
لأهلها وعقوبة ، وهم لما أغضبوا الرب تعالى وقابلوه بما لا يليق أن يقابل به وعاملهم
بأقبح المعاملة وكذبوه وكذبوا رساله وجملوا أقل خلقه وأخبثهم وأمقتهم له نداء

له ، وآلمة معه وآثروا رضاهم على رضاهم وطاعتهم على طاعته ، وهو ولي الإنعام عليهم وهو خالقهم ورازقهم ومولاهم ، الحق الذي اشتد مقتته لهم وغضبه عليهم وذلك يوجب كماله أسمائه وصفاته التي يستحيل عليه تقدير خلافاتها ويستحيل عليه تخلف آثارها ومقتضاها عنها بل ذلك تعطيل لأحكامها ، كما أن نفيها عنه تعطيل لحقائقها وكلا المطلقين محال عليه سبحانه .

فالمطلوبون نوعان أحدهما : عطل صفاته والثاني عطل أحكامها وموجباتها . وكان هذا العذاب عقوبة لهم من هذا الوجه ودواء لهم من جهة الرحمة السابقة للغضب فاجتمع فيه الأمران ، فإذا زال الغضب بزوال سببه وزالت المادة الفاسدة بنفي الطبيعة المقتضية لها في الجحيم يمرور الأحقاب عليها ، وحصلت الحكمة التي أوجبت العقوبة عملت الرحمة عملها رطلبت أثرها من غير معارض .

يوضحه :

الوجه الحادى عشر : وهو أن العفو أحب إليه سبحانه من الانتقام ، والرحمة أحب إليه من العقوبة والرضا أحب إليه من الغضب . والفضل أحب إليه من العدل . ولهذا ظهرت آثار هذه المحبة في شرعه وقدره ويظهر كل الظهور لمبادءه في ثوابه وعقابه ، وإذا كان ذلك أحب الأمرين إليه وله خالق الخلق وأزل السكيب وشرع الشرائع وقدرته سبحانه سالحة لسكل شيء لا تصور فيها بوجه ما ، وتلك المواد الرديئة الفاسدة مرض من الأمراض ويده سبحانه الشفاء التام والأدوية الموافقة لسكل داء ، وله القدرة التامة والرحمة البالغة والغنى المطلق ، وبالعبد أعظم حاجة إلى من يداوى علته التي بلغت به غاية الضرر والمشقة ، وقد عرف العبد أنه عليل وأن دوائه بيد الغنى الحميد ، فتضرع إليه ودخل به عليه واستكان له وانكسر قلبه بين يديه وذل لمزته وعرف أن الحمد كله له ، وأن الخلق كله له وأنه هو الظلوم الجهول وأن ربه تبارك وتعالى عامله بكل عدله لا يبعض عدله ، وأن له غاية الحمد فيما فعل به ، وأن حمده هو الذى أقامه ، في هذا المقام وأوصله إليه وأنه لاخير عنده من نفسه بوجه من الوجوه ، بل ذلك محض فضل الله وصدقة عليه وأنه لاينجاة

له بما هو فيه إلا بمجرد العفو والتجاوز عن حقه فنفسه أولى بكل ذم وعيب ونقص،
خوبه تعالى أولى بكل حمد وكمال ومدح .

فلو أن أهل الجحيم شهدوا نعمته سبحانه ورحمته وكماله وحمده الذي أوجب
لهم ذلك فطلبوا مرضاته ولو بدواهم في تلك الحال . وقالوا إن كان ما نحن فيه
رضاك فرضاك الذي نريد ، وما أوصلنا إلى هذه الحال إلا طلب ما لا يرضيك فأما
إذا أرضاك ، هذا منا فرضاك غاية ما نقصده (وما لجرح إذا أرضاك من ألم) وأنت
أرحم بنا من أنفسنا وأعلم بمصالحنا ولك الحمد كله ، عاقبت أو عفوت ، لا تقبلت
النار عليهم برداً وسلاماً .

وقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث الأسود بن سريع أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال : « يأتي أربعة يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيئاً ، ورجل
أحمق ، ورجل هرم ، ورجل مات في فترة ، فأما الأصم فيقول : رب لقد جاء
الإسلام وما أسمع شيئاً . وأما الأحمق فيقول : رب لقد جاء الإسلام والصبيان
يخذفوني باليمر . وأما الهرم فيقول : ربى لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً ، وأما
الذي مات في الفترة فيقول : رب ما أتاني لك من رسول ، فيأخذ موائيقهم ليطيعنه
فیرسل إليهم أن ادخلوا النار ، قال فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم
رداً وسلاماً » .

وفي المسند أيضاً : من حديث قتادة عن الحسن عن أبي رافع عن أبي هريرة
مثله وقال : « فن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ومن لم يدخلها يسحب إليها »
فهؤلاء لما رضوا بتمذيبهم وبادروا إليه لما علموا أن فيه رضى ربهم ومواقفة أمره
ومحبتته انقلب في حقهم نهباً .

ومثل هذا ، ما رواه عبد الله بن المبارك حدثني رشدين قال حدثني ابن أنعم
عن أبي عثمان أنه حدثه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : « إن رجلين ممن دخلوا النار يشتمد صياحهما . فقال الرب جل جلاله :

أخرجوهما فإذا أخرجنا فقال لهما : لاي شيء اشتد صياحكما ؟ قالا : فعلنا ذلك لترحمنا ، قال : رحمى لسكا أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كننا من النار . قاله فينطلقان فيلقى أحدهما نفسه فيجملها الله سبحانه عليه برداً وسلاماً ، ويقوم الآخر فلا يلقى فيقول له الرب : ما منك أن تلقى نفسك كما ألقى صاحبك ؟ فيقول رب إنى أرجوك أن لا تميدنى فيها بعد ما أخرجتني منها ، فيقول الرب تعالى لك رجاؤك مه فيدخلان الجنة جميعاً برحمة الله .

وذكر الأوزاعي عن بلال بن سمد قال : « يؤمر بإخراج رجلين من النار فإذا أخرجا ووقفا قال الله لهما كيف وجدتما مقيلكما وسوء مصيركما ؟ فيقولان : شر مقيل ، وأسوأ مصير ، صار إليه المباد ، فيقول لهما : بما قدمت أيديكما وما أنتم بظلام للمبيد ، قال : فيؤمر بصرفهما إلى النار ، فأما أحدهما فيندو في أغلاله وسلاسله حتى يقتحمها . وأما الآخر فيتسكأ فيؤمر بردهما فيقول للذى غدا في أغلاله وسلاسله حتى اقتحمها : ما حملك على ما صنعت وقد خرجت منها ؟ فيقول إنى خبرت من وبال مصيبتك ما لم أكن أتعرض لسخطك ثانياً . ويقول للذى تسكأ ما حملك على ما صنعت ؟ فيقول : حسن ظنى بك حين أخرجتني منها أن لا تردنى إليها ، فيرحمهما جميعاً ويأمر بهما إلى الجنة . »

الوجه الثانى عشر : أن النعيم والثواب من مقتضى رحمته ومغفرته وبره وكرمه ولذلك يضيف ذلك إلى نفسه . وأما المذاب والمقوبة فإنما هو من مخلوقاته ، ولذلك يسمى بالمعاقب والمقذف بل يفرق بينهما فيجعل ذلك من أوصافه وهذا من مفعولاته حتى فى الآية الواحدة كقوله تعالى : (نبيء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم . وأن عذابى هو المذاب الأليم) (١) وقال تعالى : (اعلموا أن الله شديد العقاب ، وأن الله غفور رحيم) (٢) وقال تعالى : (إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم) (٣)

(١) سررة الحجر الآيتان ٤٩ و٥٠ .

(٢) سورة المائدة آية ٩٨ .

(٣) سورة الأعراف آية ٦٧ .

ومثلها في آخر الانعام ، فما كان من مقتضى أسمائه وصفاته فإنه يدوم بدوامها ولاسيا
 إذا كان محبوباً له وهو غاية مطلوبة في نفسها . وأما الشر الذي هو العذاب فلا يدخل
 في أسمائه وصفاته ، وإن دخل في مفعولاته لحكمه إذا حصلت زال وفقى بخلاف الخير ،
 فإنه سبحانه دائم المروف لا ينقطع مروفه أبداً وهو قديم الإحسان أبدي الإحسان ،
 فلم يزل ولا يزال محسناً على الدوام . وليس من موجب أسمائه وصفاته أنه لا يزال
 معاقباً على الدوام غضبان على الدوام منتقماً على الدوام ، فتأمل هذا الوجه تأمل
 فقيه في باب أسماء الله وصفاته ، يفتح لك باباً من أبواب معرفته ومحبتة
 يوضحه :

الوجه الثالث عشر : وهو قول أعلم خلقه به ، وأعرفهم بأسمائه وصفاته « والشر
 ليس إليك » ولم يقف على المعنى المقصود من قال الشر لا يتقرب به إليك ، بل الشر
 لا يضاف إليه سبحانه بوجه لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ولا في أسمائه ، فإن
 ذاته لها الكمال المطلق من جميع الوجوه ، وصفاته كلها صفات كمال يحمد عليها
 ويثنى عليها ، وأفعاله كلها خير ورحمة وعدل ، وحكمه لا شر فيها بوجهما ، وأسمائه
 كلها حسنى ، فكيف يضاف الشر إليه بل الشر في مفعولاته ومخلوقاته وهو منفصل
 عنه ، إذ فعله غير مفعوله ففعله خير كله ، وأما المخلوق المفعول فقيه
 الخير والشر .

وإذا كان الشر مخلوقاً منفصلاً غير قائم بالرب سبحانه فهو لا يضاف إليه وهو
 صلى الله عليه وسلم لم يقل : أنت لا تخلق الشر حتى يطلب تأويل قوله ، وإنما نفي
 إضافته إليه وصفاً وفعلًا وأسماء ، وإذا عرف هذا فالشر ليس إلا الذنوب
 وموجباتها .

وأما الخير فهو الإيمان والطاعات وموجباتها ، والإيمان والطاعات متعاقبة به
 سبحانه ، ولاجلها خلق خلقه وأرسل رسله وأنزل كتبه ، وهى ثناء على الرب
 وإجلاله وتمظيمه وعبوديته ، وهذه لها آثار تطلبها وتقتضيها فتدوم آثارها
 بدوام متعلقها .

وأما الشرور فليست مقصودة لذاتها . ولا هي الغاية التي خلق لها الخلق فهي
مفعولات قدرت لأمر محبوب وجعلت وسيلة إليه فإذا حصل ما قدرت له اضمحلت
وتلاشت وعاد الأمر إلى الخير المحض .

الوجه الرابع عشر : أنه سبحانه قد أخبر أن رحمته وسعت كل شيء . فليس شيء
من الأشياء إلا وفيه رحمته ولا ينافي هذا أن يرحم العبد بما يشق عليه ويؤلمه وكشده
كرامته له فإن ذلك من رحمته أيضاً كما تقدم .

وقد ذكرنا حديث أبي هريرة أننا وآله وقوله تعالى لدينك الرجلين : رحمتي لسكما
أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار . وقد جاء في بعض الآثار أن العبد
إذا دعا لمبتلى قد اشتد بلاؤه وقال : اللهم ارحمه : يقول الرب تبارك وتعالى : كيف
أرحمه من شيء به أرحمه . فالابتلاء رحمة منه لعباده « وفي أثر إلهي » يقول الله
تعالى : « أهل ذكرى أهل مجالسقى . وأهل طاعنى أهل كرامتى ، وأهل شكرى
أهل زيادتى ، وأهل مصيقتى لأقنطهم من رحمتى إن تابوا فأنا جديهم وإن لم يتوبوا
فأنا طيبهم أبتليهم بالمصائب لأظهرهم من المعائب » : فالبتلاء والعقوبة أدوية قدرت
لإزالة أدواء لا تزول إلا بها . والنار هي الدواء الأكبر فمن دعاوى في الدنيا أغناه
ذلك عن الدواء في الآخرة ، وإلا فلا بدله من الدواء بحسب ذاته ومن عرف الرب
تبارك وتعالى بصفات جلاله ونعمت كماله من حكمته ورحمته وبره وإحسانه وغناه
وجوده وتحميه إلى عباده وإرادة الإنعام عليهم وسبق رحمته لهم لم يبادر إلى إنكار
ذلك إن لم يبادر إلى قبوله .

يوضحه الوجه الخامس عشر : أن أعماله سبحانه لا تخرج عن الحكمة والرحمة
والمصلحة والعدل ، فلا يفعل عبثاً ولا جوراً ولا باطلاً بل هو المزه عن ذلك كما ينزه
عن سائر العيوب والنقائص . وإذا ثبت ذلك فتمذيبهم إن كان رحمة بهم حتى يزول
ذلك الخبث وتكمل الطهارة فظاهر ، وإن كان الحكمة فإذا حصلت تلك الحكمة
للمطلوبة زال للمذاب . وليس في الحكمة دوام العذاب أبداً . بحيث يكون دائماً
يدوام الرب تبارك وتعالى ، وإن كان لمصلحة فإن كان يرجع إليهم ، فليست لمصلحتهم

عنى بقائهم فى العذاب كذلك ، وإن كانت المصاحبة تعود إلى أوليائه فإن ذلك أكمل
عنى نعميمهم فهذا لا يقتضى تأييد العذاب وليس نعم أوليائه وكماله موقوفاً ، على بقاء
آبائهم وأبنائهم وأزواجهم فى العذاب السرمى .

فإن قلت : إن ذلك هو موجب الرحمة والحكمة والمصلحة قلت مالا يعقل ، وإن
حلت إن ذلك عائد إلى محض المشيئة ولا تطلب له حكمة ولا غاية فجوابه من
حججهم .

أحدهما : أن ذلك محال على أحكم الحاكمين وأعلم العالمين أن تكون أفعاله
معمطة عن الحكم والمصالح والغايات المحمودة والقرآن والسنة وأدلة العقول والفطر
والآيات المشهودة شاهدة ببطلان ذلك .

والثانى : أنه لو كان الأمر كذلك لكان إبقاؤهم فى العذاب وانقطاعه عنهم
ببالنسبة إلى مشيئته سواء ولم يكن فى انقضائه ما ينافى كماله وهو سبحانه لم يخبر
سبأ بديه العذاب وأنه لا نهاية له .

وغاية الأمر على هذا التقدير : أن يكون من الجائزات الممكنات للموقوف حكمها
على خبر الصادق .

فإن سلكت طريق التعليل بالحكمة والرحمة والمصلحة لم يقتض الدوام ، وإن
سلكت طريق المشيئة المحضة التى لا تملل لم تقتضه أيضاً .

وإن وقف الأمر على مجرد السمع فليس فيه ما يقتضيه .

الوجه السادس عشر : أن رحمته سبحانه سبقت غضبه فى المذنبين فإنه أنشأهم
فى رحمته ، ورباهم برحمته ورزقهم وعافاهم برحمته وأرسل إليهم الرسل برحمته
وأسباب النعمة والعذاب متأخرة عن أسباب الرحمة طارئة عليها فرحمته سبقت غضبه
عظيم وخلقهم على خلقه ، تكون رحمته إليهم أقرب من غضبه وعقوبته
ولهذا ترى أطفال الكفار قد ألقى عليهم رحمته فمن رآهم رحمهم ، ولهذا نبى

عن قتلهم فرحمته سبقت غضبه فيهم ، فكانت هي السابقة إليهم في كل حال هم فيه رحمة في حال معافاتهم وابتلائهم .

وإذا كانت الرحمة هي السابقة فيهم لم يبطل أثرها بالسكينة وإن عارضها أثر الغضب والسخط فذلك لسبب منهم ، وما أثر الرحمة فسيبه منه سبحانه فما منه يقتضيه رحمتهم . وما منهم يقتضى عقوبتهم والذي منه سابق وغالب ، وإذا كانت رحمة قلب غضبه فلا أن يغلب أثر الرحمة أثر الغضب أولى وأحرى .

الوجه السابع عشر : أنه سبحانه يخبر عن المذاب أنه عذاب يوم عقيم وعذاب يوم عظيم ، وعذاب يوم أليم ، ولا يخبر عن النعيم أنه نعيم يوم ولا في موضع واحد .

وقد ثبت في الصحيح : تقدير يوم القيامة بمخمسين ألف سنة والمذبون متفاوتون . في مدة لبثهم في المذاب بحسب جرائمهم ، والله سبحانه جعل العذاب على ما كان من الدنيا وأسبابها ، وما أريد به الدنيا ولم يرد به الله فالعذاب على ذلك .

وأما ما كان للأخرة وأريد به وجه الله فلا عذاب عليه ، والدنيا قد جعل لها أجل تنتهي إليه فما انتقل منها إلى تلك الدار مما ليس لله فهو للمذب به .

وأما ما أريد به وجه الله والدار الآخرة فقد أريد به ما لا يفنى ولا يزول ، فيدوم بدوام المراد به ، فإن الناية المطلوبة إذا كانت دائمة لا تزول لم يزل ما تعلق بها بخلاف الناية المضمحلة الفانية ، فما أريد به غير الله يضرع ويؤول مراده . ومطلوبه وما أريد به وجه الله يبقى ببقاء اللطوب المراد فإذا اضمحلت الدنيا وانقطعت أسبابها وانتقل ما كان فيها لغير الله من الأعمال والدوات وانقلب عذاباً وآلاماً لم يكن له متعلق يدوم بدوامه بخلاف النعيم .

الوجه الثامن عشر : أنه ليس في حكمة أحكم الحاكمين أن يخلق خلقاً يعذبهم أبد الآباد عذاباً سرمداً لانهاية له ولا انقطاع أبداً ، وقد دلت الأدلة السمعية والعقلية والفطرية على أنه سبحانه حكيم ، وأنه أحكم الحاكمين فإذا عذب خلقه عذبهم

بحكمة كما يوجب التذيب والمعقوبة في الدنيا في شرعه وقدره ، فإن فيه من الحكم
 وللصالح وتطهير المبد ومداواته وإخراج المواد الردية عنه بتلك الآلام ما تشهد
 المعقول الصحيحة ، وفي ذلك من تزكية النفوس وصلاحها وزجرها وردع نظائرها
 وتوقينها على فقرها وضرورتها إلى ربها وغير ذلك من الحكم والغايات الجميدة
 ما لا يعلمه إلا الله .

ولا ريب أن الجنة طيبة لا يدخلها إلا طيب ولهذا يحاسبون إذا قطعوا الصراط
 على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لمعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا
 حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة .

ومعلوم أن النفوس الشريرة الخبيثة للظلمة التي لو ردت إلى الدنيا قبل العذاب
 لعادت لما نهيت عنه ، لا يصلح أن تسكن دار السلام في جوار رب العالمين ، فإذا
 عذبوا بالنار عذاباً تخص نفوسهم من ذلك الحث والوسخ والدرن ، كان ذلك
 من حكمة أحكم الحاكمين ورحمته ولا ينافي الحكمة خاق نفوس فيها شريزول
 بالبلاء الطويل والنار ، كما يزول بها خبث الذهب والفضة والحديد فهذا معقول في
 الحكمة وهو من لوازم العالم المخلوق على هذه الصفة .

أما خلق نفوس لا يزول شرها أبداً وعذابها لا انتهاء له ، فلا يظهر في الحكمة
 والرحمة ، وفي وجود مثل هذا النوع نزاع بين العقلاء أعنى ذواتاً ، هي شر من كل
 وجه ليس فيها شيء من خير أصلاً .

وعلى تقدير دخوله في الوجود ، فالرب تبارك وتعالى قادر على قلب الأعيان
 وإحالتها وإحالة صفاتها .

فإذا وجدت الحكمة المطلوبة من خلق هذه النفوس والحكمة المطلوبة من
 تمذيبها ، فالله سبحانه قادر أن يلدنهما نشأة أخرى غير تلك النشأة ، ورحمها في النشأة
 الثانية نوعاً آخر من الرحمة .

يوضحه الوجه التاسع عشر : وهو أنه قد ثبت أن الله سبحانه ينشئ العذاب للجنة خلقاً آخر ، يسكنهم إيها ، ولم يعملوا خيراً تكون الجنة جزاء لهم عليه ، فإذا أخذ العذاب من هذه النفوس مأخذة وبلغت العقوبة مبلغها فانسكسرت تلك النفوس وخضعت وذلت واعترفت لربها وفاطرها بالحمد ، وأنه عدل فيها كل العدل ، وأنها في هذه الحال كانت في تخفيف منه ولو شاء أن يكون عذابهم أشد من ذلك لفعل .

وشاء كتب العقوبة طلباً لموافقة رضاه ومحبته وعلم أن العذاب أولى بها وأنه لا يليق بها سواه ولا تصلح إلا له فذابت منها تلك الحباث كلها وتلاشت ، وتبدلت بدل وانكسار وحمد وثناء على الرب تبارك وتعالى ، ولم يكن في حكمته أن يستمر فيها في العذاب بعد ذلك ، إذ قد تبدل شرها بخيرها ، وشركها بتوحيدها وكبرها بخضوعها وذلها .

ولا ينتقص هذا بقوله عز وجل (ولو ردوا لمادوا لما نهوا عنه) فإن هذا قبل مباشرة العذاب الذي يزيل تلك الحباث ، وإنما هو عند المعايمة قبل الدخول فإنه سبحانه قال (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ، بل بدأ لهم ما كانوا يحفون من قبل ولو ردوا لمادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) (١) .

فهذا إنما قالوه قبل أن يستخرج العذاب منهم تلك الحباث ، فأما إذا لبثوا في العذاب أحقاباً ، والحقب كما رواه الطبراني في معجمه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « الحقب خمسون ألف سنة » فإنه من المتنع أن يبقى ذلك الكبر والشرك والحبت بعد هذه المدد المتطاولة في العذاب .

الوجه العشرون : أنه قد ثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري في

حديث الشفاعة « فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً فيلقئهم في نهر في أفواه الجنة ، يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل . »

فيقول أهل الجنة : هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه . »

فهؤلاء أحرقتهم النار جميعهم فلم يبق في بدن أحدهم موضع لم تمسه النار ، بحيث صاروا حمماً ، وهو الفحم المحترق بالنار . وظاهر السياق أنه لم يكن في قلوبهم مثقال ذرة من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيراً ، فيقول الله عز وجل : شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض الله قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط . »

فهذا السياق يدل على أن هؤلاء لم يكن في قلوبهم مثقال ذرة من خير ، ومع هذه فأخرجتهم الرحمة . ومن هذا رحمته سبحانه للذي أوصى أهله أن يحرقوه بالنار ويذروه في البر والبحر زعماً منه بأنه يفوت الله سبحانه ، فهذا قد شك في اللعاب القدرة ولم يعمل خيراً قط .

ومع هذا فقال له : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : خشيتك وأنت أعلم ، فله تلافاه أن رحمه الله فله سبحانه في خلقه حكم لا تباينه عقول البشر .

وقد ثبت في حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الله عز وجل : أخرجوا من النار من ذكرني يوماً أو خائني في مقام » قالوا : ومن ذا الذي في مدة عمره كلها من أولها إلى آخرها لم يذكر ربه يوماً واحداً ولا خافه ساعة واحدة ، ولا ريب أن رحمته سبحانه إذا أخرجت من

النار من ذكره وقتاً أو خافه في مقام ما ، فقير بدع أن تفي النار ولكن هؤلاء
خرجوا منها وهي نار .

الوجه الحادي والعشرون : إن اعترف العبد بذنبه حقيقة الاعتراف للمتضمن
للأنسبة للسوء والظلم واللوم إليه من كل وجه ونسبة العدل والحمد والرحمة والسكامل
للإطلاق إلى ربه من كل وجه ، يستمطف ربه تبارك وتعالى عليه ، ويستدعي
رحمته له .

وإذا أراد أن يرحم عبده ألقى ذلك في قلبه والرحمة معه ، ولا سيما إذا اقترن
بذلك جزم العبد على ترك المعاودة لما يسخط ربه عليه ، وعلم الله أن ذلك داخل
قلبه وسويدائه ، فإنه لا تتخلف عنه الرحمة مع ذلك .

وفي معجم الطبراني من حديث يزيد بن سنان الرهاوي عن سليمان بن عامر
عن أبي إمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن آخر
رجل يدخل الجنة رجل يتقاب على الصراط ظهراً لبطن ، كالنلام يضربه أبوه وهو
يفر منه ، يعجز عنه عمله أن يسمى فيقول : يارب بلغني الجنة ونجني من النار ،
فيوحى الله تبارك وتعالى إليه : عبدى إن أنا نجيتك من النار وأدخلتك الجنة
أعترف لي بذنوبك وخطاياك ؟ فيقول العبد : نعم يارب ، وعزتك وجلالك إن
نجيتني من النار لأعترفن لك بذنوبى وخطاياى فيجوز الجسر ، ويقول العبد فيما بينه
وبين نفسه : لئن اعترفت له بذنوبى وخطاياى ليردنى إلى النار ، فيوحى الله إليه :
عبدى اعترف لي بذنوبك وخطاياك أغفرها لك وأدخلك الجنة فيقول العبد :
لا وعزتك وجلالك ، ما أذنبت ذنباً قط ولا أخطأت خطيئة قط فيوحى الله إليه :
عبدى إن لي عليك بينة ، فيلتفت العبد يميناً وشمالاً فلا يرى أحداً ، فيقول : يارب
أرني بينتك فيستنطق الله تعالى جلده بالمحقرات ، فإذا رأى ذلك العبد فيقول : يارب
عندى وعزتك العظام فيوحى الله إليه عبدى أنا أعرف بها منك اعترف لي بها
أغفرها لك وأدخلك الجنة فيعترف العبد بذنوبه فيدخل الجنة ، ثم ضحك رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه يقول : هذا أدنى أهل الجنة منزلة فكيف
بالذى فوكة ؟ »

فألمب تعالى يريد من عبده الاعتراف والانكسار بين يديه والخضوع
 حوالته له والعزم على مرضاته ، فإدام أهل النار فاقدين لهذا الروح فهم فاقدون
 لروح الرحمة ، فإذا أراد عز وجل أن يرحمهم أو من يشاء منهم جعل في قلبه ذلك
 مستدركة الرحمة ، وقدرة الرب تبارك وتعالى غير قاصرة عن ذلك ، وليس فيه
 ما يناقض موجب أسمائه وصفاته ، وقد أخبر أنه فعال لما يريد .

الوجه الثاني والعشرون : أنه سبحانه قد أوجب الخلود على معاصي من
 الكبار وقيد بالتأييد ولم يناف ذلك انقطاعه وانتهائه : فمنها : قوله تعالى :
 ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد
 له عذاباً عظيماً ﴾ (١) .

ومنها : قول النبي صلى الله عليه وسلم : « من قتل نفسه بمحديدة فحديده في
 يده يتوجأ بها في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً » وهو حديث صحيح .

وكذلك قوله في الحديث الآخر في قائل نفسه « فيقول الله تبارك وتعالى بادرني
 عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة » وأبلغ من هذا قوله تعالى (ومن يعص الله
 ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً) (٢) فهذا وعيد مقيد بالخلود والتأييد ،
 مع انقطاعه قطعاً بسبب من العبد وهو التوحيد ، فكذلك الوعيد العام لأهل النار
 لا يتمتع انقطاعه ، بسبب من كتب على نفسه الرحمة وغلبت رحمته غضبه ،
 فلا يعلم الكافر بكل ما عنده من الرحمة لما يشس من رحمته كما في صحيح البخاري
 عنه صلى الله عليه وسلم : « خلق الله الرحمة يوم خلقها مائة رحمة ، وقال في آخره
 فلا يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم يياس من الجنة ، ولو يعلم المسلم
 بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار » .

الوجه الثالث والعشرون : أنه لو جاء الخبر منه سبحانه صريحاً بأن عذاب

(١) سورة النساء آية ٩٣ .

(٢) سورة الجن آية ٢٣ .

النار لا انتهاء له ، وأنه أبدي لا انقطاع له ، لكان ذلك وعيداً منه سبحانه والله تعالى لا يخاف وعده ، وأما الوعيد فذهب أهل السنة كاهم أن أخلاقه كرم وعفو وتجاوز يمدح الرب تبارك وتعالى به ، ويثني عليه به فإنه حق له إن شاء تركه ، وإن شاء استوفاه والكريم ، لا يستوفي حقه فكيف بأكرم الأكرمين ؟ !
وقد صرح سبحانه في كتابه في غير موضع بأنه لا يخاف وعده ، ولم يقل في موضع واحد لا يخلف وعيده .

وقد روى أبو يعلى الموصلي ثنا هذبة بن خالد ثنا سهيل بن أبي حزم ثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من وعده الله على عمل ثواباً فهو منجزه ، ومن أوعده على عمل عقاباً فهو فيه بالخيار » .

وقال أبو الشيخ الإصبهاني حدثنا محمد بن حمزة حدثنا أحمد بن الخليل حدثنا الأصمعي قال : « جاء عمرو بن عبيد إلى أبي عمرو بن الملاء فقال : يا أبا عمرو ، يخلف الله ما وعده ؟ قال : لا ، قال أفرايت من أوعده الله على عمله عقاباً أيخلف الله وعده عليه ؟ ، فقال أبو عمرو بن الملاء من العجمة أتيت يا أبا عثمان إن الوعد غير الوعيد إن العرب لا تمد عاراً ولا خلفاً أن تمد شراً ، ثم لا تفعله ترى ذلك كرمأ وفضلاً ، وإنما الخلف أن تمد خيراً ثم لا تفعله ، قال : فأوجدني هذا في كلام العرب ، قال : نعم ، أما سمعت إلى قول الأول :

ولا يرهب ابن العم ما عشت سطوتى ولا أخشى من صولة المهتد
وإني وإن أوعدته أو وعدته لخلف إيمادى ومنجز موعدى

قال أبو الشيخ وقال يحيى بن معاذ : الوعد والوعيد حق ، فالوعد حق العباد على الله ضمن لهم إذا فعلوا كذا أن يمطيهم كذا ، ومن أولى بالوفاء من الله ، والوعيد حقه على العباد قال : لا تفعلوا كذا فأعذبكم ، ففعلوا فإن شاء عفا ، وإن

شاء أخذ لأنه حقه وأولاهما ربنا تبارك وتعالى ، العفو والكرم أنه غفور رحيم ،
ومما يدل على ذلك ويؤيده خبر كعب بن زهير حين أوعده رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال :

نبيئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول

فإذا كان هذا في وعيد مطلق ، فكيف بوعيد مقرون ، باستثناء ممقب بقوله
(إن ربك فعال لما يريد) وهذا إخبار منه أن يفعل ما يريد عقيب قوله إلا ماشاء
ربك فهو عائد إليه ولا بد ، ولا يجوز أن يرجع إلى المستثنى منه وحده ، بل إما
أن يختص بالمستثنى أو يعود إليهما وغير خاف أن تعلقه بقوله (إلا ماشاء ربك)
أولى من تعلقه بقوله (خالدين فيها) وذلك ظاهر للتأمل وهو الذي فهمه الصحابة ،
فقالوا : أنت هذه الآية على كل وعيد في القرآن ، ولم يريدوا بذلك الاستثناء
وحده ، فإن الاستثناء مذكور في الأنعام أيضاً ، وإنما أرادوا أنه عقب الاستثناء
بقوله (إن ربك فعال لما يريد) وهذا التعميق نظير قوله في الأنعام (خالدين فيها
إلا ماشاء الله إن ربك حكيم عليم) فأخبر أن عذابهم في جميع الأوقات ورفع عنهم
في وقت يشاؤه صادر عن كمال علمه وحكمته لا عن مشيئة مجردة عن الحكمة
والصلحة والرحمة والعدل ، إذ يستحيل تجرد مشيئته عن ذلك .

الوجه الرابع والعشرون : أن جانب الرحمة أغلب في هذه الدار الباطلة الغانية
الزائلة عن قرب من جانب العقوبة والنضب ولولا ذلك لما عمرت ولا قام لها وجود ،
كما قال تعالى (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة) (١) . وقال :
(ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة) (٢) فلولا سمة رحمته
ومعفرته وعفوه لما قام العالم ، ومع هذا فالذي أظهره من الرحمة في هذه الدار ،
وأزله بين الخلائق جزء من مائة جزء من الرحمة ، فإذا كان جانب الرحمة قد

(١) سورة النحل آية ٦١ .

(٢) سورة فاطر آية ٤٥ .

غاب في هذه الدار ونالت البر والفاجر وللوؤمن والكافر ، مع قيام مقتضى العقوبة به ومباشرته له وتمكنه من إغصاب ربه والسعي في مسأخطته ، فكيف لا يغاب جانب الرحمة في دار تكون الرحمة فيها مضاعفة ، على ما في هذه الدار تسمياً ولسمين ضمناً ، وقد أخذ العذاب من الكفار مأخذه . وانكسرت تلك النفوس وأنهمكها العذاب وأذاب منها خبيثاً وشرأ لم يكن يحول بينها وبين رحمته لها في الدنيا ، بل كان يرحمها مع قيام مقتضى العقوبة والغضب بها فكيف إذا زال مقتضى الغضب والعقوبة ، وقوى جانب الرحمة أضاف أضاف الرحمة في هذه الدار واضمحل للشر والحبث الذي فيها فأذابته النار وأكلته .

وسر الأمر أن أسماء الرحمة والإحسان أغلب وأظهر ، وأكثر من أسماء الانتقام ، وفعل الرحمة أكثر من فعل الانتقام وظهور آثار الرحمة أعظم من ظهور آثار الانتقام ، والرحمة أحب إليه من الإنتقام ، وبالرحمة خلق خلقه ولها خلقهم ، وهى التى سبقت غضبه وغلبته وكشبتها على نفسه ، ووسعت كل شيء ، وما خلق بها فمطلوب لذاته ، وما خلق بالغضب فراد لغيره ، كما تقدم تقرير ذلك والعقوبة تأديب وتطهير . والرحمة إحسان وكرم وجود والعقوبة مداواة ، والرحمة عطاء وبذل .

الوجه الخامس والعشرون : أنه سبحانه لا بد أن يظهر خلقه جميعهم يوم القيامة صدقة وصدق رسله ، وأن أعداءه كانوا هم الكاذبين المفترين ، ويظهر لهم حكمه الذى هو أعدل حكم في أعدائه وأنه حكم فيهم حكماً يحمدهم هم عليه فضلاً عن أوليائه وملائكته ورسله بحيث ينطق الكون كله بالحمد لله رب العالمين . ولذلك قال تعالى : (وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين) (١) فحذف فاعل القول لإرادة الإطلاق وأن ذلك جار على لسان كل ناطق وقلبه . قال الحسن لقد دخلوا النار ، وأن قلوبهم لمتلثة من حمده ما وجدوا عليه سيلاً . وهذا هو الذى

حسن حذف الفاعل من قوله (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها) (١) حتى كان السكون جيمه قائل ذلك لهم إذ هو حكمه العدل فيهم ومقتضى حكمته وحده .

وأما أهل الجنة فقال تعالى (وقال لهم خزنتها سلام عليكم طيتم فادخلوها خالدين) (٢) فهم لم يستحقوها بأعمالهم وإنما استحقوها بمفوه ورحمته وفضله ، فإذا أشهد سبحانه ملائكته وخلقه كلهم حكمه العدل وحكمته الباهرة .

ووضعه العقوبة حيث تشهد العقول والفطر والخلقة أنه أولى المواضع وأحقها بها ، وأن ذلك من كمال حمده الذي هو مقتضى أسمائه وصفاته وأن هذه النفوس الخبيثة الظالمة الفاجرة ، لا يليق بها غير ذلك ولا يحسن بها سواء ، بحيث تعترف هي من ذواتها بأنها أهل ذلك وأنها أولى به حصلت الحكمة التي لأجلها ، وجد الشر وموجباته في هذه الدار وتلك الدار .

وليس في الحكمة الإلهية أن الشرور تبقى دائماً لا نهاية لها ولا انقطاع أبداً ، فتكون هي والخيرات في ذلك على حد سواء ، فهذا نهاية أقدام الفريقين في هذه المسألة ، ولعلك لا تظفر به في غير هذا الكتاب .

فإن قيل : فإلى أين انتهى قدمكم في هذه المسألة العظيمة الشأن ، التي هي أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة ؟

قيل : إلى قوله تبارك وتعالى : (إن ربك فعال لما يريد) (٣) إلى هذا انتهى قدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيها حيث ذكر دخول أهل الجنة

(١) سورة الزمر آية ٧٢ .

(٢) سورة الزمر آية ٧٣ .

(٣) سورة هود آية ١٠٧ .

الجنة ، وأهل النار النار ، وما يلقاه هؤلاء وهؤلاء ، وقال : ثم يفعل الله بصد ذلك ما يشاء .

بل وإلى هنا انتهت أقدم الخلائق وما ذكرنا في هذه المسألة بل في الكتاب كله من صواب فمن الله سبحانه ، وهو الممان به وما كان من خطأ فني ، ومن الشيطان والله ورسوله بريء منه ، وهو عند لسان كل قائل وقلبه وقصده ، والله أعلم .

الباب الثامن والستون

في ذكر آخر أهل الجنة دخولا إليها

في الصحيحين من حديث منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها ، وآخر أهل الجنة دخولا الجنة ، رجل يخرج من النار جوا ، فيقول الله له : اذهب فادخل الجنة ، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول : يا رب وجدتها ملأى ، فيقول الله له : اذهب فادخل الجنة ، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها ، أو إن لك عشرة أمثال الدنيا ، قال : فيقول أتسخر بي وتضحك بي وأنت الملك ؟ قال : لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك حتى بدت نواجذه قال : فكان يقول ذلك أدنى أهل الجنة منزلة » .

وفي صحيح مسلم من حديث الأعمش عن المروزي بن سويد عن أبي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجا منها ، رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال : أهرضوا عليه صفار ذنوبه وأرفعوا عنه كبارها ، فيعرض عليه صفار ذنوبه ، فيقال : عملت يوم كذا وكذا وكذا وكذا ، وعملت يوم كذا وكذا وكذا وكذا ، فيقول : نعم ، لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن أمرض عليه فيقال له : فإن لك مكان كل سيئة حسنة ، فيقول : رب قد عملت أشياء لا أراها ههنا ، فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك حتى بدت نواجذه » .

وقال الطبراني حدثنا عبدالله بن سعد بن يحيى الزرقى ، حدثنا أبو فروة يزيد ابن محمد بن سنان الرهاوى قال حدثني أبي عن أبيه قال حدثني أبو يحيى الكلاعى عن أبي أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن آخر

رجل يدخل الجنة رجل يتقلب على الصراط ظهراً لبطن كالغلام يضربه أبوه وهو يفر منه يمجز عنه عمله أن يسمى فيقول : يا رب بلغ بي الجنة ونجني من النار ، فيوحى الله تبارك وتعالى إليه عبدى إن أنا نجيتك من النار وأدخلتك الجنة أتعترف لى بذنوبك وخطاياك ؟ فيقول العبد : نعم يا رب وعزتك وجلالك لأن نجيتنى من النار لأعترفن لك بذنوبى وخطاياى فيجوز الجسر فيقول العبد فيما بينه وبين نفسه : لأن اعترفت له بذنوبى وخطاياى ليردنى إلى النار ، فيوحى الله إليه عبدى اعترف لى بذنوبك وخطاياك أغفرها لك وأدخلك الجنة . فيقول العبد : لا وعزتك وجلالك ما أذنبت ذنباً قط ولا أخطأت خطيئة قط فيوحى الله إليه عبدى إن لى عليك بينة فالتفت العبد يمناً وشمالاً فلا يرى أحداً ، فيقول : يا رب أرنى بينتك فيستنطق الله جلده بالمحترات فإء رأى ذلك العبد فيقول : يا رب عندى وعزتك العظام فيوحى الله إليه عبدى أنا أعرف بها منك اعترف لى بها أغفرها لك وأدخلك الجنة ، فيعترف العبد بذنونه فيدخل الجنة ثم ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه يقول : هذا أدنى أهل الجنة منزلة فسكيف بالذى فوقه ؟

ورواه ابن أبى شيبة عن هاشم بن القاسم ثنا أبو غجيل عبد الله بن عقيل الثقفى عن يزيد بن سنان .

وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشى على الصراط مرة ويكبو مرة وتسعفه النار مرة فإذا جاوزها التفت إليها ، فقال : تبارك الذى نجانى منك ، لقد أعطانى الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين ، فترتفع له شجرة فيقول : أى رب ادنى من هذه الشجرة أستظل بظلها وأشرب من ماؤها فيقول الله تبارك وتعالى : يا ابن آدم لعلى إن أعطيتكها سألتنى غيرها ، فيقول : لا يا رب ، وإمهده أن لا يسأله غيرها وربها يمدره ، لأنه رى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ، ويشرب من ماؤها ، ثم ترفع له شجرة هى أحسن من الأولى ، فيقول : يا رب ادنى

من هذه لأشرب من مائها ، وأستظل بظلها لا أسألك غيرها فيقول : يا ابن آدم ألم تماهدني أنك لا تسألني غيرها ؟ فيقول : لعلني إن أدنيتك منها أن تسألني غيرها ، فيما هذه أن لا يسأله غيرها وربّه يمذره ، لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها ، فيستظل بظلها ، ويشرب من مائها ، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين ، فيقول : أي رب ادنني من هذه الشجرة لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها ، فيقول : يا ابن آدم ألم تماهدني أن لا تسألني غيرها ؟ قال : بلى يا رب ، هذه لا أسألك غيرها وربّه يمذره ، لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها ، فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة فيقول : يا رب أدخلنيها فيقول يا ابن آدم ما يرضيك مني ، أيرضيك أني أعطيك الدنيا ومثلها معها ؟ قال : يا رب أنتهزى مني وأنت رب العالمين ؟ فضحك ابن مسعود . فقال : إلا تسألونني مم أضحك ؟ قالوا مم تضحك ؟ قال : ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : مم تضحك يا رسول الله ؟ قال : من ضحك رب العالمين حين قال : أنتهزى بي وأنت رب العالمين ، فيقول : لا أنتهزى بك ولـكن على ما أشاء قادر .

وفي صحيح البرقاني عن أبي سعيد البرقاني من حديث أبي سعيد الخدري نحو هذه القصة ونحو نسوقه بتمامه من عنده وهو بإسناد مسلم سواء .

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن « أدنى أهل النار عذاباً منتعل بنعائين من نار يقلى دماغه من حرارة نعليه ، وإن أدنى أهل الجنة منزلة رجل صرف الله وجهه عن النار قبل الجنة ، ومثل له شجرة ذات ظل ، فقال : أي رب قدمني إلى هذه الشجرة لا أكون في ظلها ، فقال الله عز وجل : هل عسيت إن فمات أن تسألني غيره ، قال : لا وعزتك فقدمه الله إليها ومثل له شجرة ذات ظل وممر أخرى ، فقال : أي رب قدمني إلى هذه الشجرة أظلل بظلها وآكل من ثمرها قال : فقال هل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسألني غيره ، قال : لا وعزتك فقدمه الله إليها فيمثل له شجرة أخرى ذات ظل وممر وماء ، فيقول : أي رب قدمني إلى هذه الشجرة فأكون في ظلها وآكل من ثمرها وأشرب من مائها ، فيقول : هل عسيت إن فعلت ذلك أن تسألني غيره ، فيقول : لا وعزتك لا أسألك غيره فقدمه الله

إليها فتبرز له الجنة ، فيقول : أى رب قدنى إلى باب الجنة فأكون نجاف الجنة .
 وفي رواية : تحت نجاف الجنة أنظر إلى أهلها ، فيقدمه الله إليها فيرى أهل الجنة
 وما فيها ، فيقول : أى رب أدخلني الجنة فيدخله الجنة ، فإذا دخل الجنة ، قال :
 هذا لى ، فيقول لله له : تمن ، قال فيتمنى ويذكره الله سل كذا وكذا فإذا انقطعت
 به الأمانى ، قال الله : هـو لك وعشرة أمثاله ، قال : ثم يدخل بيته ويدخل عليه
 زوجته من الحور العين ، فيقولان : الحمد لله الذى أحياك لنا وأحيانا لك .
 فيقول : ما أعطى أحد مثل ما أعطيت .»

وفي صحيح مسلم من حديث الشيرة بن شمبة رضى الله عنه عن النبي صلى الله
 عليه وسلم قال : «سأل موسى ربه من أذى أهل الجنة منزلة ؟ فقال : هو رجل يحيى
 بمد ما دخل أهل الجنة ، فيقال له أدخل الجنة ، فيقول : أى رب كيف ، وقد نزل
 الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ، فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل ملك من
 ملوك الدنيا فيقول : رضيت رب . فيقال : ذلك لك ومثله ومثله ومثله ومثله ومثله ،
 فيقول فى الخامسة : رضيت رب ، فيقول لك هذا وعشرة أمثاله ولك ما اشتئت
 نفسك ولدت عينك ، فيقول رضيت رب ، قال : فأعلام منزلة قال ذلك الذى
 أردت غرس كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على
 قلب بشر ، ومصداقه فى كتاب الله : (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة
 أعين) (١)

الباب التاسع والستون

وهو باب جامع فيه فصول منشورة لم تذكر فيما تقدم من الأبواب

فصل

في لسان أهل الجنة

قال ابن أبي الدنيا حدثنا القاسم بن هاشم حدثنا صفوان بن صالح حدثني رواد ابن الجراح المسقلاني ، حدثنا الأوزاعي عن هارون بن رباب عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعاً بذراع الملك على على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثون سنة ، وعلى لسان محمد صلى الله عليه وسلم جرد مرد مكجلون » .

وروى داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال : « لسان أهل الجنة عربي » وقال عقيل قال الزهري : لسان أهل الجنة عربي .

فصل

في احتجاج الجنة والنار

في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « احتجت النار والجنة فقالت هذه : يدخني الجبارون والمتكبرون ، وقالت هذه : يدخني الضعفاء والمساكين ، فقال الله عز وجل لهذه : أنت عذابي أعذب بك من أهواء ، وقال لهذه : أنت رحمتي أرحم بك من أهواء ولكل واحدة منكما ملؤها » .

وفي رواية أخرى « تحاجت النار والجنة ، فقالت للنار أوثرت بالتكبرين

والمتعبرين ، وقالت الجنة : مالى لا يدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم ، فقال الله سبحانه للجنة : أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى . وقال للنار : أنت عذابى أعذب بك من أشاء من عبادى ، ولشكل واحدة منكما ملؤها ، فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع قدمه عليها فتقول قط قط فهناك تمتلىء وينزوى بعضها إلى بعض ، ولا يظلم الله من خلقه أحداً ، وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقاً .

فصل

فى أن الجنة يبقى فيها فضل

فينشئ الله لها خلقاً دون النار فى الصحيحين عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد ، حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوى بعضها إلى بعض ، وتقول : قط قط بمزتك وكرمك ، ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة » .

وفى لفظ مسلم « يبقى من الجنة ما شاء الله أن يبقى ثم ينشئ الله سبحانه لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة » .

وفى لفظ مسلم « يبقى من الجنة ما شاء الله أن يبقى مما يشاء » .

وأما اللفظ الذى وقع فى صحيح البخارى فى حديث أبى هريرة « وإنه ينشئ للنار من يشاء فيلقى فيها فتقول هل من مزيد » ففاظ من بعض الرواة انقلب عليه لفظه والروايات الصحيحة ونص القرآن يردّه فإن الله سبحانه أخبر أنه يملأ جهنم من إبليس وأتباعه فإنه لا يهدب إلا من قامت عليه حجته وكذب رسله قال تعالى : (كلمالقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير . قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء) (١) ولا يظلم الله أحداً من خلقه .

فصل

في امتناع النوم على أهل الجنة

روى ابن مردويه من حديث سفيان الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون » .

وذكر الطبراني من حديث يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن المنكدر عن جابر قال : « سئل نبي الله صلى الله عليه وسلم فقيل أينام أهل الجنة ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون » .

فصل

في ارتقاء العبد وهو في الجنة من درجة إلى درجة أعلى منها

قال الإمام أحمد حدثنا يزيد أنبأنا حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول : يارب أنى لى هذه ؟ فيقول باستغفار ولدك لك » .

فصل

في إلحاق ذرية المؤمن به في الدرجة وإن لم يعملوا عمله

قال ثمالى (والذين آمنوا واتبعتم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين) (١) وروى قيس عن عمرو بن مرة

عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله ليرفع ذرية المؤمن إلية في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقربهم عينه ثم قرأ (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء) قال ما نقصنا الآباء مما أعطينا البنين » .

وذكر ابن مردويه في تفسيره من حديث شريك عن سالم الألفطس عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال شريك أظنه حكاه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده فيقال إنهم لم يبلغوا درجتك أو عملك فيقول يارب قد عملت لي ولهم فيؤمر بالإلحاق بهم ثم تلا ابن عباس (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان) إلى آخر الآية . وقد اختلف للفسرون في الذرية في هذه الآية هل المراد بها الصغار أو الكبار أو النوعان ؟ على ثلاثة أقوال . واختلافهم مبنى على أن قوله بإيمان حال من الذرية التابعين أو المؤمنين للتبوعين .

فقال طائفة : للمعنى والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم في إيمانهم فأتوا من الإيمان بمثل ما أتوا به ألحقناهم بهم في الدرجات قالوا ويدل على هذا قراءة من قرأ (واتبعتهم ذريتهم) فجعل الفعل في الاتباع لهم ، قالوا وقد أطلق الله سبحانه الذرية على الكبار ، كما قال (ومن ذريته داود وسليمان)^(١) وقال (ذرية من حملنا مع نوح)^(٢) وقال (وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون)^(٣) وهذا قول الكبار المقلاء .

قالوا : ويدل على ذلك ما رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس يرفعه « إن الله يرفع ذرية المؤمن إلى درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقربهم عينه » فهذا يدل على أنهم دخلوا بأعمالهم ولكن لم يكن لهم أعمال يبلغونها بها درجة آبائهم فيلزمهم

(١) سورة الأنعام آية ٨٤ .

(٢) سورة الإسراء آية ٣ .

(٣) سورة الأعراف آية ١٧٣ .

إياها وإن تقاصر عملهم عنها قالوا : وأيضاً فالإيمان هو القول والعمل والنية ، وهذا إنما يمكن من التكبر وعلى هذا ، فيسكون للمعنى : أن الله سبحانه يجمع ذرية المؤمن إليه إذا أتوا من الإيمان بمثل إيمانه إذ هذا حقيقة التبعية ، وإن كانوا دونه في الإيمان رفعهم الله إلى درجته إقراراً لعينه وتكميلاً لنعمته ، وهذا كما أن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم معه في الدرجة تبعاً ، وإن لم يلبسوا تلك الدرجة بأعمالهن .

وقالت طائفة أخرى : الذرية ههنا الصغار ، والمعنى : والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم في إيمان الآباء وإن كانوا صناراً في الإيمان وأحكامه من الميراث والدية والصلاة عليهم والدفن في قبور المسلمين وغير ذلك ، إلا فيما كان من أحكام البالغين ويكون قوله بإيمان على هذا في موضع نصب على الحال من المفعولين ، أى وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان الآباء .

قالوا : ويدل على صحة هذا القول أن البالغين لهم حكم أنفسهم في الثواب والعقاب ، فإنهم مستقلون بأنفسهم ليسوا تابعين الآباء في شيء من أحكام الدنيا ولا أحكام الثواب والعقاب لاستقلالهم بأنفسهم ، ولو كان المراد بالذرية البالغين لكان أولاد الصحابة البالغون كلهم في درجة آبائهم ، وتكون أولاد التابعين البالغون كلهم في درجة آبائهم وهلم جرا إلى يوم القيامة ، فيكون الآخرون في درجة السابقين .

قالوا : ويدل عليه أيضاً أنه سبحانه جعلهم معهم تبعاً في الدرجة كما جعلهم تبعاً معهم في الإيمان ولو كانوا بالغين لم يكن إيمانهم تبعاً بل إيمان استقلال . قالوا : ويدل عليه أن الله سبحانه جعل للنازل في الجنة بحسب الأعمال في حق المستقلين ، وأما الاتباع فإن الله سبحانه يرفعهم إلى درجة أهلهم وإن لم يكن لهم أعمالهم كما تقدم . وأيضاً فالخوارج المين الخدم في درجة أهلهم وإن لم يكن لهم عمل بخلاف المكلفين البالغين فإنهم يرفعون إلى حيث بلغت أعمالهم .

وقالت فرقة منهم الواحدى : الوجه أن تحمل الذرية على الصغار والتكبر لأن

السكبير يتبع الأب بإيمان نفسه والصغير يتبع الأب بإيمان الأب . قالوا : والذرية تقع على الصغير والسكبير والواحد والكثير والإبن والأب، كما قال تعالى (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون) (١) أى آبائهم . والإيمان يقع على الإيمان التبعي وعلى الاختيارى الكسبي فمن وقوعه على التبعي قوله (فتحرير رقبة مؤمنة) (٢) فلو أعتق صغيراً أجاز . قالوا : وأقوال الشلف تدل على هذا . قال سعيد بن جبير عن ابن عباس إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عيونهم ثم قرأ هذه الآية ، وقال ابن مسعود في هذه الآية الرجل يكون له التقدم ويكون له الذرية فيدخل الجنة فيرفعون إليه لتقر بهم عينه وإن لم يبلغوا ذلك . وقال أبو مجاز : يجمعهم الله له كما كان يجب أن يجمعوا في الدنيا ، وقال الشعبي أدخل الله الذرية بعمل الآباء الجنة . وقال السكبي عن ابن عباس إن كان الآباء أرفع درجة من الإبناء رفع الله الإبناء إلى الآباء وإن كان الإبناء أرفع درجة من الآباء رفع الله الآباء إلى الإبناء ، وقال إبراهيم أعطوا مثل أجور آبائهم ولم ينقص الآباء من أجورهم شيئاً قال : ويدل على صحة هذا القول أن القراءتين كالتين فمن قرأ (وأتبعتم ذريتهم) فهذا من حق البالغين الذين تصح نسبة الفعل إليهم كما قال تعالى (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعواهم بإحسان) (٣) ومن قرأ (وأتبعناهم ذرياتهم) فهذا في حق الصغار الذين أتبعهم الله إياهم في الإيمان حكماً فدلّت القراءتان على النوعين .

قلت : واختصاص الذرية ههنا بالصغار أظهر لثلاث يلزم استواء المتأخرين والسابقين في الدرجات ولا يلزم مثل هذا في الصغار فإن أطفال كل رجل وذريته معه في درجته . والله أعلم .

(١) سورة يس آية ٤١ .

(٢) سورة النساء آية ٩٢ .

(٣) سورة التوبة آية ١٠٠ .

فصل

في أن الجنة تتكلم

قد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم : « احتجت الجنة والنار » وقوله « قالت الجنة يارب قد اطردت أنهارى ، وطابت ثمارى فمجل على بأهلى » وقال إسماعيل ابن أبى خالد عن سميد الطائى « أخبرت أن الله تعالى لما خلق الجنة قال لها تزينى فتزينت ؛ ثم قال لها تكلمى فتكلمت فقالت : طوبى لمن رضى عنه » وقال قتادة « لما خلق الله الجنة قال لها تكلمى فقالت : طوبى للمتقين . »

وقال الطبرانى حدثنا أحمد بن على حدثنا هشام بن خالد حدثنا بقية عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما خلق الله جنة عدن خلق فيها مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ثم قال لها تكلمى فقالت : قد أفلح المؤمنون . »

فصل

في أن الجنة تزداد حسناً على الدوام

قال عبد الله بن أحمد حدثنا خاف بن هشام حدثنا خالد بن عبد الله عن زيد بن أبى زياد عن عبد الله بن الحارث عن كعب قال : « ما نظر الله إلى الجنة إلا قال طوبى لأهالك تزداد ضعفاً حتى يدخلها أهلها . »

فصل

في أن الحور العين يطلبن أزواجهن أكثر مما يطلبهن أزواجهن

كما تقدم حديث معاذ بن جبل في ذلك ، وقول الحوراء لامرأته في الدنيا لا تؤذيه فيوشك أن يفارقك إلينا . وحديث عكرمة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الحور « اللهم أعنه على دينك وأقبل بقلبه على طاعتك » .

وذكر ابن أبي الدنيا عن أبي سليمان الداراني قال : كان شاب بالعراق يتعبد فخرج مع رفيق له إلى مائة فكان أن نزلوا فهو يصلى وإن أكلوا فهو صائم ، فصر عليه رفيقه ذاهباً وجائياً فلما أراد أن يفارقه ، قال : له يا أخى أخبرني ما الذى هيجك إلى ما رأيت ؟ قال : رأيت في النوم قصرأ من قصور الجنة ، وإذا لبنة من فضة ولبنة ذهب ، فلما تم البناء إذا شرافة من زرجدة وشرافة من ياقوت ، وبينهما حوراء من حور العين مرخية شعرها ، عليها ثوب من فضة ينثى معها كلما تشنت ، فقالت : جد إلى الله في طابى ، فقد والله جددت إليه في طلبك ، فهذا الذى تراه في طلبها .

قال أبو سليمان هكذا في طاب حوراء ، فكيف بمن قد طلب ما هو أكثر منها ؟

فصل

في ذبح الموت بين الجنة والنار

قال الله تعالى (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون) (١) وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : « يجاء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال : يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ فيشربون وينظرون ويقولون : نعم هذا للموت . ثم يقال : يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ فيشربون وينظرون ويقولون : نعم هذا للموت ، قال فيؤمر به فيذبح ، قال : ثم يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون) « متفق عليه .

وفي الصحيحين أيضاً من حديث ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يدخل أهل الجنة الجنة ، ويدخل أهل النار النار ، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول : يا أهل الجنة لاموت ويا أهل النار لاموت كل خالد فيما هو فيه » .

وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وصار أهل النار إلى النار أتى بالموت حتى يجعل بين النار والجنة ثم ينادى مناد يا أهل الجنة : لا موت ويا أهل النار لا موت ، فيزداد أهل الجنة فرحاً ويزداد أهل النار حزناً إلى جهنم » .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار أتى بالموت ملبياً فيوقف على السور الذى بين أهل الجنة وأهل النار ثم يقال يا أهل الجنة فيظلمون خائفين ثم يقال يا أهل النار فيظلمون مبشرين يرجون الشفاعة فيقال لأهل الجنة وأهل النار : هل تعرفون هذا ؟ فيقول هؤلاء وهؤلاء : قد عرفناه هو للموت ، الذى وكل بنا ، فيضجع فيذبح ذبجاً على السور ، ثم يقال : يا أهل الجنة خلود لاموت ويا أهل النار خلود لاموت » رواه النسائى والترمذى وقال حديث حسن صحيح . وهذا الكبش والاضجاع ، والذبح ومماينة الفريقين ذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيل ، كما أخطأ فيه بعض الناس خطأ قبيحاً : وقال الموت : عرض والمرض لا يتجسم فضلاً عن أن يذبح وهذا لا يصح فإن الله سبحانه ينشئ من الموت صورة كبش يذبح كما ينشئ

(٢٦ - حادى الأرواح)

من الأعمال صوراً معانية يثاب بها ويماقب والله تعالى ينشئ من الأعراض
 أجساماً تكون الأعراض مادة لها وينشئ من الأجسام أعراضاً ، كما ينشئ
 سبحانه من الأعراض أعراضاً ومن الأجسام أجساماً . فالاقسام الأربعة ممكنة
 مقدورة للرب تعالى ولا يستلزم جمماً بين النقيضين ولا شيئاً من المحال ولا حاجة
 إلى تسكاف من قال : إن الذبح لك اللوت فهذا كله من الاستدراك الفاسد على الله
 ورسوله والتأويل الباطل الذي لا يوجب عقل ولا نقل وسببه قلة الفهم لمراد الرسول
 صلى الله عليه وسلم من كلامه ، فظن هذا القائل أن لفظ الحديث يدل على أن نفس
 المرض يذبح . وظن غالط آخر أن المرض يعدم ويزول ويصير مكانه جسم يذبح
 ولم يهد الفريقان إلى هذا القول الذي ذكرناه وأن الله سبحانه ينشئ من الأعراض
 أجساماً ويجعلها مادة لها كما في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم « تجيء البقرة وآل
 عمران يوم القيامة كأنهما عمامتان » الحديث . فهذه هي القراءة التي يفتشها الله
 سبحانه غماتين .

وكذلك قوله في الحديث الآخر « أن ما تذكرون من جلال الله من تسبيحه
 وتحميده وتهليله يتماطفن حول المرش لمن دوى كدوى النحل يذكرن بصاحبهن »
 ذكره أحمد .

وكذلك قول في حديث عذاب الفبر ونعيمه للصورة التي يراها « فيقول من
 أنت ؟ فيقول أنا عملك الصالح وأنا عملك السيء » وهذا حقيقة لاخيال ، ولكن الله
 سبحانه أنشأ له من عمله صورة حسنة وصورة قبيحة وهل النور الذي يقسم بين
 المؤمنين يوم القيامة إلا نفس إيمانهم أنشأ الله سبحانه لهم منه نوراً يسمى بين
 أيديهم فهذا امر معقول لو لم يرد به النص ، فورود النص به من باب تطابق
 السمع والعقل .

وقال سميد عن قتادة : بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن المؤمن
 إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة وبشارة حسنة فيقول له : من
 أنت ؟ فوالله إنى لأراك امرأ الصدق فيقول له : أنا عملك فيكون له نوراً وقائداً

إلى الجنة . وأما للكافر إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة وبشارة سيئة فيقول : ما أنت فوالله إنى لأراك امرأ السوء . فيقول له : أنا عملك فينطلق به حتى يدخل النار .

وقال مجاهد مثل ذلك ،

وقال ابن جرير يمثل له عمله في صورة حسنة وريح طيبة ، يمرض صاحبه ويبشره بكل خير ، فيقول له من أنت ؟ فيقول : أنا عملك فيجعل له نوراً بين يديه حتى يدخله الجنة فذلك قوله : (يهديهم وهم بإيمانهم) (١) والكافر يمثل له عمله في صورة سيئة وريح منقنة فيلازم صاحبه ويلاذه حتى يقذفه في النار .

وقال ابن المبارك ثنا المبارك بن فضالة عن الحسن أنه ذكر هذه الآية (أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بممذيين) (٢) قال : علموا أن كل نعيم بعده الموت أنه يقطعه فقالوا أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بممذيين قيل لا ، قالوا : إن هذا هو الفوز العظيم . وكان يزيد الرقاشي يقول في كلامه أمن أهل الجنة من الموت فطاب لهم العيش ، وأمنا من الاستقام فهناهم في جوار الله طول المقام ، ثم يبكي حتى تجرى دموعه على خديه .

(١) سورة يونس آية ٩ .

(٢) سورة الصافات آية ٥٩ .

فصل

في ارتفاع المبادات في لجنة إلاباة الالكر نأء ءائمة

روى مسلم في صحبفه من الءبء ابء بن عبء الله رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتمخطون ولا ينفوطون ولا يبولون ويكون طعامهم ذلك جشاء ورشحا كرشع المسك ياهمون التسيب والءمء كا يلهمون النفس » .

وفي رواية « التسيب والتكبىر كا تلهمون » بالباء المثناة من فوق أى تسيبهم وءمءهم بجرى مع الأنفاس كا تلهمون أنتم النفس .

فصل

في تءاكر أهل الجنة ما كان بينهم في ءار الءنبا

قال الله تعالى (فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ، قال قائل منهم إنبى كان لى قرىن) (١) الآباء . وقد تقدم السكلام عليها وقال تعالى (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ، قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقىن ، فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم) (٢) .

وذكر أبى الءنبا من الءبء الربى بن صببى عن الءسن عن أنس برهه : « إذا ءل أهل الجنة الجنة فىبشءاق الإءوان بعضهم إلى بعض فىسبر سبرر هذا إلى سبرر هذا ، وسبرر هذا إلى سبرر هذا ، ءق بجمءا جمبما فىبكىء هذا وببكىء هذا ، فىقول أءءهما لصاىبه : تعلم مقى غفر الله لنا ؟ فىقول صاىبه : نعم بوم كءا وكءا ، فى موضع كءا وكءا ، فءءونا الله ففرر لنا » .

(١) سورة الصافات الآباء ٥١ و٥٠ .

(٢) سورة الطور الآباء ٢٥ - ٢٧ .

وإذا تذكروا ما كان بينهم فتذاكرهم فيما كان يشكل عليهم في الدنيا من مسائل العلم وفهم القرآن والسنة ، وصحة الأحاديث أولى وأحرى ، فإن المذاكرة في الدنيا في ذلك ألد من الطعام والشراب والجماع ، فتذاكر ذلك في الجنة أعظم لذة ، وهذه لذة يختص بها أهل العلم ، ويتميزون بها على من عداهم .

الباب سبعون

في ذكره من يستحق هذه البشارة دون غيره

قال الله تعالى : « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها (١) . وقال تعالى : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) (٢) .

وقال تعالى : (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) (٣) .

وقال تعالى : (فبشر عبادى ، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) (٤) .

وقال تعالى : (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون ، يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجات لهم فيها نعيم مقيم ، خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم) (٥) .

وقال تعالى : (والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ، ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) (٦) . وقال الله تعالى : (إنما تنذر من اتبع الذكروخشى الرحمن بالتيب فبشره بمغفرة وأجر كريم) (٧) وقال تعالى : (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً

(٢) سورة يونس الآيات ٦٢ - ٦٤

(٤) سورة الرمز آية ١٨

(٦) سورة الشورى ٢٣

(١) سورة البقرة آية ٢٥

(٣) سورة فصلت آية ٣٠

(٥) سورة التوبة الآيات ٢٠ - ٢٣

(٧) سورة يس آية ١١

ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً (١) . وقال تعالى : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أموالاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) (٢) : وقال تعالى : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بمعهده من الله ؟ فاستبشروا ببيمكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) . وقال تعالى : (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ، الذين إذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) (٣) وقال تعالى (وأخرى تجوبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين) (٤) وقال في الجنة (أعدت للمتقين) وقال (أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله) وقال (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً) (٥) ، وقال تعالى (قد أفلح المؤمنون) إلى قوله (أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) .

وفي المسند وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « قد أنزلت على عشر آيات من أفامهن دخل الجنة ، ثم تلا (قد أفلح المؤمنون) حتى ختم العشر آيات » وقال تعالى (إن المسلمين والمسلمات) إلى قوله (أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيماً) وقال تعالى (التائبون العابدون الحامدون السائحون الذاكرون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين » وقال تعالى (تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً) وقال تعالى (سارعوا إلى مغفرة

(١) سورة الأحزاب الآيات ٤٥ - ٤٧

(٢) سورة آل عمران الآيات ١٦٩ - ١٧١

(٣) سورة الصف آية ١٣

(٤) سورة الصف آية ١٣

(٥) سورة الكهف آية ١٠٧

ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الفیظ والمافین عن الناس والله یحب المحسنین ، والذین إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا الذنوبهم ومن یغفر الذنوب إلا الله ولم یصروا على ما فعلوا وهم یعلمون ، أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فیها ونعم أجر العالمین (١) وقال تعالى (یا أيها الذین آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجیکم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فی سبیل الله بأموالکم وأنفسکم ذلكم خیر لکم إن كنتم تعلمون) (٢) إلى قوله (وبشر المؤمنین) وقال تعالى (ولن خاف مقام ربه جنتان) وقال تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هی المأوی) .

وهذا فی القرآن کثیر مقداره على ثلاث قواعد : إیمان وتقوی وعمل خالص لله على موافقة السنة فأهل هذه الأصول الثلاثة هم أهل البشرى دون من عداهم من سائر الخلق وعليها دارت بشارات القرآن والسنة جميعها وهی تجتمع فی أصلین : إخلاص فی طاعة الله وإحسان إلى خلقه . وضدها یجتمع فی الذین راؤون ویؤمنون الماعون ، وترجع إلى خصلة واحدة وهی موافقة الرب تبارک وتعالى فی محابه ، ولا طریق إلى ذلك إلا بتحقیق القدوة ظاهراً وباطناً رسول الله صلى الله علیه وسلم .

وأما الأعمال التي هی تفاصيل هذا الأصل فهی بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق وبين هاتین الشعبتين سائر الشعب التي مرجعها تصدیق الرسول فی كل ما أخبر به وطاعته فی جميع ما أمر به إيجاباً واستحباباً ، كالإیمان بأسماء الرب وصفاته وأفعاله وآياته من غیر تحریف لها ولا تمطیل ومن غیر تكیيف ولا تمثیل .

كما قال الشافعی رحمه الله : الحمد لله الذی هو كما وصف به نفسه وفوق ما یصف

به خلقه ، وكأنه أخذ هذا من قول النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم لك الحمد كالذي تقول وخيراً مما تقول » .

وقد ذكرنا في أول الكتاب جملة مقالات أهل السنة والحديث التي أجمعوا عليها ، كاحكام الأشعري عنهم ونحن نحكي إجماعهم ، كما حكاه حرب صاحب الإمام أحمد عنهم بلفظه ، قال : في مسائله المشهورة .

هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة التمسكين بها المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا ، وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائمها فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة ، زائل عن منهج السنة وسبيل الحق .

قال : وهو مذهب أحمد وإسحاق بن إبراهيم وحيد الله بن مخلد وعبد الله بن الزبير الحميدي وسعيد بن منصور وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم ، وكان من قولهم إن الإيمان قول وعمل ونية وتمسك بالسنة ، والإيمان يزيد وينقص ، ويستثنى من الإيمان غير أن لا يكون الاستثناء شكا ، إنما هي سنة ماضية عند العلماء . فإذا سئل الرجل : أمؤمن أنت ؟ فإنه يقول : أنا مؤمن إن شاء الله ؟ أو مؤمن أرجو ، ويقول : آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله .

ومن زعم أن الإيمان قول بلا عمل فهو مرجيء ، ومن زعم أن الإيمان هو القول والأعمال شرائع فهو مرجيء .

ومن زعم أن الإيمان يزيد ولا ينقص فقد قال بقول المرجئة ، ومن ير الاستثناء في الإيمان فهو مرجيء .

ومن زعم أن إيمانه كإيمان جبريل والملائكة فهو مرجيء . ومن زعم أن للمعرفة في القلب وإن لم يتكلم بها فهو مرجيء ، والقدر خبره وشبهه وقليله وكثيره

وظاهره وباطنه وحلوه ومره ومحبوه ومكروهه وحسنه وسيئه وأوله وآخره من الله عز وجل قضاء قضاء على عباده، وقدر قدره عليهم لا يمدو واحد منهم مشيئة الله ولا يجاوزه قضاؤه ، بل هم كلهم صائرون إلى ما خلقهم له ، واتقون فيما قدر عليه وهو عدل منه جل ربنا وعز .

والزنا والسرقه وشرب الخمر وقتل النفس وأكل المال الحرام والشرك والمعاوى كلها بقضاء الله من غير أن يكون لأحد من خلقه على الله حجة ، بل لله الحجة البالغة على خلقه لا يسأل عما يفعل وهم يُسألون ، وعلم الله عز وجل ماض في خلقه بمشيئة منه فهو سبحانه قد علم من إبليس ومن غيره ممن عصاه من لدن عصى الله تبارك وتعالى إلى قيام الساعة للمصيبة وخلقهم لها .

وعلم الطاعة من أهل الطاعة وخلقهم لها ، فكل يعمل لما خلق له وصائر إلى ما قضى عليه لا يمدو أحد منهم قدر الله ومشيئته ، والله الفعال لما يريد ، ومن زعم أن الله سبحانه وتعالى شاء لعباده الذين عصوه وتكبروا الخير والطاعة وأن للعباد شاءوا لأنفسهم الشر وللمصيبة ، فعملوا على مشيئتهم ، فقد زعم أن مشيئة العباد أغلب من مشيئة الله تعالى ، وأي افتراء على الله أكبر من هذا ؟

ومن زعم أن الزنا ليس بقدر ، قيل له : أرأيت هذه للمرأة حملت من الزنا ، وجاءت بولد هل شاء الله عز وجل أن يخلق هذا الولد ، وهل مضى في سابق علمه ؟ فإن قال : لا ، فقد زعم أن مع الله خالقاً وهذا الشرك صراحاً .

ومن زعم أن السرقه وشرب الخمر وأكل للمال الحرام ليس بقضاء وقدر ، فقد زعم أن هذا الإنسان قادر على أن يأكل رزق غيره ، وهذا صراح قول الجوسية بل أكل رزقه الذي قضى الله أن يأكله من الوجه الذي أكله .

ومن زعم أن قتل النفس ليس بمقدر من الله عز وجل ، فقد زعم أن القتل

مات بنير أجله ، وأى كفر أوضح من هذا ؟ بل ذلك بقضاء الله عز وجل وذلك عدل منه في خلقه وتدييره فيهم وما جرى من سابق علمه فيهم ، وهو المدل الحق الذى يفعل ما يريد .

ومن أقر بالعلم لزمه الإقرار بالقدر والمشية على الصغر والقاء ، ولا نشهد على أحد من أهل القبلة أنه في النار لذنوب عمله ولا لكبيرة أتاها ، إلا أن يكون في ذلك حديث . كما جاء في حديث ولا بنص الشهادة ولا نشهد لأحد أنه في الجنة بصالح عمله ، ولا لخير أتاها إلا أن يكون في ذلك حديث .

كما جاء على ما روى ولا بنص الشهادة والخلافة في قريش ما بقى من الناس اثنان ، وليس لأحد من الناس أن ينازعهم فيها ولا يخرج عليهم ، ولا تقرر لغيرهم بها إلى قيام الساعة ، والجهاد ماض قائم مع الأئمة بروا أو فجروا لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل ، والجمعة الميدان والحج مع السلطان وإن لم يكونوا برة عدولا أتقياء ، ودفع الصدقات والحراج والأعشار والنفى والغنائم إليهم عدلوا فيها أو جاروا والانتقاد لمن ولاه الله عز وجل أمركم لا تنزع يداً من طاعته ولا تخرج عليه بسيف حتى يجعل الله لك فرجاً ومخرجاً ، ولا تخرج على السلطان ولسمع وتطيع ولا تنكث بيعته فمن فعل ذلك فهو مبتدع مخالف مفارق للجماعة ، وإن أمرك السلطان بأمر فيه لله معصية فليس لك أن تطيمه البتة وليس لك أن تخرج عليه ولا تمنه حقه والإمساك في الفتنة سنة ماضية واجب احترامها ، فإن ابتليت فقدم نفسك دون دينك ، ولا لمن عن الفتنة بيد ولا لسان ولكن أكف لسانك ويدك وهواك ، والله للمين .

والكف عن أهل القبلة فلا تكفر أحداً منهم بذنوب ، ولا تخرجه عن الإسلام بعمل إلا أن يكون في ذلك حديث كما جاء ، وما روى فتصدقه وتقبله وتعلم أنه كما روى نحو كفر من يستحل نحو ترك الصلاة وشرب الخمر وما أشبه ذلك ، أو يتتبع بدعة ينسب صاحبها إلى الكفر والخروج من الإسلام ، فاتبع ذلك

ولا تتجاوزوه ، والأعور الدجال خارج لا شك في ذلك ولا ارتياب وهو أكذب الكاذبين .

وعذاب القبر حق يسأل العبد عن دينه وعن ربه وعن الجنة وعن النار ، ومنكر ونكير حق وهما فتانا القبر . نسأل الله الثبات .

وحوض محمد صلى الله عليه وسلم حق ، حوض ترده أمته ولهم آية يشربون بها منه .

والصراط حق يوضع على سواء جهنم . ويمر الناس عليه والجنة من وراء ذلك . والميزان حق يوزن به الحسنات والسيئات كما شاء الله أن يوزن . والصور حق ينفخ فيه إسرافيل فتتوأت الخلق ثم ينفخ فيه الأخرى فيقومون لرب العالمين للحساب . ونصل القضاء والثواب والمعقاب ، والجنة والنار .

والروح المحفوظ يستنسخ منه أعمال العباد لما سبق فيه من التقادير والقضاء . والقلم حق كتب الله به مقادير كل شيء وأحصاه في الذكر ؛ والشفاعة يوم القيامة حق يشفع قوم في قومهم فلا يصيرون إلى النار . ويخرج قوم من النار بعد ما دخلوها . ولبثوا فيها ما شاء الله ثم يخرجهم من النار ، وقوم يخلدون فيها أبداً وهم أهل الشرك والتكذيب والجحود والكفر بالله عز وجل ، يذبح الموت يوم القيامة بين الجنة والنار ، وقد خلقت الجنة وما فيها وخلقت النار وما فيها خلقهما الله عز وجل . وخلق الخلق لهما ولا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبداً . فإذا احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عز وجل (كل شيء هالك إلا وجهه) (١) .

وبنحو هذا من مثابه القرآن قيل له : كل شيء مما كتب عليه الفناء والهلاك هالك والجنة والنار خلقهما لبقاء لا للفناء ، ولا للهلاك وهما من الآخرة لا من الدنيا

والحور العين لا يمتن عند قيام الساعة ولا عند النفخة ولا أبداً ، لأن الله عز وجل خلقهن للبقاء لا للفناء ولم يكتب عليهن اللوت .

فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع ضل عن سواء السبيل ، وخلق سبع سموات بعضها فوق بعض ، وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض ، وبين الأرض العليا والسما الدنيا مسيرة خمسمائة عام وبين كل سما إلى سما مسيرة خمسمائة عام ، والماء فوق السماء العليا السبعة وعرش الرحمن عز وجل فوق الماء والله عز وجل على العرش والكرسى موضع قدميه وهو يعلم ما في السموات وما في الأرضين وما بينهما وما تحت الثرى وما في قمرى البحر ومنبت كل شجرة وكل زرع وكل نبات ، ومسقط كل ورقة وعدد كل كلمة وعدد الرمل والحصى والتراب ومثاقيل الجبال ، وأعمال العباد وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم ويعلم كل شيء ، ولا يخفى عليه من ذلك شيء ، وهو على العرش فوق السماء السابعة ودونه حجب من نار ونور وظلمه وما هو أعلم به ، فإن احتج مبتدع أو مخالف بقول الله عز وجل (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) (١) .

وقوله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا) (٢) ونحو هذا من متشابه القرآن . فقل إنما يعنى بذلك العلم أن الله عز وجل على العرش فوق السماء السابعة العليا يعلم ذلك كله وهو بائن من خلقه لا يخلو من علمه مكان . والله عز وجل عرش وللعرش حملة يحملونه والله عز وجل مستو على عرشه وليس له حد . والله عز وجل مبيع لا يشك ، بصير لا يرتاب ، عليم لا يجهل ، جواد لا يبخل ، حليم لا يعجل ، حفيظ لا ينسى ، ولا يسهو . قريب لا يففل ويتسكام وينظر ويبسط ، ويضحك ويفرح ؛ ويحب ويكره ويغضب ، ويرضى وينضب ويستخط ويرحم ، ويعفو ويغفر ، ويعطي ويمنع .

(١) سورة في آية ١٦ .

(٢) سورة المجادلة آية ٧ .

وينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا كيف شاء وليس كمثل شيء وهو السميع البصير ،
 وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ويوعىها ما أراد ،
 وخلق آدم بيده على صورته ، والسموات والأرض يوم القيامة في كفه ، ويضع
 مقدمه في النار فتزوى ويخرج قوماً من النار بيده ، وينظر إلى وجهه أهل الجنة
 يرونه فيكرههم ويتجلى لهم ، وتعرض عليه العباد يوم القيامة ويتولى حسابهم
 بنفسه ولا يلي ذلك غيره عز وجل .

والقرآن كلام الله الذي تكلم به ليس بمخلوق فمن زعم أن القرآن مخلوق فهو
 جهمي كافر ، ومن زعم أن القرآن كلام الله ووقف ولم يقل ليس بمخلوق فهو أخبث
 من القول الأول ؛ ومن زعم أن ألفاظنا وتلاوتنا مخلوقة والقرآن كلام الله فهو
 جهمي ، وكلام الله موسى تكليماً منه إليه ، وناوله التوراة من يده
 إلى يده .

ولم يزل الله عز وجل متكاملاً ، والرؤيا من الله وهي حق إذا رأى صاحبها
 في منامه ما ليس ضغناً فقصها على عالم وصدق فيها فأولها العالم على أصل تأويلها
 الصحيح ، ولم يحرف فالرؤيا تأويلها حينئذ حق وقد كانت الرؤيا من الأنبياء وحيا
 فأى جاهل ممن يظن في الرؤيا ويؤمن أنها ليست بشيء ؟

وبلغني أن من قال هذا القول لا يرى الاغتسال من الاحتلام ، وقد روى عن
 النبي صلى الله عليه وسلم « إن رؤيا المؤمن كلام يكلم به الرب عبده » وقال : « إن
 الرؤيا من الله » وذكر محاسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم والكف
 عن ذكر مساوئهم التي شجرت بينهم .

فمن سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو واحداً منهم أو نقصه أو
 طعن عليه أو عرض بميهم أو عاب أحداً منهم فهو مبتدع رافض خبيث مخالف
 لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً .

بل حبهم سنة والدعاء لهم قرينة والافتداء بهم وسيلة والاخذ بآثارهم فضيلة

وخير الأمة بمد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر بعد أبي بكر وعثمان بعد عمر وعلى بعد عثمان ووقف قوم على عثمان ، وهم خلفاء راشدون مهديون ثم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هؤلاء الأربعة خير الناس ، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم ، ولا أن يظن على واحد منهم بسب ولا نقص . فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ، ليس له أن يفتو عنه بل يماقبه ويستتبيه فإن تاب قبل منه وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة وخلده في الحبس حتى يموت أو يرجع .

ونعرف للعرب حقها وفضلها وسابقتها ونجيمها لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن جهنم إيمان وبنفسهم نفاق ولا نقول بقول الشعوبية ، وأراذل الموالى الذين لا يحبون العرب ولا يقرون لهم بفضل فإن قولهم بدعة .

ومن حرم للكاسب والتجاراات وطلب المال من وجهه فقد جهل وأخطأ وخالف، بل للكاسب من وجوها حلال قد أحلها الله عز وجل ورسوله، فالرجل ينبغي له أن يسعى على نفسه وعياله من فضل ربه ، فإن ترك ذلك على أنه لا يرى الكسب فهو مخالف ، والدين إنما هو كتاب الله عز وجل وآثار وسنن وروايات صحاح عن الثقات بالأخبار الصحيحة القوية المعروفة يصدق بعضها بعضاً حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم والتابعين وتابى التابعين ومن بعدهم من الأئمة المعروفين للمقتدى بهم التمسكين بالسنة وللتعلمين بالآثار ، ولا يعرفون بدعة ولا يظن فيهم بكذب ولا يرمون بخلاف ، إلى أن قال : فهذه الأقاويل التي وصفت مذاهب أهل السنة والجماعة والآثر ، وأصحاب الروايات وحملة العلم ، الذين أدركناهم وأخذنا عنهم الحديث وتعلمنا منهم السنن ، وكانوا أئمة معروفين ثقات أهل صدق وأمانة يقتدى بهم ويؤخذ عنهم ، ولم يكونوا أهل بدعة ولا خلاف ولا تخليط وهو قول أئمتهم وعلمائهم الذين كانوا قبلهم فتمسكوا بذلك وتعلموه وعلموه .

قلت : حرب هذا صاحب أحمد وإسحاق ، وله عنهما مسائل جلية ، وأخذ
عن سيد بن منصور وعبد الله بن الزبير الحميدى . وهذه الطبقة وقد حكي هذه
للذاهب عنهم واتفاقهم عليها ، ومن تأمل للنقول عن هؤلاء وأضماف أضمافهم من
أئمة السنة والحديث وجده مطابقاً لما نقله حرب ولو تتبعناه لكان بمقدار هذا
الكتاب مراراً ، وقد جمعت منه في مسألة علو الرب تعالى على خلقه واستوائه
على عرشه وحدها سفرأ متوسطاً ، فهذا مذهب للمستحقين لهذه البشرية قولاً
وعملاً واعتقاداً . وبالله التوفيق .

فصل

ونحتم الكتاب بما ابتدأنا به أولاً وهو خاتمة دعوى أهل الجنة

قال تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجرى من
تحتهم الأنهار في جنات النعيم ، دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر
دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) (١) .

قال حجاج عن ابن جريج أخبرت أن قوله : دعواهم فيها سبحانك اللهم . قال :
إذا مر بهم الطير ليشتهونه ، قالوا : سبحانك اللهم ، وذلك دعواهم فيأتيهم الملك
بما اشتهاوا فيسلم عليهم فيردون عليه ، فذلك قوله تعالى (وتحيتهم فيها سلام) ،
قال : فإذا أكلوا حمدوا الله ربهم فذلك قوله تعالى (وآخر دعواهم أن الحمد لله
رب العالمين) .

قال سيد عن قتادة قوله تعالى (دعواهم فيها سبحانك اللهم) يقول : ذلك
دعواهم فيها ، وتحيتهم فيها سلام .

وقال الأشجعي : سمعت سفيان الثوري يقول إذا أرادوا الشيء قالوا : سبحانك اللهم ، فيأتهم مادعوا به . ومعنى هذه الكلمة تنزيه الرب تعالى وتمظيمه وإجلاله عما لا يليق به .

وذكر سفيان عن عبد الله بن موهب سمعت موسى بن طلحة قال : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبحان الله ، فقال : تنزيه الله عن الشؤء » .

وسأل ابن الكواء علياً عنها فقال : كلمة رضيها الله تعالى لنفسه .

وقال حنص بن سليمان بن طلحة بن يحيى بن طلحة عن أبيه عن طلحة بن عبيد الله قال : « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير سبحان الله فقال هو تنزيه الله عن كل سوء » فأخبر الله تعالى عن أول دعواهم إذا استدعوا شيئاً قالوا سبحان الله وعن آخر دعواهم عند ما يحصل لهم وهو قولهم الحمد لله رب العالمين . ومعنى الآية أعم من هذا والدعوى مثل الدعاء والدعاء يراد به الثناء ويراد به المسألة .

وفي الحديث « أفضل الدعاء الحمد لله رب العالمين » . فهذا دعاء ثناء وذكر يلهمه الله أهل الجنة ، فأخبر سبحانه عن أوله وآخره فأوله تسبيح وآخره حمد يلهمه ونهما كما يلهمون النفس .

وفي هذا إشارة إلى أن التكليف في الجنة يسقط عنهم ولا تبقى عبادتهم إلا هذه الدعوى التي يلهمونها ، وفي لفظة « اللهم » إشارة إلى صريح الدعاء ، فإنها متضمنة لمعنى يا الله فهي متضمنة للسؤال والثناء ، وهذا هو الذى فهمه من قال إذا أرادوا الشيء قالوا : سبحانك اللهم فذكروا بعض المعنى ولم يستوفوه مع أنهم قصرُوا به ، فإزهم أو هموا أنهم إنما يقولون ذلك عندما يريدون الشيء ، وليس (٢٧ - حادى الأرواح)

في الآية ما يدل على ذلك ، بل يدل على أن أول دعائهم التسييح
وأخره الحمد .

وقد دل الحديث الصحيح على أنهم يلهمون ذلك كما يلهمون النفس فلا تختص
الدعوى المذكورة بوقت إرادة الشيء ، وهذا كما أنه لا يليق بمعنى الآية ، فهو
لا يليق بحالهم . والله تعالى أعلم بالصواب .

فهرس كتاب حادى الأرواح

الصفحة	الموضوع
ج	مقدمة بقلم الشيخ على صبح المدنى
٣	خطبة الكتاب
٦	فصل ولما علم الموفقون ما خلقوا له إلى آخره
٧	شمر في وصف الجنة
٩	فصل وهذا كتاب اجتهدت في جمعه وترتيبه الخ
١١	الباب الأول في بيان وجود الجنة
٢٢	» الثاني في اختلاف الناس في الجنة التي أسكنها آدم هل هي جنة الخلد أم جنة أخرى
٢٦	» الثالث في سياق حجيج من اختار أنها جنة الخلد
٣٢	» الرابع في سياق حجيج الطائفة التي قالت ليست جنة الخلد
٣٨	» الخامس في جواب أرباب هذا القول لأصحاب القول الأول
٤٢	» السادس في جواب من زعم أنها جنة الخلد عما احتج به منازعوهم
٤٥ ✓	» السابع في ذكر شبه من زعم أن الجنة لم تخلق بمد
٤٧	» الثامن في الجواب عما احتجت به هذه الطائفة
٥١	» التاسع في ذكر عدد أبواب الجنة
٥٨	» العاشر في ذكر سعة أبوابها
٦١	» الحادى عشر في صفة أبوابها وأنها ذات حلق
٦٢	فصل ولما كانت الجنات درجات بعضها فوق بعض الخ
٦٤	الباب الثاني عشر في ذكر مسافة ما بين الباب والباب
٦٥ ✓	» الثالث عشر في مكان الجنة وأين هي ؟
٦٨	» الرابع عشر في مفتاح الجنة

الموضوع	الصفحة
الباب الخامس عشر في توقيع الجنة ومنشورها الذي يوقع به لأصحابها عند الموت عند دخولها .	٧٠
فصل وأما المنشور الثاني	٧٢
الباب السادس عشر في توحد طريق الجنة وأنه ليس لها إلا طريق واحد	٧٤
» السابع عشر في درجات الجنة	٧٧
» الثامن عشر في ذكر أعلا درجاتها واسم تلك الدرجة	٨١
» التاسع عشر في عرض الرب تعالى سامته الجنة على عباده وثمنها الذي طلبه منهم الخ	٨٤
فصل وههنا أمر يجب التنبيه عليه وهو أن الجنة إنما تدخل برحمة الله تعالى للخ .	٨٧
الباب العشرون في طلب أهل الجنة لها من ربهم وطلبها لهم الخ	٨٩
» الحادى والعشرون في أسماء الجنة ومعانيها واشتقاقاتها الخ	٩٤
» الثاني والعشرون في عدد الجنات وأنها نوعان	١٠٢
» الثالث والعشرون في خلاق الرب تبارك وتعالى بهض الجنان وغرسها بيده تفضيلا لها على سائر الجنان	١٠٦
» الرابع والعشرون في ذكر بوابى الجنة وخزنتها واسم مقدمهم ورئيسهم	١٠٩ ✓
» الخامس والعشرون في ذكر أول من يقرع باب الجنة	١١٠
» السادس والعشرون في ذكر أول الأهم دخولا الجنة	١١٢
» السابع والعشرون في ذكر السابقين من هذه الأمة إلى الجنة وصفتهم	١١٤
» الثامن والعشرون في سبق الفقراء الأغنياء إلى الجنة	١١٧
» التاسع والعشرون في ذكر أصناف أهل الجنة الذين ضمنت لهم دون غيرهم	١١٩
» الثلاثون في أن أكثر أهل الجنة هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم	١٢٣
» الحادى والثلاثون في أن النساء في الجنة أكثر من الرجال وكذلك هم في النار	١٢٥

- ١٢٩ الباب الثانى والثلاثون فى من يدخل الجنة من هذه الأمة بغير حساب
وذكر أوصافهم
- ١٣٢ « الثالث والثلاثون فى ذكر حثيات الرب تبارك وتعالى الذين يدخلهم الجنة
- ١٣٦ « الرابع والثلاثون فى ذكر تربة الجنة وطينتها وحصبائها وبنائها
- ١٤٠ « الخامس والثلاثون فى ذكر نورها وبياضها
- ١٤٢ « السادس والثلاثون فى ذكر غرفها وقصورها ومقاصيرها
- ١٤٦ « السابع والثلاثون فى ذكر معرفتهم لمنازلهم ومسالكهم إذا دخلوا الجنة
- ١٤٨ « الثامن والثلاثون فى كيفية دخولهم الجنة وما يستقبلون عند دخولها .
- ١٥٢ « التاسع والثلاثون فى ذكر صفة أهل الجنة فى خلقهم وخلقهم وطولهم
وعرضهم ومقدار أسنانهم
- ١٥٥ « الأربعون فى ذكر أعلا أهل الجنة منزلة وأدناهم
- ١٥٨ « الحادى والأربعون فى تحفة أهل الجنة إذا دخلوها
- ١٦٠ « الثانى والأربعون فى ذكر ريح الجنة ومن مسيرة كم يشق
- ١٦٣ « الثالث والأربعون فى ذكر الأذان الذى يؤذن به مؤذن الجنة فيها
- ١٦٥ « الرابع والأربعون فى أشجار الجنة وبساتينها وظلالها
- ١٦٦ فصل وأما الطلح فأكثر المنصرين قالوا إنه شجرة الموز
- ١٧١ الباب الخامس والأربعون فى ثمارها وتمداد أنواعها وصفاتها وريحانها
- ٧٧١ « السادس والأربعون فى زرع الجنة
- ١٧٨ « السابع والأربعون فى ذكر أنهار الجنة وعيونها وأصنافها ومجراها
الذى تجرى عليه
- ١٨٠ فصل وأنهار الجنة تتفجر من أعلاها ثم تنحدر نازلة إلى أقصى درجاتها
- ١٨٤ « فصل وأما العيون
- ١٨٧ الباب الثامن والأربعون فى ذكر طعام أهل الجنة وشراهم ومصرفهم
- ١٩٢ « التاسع والأربعون فى ذكر آينتهم التى يأكلون فيها ويشربون
وأجناسها وصفاتها

- الموضوع المنحة
- ١٩٧ الباب الخمسون في ذكر لباسها وحليها ومناديلها الخ
- ٢٠٤ فصل ومن ملابسهم التيجان على رؤوسهم
- ٢٠٥ » وأما الفرش
- ٢٠٧ » وأما البسط والزرابي
- ٢٠٧ » وأما الرفوف - وأما المبقرى
- ٢١٠ الباب الحادى والخمسون في ذكر خيامهم وسررهم وأرائكهم الخ
- ٢١٢ فصل وأما الأرائك
- ٢١٤ الباب الثانى والخمسون في ذكر خدمهم وغلمانهم
- ٢١٧ » الثالث والخمسون في ذكر نساء أهل الجنة وأصنافهن وحسنهن وأوصافهن وجمالهن الخ
- ٢٢٠ فصل وقوله تعالى (وزوجناهم بحور عين) .
- ٢٢٣ » وقوله تعالى في وصفهن (حور مقصورات في الخيام)
- ٢٢٤ » وقوله تعالى (فيهن خيرات حسان)
- ٢٢٥ » وقال تعالى (إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربيا أترابا لأصحاب اليمين) .
- ٢٢٨ » روى البخارى في صحيحه « لندوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا » الخ
- ٢٣٢ » والأحاديث الصحيحة إنما فيها أن لكل منهم زوجتين الخ
- ٢٣٣ الباب الرابع والخمسون في ذكر المادة التي خلق منها الحور العين وما ذكر فيها من الآثار الخ
- ٢٣٨ » الخامس والخمسون في ذكر نكاح أهل الجنة الخ
- ٢٤٢ » السادس والخمسون في ذكر اختلاف الناس هل في الجنة حمل وولادة أم لا ؟
- ٢٥٠ » السابع والخمسون في ذكر سماع الجنة وغناء الحور العين وما فيه من الطرب واللذة

- الصفحة الموضوع
- ٢٥٣ فصل ولهم سماع أعلام من هذا
- ٢٥٥ » » » » » يضمحل دونه كل سماع
- ٢٥٦ الباب الثامن والخمسون في ذكر مطايا أهل الجنة وخيولهم ومراكبهم
- ٢٥٩ » التاسع والخمسون في زيارة أهل الجنة بمضمونهم بمضاوتها كرههم ما كان بينهم في الدنيا
- ٢٦٣ فصل ولهم زيارة أخرى أعلى من هذه وأجل
- ٢٦٤ الباب الستون في ذكر سوق الجنة وما أعد الله تعالى فيه لأهلها
- ٢٦٧ » الحادى والستون في ذكر زيارة أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى
- ٢٧١ » الثانى والستون في ذكر السحاب والمطر الذى يصيبهم فى الجنة
- ٢٧٢ فصل وقد جعل الله سبحانه وتعالى السحاب وما يطره سببا للرحمة والحياة فى هذه الدار النخ
- ٢٧٤ الباب الثالث والستون فى ذكر ملك الجنة وأن أهلها كلهم ملوك فيها
- ٢٧٨ » الرابع والستون فى أن الجنة فوق ما يخطر بالبال أو يدور فى الخيال
- ٢٨٥ » الخامس والستون فى رؤيتهم ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم جهرة وبيان الأدلة
- ٢٩٦ وأما الأحاديث الدالة على الرؤية فمتواترة وبيانها
- ٢٩٧ فصل وهاك بعض ما قاله بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون وأئمة الإسلام بعدهم فى الرؤية
- ٣٣٠ » وأما التابعون أى وقولهم فى الرؤية النخ
- ٣٣٥ » فى المنقول عن الأئمة الأربعة النخ
- ٣٤١ » فى وعيد منكرى الرؤية
- ٣٤٣ الباب السادس والستون فى تسليمه سبحانه وتعالى لأهل الجنة وخطابه لهم ومحاضرتهم إياهم وسلامه عليهم
- ٣٤٥ » السابع والستون فى أبدية الجنة وأنها لا تنفنى ولا تبيد وفيه فصول
- ٣٤٨ فصل وهذا موضع اختلف فيه المتأخرون على ثلاثة أقوال النخ

- ٣٥٢ فصل وأما أبدية للنار ودوامها
- ٣٦١ » والذين قطعوا بدوام النار لهم ست طرق وبيانها
- ٣٦٥ » ونحن نذكر الفرق بين دوام الجنة والنار شرعا وعقلا الخ
- ٣٨٩ الباب الثامن والستون في ذكر آخر أهل الجنة دخولا إليها
- ٣٩٣ » التاسع والستون وهو باب جامع فيه فصول مشورة
- ٣٩٣ فصل في لسان أهل الجنة
- ٣٩٣ » في احتجاج الجنة والنار
- ٣٩٤ » في أن الجنة يبق فيها فضل
- ٣٩٥ » في امتناع النوم على أهل الجنة
- ٣٩٥ » في ارتقاء العبد وهو في الجنة من درجة إلى درجة أعلى منها
- ٣٩٥ » في إلحاق ذرية المؤمن به في الدرجة وإن لم يعملوا عمله
- ٣٩٦ » في أن الجنة تتكلم
- ٣٩٩ » في أن الجنة تزداد حسنا على الدوام
- ٤٠٠ » في أن الحور العين يطلبن أزواجهن أكثر مما يطلبهن أزواجهن
- ٤٠٠ » في ذبح الموت بين الجنة والنار
- ٤٠٤ » في ارتفاع العبادات في الجنة الخ
- ٤٠٤ » في تذاكر أهل الجنة ما كان بينهم في دار الدنيا
- ٤٠٦ الباب السبعون في ذكر من يستحق هذه البشارة دون غيره
- ٤١٦ فصل ونختم الكتاب بما ابتدأنا به أولا الخ